

الملاحق

ملحق رقم (١) ويتضمن الصورة النهائية للمعايير التي تم في ضوئها تحليل المحتوى القائم ،

- وقد اشتقت هذه المعايير من العديد من المصادر والمراجع ، وهي مقسمة إلى أربعة محاور : -
- المحور الأول : - ويضم عشرة معايير رئيسية وعنوانه (المدخل إلى الثقافة الإسلامية) .
- المحور الثاني : - ويضم ستة معايير رئيسية وعنوانه (الإسلام والكون) .
- المحور الثالث : - ويضم عشرة معايير رئيسية وعنوانه (الإنسان والكون) .
- المحور الرابع : - ويضم تسعة معايير رئيسية وعنوانه (النظام الإسلامي لبعض جوانب الحياة المختلفة) .
- علماً أن مجموع المعايير قد بلغ خمسة وثلاثون معياراً
وفيما يلي عرض ذلك : -
- معايير المحور الأول ، عنوانه : - المدخل إلى الثقافة الإسلامية .**
المعيار الأول : -
- بيان مفهوم الثقافة الإسلامية على أساس أنه الأسلوب الكلي لحياة الأمة الذي يتسق مع التصور الإسلامي للألوهية والكون والإنسان والحياة .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- (١) تعريف الثقافة الإسلامية .
 - (٢) بيان أنها أسلوب شامل لكل جوانب الحياة .
 - (٣) توضيح الفرق بينها وبين الثقافات الأخرى .
 - (٤) إبراز أهم مقومات هذه الثقافة .
 - (٥) بيان موقفها من العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع المسلم .
- المعيار الثاني : - بيان مفهومي الألوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية ، وبيان الفوارق بينهما .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- (١) تعريف توحيد الربوبية .
 - (٢) تعريف توحيد الألوهية .
 - (٣) توضيح الفرق بينهما .
 - (٤) إبراز مقتضيات العبودية لله .
 - (٥) بيان العلاقة بين العبودية لله وحده والحرية الإنسانية .
- المعيار الثالث : - توضيح خصائص الإسلام العامة من حيث : الربانية ، الشمول ، التوازن ، العالمية ، الواقعية ، الإيجابية .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- (١) الربانية ومقتضياتها .
 - (٢) الشمول ومقتضياته .
 - (٣) التوازن ومقتضياته .

- (٤) العالمية ومقتضياتها .
- (٥) الواقعية الإيجابية ومقتضياتها .
- المعيار الرابع : - توضيح أن القرآن الكريم قد جاء مصداقاً لما في الكتب السماوية السابقة ومهيماً عليها مع حفظه من التحريف .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١) تعريف القرآن الكريم ، مع بيان الفرق بينه وبين السنة النبوية .
 - ٢) بيان أن كتاب الله واحد أوتي اليهود نصيباً منه ، وأوتي النصارى نصيباً منه .
 - ٣) توضيح الوسائل والطرق التي تم بها حفظ القرآن حتى وصل إلينا سليماً من التحريف .
 - ٤) بيان ما تعرضت له الكتب السماوية السابقة من تحريف وتضليل .
 - ٥) التأكيد على أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .
- المعيار الخامس : - بيان المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١- بيان أن الثقافة الإسلامية لها جانبان معياري وتطبيقي .
 - ٢- التأكيد على أن الثقافة الإسلامية ربانية في مصدرها وغايتها .
 - ٣ - بيان المصادر الأساسية والفرعية للثقافة الإسلامية .
 - ٤ - التأكيد على أن الثقافة الإسلامية تتميز بالمرونة والسعة رغم ثبات مصادرها .
 - ٥ - بيان الطرق التي تم بها حفظ المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .
- المعيار السادس : - التأكيد على المفهوم الشامل « للعبادة » والذي يشمل النشاط الإنساني كله طالما قصد به وجه الله .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١- تعريف مفهوم العبادة في الإسلام .
 - ٢ - التأكيد على أن العبادة عاطفة فطرية مغروسة في النفس البشرية من بداية الخليقة .
 - ٣ - بيان أن المساهمة والعمل في كل الأنشطة هو عبادة الله إذا قصد به وجه الله .
 - ٤ - التأكيد على أن مفهوم العبادة يتسع في الإسلام ليشمل كل جوانب الحياة .
 - ٥ - التأكيد على أن العبادة هي مظهر من مظاهر التجمع الإنساني .
- المعيار السابع : - التمييز بين جوانب الإسلام الثابتة « الأصول » والجوانب المتغيرة الخاضعة لحركة الإنسان في اطار الثوابت .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١- إبراز التصور العقيدي في الإسلام مع بيان أنه غير قابل للتغيير .
 - ٢ - إبراز التصور الاجتماعي في الإسلام مع بيان أنه قابل للتغيير .
 - ٣ - التأكيد على أن الإسلام لا يمنع من الحركة والتغيير في جوانب الحياة المختلفة في اطار الثوابت .
 - ٤ - التأكيد على أنه لا تعارض بين الحرية وجوانب الإسلام الثابتة .
 - ٥ - التأكيد على أن الإسلام يدعو الى استغلال كل الطاقات البشرية للاستفادة منها في إعمار الأرض .

المعيار الثامن :- بيان أهم التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية وتفنيد بعض الشبهات المثارة حولها ، مع بيان أنها صالحة لكل زمان ومكان .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية :-

١- بيان لبعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .

٢- بيان عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية .

٣ - التأكيد على أنها صالحة لكل زمان ومكان .

٤ - بيان الكيفية التي يتم من خلالها المحافظة على هوية الأمة وكيانها .

٥ - إبراز المعاني السامية والإنسانية للشريعة الإسلامية .

المعيار التاسع :- التأكيد على أن الحياة في التصور الإسلامي هي حياة عمل وأن الآخرة هي دار الجزاء ، وأن العلاقة قوية بينهما وأنهما ليستا نقيضين ولا بديلين .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية :-

(١) أن يصور الحياة على أنها حياة للعمل والجد .

(٢) أن يرغب في الإقبال على الحياة والاستفادة منها .

(٣) أن يرغب في الإقبال على العمل من أجل الآخرة لأنها الباقية .

(٤) التأكيد على أن الدنيا والآخرة ليسا نقيضين .

(٥) التأكيد على أن الدنيا والآخرة ليسا بديلين .

المعيار العاشر :- التأكيد على أن الحياة ناشئة بإرادة الله وهي من أصل واحد هو الماء ، وتقوم على قاعدة الزوجية التي تشمل الأحياء جميعاً .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية :-

(١) تصوير الحياة على أنها ناشئة بإرادة الله .

(٢) التأكيد على أن الحياة هي من أصل واحد هو الماء .

(٣) التأكيد على أن الحياة تقوم على قاعدة الزوجية بين كل الأحياء .

(٤) نبد اليأس والانصراف عن الحياة والمشاركة في أنشطتها .

(٥) التأكيد على أن الحياة دار عمل يجب أن يقوم الإنسان على إعمارها وفق منهج الله .

المحور الثاني وعنوانه :- الإسلام والكون

المعيار الأول :- التأكيد على أن الكون في التصور الإسلامي مخلوق حادث ، وليس أزلياً ، وأن الله هو الذي أنشأه .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية :-

(١) التأكيد على أن الكون مصمم من قبل الله وأنه هو الذي أنشأه .

(٢) التأكيد على أن الكون مخلوق حادث وليس مخلوقاً أزلياً .

(٣) التأكيد على أن الكون غيب وشهود .

(٤) تصوير الكون على أنه مخلوق لخدمة الإنسان .

(٥) التأكيد على أن كل ما في الكون هو عابد لله .
المعيار الثاني : - التأكيد على أن الطبيعة مخلوقة لله وأنها محكومة في وجودها وحركاتها وسكناتها بنواميس أودعها الله فيها، مع بيان أن كل ما في الكون يسير وفق إرادة الله ومشيئته.

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

(١) تصوير كل ما في الطبيعة أنه مخلوق لله .
(٢) التأكيد على أن كل مفردات الكون تسير وفق القوانين التي أودعها الله فيها وفق إرادته ومشيئته

(٣) الرد على من قال إن الطبيعة أوجدت نفسها .

(٤) إظهار الفرق بين مفهوم المسلم للطبيعة ومفهوم غير المسلم لذلك .

(٥) بيان علاقة الإنسان بمفردات الطبيعة .

المعيار الثالث : - بيان دور الإنسان في التعامل مع الكون المشهود بالدراسة والبحث واكتشاف ما فيه لخدمة البشرية في مجال الخير .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

(١) بيان الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان نحو الكون عامة .
(٢) بيان أهمية الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان نحو الكون المشهود .
(٣) بيان الأضرار التي لحقت بالشعوب من جراء الاستغلال السيء للكون .
(٤) التأكيد على وجوب المحافظة على كل ما في الكون من خيرات ونعم .
(٥) التأكيد على وجوب إظهار ما في الكون من معجزات ودلائل كلها تدل على وجود خالق عظيم ومدبر

المعيار الرابع : - التأكيد على أن الحقائق الكونية التي اكتشفها العلم الحديث والثابتة بطرق علمية صحيحة لا تتنافى ولا تتناقض مع ما أشار إليه القرآن والسنة من حقائق الكون غير أنه

لا يستدل بالأول على صحة الثاني .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

(١) بيان أن القرآن قد أشار إلى حقائق كونية كثيرة .
(٢) توضيح الفرق بين الحقائق القرآنية المطلقة وبين الحقائق العلمية النسبية .
(٣) بيان أنه لا يجوز الاستدلال على صحة الحقائق القرآنية بالحقائق العلمية .
(٤) بيان أنه لا تناقض بين ما جاء في القرآن والسنة من حقائق وبين ما جاء في العلم الحديث .
(٥) بيان أسرار الإعجاز في القرآن .

المعيار الخامس : - التأكيد على دعوة الإسلام للناس جميعاً للنظر إلى ما في الكون والحياة من مظاهر

الجمال والتناسب والدقة في الصنع كلها تدل على عظمة الصانع .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١- تصوير مظاهر الجمال في الكون على أنها آية من آيات الله الكبرى .
٢- تصوير مظاهر الجمال على أنها دليل على إبداع الخالق الحكيم .

- ٣ - التأكيد على أنه لا تعارض بين الإسلام وقيمه والجمال ومظاهره .
- ٤ - التأكيد على وجوب التفكير والتأمل في مخلوقات الله وأن ذلك نوع من أنواع العبادة لله .
- ٥ - بيان محدودية علم الإنسان في اكتشاف أسرار الكون رغم ما بلغه من تقدم علمي .
- المعيار السادس : - توضيح أسباب تأخر المسلمين في كشف أسرار الكون واستغلاله والذي يرجع إلى عدم التزامهم بالتوجيهات الإسلامية الداعية لذلك .
- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١- بيان لماذا تأخر المسلمون في تسخير الكون والاستفادة مما فيه .
 - ٢- بيان لماذا تقدم غير المسلمين واستفادوا مما في الكون .
 - ٣- نفي العلاقة بين تأخر المسلمين والإسلام .
 - ٤ - بيان الضوابط التي يجب الالتزام بها عند الاستفادة مما في الكون .
 - ٥ - تصوير إقبال الناس على تسخير الكون واكتشاف ما فيه على أنه جزء من العبادة التي ينبغي أن تقوم بها المسلم .

معايير المحور الثالث : عنوانه : - الإسلام والإنسان .

- المعيار الأول : - بيان أن الإنسان كائن كريم على الله ، وأنه فضله على كثير مما خلق ، وأنه كائن مركزي
- مميزته الحرية والإرادة والعقل .
- هذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١- بيان الحكمة من خلق الله للإنسان .
 - ٢ - بيان مظاهر تكريم الله للإنسان .
 - ٣ - بيان أن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان .
 - ٤ - تصوير الإنسان على أنه كائن إيجابي فعال .
 - ٥ - إدراك العلاقة بين إنسانية الإنسان وبين حرية الإرادة والاختيار .

المعيار الثاني : - التأكيد على أن الإنسان مستخلف في الأرض ليعمرها ويرقيها من خلال مجالات

العمل المختلفة وفقاً لمنهج الله .

- وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -
- ١ - بيان المقصود من الخلافة في الأرض .
 - ٢ - بيان مفهوم العبادة والربط بينه وبين مفهوم الخلافة .
 - ٣ - بيان أهمية العبادة والخلافة في الأرض .
 - ٤ - إبراز النعم والطاقات التي أودعها الله في النفس البشرية .
 - ٥ - تنمية قدرة الفرد المسلم على تحمل المسؤولية والمساهمة في إعمار الأرض .

المعيار الثالث : - التأكيد على أن الفطرة الإنسانية مؤمنة ، وأن الإيمان حاجة فطرية وعقلية .
وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١) بيان أن كل إنسان مفضل على الإيمان بربوبية الله ووحديته .

٢) بيان أن الإنسان يتكون من جسد وروح وعقل .

٣) التأكيد على أن هناك صلة قوية بين فطرة الإنسان وبين الإيمان بالله عزوجل .

٤) بيان أهمية الإيمان والعقيدة للإنسان .

٥) تصوير الإنسان المسلم بأنه متطلع إلى عالم أرقى وحياة هي خير وأبقى .

المعيار الرابع : - بيان أن بشرية الرسل تكريم للجنس الإنساني كله .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١) توضيح حاجة الأمم للرسل .

٢) بيان أن بشرية الرسل تكريم من الله للجنس البشري .

٣) عرض نماذج من السيرة النبوية الخالدة للاقتداء بها .

٤) بيان أن الرسل جميعهم بشر وليسوا ملائكة وأنهم جميعاً جاءوا بدين واحد .

٥) التأكيد على وجوب اتباع كل ما جاء به الرسل من تعاليم وشرائع وأن الرسول محمد عليه السلام هو

خاتمهم جميعاً .

المعيار الخامس : - بيان أن سنة الله منذ الأزل التمكين في الأرض لأولياته المؤمنين والهلاك للمخالفين .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - بيان أن النصر والغلبة للمؤمنين .

٢ - بيان أن الهلاك والعقوبة لغير المؤمنين رغم تجبرهم وتكبرهم .

٣ - عرض بعض العقوبات الإلهية للأمم التي خالفت أوامر الله .

٤ - الاهتمام بعرض جوانب الخير .

٥ - تصوير الشر وأهله بأنه زائل ولا يصمد أمام الخير وأهله .

المعيار السادس : - التأكيد على أن أفراد الجنس البشري متساوون من حيث التكوين والاستعدادات ولا

اعتبار لجنس أو لون أو عرق في ميزان التكريم، فالتفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح.

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - التأكيد على أن أصل البشرية جميعاً واحد .

٢ - التأكيد على أن الناس متساوون من حيث الخلق والنشأة .

٣ - التأكيد على أن الإسلام لا يفرق بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو العرق .

٤ - بيان أن الإسلام سبق العالم المعاصر في الاهتمام بحقوق الإنسان .

٥ - بيان أهمية التقوى والعمل الصالح في حياة كل من الفرد والمجتمع .

المعيار السابع : - بيان أن الإنسان مسؤول عن جميع تصرفاته ولا يحمل وزر غيره ، كما لا يحمل غيره

وزره .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١- بيان أن الإنسان وحده هو المسؤول عن كل تصرفاته .
 - ٢ - التأكيد على أن الحرية والمسؤولية وجهان لعملة واحدة .
 - ٣ - بيان مسؤولية الإنسان عن نفسه وأسرته .
 - ٤ - بيان المسؤولية الاجتماعية .
 - ٥ - بيان أن الإنسان لا يتحمل تبعات غيره مهما كانت درجة القرابة .
- المعيار الثامن : - بيان أن أفضل مراحل عمر الإنسان هي مرحلة الشباب ، وأنه يجب ألا تضيع فيما لا يفيد .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - إبراز أن مرحلة الشباب هي أفضل مراحل الإنسان العمرية .
- ٢ - بيان أهم الطرق والأساليب التي يجب اتباعها لاستغلال هذه الفترة .
- ٣- بيان الدور الذي يجب أن يقوم به المجتمع والمؤسسات التربوية المختلفة في توجيه الشباب لاستغلال هذه المرحلة.

٤ - عرض لنماذج من السلوكيات ^١ غير المرغوبة لدى الشباب .

٥ - بيان أسباب ضعف الوازع الديني لدى الشباب .

المعيار التاسع : - توضيح نظرة الإسلام للعقل الإنساني وكيفية استخدامه مع بيان مجالات الاستخدام .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١- بيان أن العقل الإنساني هو مناط التكليف والمسؤولية .
 - ٢ - الدعوة إلى تربية العقل الإنساني تربية سليمة .
 - ٣ - بيان اهتمام الإسلام بالعقل وأنه مكون من مكونات الإنسان التي يتميز به عن بقية المخلوقات .
 - ٤ - بيان أن العقل ليس بديلاً للوحي أو الشرع .
 - ٥ - بيان الطرق والمزالق التي قد يقع فيها العقل البشري مخالفاً بذلك الغرض من وجود هذه النعمة .
- المعيار العاشر : - بيان مدى حرص الإسلام على صحة الإنسان وسلامته بدنياً وعقلياً ونفسياً ، وعلاقة بعض الأمراض المعاصرة بالسلوك الأخلاقي .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - بيان أهمية الصحة في الإسلام .
- ٢ - إبراز دور الإسلام في الوقاية من الأمراض .
- ٣ - التأكيد على أن بعض الأمراض التي انتشرت مؤخراً لها علاقة بالجانب الأخلاقي الذي دعا الإسلام إلى الالتزام به .

٤ - بيان أن ما حرمه الإسلام من مأكّل ومشرب إنما هو لصالح صحة الإنسان ووقايته من الأمراض .

٥ - التأكيد على أن من واجبات الدولة الإسلامية توفير الرعاية الصحية لكل الناس .

معايير المحور الرابع ، وعنوانه : - النظام الإسلامي لجوانب الحياة المختلفة

المعيار الأول : - التأكيد على بيان مقومات النظام الاجتماعي في التصور الإسلامي مع إبراز أهمية

العلاقة بين الفرد والمجتمع والرجل والمرأة .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - تعريف النظام الاجتماعي .

٢ - بيان أهم مقوماته .

٣ - إبراز أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع .

٤ - إبراز العلاقة بين الرجل والمرأة .

٥ - إبراز المكانة والاهتمام اللذين أولاها الإسلام بالمرأة .

المعيار الثاني : - بيان موقف الإسلام من علاقة المجتمع المسلم الاقتصادية والسياسية والفكرية مع غيره

من المجتمعات والدول .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - بيان علاقة الدولة الإسلامية الأولى بغيرها من الدول الموجودة في ذلك الوقت .

٢ - بيان الكيفية التي يجب أن تكون عليها هذه العلاقة .

٣ - بيان لماذا سيطرت القوى الخارجية على قرار الأمة الإسلامية .

٤ - بيان أن الأمة الإسلامية تملك كل المقومات التي تجعلها تستقل بقرارها عن غيرها .

٥ - بيان الحدود المسموح بها للاستفادة مما عند الآخرين من تجارب وخبرات .

المعيار الثالث : إظهار المقومات الأساسية للنظام الاقتصادي في التصور الإسلامي .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - التعريف بالنظام الاقتصادي بشكل عام والإسلامي منه بوجه خاص .

٢ - إبراز أهمية الزكاة والصدقات في النظام الاقتصادي الإسلامي .

٣ - بيان أهم الخصائص التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام .

٤ - بيان مفهوم الملكية في التصور الإسلامي .

٥ - بيان مفهوم الميراث وعلاقته بالنظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام .

المعيار الرابع : - بيان أهمية الالتزام بالقيم الاقتصادية الإسلامية ، ومدى توافرها في الأنشطة

الاقتصادية القائمة في اليمن .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - بيان أن القيم الاقتصادية في الإسلام مرتبطة بالقيم الأخلاقية .

٢ - وجوب الالتزام بالقيم والاخلاق في كل المعاملات الاقتصادية .

٣ - بيان أن ما حرمه الإسلام في مجال الاقتصاد والتجارة إنما هو لصالح الإنسان .

٤ - بيان مدى توافق الأنشطة الاقتصادية القائمة في اليمن مع النظام الاقتصادي الإسلامي .

٥ - التأكيد على أن الإنسان المسلم من حقه على دولته توفير الحد الأدنى من العيش الكريم في حالة عدم

صلوه على عمل يكسبه قوته .

المعيار الخامس : - بيان موقف الإسلام من بعض القضايا المعاصرة مثل التأمين ، الجمارك ، البنوك بأنواعها المختلفة .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - بيان موقف الإسلام من قضية التأمين وشهادات الاستثمار .
- ٢ - بيان موقف الإسلام من الجمارك والضرائب .
- ٣ - إعطاء فكرة عن البنوك الإسلامية .
- ٤ - إعطاء فكرة عن البنوك الربوية بمختلف أنواعها .
- ٥ - بيان أن الإسلام لا يمانع من الاستفادة من كل التجارب الاقتصادية وخطط التنمية التي عند الغير مادام فيها فائدة للمجتمع ولا تعارض عقيدته .

المعيار السادس : - بيان المقومات الرئيسية للنظام السياسي في التصور الإسلامي وعلى رأسها الشورى ، العدل ، الحرية ، المسؤولية مع إعطاء فكرة عن مراحل النظام السياسي في اليمن .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - بيان مقومات النظام السياسي الإسلامي .
 - ٢ - بيان أهمية العدل والشورى في النظام السياسي الإسلامي .
 - ٣ - إبراز أهمية الحرية والمسؤولية في النظام الإسلامي .
 - ٤ - بيان حقوق كل من الحاكم والمحكوم في النظام الإسلامي .
 - ٥ - بيان المراحل التي مر بها النظام السياسي في اليمن .
- المعيار السابع : - بيان المقومات الأساسية للإعلام والإعلان في التصور الإسلامي ، ومتطلباتها في الإنتاج الإعلاني والإعلامي .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - بيان أهم مقومات الإعلام والإعلان في التصور الإسلامي .
- ٢ - بيان أهم القضايا التي يجب أن يركز عليها الإعلام والإعلان لخدمة قضايا الأمة .
- ٣ - لا بد في الإعلام من الجمع بين الترفيه البريء والجد المفيد .
- ٤ - أن يراعي الإعلام والإعلان قيم الأمة وأخلاقها .
- ٥ - لا بد من عرض الجوانب المشرقة والمضيئة في حياة الأمة ، وعدم التركيز على لحظات الضعف والهوان التي تصيب الفرد أو الأمة .

المعيار الثامن : - بيان مميزات النظام القضائي والتشريعي في الإسلام .

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

- ١ - تعريف النظام القضائي في الإسلام .
- ٢ - بيان مميزات النظام القضائي والتشريعي في الإسلام .
- ٣ - بيان واجبات القاضي وشروط اختياره في الإسلام .
- ٤ - دور القضاء في حماية العرض والنفوس والمال .
- ٥ - التأكيد على أن الجانب القضائي والتشريعي في الإسلام يستوعب كل قضايا العصر ومشاكله ، وأنه

لا حاجة للمجتمع المسلم لاستيراد القوانين والنظم من الخارج .

المعيار التاسع : - بيان موقف الإسلام من بعض القضايا المستجدة مثل « تحديد النسل ، زرع الأعضاء

الإجهاض ، أطفال الأنابيب ، نقل الدم وبيعه ، تشريح الجثث »

وهذا المعيار ينبغي أن يتضمن العناصر التالية : -

١ - عرض لبعض القضايا المستجدة ورأي الإسلام فيها .

٢ - التأكيد على أن الإسلام لا يمنع أو يحرم كل ما يفيد البشرية .

٣ - التأكيد على أنه لا تعارض بين العلم والإيمان وأن الأول يدعو للثاني .

٤ - التأكيد على أن الإسلام يحث أبناءه على تعلم كل العلوم النافعة ومنها علوم الطب .

٥ - التأكيد على أن المسلم يجب عليه أن يأخذ بالأسباب المشروعة في كل أمور حياته .

ملحق رقم (٢) ويتضمن الصورة النهائية للأهداف التي تم فى ضوءها بناء المنهج المقترح

وقد تم بناء هذه الأهداف ، من خلال الاستعانة بقائمة المعايير التي تم تحليل المحتوى القائم فى ضوءها ، وقد تكونت هذه الأهداف من خمسة وثلاثين هدفاً رئيسياً ولكل هدف خمسة أهداف خاصة ؛ وقد وزعت هذه الأهداف على أربع وحدات رئيسية هى :-

- ١- المدخل إلى الثقافة الإسلامية واشتمل على عشرة أهداف رئيسية .
 - ٢- الإسلام والكون واشتمل على ستة أهداف رئيسية .
 - ٣ - الإسلام والإنسان واشتمل على عشرة أهداف رئيسية .
 - ٤ - النظام الإسلامى لبعض جوانب الحياة المختلفة واشتمل على تسعة أهداف رئيسية .
- وفيما يلي عرض ذلك :-

الوحدة الأولى وعنوانها :- «المدخل إلى الثقافة الإسلامية» وتشمل عشرة أهداف عامة ؛ وكل هدف عام له خمسة أهداف خاصة . وفيما يلي عرض لهذه الأهداف .

١- الهدف العام الأول :- أن يدرك الطلبة مفهوم الثقافة الإسلامية على أساس أنه الأسلوب الكلى لحياة الأمة ، الذى يتسق مع التصور الإسلامى للألوهية والكون والإنسان والحياة . ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يتعرف الطلبة على مفهوم الثقافة الإسلامية

- أن يستنتج الطلبة أن الثقافة الإسلامية أسلوب كلى للحياة يتسق مع التصور العقيدى والتصور الاجتماعى للحياة .

- أن يدرك الطلبة الفوارق بينها وبين الثقافات الأخرى .

- أن يدرك الطلبة أهم مقومات الثقافات الأخرى .

- أن يدرك الطلبة موقف الثقافة الإسلامية من العادات والتقاليد والأعراف فى المجتمع المسلم .

الهدف العام الثانى :- أن يدرك الطلبة مفهوم الألوهية والعبودية فى الثقافة الإسلامية وبيان الفوارق بينهما . ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يدرك الطلبة مفهوم توحيد الألوهية .

- أن يدرك الطلبة مفهوم توحيد الربوبية .

- أن يقارن الطلبة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

- أن يفهم الطلبة مفهوم العبادة ومقتضيات العبودية لله .

- أن يدرك الطلبة العلاقة بين العبودية لله وحده والحرية الإنسانية .

الهدف العام الثالث :- أن يتعرف الطلبة على خصائص الإسلام العامة من حيث :- الربانية ؛ الشمول ؛ التوازن ؛ العالمية ؛ الواقعية والإيجابية .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يوضح الطلبة مفهوم الربانية ومقتضياتها .

- أن يفسر الطلبة سر شمولية الإسلام ومقتضيات ذلك .
- أن يدرك الطلبة مفهوم التوازن في الإسلام ومقتضياته .
- أن يدرك الطلبة مفهوم العالمية في الإسلام ومقتضياتها .
- أن يدرك الطلبة مفهوم الواقعية الإيجابية ومقتضياتها .

الهدف العام الرابع : - أن يدرك الطلبة أن القرآن الكريم قد جاء مصداقاً لما فى الكتب السماوية السابقة ، ومهيماً عليها مع حفظه من التحريف .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يفهم الطلبة معنى القرآن الكريم ، مع التفريق بينه وبين السنة النبوية .
 - أن يدرك الطلبة أن كتاب الله واحد أوتى اليهود نصيباً منه وأوتى النصارى نصيباً منه .
 - أن يدرك الطلبة الوسائل والطرائق التى تم بها حفظ القرآن الكريم حتى وصل إلينا سليماً من التحريف .
 - أن يناقش الطلبة ما تعرضت له الكتب السماوية السابقة من تحريف وتضليل .
 - أن يدرك الطلبة أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التى جاء بها محمد عليه السلام .
- الهدف العام الخامس : - أن يتعرف الطلبة على المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يقارن الطلبة بين الجانبين المعيارى والتطبيقى للثقافة الإسلامية .
 - أن يفهم الطلبة أن الثقافة الإسلامية ربانية فى مصدرها وغايتها .
 - أن يفرق الطلبة بين المصادر الأساسية والمصادر الفرعية للثقافة الإسلامية .
 - أن يبرر الطلبة لماذا تميزت الثقافة الإسلامية بالمرونة والسعة رغم ثبات مصادرها .
 - أن يُقَوِّم الطلبة الطرق التى تم بها حفظ المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .
- الهدف العام السادس : أن يتعرف الطلبة على مفهوم العبادة فى الإسلام .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يدرك الطلبة مفهوم العبادة فى الإسلام .
- أن يفهم الطلبة أن العبادة عاطفة فطرية مغروسة فى النفس البشرية من بداية الخليقة .
- أن يدرك الطلبة أن الإسهام والعمل فى كل الأنشطة هو عبادة إذا قصد بذلك وجه الله .
- أن يدرك الطلبة أن مفهوم العبادة يتسع فى الإسلام ليشمل كل جوانب الحياة .
- أن يعلل الطلبة لماذا كانت العبادة مظهر من مظاهر التجمع الإنساني .

الهدف العام السابع : أن يدرك الطلبة جوانب الإسلام الثابتة « الأصول » والجوانب المتغيرة الخاضعة لحركة الإنسان فى إطار الثوابت .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يدرك الطلبة لماذا كان التصور العقيدى فى الإسلام غير قابل للتغيير .
- أن يدرك الطلبة لماذا كان التصور الاجتماعى فى الإسلام قابل للتغيير .
- أن يفهم الطلبة أن الإسلام لا يمنع من الحركة والتغير فى جوانب الحياة المختلفة فى إطار الثوابت .
- أن يدرك الطلبة أنه لا تعارض بين الحرية وجوانب الإسلام الثابتة .

– أن يدرك الطلبة أن الإسلام دين يدعو إلى استغلال كل الطاقات البشرية للاستفادة منها في إعمار الأرض .

الهدف العام الثامن : - أن يتعرف الطلبة على أهم التحديات التي تواجه الثقافة ويفقدوا الشبهات المثارة حولها مع بيان أنها صالحة لكل زمان ومكان .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

– أن يذكر الطلبة بعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .

– أن يدرك الطلبة عوامل السعة والمرونة في متغيرات الثقافة الإسلامية .

– أن يدرك الطلبة الأسباب التي تجعل الجوانب المعيارية للثقافة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

– أن يستنتج الطلبة الكيفيات التي يتم من خلالها المحافظة على هوية الأمة وكيانها .

– أن يشارك الطلبة في إبراز المعاني السامية والإنسانية للثقافة الإسلامية .

الهدف العام التاسع : - أن يعرف الطلاب أن الحياة في التصور الإسلامي هي حياة عمل وأن الآخرة هي

دار الجزاء ، وأن العلاقة قوية بينهما وأنهما ليستا نقيضين ولا بديلين .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

– أن يدرك الطلبة أن الحياة في التصور الإسلامي هي حياة عمل وجد .

– أن يفهم الطلبة الأسباب التي تجعلهم يقبلون علي الحياة الدنيا ، ويسهمون في عمارتها .

– أن يدرك الطلبة منازل الحياة الآخرة وعلاقتها بالدنيا .

– أن يكتشف الطلبة أن الدنيا والآخرة ليستا نقيضين .

– أن يكتشف الطلبة أن الدنيا والآخرة ليستا بديلين .

الهدف العاشر : - أن يدرك الطلبة أن الحياة ناشئة بإرادة الله وهي من أصل واحد هو الماء ، وتقوم على

قاعدة الزوجية التي تشمل الأحياء جميعاً .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

– أن يدرك الطلبة أن الحياة ناشئة بإرادة الله .

– أن يفهم الطلبة أن الأحياء جميعاً من أصل واحد هو الماء .

– أن يدرك الطلبة أن الحياة تقوم علي قاعدة الزوجية بين كل الأحياء .

– أن يدرك الطلبة العلاقة بينهم وبين مفردات الحياة من حولهم .

– أن يدرك الطلبة أن الحياة دار عمل يجب أن يقوم الإنسان على إعمارها وفق منهج الله .

الوحدة الثانية وعنوانها : الإسلام والكون .

وتتضمن هذه الوحدة ستة أهداف عامة ، ولكل هدف خمسة أهداف خاصة والغرض من هذه الوحدة تحقيق

الأهداف العامة والخاصة التالية : -

الهدف العام الأول : - أن يدرك الطلبة أن الكون في التصور الإسلامي مخلوق حادث وليس أزلياً وأن

الله هو الذي أنشأه .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

– أن يدرك الطلبة أن الكون مصمم من قبل الله وأنه هو الذي أنشأه .

- أن يدرك الطلبة أن الكون مخلوق حادث وليس مخلوقاً أزلياً .
- أن يقارن الطلبة بين الكون المغيّب والكون المشهود .
- أن يعرف الطلبة أن الكون مخلوق لخدمة الإنسان .
- أن يعرف الطلبة أن كل ما في الكون هو عابد لله .

الهدف العام الثاني : أن يدرك الطلبة أن الطبيعة مخلوقة لله وأنها محكومة في وجودها وحركاتها وسكناتها بنواميس أودعها الله فيها ، مع بيان أن كل ما في الكون يسير وفق إرادة الله ومشيئته .
ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يفهم الطلبة أن الطبيعة مخلوقة لله .
 - أن يستنتج الطلبة أن كل مفردات الكون تسير وفق القوانين التي أودعها الله فيها .
 - أن ينقد الطلبة القائلين أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .
 - أن يقارن الطلبة بين مفهوم المسلم للطبيعة ومفهوم غير المسلم .
 - أن يفسر الطلبة طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان ومفردات الطبيعة .
- الهدف العام الثالث : أن يتعرف الطلبة على الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان في التعامل مع الكون المشهود وذلك من خلال البحث والدراسة لاكتشاف ما فيه لخدمة البشرية في مجال الخير .
ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يعرف الطلبة الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان نحو الكون عامة .
 - أن يعرف الطلبة الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان نحو الكون المشهود .
 - أن يستنتج الطلبة طبيعة الأضرار التي لحقت بالشعوب من جراء الاستخدام السيء للكون .
 - أن يستطيع الطلبة المساهمة والمشاركة في المحافظة على ما في الكون من خيرات ونعم .
 - أن يتعرف الطلبة على ما في الكون من معجزات ودلائل .
- الهدف العام الرابع : أن يستنتج الطلبة أن الحقائق الكونية التي اكتشفها العلم الحديث والثابتة بطرق علمية صحيحة لا تتنافى ولا تتناقض مع ما أشار إليه القرآن والسنة من حقائق كونية غير أنه لا يستدل بالأول على صحة الثاني .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- ١- أن يعرف الطلبة أن القرآن الكريم قد أشار إلى حقائق كونية كثيرة .
- ٢- أن يفرق الطلبة بين الحقائق القرآنية المطلقة وبين الحقائق العلمية النسبية .
- ٣- أن يدرك الطلبة أنه لا يجوز الاستدلال على صحة الحقائق القرآنية بالحقائق العلمية .
- ٤- أن يعرف الطلبة أنه لا تناقض بين ما جاء في القرآن والسنة من حقائق علمية وبين ما جاء في العلم الحديث .

٥- أن يفهم الطلبة بعض أسرار الإعجاز في القرآن الكريم .

- الهدف العام الخامس : أن يعرف الطلبة أن الإسلام يدعو الناس جميعاً للنظر إلى ما في الكون والحياة من مظاهر الجمال والتناسب والدقة في الصنع كلها تدل على عظمة الصانع .
ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يدرك الطلبة أن مظاهر الجمال في الكون هي آية من آيات الله الكبرى .
 - أن يدرك الطلبة أن مظاهر الجمال دليل على إبداع الخالق الحكيم .
 - أن يعرف الطلبة أنه لا تعارض بين الإسلام وقيمه والجمال ومظاهره .
 - أن يعرف الطلبة أن التفكير والتأمل في مخلوقات الله واجب وأن ذلك نوع من أنواع العبادة لله .
 - أن يستنتج الطلبة محدودية علم الإنسان في اكتشاف أسرار الكون رغم ما بلغه من تقدم علمي .
- الهدف العام السادس : - أن يتعرف الطلبة على أسباب تأخر المسلمين في كشف أسرار الكون واستغلاله والذي يرجع إلى عدم التزامهم بالتوجيهات الإسلامية الداعية لذلك .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يستنتج الطلبة أسباب تأخر المسلمين في تسخير الكون والاستفادة منه .
 - أن يستنتج الطلبة أسباب تقدم غير المسلمين وكيف استفادوا من الكون وما فيه .
 - أن يفند الطلبة الربط القائم بين تأخر المسلمين والإسلام .
 - أن يعرف الطلبة ما هي الضوابط التي يجب الالتزام بها عند الاستفادة مما في الكون .
 - أن يعرف الطلبة أن إقبال الناس على تسخير الكون واكتشاف ما فيه على أنه جزء من العبادة التي ينبغي أن يقوم بها المسلم .

الوحدة الثالثة وعنوانها: الإسلام والإنسان.

- وتتضمن هذه الوحدة عشرة أهداف عامة ، وكل هدف له خمسة أهداف خاصة .
- والغرض من هذه الوحدة تحقيق الأهداف العامة والخاصة التالية : -
- (١) الهدف العام الأول : أن يعرف الطلبة أن الإنسان كائن كريم على الله وأنه فضله على كثير مما خلق ، وأنه كائن مركزي ميزته الحرية والإرادة والعقل .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يناقش الطلبة الحكمة من خلق الله للإنسان .
 - أن يعدد الطلبة مظاهر تكريم الله للإنسان .
 - أن يستنتج الطلبة أن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان .
 - أن يدرك الطلبة أن الإنسان كائن إيجابي فعال .
 - أن يلخص الطلبة طبيعة العلاقة القائمة بين إنسانية الإنسان وبين حرية الإرادة والاختيار .
- الهدف العام الثاني : أن يستنتج الطلبة أن الإنسان مستخلف في الأرض ليعمرها ويرقيها من خلال مجالات العمل المختلفة وفقاً لمنهج الله .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يحدد الطلبة مفهوم الخلافة في الأرض .
 - أن يقارن الطلبة بين مفهوم العبادة ومفهوم الخلافة .
 - أن يربط الطلبة بين أهمية العبادة والخلافة في الأرض .
 - أن يعدد الطلبة النعم والطاقات التي أودعها الله في النفس البشرية .

- أن يشارك الطلبة بقية أفراد المجتمع المسلم في تحمل المسؤولية والمساهمة في إعمار الأرض .
- الهدف العام الثالث : أن يتضح لدى الطلبة أن الفطرة الإنسانية مؤمنة، وأن الإيمان حاجة فطرية وعقلية .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يعرف الطلبة أن كل إنسان مفطور على الإيمان بربوبية الله ووحدانيته .
- أن يستنتج الطلبة أن الإنسان يتكون من جسد وروح وعقل .
- أن يدرك الطلبة الصلة القائمة بين فطرة الإنسان وبين الإيمان بالله عزوجل .
- أن يلخص الطلبة أهمية الإيمان والعقيدة للإنسان .
- أن يصف الطلبة الإنسان المسلم بأنه متطلع إلى عالم أرقى وحياة هي خير وأبقى .
- الهدف العام الرابع : - أن يفهم الطلبة ان بشرية الرسل تكريم للجنس الإنساني كله .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يعلل الطلبة السبب في حاجة الأمم للرسل .
- أن يستنتج الطلبة أن بشرية الرسل تكريم من الله للجنس البشري .
- أن يُكوّن الطلبة فكرة عن السيرة النبوية الخالدة للاقتداء بها .
- أن يدرك الطلبة أن جميع الرسل بشر وليسوا ملائكة وأنهم جميعاً جاءوا بدين واحد .
- أن يقتدي الطلبة بكل ما جاء به الرسل من تعاليم وشرائع خاصة ما جاء به خاتمهم محمد عليه وعليهم أفضل السلام .
- الهدف العام الخامس : - أن يستنتج الطلبة أن سنة الله منذ الأزل التمكين في الأرض لأوليائه المؤمنين والهلاك للمخالفين .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يتذكر الطلبة أن النصر والغلبة للمؤمنين .
- أن يتذكر الطلبة أن الهلاك لغير المؤمنين رغم تجبرهم وتكبرهم .
- أن يعدد الطلبة بعض العقوبات الإلهية التي حلت بالأمم المخالفة .
- أن يعرض الطلبة نماذج من جوانب الخير داخل المجتمع وخارجه .
- أن يتقد الطلبة الشر وأهله مع بيان أنه زائل لا يصمد أمام الخير وأهله .
- الهدف العام السادس : أن يعرف الطلبة أن أفراد الجنس البشري متساوون من حيث التكوين والاستعدادات، ولا اعتبار لجنس أو لون أو عرق في ميزان التكريم فالتفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح .
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يدرك الطلبة أن أصل البشرية واحد .
- أن يدرك الطلبة أن الناس متساوون من حيث الخلق والنشأة .
- أن يعرف الطلبة أن الإسلام لا يفرق بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو العرق .
- أن يحدد الطلبة موقف الإسلام من حقوق الإنسان ويقارنه بموقف العالم المعاصر .
- أن يلخص الطلبة أهمية التقوى والعمل الصالح في حياة كل من الفرد والمجتمع .
- الهدف العام السابع : أن يستنتج الطلبة أن الإنسان مسئول عن جميع تصرفاته ولا يحمل وزر غيره كما لا يحمل غيره وزره .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يعلل الطلبة لماذا كان الإنسان وحده هو المسئول عن كل تصرفاته.
 - أن يقارن الطلبة بين الحرية والمسؤولية باعتبارهما وجهان لعملة واحدة.
 - أن يدرك الطلبة طبيعة مسؤولية الإنسان عن نفسه وأسرته.
 - أن يتعرف الطلبة على طبيعة المسؤولية الاجتماعية.
 - أن يعرف الطلبة أن الإنسان لا يتحمل تبعات غيره مهما كانت درجة القرابة.
- الهدف العام الثامن: أن يدرك الطلبة أن أفضل مراحل عمر الإنسان هي مرحلة الشباب، وأنه يجب ألا تضيع فيما لا يفيد.

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يدرك الطلبة أن مرحلة الشباب هي أفضل مراحل الإنسان العمرية.
 - أن يحدد الطلبة أهم الطرق والأساليب التي يجب اتباعها لاستغلال هذه الفترة.
 - أن يتعرف الطلبة على الدور الذي ينبغي أن يقوم به المجتمع، والمؤسسات التربوية المختلفة لتوجيه الشباب من أجل استغلال هذه المرحلة.
 - أن ينقد الطلبة أسباب نماذج من السلوكيات غير المرغوبة لدى الشباب.
 - أن يعلل الطلبة أسباب ضعف الوازع الديني لدى الشباب.
- الهدف العام التاسع: أن يناقش الطلبة نظرة الإسلام للعقل الإنساني وكيفية استخدامه، مع بيان مجالات الاستخدام.

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يدرك الطلبة أن العقل الإنساني هو مناط التكليف والمسؤولية.
- أن يتفاعل الطلبة مع دعوة الإسلام إلى تربية العقل تربية سليمة.
- أن يبرز الطلبة سبب اهتمام الإسلام بالعقل باعتباره مكوناً من مكونات الإنسان.
- أن يستنتج الطلبة أن العقل ليس بديلاً عن الوحي والشرع.
- أن يعدد الطلبة بعضاً من المزالق التي قد يقع فيها العقل البشري، مخالفاً بذلك الغرض من وجود هذه النعمة.

الهدف العام العاشر: أن يدرك الطلبة مدى حرص الإسلام على صحة الإنسان وسلامته بديناً وعقلياً ونفسياً، وعلاقة بعض الأمراض المعاصرة بالسلوك الأخلاقي.

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :

- أن يتحدث الطلبة عن موقف الإسلام من صحة الإنسان.
- أن يذكر الطلبة الطرق التي حددها الإسلام للوقاية من الأمراض.
- أن يدرك الطلبة أن بعض الأمراض التي انتشرت مؤخراً لها علاقة بالجانب الأخلاقي، الذي دعا الإسلام إلى الالتزام به.
- أن يعرف الطلبة أن ما حرمه الإسلام من مأكّل ومشرب إنّما هو لصالح صحة الإنسان، ووقايته من الأمراض.
- أن يقترح الطلبة الطرق والوسائل التي يجب أن تقوم بها الدولة من أجل توفير الرعاية الصحية لكل الناس.

الوحدة الرابعة · وعنوانها: النظام الإسلامي لبعض جوانب الحياة المختلفة .

وتتضمن هذه الوحدة تسعة أهداف عامة ، وكل هدف له خمسة أهداف خاصة .

والغرض من هذه الوحدة تحقيق الأهداف العامة والخاصة التالية : -

الهدف العام الأول : أن يتعرف الطلبة على مقومات النظام الاجتماعي في التصور الإسلامي مع إبراز

أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع والرجل والمرأة .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

- أن يتعرف الطلبة على طبيعة النظام الاجتماعي .

- أن يستنتج الطلبة أهم مقومات النظام الاجتماعي .

- أن يناقش الطلبة أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع .

- أن يوضح الطلبة طبيعة العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة .

- أن يبرز الطلبة المكانة والاهتمام اللذين أولاهما الإسلام بالمرأة .

الهدف العام الثاني : أن يستنتج الطلبة موقف الإسلام من علاقة المجتمع المسلم الاقتصادية والسياسية

والفكرية مع غيره من المجتمعات والدول .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

- أن يتعرف الطلبة على طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الدولة الإسلامية الأولى وبقية الدول الموجودة

في ذلك الوقت .

- أن يكتشف الطلبة الكيفية التي يجب أن تكون عليها هذه العلاقة .

- أن يعلل الطلبة لماذا سيطرت القوى الخارجية على قرار الأمة الإسلامية .

- أن يدرك الطلبة أن الأمة الإسلامية تملك كل المقومات التي تجعلها تستقل بقرارها عن غيرها .

- أن يستنتج الطلبة الحدود المسموح بها للاستفادة مما عند الآخرين من تجارب وخبرات .

الهدف العام الثالث : أن يستنتج الطلبة المقومات الأساسية للنظام الاقتصادي في التصور الإسلامي .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

- أن يتعرف الطلبة على مفهوم النظام الاقتصادي بشكل عام والإسلامي منه بوجه خاص .

- أن يعدد الطلبة أهم الخصائص التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الإسلامي .

- أن يبرز الطلبة أهمية الزكاة والصدقات في النظام الاقتصادي الإسلامي .

- أن يستنتج الطلبة أهمية الملكية في التصور الإسلامي .

- أن يوضح الطلبة أهمية الميراث وعلاقته بالنظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام .

الهدف العام الرابع : أن يوضح الطلبة أهمية الالتزام بالقيم الاقتصادية الإسلامية ومدى توافرها في

الأنشطة الاقتصادية القائمة في اليمن .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -

- أن يربط الطلبة بين القيم الاقتصادية في الإسلام والقيم الأخلاقية .

- أن يشرح الطلبة أهمية الالتزام بالقيم والأخلاق في كل المعاملات الاقتصادية .

- أن يستنتج الطلبة أن ما حرمه الإسلام في مجال الاقتصاد والتجارة إنما هو لصالح الإنسان .

- أن يحدد الطلبة مدى التوافق القائم بين الأنشطة الاقتصادية القائمة في اليمن وبين النظام الاقتصادي الإسلامي .

- أن يدرك الطلبة أن من واجبات الدولة توفير الحد الأدنى من العيش الكريم لكل مواطن في حالة عدم حصوله على عمل يكسبه قوته .

الهدف العام الخامس: - أن يدرك الطلبة موقف الإسلام من بعض القضايا الاقتصادية المعاصرة مثل التأمين والجمارك والبنوك بأنواعها المختلفة .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يحدد الطلبة موقف الإسلام من قضية التأمين وشهادات الاستثمار .

- أن يحدد الطلبة موقف الإسلام من قضية الجمارك والضرائب .

- أن يكون الطلبة فكرة عن البنوك الإسلامية .

- أن يكون الطلبة فكرة عن البنوك الربوية بمختلف أنواعها .

- أن يناقش الطلبة موقف الإسلام من الاستفادة من التجارب الاقتصادية وخطط التنمية التي عند الدول الأخرى .

الهدف العام السادس : أن يحدد الطلبة المقومات الرئيسية للنظام السياسي في التصور الإسلامي وعلى

رأسها الشورى ، العدل ، الحرية و المسؤولية مع اعطاء فكرة عن مراحل النظام السياسي في اليمن .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يلخص الطلبة أهم مقومات النظام السياسي الإسلامي .

- أن يكون الطلبة فكرة عن أهمية العدل والشورى في النظام السياسي الإسلامي .

- أن يبرز الطلبة أهمية الحرية والمسؤولية في النظام السياسي الإسلامي .

- أن يقارن الطلبة بين حقوق كل من الحاكم والمحكوم في النظام السياسي الإسلامي .

- أن يقوم الطلبة المراحل التي مر بها النظام السياسي في اليمن .

الهدف العام السابع : أن يناقش الطلبة أهم المقومات الأساسية للإعلام والإعلان في التصور الإسلامي

ومتطلباتها في الإنتاج الإعلاني والإعلامي

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يحدد الطلبة أهم مقومات الإعلام والإعلان في التصور الإسلامي .

- أن يحدد الطلبة أهم القضايا التي يجب أن يركز عليها الإعلام والإعلان لخدمة قضايا الأمة .

- أن يعرف الطلبة أن الإعلام لابد فيه من الجمع بين الترفيه البرئ والجد المفيد .

- أن يحدد الطلبة الكيفية التي يجب أن تكون عليها وسائل الإعلام والإعلان لتراعي قيم الأمة وأخلاقها .

- أن يقترح الطلبة عرض الجوانب المشرقة والمضيئة في حياة الأمة ، وعدم التركيز على لحظات الضعف

والهوان التي تصيب الفرد أو الأمة .

الهدف العام الثامن : أن يتعرف الطلبة على مميزات النظام القضائي والتشريعي في الإسلام .

ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية :-

- أن يتعرف الطلبة على طبيعة النظام القضائي في الإسلام .

- أن يعدد الطلبة مميزات النظام القضائي والتشريعي في الإسلام .
- أن يحدد الطلبة واجبات القاضي وشروط اختياره في الإسلام .
- أن يلخص الطلبة دور القضاء في حماية العرض والنفس والمال .
- أن يستنتج الطلبة أن الجانب القضائي والتشريعي في الإسلام يستوعب كل قضايا العصر ومشاكله ، وأنه لا حاجة للمجتمع المسلم لاستيراد القوانين والنظم من الخارج .
- الهدف العام التاسع : أن يتعرف الطلبة على موقف الإسلام من بعض القضايا المستجدة مثل « تحديد النسل ، زرع الأعضاء ، الإجهاض ، أطفال الأنابيب ، نقل الدم وبيعه »
- ويتفرع من هذا الهدف العام الأهداف الخاصة التالية : -
- أن يتعرف الطلبة على بعض القضايا المستجدة ورأي الإسلام فيها .
- أن يدرك الطلبة أن الإسلام لا يمنع أو يحرم كل ما يفيد البشرية .
- أن يستنتج الطلبة أنه لا تعارض بين العلم والإيمان وأن الأول يدعو للثاني .
- أن يدرك الطلبة أن الإسلام يحث أبناؤه على تعلم كل العلوم النافعة ومنها علوم الطب .
- أن يؤكد الطلبة أن الفرد المسلم يجب عليه الأخذ بالأسباب المشروعة في كل أمور حياته .

ملحق رقم (٣)

ويتضمن محتوى المنهج المقترح بصورته النهائية

- عزيري المعلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : -
 قبل بداية تدريسك لهذه الوحدة ، أود منك مراعاة الآتي : -
 - المرجو منك التفاعل مع تدريس هذه الوحدة ، والتعامل مع تعليماتها ومفرداتها بصدق وأمانة .
 - المطلوب منك الرجوع لدليل المعلم من أجل التعرف على الآتي : -
 أ - التعرف على بعض الإرشادات والتعليمات التي يمكن أن تساعد في إنجاز مهمتك .
 ب - الأهداف العامة والخاصة لكل موضوع من موضوعات الوحدة .
 ج - التعرف على موضوعات الوحدة من خلال قراءة توصيف المحتوى المدون في الدليل .
 د - التعرف على بعض وسائل التدريس المناسبة لكل موضوع .
 هـ - التعرف على الأنشطة المصاحبة المناسبة لكل موضوع .
 و - التعرف على بعض أساليب التقويم المناسبة لكل موضوع .
 ز - التعرف على الوقت المخصص لكل موضوع من موضوعات الوحدة .
 ح - التعرف على بعض المراجع والمصادر .
 ط - يمكنك الرجوع للباحث في حالة وجود صعوبة أو استفسار .

ختاماً أشكر لك حسن تعاونك مع الباحث وأسأل الله لك الأجر والثواب .

محتوى الوحدة الأولى : وهي الوحدة التي تم تدريسها
لطلبة العينة التجريبية وعنوانها
المدخل إلى الثقافة الإسلامية

المقدمة :-

يدور الحديث في هذه الوحدة حول المداخل الأساسية التي لا بد من الإلمام بها من قبل كل فرد مسلم ، يريد الوصول إلى الحقيقة الكبرى والغاية العظمى ، والمتمثلة في هذا الدين باعتباره منهج حياة شامل كامل يجمع بين الدنيا والآخرة والعلم والعمل ، والعقيدة والشريعة . وقد حاول الأعداء اختزال هذه الشمولية من خلال محاولتهم حصر الإسلام في المسائل التعبدية ، وتوجيه الشبه والتهم لهذا الدين من خلال وسائل متعددة . ومن هنا حرص الباحث على أن تكون هذه الوحدة بمثابة المدخل والأساس الذي يبنى عليه ما بعده ولذا فقد تم عنونة هذه الوحدة « بالمدخل إلى الثقافة الإسلامية »

الموضوع الأول :- ويتناول مفهوم الثقافة الإسلامية على أساس أنه الأسلوب الكلي لحياة الأمة .

كثر استعمال كلمة « الثقافة » في هذا العصر فيقال فلان مثقف ، أو غير مثقف ، وفلان يحمل ثقافة واسعة ومتنوعة ، وفلان ضحل الثقافة ويقال أيضاً الثقافة الإسلامية ، الثقافة الغربية .

وهنا يبرز السؤال وهو :- ما المقصود بالثقافة ؟

والإجابة هنا ليست بالسهولة التي قد يتصورها البعض ، فهذه الكلمة لا تزال غامضة وغير محددة ولم تُعرف التعريف الدقيق ، هذا ما توصل إليه ممثلو « ١٢٩ » دولة في مؤتمرهم المنعقد عام (١٩٨٢م) في المكسيك للبحث في السياسات الثقافية . (١)

وإختصاراً يمكن تحديد طبيعة هذا المفهوم عند أصحاب اللغة والاصطلاح فيما يلي :-

أولاً: مفهومها عند أهل اللغة :- في اللغة يقال : ثقف الشيء ثقفاً حذقه ويقال رجل ثقف أي حاذق ففهم ، ويقال ثقف فلان ثقافة ، صار حاذقاً فطناً ، وفي المصباح المنير (٢) ، ثقفت الشيء « ثقفاً » أخذته وثقف الرجل في الحرب أدركته ، وفي مختار الصحاح (٣) ثقف الرجل من باب ظرف أي صار حاذقاً خفيفاً ، والثقاف ما تسوى به الرماح ، وثقيفها : تسويتها .

أما في القرآن الكريم فقد وردت بمعنى الأسر والظفر بالعدو ، وجاء ذكرها في آيتين هما قوله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » (٤)، وقوله « فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم » (٥)

(١) عمر سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٢) أحمد بن محمد المقرئ ، المصباح المنير ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م ، ط ١ ، ص ٨٢ .

(٣) محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، د.ت ، ط ١ ، ص ٣١٣ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٩١ .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٥٧ .

إذن فكلمة الثقافة في العربية وردت لمعان متعددة تدور حول الحذق والفتنة والذكاء ، وسرعة التعلم والفهم وتقويم المعوج وتسويته ، وتشمل الأمور الحسية كالعناية بالأرض من حيث حرثها وإصلاح شؤونها ، وتشمل أيضاً الأمور المعنوية كسرعة التعلم والفهم والإدراك والحذق والذوق والأدب .

وفي اللغات الأوروبية ارتبطت كلمة الثقافة ولا تزال بالجانب الزراعي ، وكلمة « culture » لها تاريخها القديم منذ العهد الروماني حيث ارتبطت أيضاً بالعلوم الإنسانية التي تدرس الإنسان في جانب من جوانبه كالفلسفة والأدب والتاريخ .
ومن هنا نلاحظ أن للكلمة أيضاً مدلولها المادي والمعنوي في اللغات الأوربية ، وإن كان في الفترة الأخيرة وهي عصر النهضة الأوربية أصبح اللفظ يطلق على الفنون والآداب (١).

ثانياً : - المعنى الاصطلاحي :-

عندما أراد الباحثون والمختصون أن يحددوا معنى الثقافة اختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً ، حتى أن أحد الباحثين أشار إلى أن هناك أكثر من مائة وستين تعريفاً للثقافة والمفاهيم المرتبطة بها (٢). ونتيجة لهذا الاختلاف أصبح تعريف هذا المصطلح مشكلة تواجه الباحثين والمهتمين وزاد من شدة الخلاف أن الذين يحاولون تعريف الثقافة ينتسبون إلى مجالات متعددة ومختلفة كالتربية ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ، ولكل من هؤلاء وجهة هو موليها ، كما أن لكل منهم اهتمامات ينظر إلى الثقافة من خلالها .

فالثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا تشمل كل ما أضافه الإنسان إلى الحياة ولكنهم اختلفوا في تحديد بعض المفاهيم المرتبطة بها ، فالبعض يقول إنها عبارة عن سلوك مكتسب ، والبعض يراها تجديرات مأخوذة من السلوك ، والبعض يرى أن الأشياء المادية لا تدخل ضمن الثقافة ، بينما يرى البعض ذلك (٣).

ويفرق أحد الباحثين بين اللفظ المفرد « ثقافة » واللفظ المركب « ثقافة الأمة » فالثقافة كلفظ مفرد يراد بها في الاستعمال الأخذ من كل علم بطرف ، ولا يراد بها التعمق في دراسة علم من العلوم ، ولذلك يقال « تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون مثقفاً ، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالماً »
وأما إذا أضيفت إلى الأمة فالمراد بها تراث تلك الأمة الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة ، وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل ومترابط يشكل إطاراً ومحيطاً يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كل أمة وفي كل زمن (٤).

(١) عبد الحليم عويس ، ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة ، القاهرة ، دار الصحوة ، د. د ، ط ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) محمد أحمد بيومي ، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٣) عاطف وصفي ، الثقافة والشخصية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧م ، ط ، ص ٦٨ .

(٤) عمر سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، مرجع سابق ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

أما تعريف الثقافة الإسلامية فقد لقي الكثير من العناية والاهتمام من قبل الباحثين والمهتمين ،
وتكاد تكون تعريفاتهم متقاربة ، وأحد الباحثين قال إن للثقافة الإسلامية شقين هما : -

الشق الأول : - وسماه بالشق المعياري ، ويتمثل في شريعة الله المتضمنة في الكتاب والسنة ،
وشريعة الله تعني كل جوانب الحياة المختلفة وحددها بأربعة جوانب رئيسية هي : -
أ - أصول الاعتقاد : وتشمل حقيقة الألوهية والكون والحياة وحقيقة الإنسان .
ب - أصول الحكم : وتشمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية .
ج - أصول الأخلاق والسلوك ويشمل المعايير والقيم والموازن التي تسود في المجتمع .
د - أصول المعرفة وتتمثل في طبيعة العلم وفي طبيعة النشاط الفكري والفني والأدبي وهذا
الشق ثابتاً لأن مصدره رباني ، ولا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثله .

الشق الثاني : - وسماه بالشق التطبيقي وهو يعني التطبيق الواقعي والعملي في الحياة للشق
المعياري بما فيه من أنماط الشعور والتفكير والأخلاق والقيم والعمل والإنتاج والعلاقات مع الآخرين .
وبناءً على هذا التقسيم تعرف الثقافة الإسلامية بأنها « الأسلوب الكلي لحياة الجماعة المسلمة
التي يتسق مع التصور الإسلامي للألوهية والكون والإنسان والحياة » (١) .

وتأسيساً على ما سبق فكل القوانين والقيم والتشريعات والعادات والتقاليد التي تخرج عن نظم
وقيم الثقافة الإسلامية سواء في المصدر أو الغاية لا تعتبر جزءاً منها، حتى لو كانت مسلمة في
المجتمع وتمارس بشكل عادات وأعراف وتقاليد ولكنها في الواقع تتعارض مع أصول الثقافة
الإسلامية فهي عادات وتقاليد ونظم لا علاقة لها بالثقافة الإسلامية .

ومن هنا يمكن القول أن لكل أمة ثقافة تشكل شخصيتها وتميزها عن بقية الأمم سواء في
المجالات المادية أو المعنوية ، باعتبار أن الثقافة تتناول الجوانب الروحية في حياة الناس من عقائد
وعبادات ومعاملات، كما تتناول الجوانب المادية في حياة الناس من سياسة واقتصاد وإعلام وتربية
وعادات وأعراف ومأكل ومشرب وملبس .

وقبل أن نختم حديثنا عن مفهوم الثقافة لا بد أن نسأل من هو المثقف ؟
وهذا السؤال لا يمكن القول إن الإجابة عليه سهلة وميسورة ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه مثقف
متمكن في كل مجالات الحياة ، ويمكن أن نطلق عليه أنه مثقف، وحاول أحد المهتمين تعريف المثقف ،
ولكنه تعريف ضيق وقاصر ، وحسبنا أن نذكره لنأخذ ما يفيدنا ، وننقده في جوانب القصور فقال بأن
المثقف هو « ذلك الإنسان الذي بلغ درجة من المعرفة جعلته ينظر إلى مجتمعه وإلى إسعاده كله بمنظار
واع وشامل ونافذ ، وهو بهذا المعنى لا يمثل طبقة بعينها ولكنه شخص بلغت خبرته وذكاؤه إلى أن
يرتفع فوق مستوى الإقليميات والطبقات والطوائف وهو الذي يتميز بأن له رسالة قومية وإنسانية في
نفس الوقت فهو لا يرتبط بمصلحة بل بقضية » (٢) .

(١) علي أحمد مذكور ، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) عبدالله ميطان ، المثقف العربي والتحديات، ليبيا مصراته ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٠م ،

وفيما يلي يمكن عرض الصفات التي ينبغي أن تكون متوافرة في المثقف بشكل عام .
 - لا بد أن يأخذ من كل علم بالقدر الذي يناسب طبيعة عمله وطبيعة العلم أيضاً فمثلاً المعلم أو القاضي لا بد من توسعهم في مجالاتهم ، وفي المجالات التي تساعدهم على تأدية عملهم بالشكل المناسب والجيد .

- لا بد أن يتصف بصفات العلماء والمتمثلة بالصبر والتواضع والمثابرة والاهتمام بالوقت .
 - أن يحترم آراء الآخرين ، وخاصة أصحاب التخصص والخبرة .
 - أن يتابع كل جديد خاصة في مجال تخصصه .
 - لا بد أن تكون له شخصية مستقلة في التحليل والمتابعة لكل ما يقرأ أو يسمع .
 - لا بد أن يكون عادلاً ومنصفاً عندما يحكم على أعمال وخبرات الآخرين .
 - لا بد أن يكون مطلعاً على أحوال المجتمع ومعاناته .
 - لا بد أن يكون مستوعباً لمشاكل المجتمع وأمانيه بمعنى أن لا يعزل نفسه عن قضايا المجتمع وطموحاته وتطلعاته .

وأخيراً ينبغي التأكيد على أن الثقافة الإسلامية لها مدلولها الشامل والواسع الذي يستوعب جميع جوانب الحياة ، رغم محاولة البعض اختزال الإسلام في أركانه التعبدية من صلاة وصيام وحج وزكاة ، وغرضهم من هذا الاختزال هو عزل الإسلام عن بقية الأنشطة المختلفة من سياسة واقتصاد واجتماع وسلوك ، وما علم هؤلاء أن الإسلام في حقيقته « منهج حياة متكامل » يشمل النشاط الإنساني كله ، أو هو النظام العام ، أو المنهج الذي يحكم الحياة وبه تحتكم الحياة وتستقر ، ويسعد كل الناس .

وبناءً على ما سبق فالإسلام يُعتبر نظاماً عاماً ، تندرج تحته نظم كثيرة منها النظام السياسي والنظام الاقتصادي والنظام التربوي وهذه النظم وإن اختلفت في أشكالها وأساليبها ووسائلها من وقت لآخر ، أو من بيئة إلى أخرى إلا أنها تستمد أصولها وتستلهم أساليبها ووسائلها من خصائص ومقومات النظام الإسلامي العام .

وبهذه الشمولية فالثقافة الإسلامية تختلف في طبيعتها عن سائر النظم والشرائع والثقافات الأخرى ، وذلك لأنها من صنع الله ، تنظر إلى العالم على أنه وحدة متكاملة متساوية ، متأخية ، متعاونة ، وهي تختلف عن النظم الأخرى لأنها تنطلق من قاعدة تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعها ، فالإسلام يقوم على أساس أن الحاكمية لله وحده فهو المشرع وحده ، وبقية الأنظمة المشرع فيها الإنسان .

وهما خطان لا يلتقيان ، وهذا يعني أن الثقافة الإسلامية لا تلتقي مع أي نظام أو ثقافة أخرى ، لأن الإسلام من صنع الله ، فلا يجوز الخلط بينه وبين نظم من صنع البشر من صفاتهم النقص والتحامل والغضب والحب والكراهية وهي صفات تؤدي إلى خلل ونقص في النظام الذي يصنعوه أو يقترحوه ، بينما نظام الإسلام نظام كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو منهج

متكامل ووحدة متجانسة متكاملة (١) وتأكيد لما سبق يقول الله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

نعم إن القرآن جاء شاملاً وكاملاً لكل جوانب الحياة ، وما على الباحثين والمختصين سوى البحث والتدقيق ، وسوف يجدوا فيه أصول وقواعد وأسس علمهم ثم يجتهدوا في الحصول على التفصيلات العامة .

ولكي نظهر مميزات الثقافة الإسلامية ، لا بد أن نقارنها مع بقية الثقافات حتى يظهر لنا الفرق ، وإن كانت هذه المقارنة ظالمة لأنها تقارن بين ثقافة ربابية تتميز بالثبات والكمال ، وبين ثقافة بشرية ناقصة ، ولكن لعل هذه المقارنة تقنع حشوداً من شبابنا ومثقفين المفتونين بحضارة الغرب أو الشرق . وقد توصل علي مذكور (٢) إلى مقارنة جيدة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات وهي كالتالي :-

(١) علي أحمد مذكور ، نظريات المناهج التربوية ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٢) علي أحمد مذكور ، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

جدول للمقارنة بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى .

الثقافات الأخرى	م	الثقافة الإسلامية	م
بشرية : مصدرها الفلسفات والنظريات الوضعية .	١	ربانية : في مصدرها وغايتها فهي مستمدة من القرآن والسنة .	١
قومية وإقليمية وشعوبية ، وكل ثقافة تناقض الأخرى ، فبعضها تعلي الفرد ، وأخرى ترفع من شأن المجتمع وتهمل الفرد	٢	عالمية وإنسانية فلا تقتصر على زمان أو مكان ، ولا على أمة دون أخرى .	٢
جانبيها المعياري متغير نسبياً ، وجانبيها التطبيقي متغير دائماً ، وغير ملتزم كلياً أو مطلقاً بالجانبي المعياري .	٣	جانبيها المعياري ثابت ، وجانبيها التطبيقي الواقعي لازم لزوماً مطلقاً للجانبي المعياري وإن تغيرت صور الجانب التطبيقي وأشكاله .	٣
لاحد لتغيير الأشكال والصور الثقافية مع غياب المعايير والقيم الإنسانية التي توجهها .	٤	يجب أن تتغير وتتطور الأشكال والصور الثقافية ، ولكن في ضوء الموجهات المعيارية وحول محورها .	٤
تعبد العباد للعباد ، ونتيجة لهذه العبودية ينشأ الاضطراب والفوضى في عملية التصور والتفكير والنظر والاعتقاد .	٥	هناك صلة قوية بين العبد وربّه فيتجه الإنسان إلى ربه بالعبودية ومن ثم بالحاكمية .	٥
ثقافة مفروضة بواسطة الطبقات أو الجماعات المسيطرة التي تملك القرار السياسي والاقتصادي .	٦	ثقافة حرة بحيث تحرر الإنسان من العبودية لغير الله .	٦
تفتقد للتوازن بدليل تناقض هذه الثقافة فبعضها يهتم بالروح ويعليه وأخرى تهتم بالجسد وتهمل الروح وهكذا .	٧	ثقافة متوازنة فهي تنظر للإنسان ككل متكامل دون تجزئته أو تشطير وتجمع بين الغيب والشهد ، والروح والجسد والدنيا والآخرة .	٧
الظلم ينتشر والاحتكار والاستغلال بسبب عدم وجود رادع من دين أو ضمير .	٨	تتوفر فيها العدالة والوضوح فلا ظلم ولا خصوصية لأحد ، والعدل أساسها في كل زمان ومكان .	٨
المعلومات الحقيقية ضحلة وتنقصها النتائج الصائبة والسديدة نظراً لاعتمادها على مصادر بشرية .	٩	تتوافر فيها معلومات عن كل ما يطلبه الإنسان وليس هناك غموض أو سلطة لأحد ليحجب أية معلوم .	٩
نظرتها للحياة نظرة سطحية ، ويتزعزع كيانه من حين لآخر .	١٠	نظرتها للحياة نظرة تكاملية تتسم بدقة التحليل والمعالجة .	١٠

وبعد هذه المقارنة لا بد من إبراز أهم مقومات الثقافة الإسلامية التي من خلالها اكتسبت هذه الثقافة ديمومتها وبقائها صالحة لكل زمان ومكان ويمكن إجمالها فيما يلي : -

(١) أن تكون الحاكمة العليا في المجتمع لشريعة الله ، وإذا ساد هذا المفهوم يتحرر الناس من العبودية لغير الله ويشعروا بالحرية والكرامة وإذا حصل ذلك يمكن القول إن هذا مجتمع متحضر ، بعكس المجتمع الذي تكون فيه الألوهية والعبودية لغير الله فهو مجتمع مستعبد ومتخلف مهما بلغت جوانب الرقي المادي لديه .

(٢) يجب أن تمثل العقيدة رابطة التجمع الأساسية في المجتمع ، فالمجتمع الذي تسود فيه عقيدة واحدة وفكر واحد يكون أكثر تماسكاً وتعاوناً ، وهذا واضح خاصة في الرعييل الأول للإسلام فقد وصل الإيثار عند الأنصار إلى مستوى يصعب أن يصل إليه مجتمع آخر ، فقد قاسموا المهاجرين المأكل والمشرب والمسكن .

وما كان ليحصل هذا لولا الشعور برابطة العقيدة التي يستظل الجميع بظلها فلا فرق بين أبيض وأسود وعربي وفارسي ورومي قال عليه السلام « سلمان منا آل البيت » وقرب الإسلام بلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وغيرهم ، وطرد أبو لهب عمه عليه السلام رغم حسبه ونسبه ونزل فيه قرآناً يذمه ويستحقه قال تعالى « تبت يدا أبي لهب وتب » (١) ومن هنا يمكن القول إن المجتمع الذي يجتمع فيه الأفراد على منهج واحد ويجمعون فيه على أفراد الله بالعبودية ومن ثم إفراده بالحاكمة هو المجتمع المثالي والمتحضر .

(٣) أن تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع وهذا يعني أن خصائص الإنسان الروحية والمادية يجب أن تكون موضع التكريم والتقدير والاحترام باعتبار هذا الإنسان مخلوق مكرم ، ذو مركز عظيم في الكون خلق ليقوم بواجب الخلافة في الأرض وعمارته وترقية الحياة وفق منهج الله . ومن هنا ندرك أن نظرة الإسلام للإنسان تختلف عن النظم والثقافات الأخرى التي تنظر إلى الإنسان من زوايا مختلفة فبعضها ينظر إليه نظرة مادية ولا تظهر قيمته عندهم إلا بقدر ما يقدم من إنتاج مادي ، ونظرة أخرى مثالية تهمل هذا الجانب وترتكز على الروح فقط ، وهذا غلو من الطرفين ، ولا بد في هذا الأمر من التوسط ، بمعنى أن لا يهمل الجانب الروحي في حياة الإنسان أو الجانب المادي فالتوسط مطلوب وهذا هو منهج الإسلام في كل أصوله وقواعده الوسطية في كل شيء والأمثلة والوقائع والأدلة كثيرة يمكن الرجوع إليها في مصادرها .

(٤) أن تكون الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي : تعتبر الأسرة في الإسلام هي قوام المجتمع والسبيل إلى بقائه واستمراره على وجه الأرض ، ومن هنا حث الإسلام على تماسك الأسرة ، ودعا الوالدين إلى العناية بتربية أبنائهم ، وأوكل الجزء الأكبر من هذه المهمة على المرأة باعتبارها أكثر عطفاً وحناناً على الأبناء وأقدر على إدارة شؤونهم يقول أحد الباحثين « وسياسة الدولة كلها ليست

بأعظم شأناً وبأخطر عاقبة من سياسة البيت لأنهما عالمان متقابلان : عالم العراك والجهاد ، يقابله عالم السكينة والاطمئنان » . (١)

ومن هنا لا بد أن تدرك المجتمعات الإسلامية أهمية الترابط الاجتماعي و المحافظة عليه من خلال احترام الأبناء للآباء ، والصغير للكبير ، وعطف القوي على الضعيف والغني على الفقير ، وبوجود هذه القيم يستطيع المجتمع أن يحافظ على استقراره الأسري والاجتماعي .
(٥) أن يقوم الإنسان بواجب الخلافة في الأرض عن طريق الإحسان في العمل ، والإحسان هنا له شقان كما يقول مذكور : -

الشق الأول : هو استخدام أقصى درجات المهارة وال إتقان في العمل الذي يقوم به الفرد ، وقد يعتقد البعض خطأ أن هناك أعمال دينية يجب فيها الإخلاص وال إتقان كالصلاة والصوم وغيرها من أعمال العبادة ، وأعمال دنيوية لا يجب فيها ذلك وهذا تصور غير صحيح لأن الأعمال الدنيوية التي يقوم بها الإنسان إذا نوى بها وجه الله تعتبر عبادة ، فالعامل يعمل في المزرعة أو البناء والطبيب يعالج المرضى ، والمعلم يعلم الأجيال كل هؤلاء في عباده إذا أخلصوا النية لله في أعمالهم .

الشق الثاني: الإحسان في العمل وهذا يعني إيجاد رقابة داخلية يشعر بها الفرد حال أدائه لأي عمل يقوم به ، وينبغي القول إن الإحسان في العمل مرتبط تماماً بمفهوم الإحسان في الإسلام وهو « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فالإسلام يحث أتباعه على العمل في كل المجالات حتى يحققوا مقتضى الخلافة في الأرض وتعميرها وفق ما شرعه الله . (٢)

موقف الثقافة الإسلامية من العادات والتقاليد المنتشرة في المجتمع .

لا شك أن هناك الكثير من العادات والسلوكيات المنتشرة في المجتمع الإسلامي بعضها يخالف الإسلام نصاً وروحاً، وبعضها يحتاج إلى تهذيب وتقويم حتى يمكن القول إنها تتفق مع الإسلام ، وبعضها تتفق معه ، ومن الملاحظ أن الإسلام منذ بدايته جاء على عادات وتقاليد يمارسها العرب فأقر بعضها كالكرم والشجاعة ، وألغى البعض الآخر كشرب الخمر ودفن البنات والربا .

ويمكن اعتبار هذا المسلك صالحاً لكل زمان ومكان فما كان من عادات وتقاليد وقيم تتصادم مع الإسلام سواء في مصادره أو غايته فهو يرفضها وينبذها حتى لو كانت شائعة في وسط المجتمع وتمارس بين أفرادها بشكل عادات وتقاليد وما كان يمارس ويحتاج إلى توجيه وتهذيب فلا بد من تعديله وتوجيهه حتى يتفق مع الإسلام نصاً وروحاً .

وما كان منها يخالف الإسلام فهذا يرفض جملة وتفصيلاً لأنها في نظر الإسلام عادات وسلوكيات منبوذة ترفضها الفطر السليمة ، بل وتعد من العوامل التي يُحارب بها الإسلام وثقافته

(١) عباس محمود العقاد ، المرأة في القرآن ، القاهرة ، دار الإسلام ، ١٩٧٣م ، ط١ ، ص ٤٦ .

www.KitaboSunnat.com

www.KitaboSunnat.com

وقيمه ، وهذا هو منتهى التسليم والرضا قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (١) ، قال ابن القيم أن الله سبحانه قد نفى الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسول الله عليه السلام في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف منهم بذلك حتى يسلموا تسليماً . (٢)

وكما يقول أحد الباحثين (٣) إن الثقافة الإسلامية لها ذاتيتها وخصوصيتها فهي ليست ثمرة تقاليد متوارثة ولا نتيجة تطورات فكرية أتية من الماضي وإنما هي انبعاث مباشر من القرآن الكريم ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الموضوع الثاني : الألوهية والعبودية في الإسلام :-

يعتبر علم العقيدة من أهم العلوم التي ينبغي دراستها والاهتمام بها من قبل جميع الناس باختلاف مستوياتهم الفكرية والعمرية والاجتماعية والثقافية وبعض العلماء يعتبر دراستها واجبة على كل مسلم ومسلمة باعتبار أن علم العقيدة من أشرف العلوم وأجلها ، ويمكن إجمال أهميتها في الأتي :-

- تعتبر العقيدة هي الركيزة والأساس الذي تقوم عليه المبادئ والشرائع ، فكل فرد يعمل بحسب ما يعتقد فمن يعتقدون أن الله ربهم ومعبودهم يقيمون حياتهم وفق شرعه بحيث تهيمن هذه العقيدة على تصرفاتهم وأعمالهم ، والذين كفروا بالله قالوا بأولية المادة أقاموا حياتهم وفق معتقداتهم وعملوا للحياة فقط قال تعالى «وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» (٤)

وكذا من يعبدون الشمس أو القمر أو الحيوانات فضلوا ذلك على الآباء والأبناء وقدموا لها القرابين والندور.

- العقيدة تدفع الناس للبذل والعطاء في سبيل تحقيق ما يعتقدونه ، وهذا واضح من خلال انتصار الناس لمعتقداتهم سواء أكانت صحيحة أم باطلة .

- يلاحظ أن أعظم خلاف حصل على مدار التاريخ هو الاختلاف حول قضايا الاعتقاد لذا كان من أعظم مهمات الرسل تصحيح عقائد البشر الزائفة ، وتصحيح تصوراتهم عن الله والكون والحياة ، ويلاحظ أن الأمم على اختلاف الأزمان قد عبدت الأوثان ، والأصنام ، والقبور ، والشمس والقمر ، لذا كان لابد من تصحيح هذه التصورات ورد الناس إلى العقيدة السليمة والصحيحة ، وهذا العمل من أهم أعمال الرسل عليهم السلام .

(١) سورة النساء ، آية ٦٥ .

(٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت ، دار الجليل ، ج ١ ، د.ت ، ط ، ص ٢٤٢ .

(٣) أنور الجندي ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ج ٦ ، د.ت ، ط ، ص ٢٤٢ .

(٤) سورة الجاثية ، آية ٢٤ .

- تعتبر العقيدة الفاسدة مجالاً للطواغيت من الحكام والسلاطين يستغلونها لتوسيع نفوذهم وسلطانهم ، أو لتدر عليهم المال والجاه لذا كان سدنة الأصنام من أشد الناس محاربة وعداوة للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الرسل عليهم السلام ، لذا فلا بد من عقيدة صحيحة وسليمة من الخرافات حتى يُحارب بها ومن خلالها الطغيان والظلم .

- تعتبر العقيدة التي جاء بها الرسل ضرورية للبشر ضرورة الماء والهواء ، لأنها تحرر العقل من الخرافة ، وتفسر للإنسان لغز الحياة ، وتدله على مصدر وجوده وعلى طبيعة الكون والألوهية والعبودية في أسمى صورها ، ومن خلالها يستدل أيضاً على مصيره بعد الموت .

مما سبق يتضح لنا أهمية العقيدة وحاجة الإنسان إليها ، وأنه لا بد من وجود مناهج ووسائل صحيحة لدراسة علوم العقيدة ، والسؤال الذي يمكن طرحه هنا ، ما الطريقة المناسبة للوصول إلى علم العقيدة الصحيح ؟

ولإجابة عن هذا التساؤل نقول إن هناك منهجين لمعرفة قضايا العقيدة وهما : -

— **منهج الرسل** : - وعن طريق هذا المنهج يجب أن يتلقى الناس عقيدتهم عن الله عزوجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، وهذا هو المنهج الذي يجب أن يقبله العقل الإنساني ويصدق به ، ويتدبر من خلال هذا العقل الذي منحه الله إياه وحي الله إلى رسله ويجب أن يدرك الإنسان أن الوحي والرسل هما الطريق الوحيد والصحيح الذي يوصلنا إلى عقيدة سليمة وصحيحة خالية من التحريف والتأويل .

— **منهج الفلاسفة** : - وهؤلاء رفضوا الاحتكام إلى الشرع ، وأصروا على الخوض في مجالات لا سبيل لهم في الوصول إليها من خلال عقولهم القاصرة فضلّوا وأضلّوا ، وغفل هؤلاء عن إدراك أن العقل محدود ، وأنه عاجز عن الخوض في مجال الغيبيات ، وقد تأثر بعض المسلمين بهؤلاء الفلاسفة وعارضوا الشرع والنقل ، وأصحاب هذا المذهب هم أكثر الناس اختلافاً وتناقضاً ، لذا نجد أن العلماء حذروا من مغبة السير خلف هؤلاء ، وأكدوا على أن العقيدة يجب أن لا تؤخذ إلا من مصدر واحد هو الوحي عن طريق الرسل عليهم السلام .

أنواع التوحيد :-

يقسم ابن القيم (١) التوحيد إلى قسمين هنا : -

(١) **توحيد المعرفة والإثبات**:- وهو ما يمكن تسميته «بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات»

(٢) **توحيد في الطلب** : - وهو توحيد «الألوهية والعبودية»

وقبل استعراض أنواع التوحيد لابد من تعريف معنى التوحيد ويقصد به « أن الله سبحانه واحد

في ذاته ليس له مثل ، وليس له نظير تعالى سبحانه عن ذلك قال تعالى عن نفسه « **قل هو الله**

أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد « (١) ، هو سبحانه يتصف بصفات الكمال لا يشبهه شيء من مخلوقاته في صفة من صفاته « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٢) ، وهو وحده سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت قيوم السموات والأرض ، ومن لا يعترف بذلك فليس بمؤمن .

وهذا يمكن تسميته بالتوحيد العملي النظري ، ولا بد أن تتبعه بالتوحيد العملي التطبيقي المتمثل باتخاذ وحده إلهاً ومعبوداً يتوجه إليه العباد بالعبادة دون سواه .

توحيد الألوهية :-

ويراد به الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة ، وأن لا يعبد أحد سواه ، وأن يكون له الانقياد والخضوع والطاعة المطلقة ، وهذا التوحيد قائم على إخلاص العبادة لله وحده ظاهراً وباطناً وهذا التوحيد يتضمن بقية أنواع التوحيد ، وجميع الرسل دعت إليه ، ونزلت به الكتب السماوية .

يقول عنه ابن تيمية : إنه هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة ، ومن لم يأت به كان من المشركين . (٣)

ويستلزم هذا النوع من التوحيد عدة أمور منها :-

— إخلاص العبادة لله من تعظيم وتوكل وخوف ورجاء .

— ألا يتخذ المرء غير الله رباً يعظمه كما يعظم الله تعالى ويشركه في العبادة والربوبية والولاء

قال تعالى « قل أغير الله أتخذ رباً وهو رب كل شيء » (٤)

— إخلاص المحبة فلا يتخذ العبد أحداً أو شيئاً يحبه كحب الله تعالى أو يقدمه في المحبة على

محبة الله فمن فعل ذلك كان من المشركين .

— ويقتضي هذا التوحيد ألا يتخذ العبد غير الله حكماً يطيعه كما يطيع الله قال تعالى « إن

الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . » (٥)

— ويستلزم هذا التوحيد أن لا يتوكل العبد إلا على الله ولا يرجو غيره ولا يدعو سواه قال تعالى

« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . » (٦)

— ويقتضي هذا التوحيد أن لا يتوجه الفرد بالعبادة جميعها البدنية من صلاة وركوع وسجود

وصوم وحج ، وكذا العبادات القولية من نذر واستغفار ودعاء وغير ذلك إلا إليه سبحانه .

(١) سورة الأَخْلَاص ، الآيات من ١ - ٤ .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٣) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، الحسنة والسيئة ، القاهرة ، ص ١٢٨ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٦٤ .

(٥) سورة يوسف ، آية ٤٠ .

(٦) سورة المائدة ، آية ٢٣ .

– ويستلزم هذا التوحيد من الفرد أن يكفر بالطواغيت كلها ويتبرأ من كل من عبدها أو آلاها من دون الله ، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .
ومن هنا نخلص إلى أن « المنهج القرآني عندما يتحدث عن حقيقة الألوهية لا يركز على إثبات الوجود الإلهي لأن ذلك من بديهيات الفطرة ولكن التركيز ينصب على وصف هذا الوجود بصفته الحقيقية وتعريفه بحقيقته للناس ، وتصحيح ما علق به في تصوراتهم من انحرافات وتشويهات وأوهام وأضاليل باعتبار أن فطرتهم ببديعتها تعترف بوجود إله ولكن تصوراتهم تخفي في معرفة حقيقة هذا الوجود وصفاته وعلاقته بهم وبالكون كله من حولهم » (١) كما أن « التصور الإسلامي يفصل فصلاً تاماً بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية ، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية ، وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية فهما لا تتماثلان ولا تتداخلان فالتصور الإسلامي يبين من هو « الله » صاحب الألوهية ومن هم « العبيد » الذين تتمثل فيهم العبودية (٢) .

توحيد الربوبية :-

ومعناه الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره ، ويعني أيضاً الإقرار بأن الله عزوجل هو الفاعل المطلق في الكون من حيث الخلق والتدبير والتغيير والزيادة والنقص ، والاعتراف بتوحيد الربوبية لا يكفي مالم يصاحبه إيمان واعتراف بتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، فقد حكى المولى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وظلوا مع ذلك مشركين لأنهم لم يوحّدوا الله في ألوهيته فعبدوا غيره سبحانه، ولم يعترفوا بأسماء الله وصفاته قال تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٣) قال مجاهد في هذه الآية « إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا وبرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره. » (٤)
وعرب الجاهلية أقروا بهذا التوحيد واعترفوا به قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون » (٥)

وإجمالاً هذا التوحيد لم يجحده إلا قليل من الملاحدة الذين أنكروا وجود الله تعالى كالدهريين قديماً والماديين في عصرنا هذا القائلين بالصدفة أو الطبيعة وفي هذا المعنى يقول أحد علماء العقيدة « ليس في الطواغيت من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، ويستدل على ذلك بدليل « التمانع » وهو : أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٣) سورة يوسف ، آية ١٠٦ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، القاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية ٦١ .

واحد منهما ، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثاني ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ويستلزم أيضاً عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الآله القادر والآخر عاجز لا يصلح للإلهية والربوبية ، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع (١) هو معنى قوله تعالى « لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدتا » (٢) مما سبق يتضح امتناع الشرك في توحيد الربوبية عند أغلب الخلق لاستحالة إثبات خالقين متمثلين في الصفات والأفعال وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثمّ خالقاً خلق بعض العالم ، وكما تقول القدريّة في نسبة الشر إلى غير الله تعالى وكما يقول الفلاسفة في حركة الأفلاك (٣). فإن هؤلاء يشبّهون أموراً محدثة لم يحدثها الله، فهم مشركون في بعض الربوبية ، ولما كان الشرك في الربوبية موجوداً لدى البعض بين القرآن بطلانه وأن الكون لا يستقيم إلا بوجود رب واحد يسير هذا العالم قال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » (٤)

توحيد الأسماء والصفات : -

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله عزوجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات . ويقتضي هذا إثبات ما أثبتته سبحانه لنفسه أو أثبتته رسوله عليه السلام من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها أو إثبات كيفية معينة لها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين . وقد ورد في القرآن الكريم والسنة العديد من الأسماء والصفات التي سمّي بها تعالى نفسه أو وصفه بها رسوله عليه السلام ، فقد ورد أنه الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه السميع والبصير والرازق وأنه تكلم مع موسى عليه السلام قال تعالى « وكلم الله موسى تكليماً » (٥) ونسبت إليه يد قال تعالى « يد الله فوق أيديهم » (٦) ونسب إليه الاستواء على العرش قال تعالى « الرحمن على العرش استوى » (٧).

والمسلم يؤمن بكل أسماء الله وصفاته كما وردت في القرآن والسنة ويعتقد أنه سبحانه ليس كمثل شيء من خلقه قال تعالى « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » (٨)، وينبغي للمسلم أن يعتقد

(١) الإمام أبو جعفر أحمد الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م ، ط ١ ، ص ١٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٢٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة المؤمنون ، آية ٩١ .

(٥) سورة النساء ، آية ١٦٤ .

(٦) سورة الفتح ، آية ١٠ .

(٧) سورة طه ، آية ٥ .

(٨) سورة الشورى ، آية ١١ .

ويؤمن بكل الصفات والأسماء الواردة في القرآن والسنة من غير سؤال عن كیفيتها ولا بحث عن كنهها لأن معرفة كیفية الصفة موقوفة على معرفة كیفية الذات ، لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها وذات الله عزوجل لا يسأل عن كنهها وكیفيتها ، فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كیفيتها ، وقد أثار عن بعض السلف قولهم عندما سئلوا عن كیفية استواء الله عزوجل «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » (١) .

ولم يقتنع البعض بهذا القول ، ولا حتى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من مغبة التعطيل أو التحريف ، وحجة هؤلاء أن الأسماء والصفات جاءت من الفاظ اللغة التي نتكلم بها ، وهذه الالفاظ إنما تدل على موجودات مخلوقة وصفات مرتبطة بها ، فحينما نسبت تلك الصفات من علم وإرادة ، أريد ونزول واستواء ورؤية إلى الله تعالى منهم من أخذ هذه المصطلحات وكیفها تكيفاً لغوياً ، وقالوا إنها تشير إلى أعضاء حسية ، أو إلى صفات ظاهرة أو إلى معان لها علاقات مادية معينة ومن ثم وقعوا في التشبيه والتجسيم ، وحاول البعض نفي هذه المشابهة والفرار من التجسيم فعطلوا الصفات عن مدلولاتها وأفرغوها من محتواها ، ونسي هؤلاء أنه سبحانه لا يماثل شيء في ذاته وصفاته وأن مدلولات هذه الكلمات تختلف كل الاختلاف في مدلولاتها حينما نطلقها في وصف الله عزوجل ، فنحن نصف الله بأنه عالم ، ونصف الإنسان بأنه عالم مع علمنا ، أن علم الله يختلف كل الاختلاف عن علم الإنسان ، وكذلك نصفه سبحانه بأنه حي ونصف بقية الأحياء بأنها حية ولكن الحياة تختلف هنا تماماً لأن مجرد التوافق في الألفاظ لا يعني استواء كل من اندرج تحتها ، لأن الأشياء لا تتشابه لمجرد الاتفاق في الأسماء وإنما تتشابه للاتفاق بينها في الذات والخصائص فلما كانت ذات الباري غير مشبهة بشيء من هذا العالم ، إذن فالاتفاق حصل في التسمية فقط لا في الحقيقة والمثالة (٢) .

ما سبق كان عرض موجز لأنواع التوحيد الثلاثة ، وإن كان بعض العلماء يرى أن التوحيد هو وحدة واحدة لا ينبغي تجزئته أو تقسيمه ، وأن المطلوب الإيمان به كوحدة متكاملة ومنظومة شاملة حتى لا يصاب إيمان الفرد بخلل أو نقص قد يخرج عن دائرة الإيمان .

وحتى يحقق الإنسان المسلم مقتضيات العبودية لله فلا بد من التسليم والانقياد والطاعة له سبحانه وتعالى سواء في مجال العبادة أو التشريع أو الحكم أو المعاملات وأي محاولة لاختزال أي من هذه المجالات أو إلغائها بعضها هو نوع من أنواع التحايل على الله قد يؤدي بصاحبه إلى الهلاك .
وتأسيساً على ما سبق فالمسلم بطاعته لله وعبادته وحده والتسليم له في كل أمور الحياة هو نوع من أنواع الحرية ، لأن المسلم لا يعبد سلطاناً من أجل الجاه والمنصب ، ولا يعبد غنياً من أجل المال ،

(١) محمد نعيم ياسين ، الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه ، الاسكندرية ، دار عمر بن الخطاب ، د.ت ، ط.١ ، ص ٢٨ .

(٢) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الرياض ، المركز الأول لخدمات الطالب الجامعي ، د.ت ، ط.١ ، ص ٨١ .

ولا يعبد طاغية من أجل أن يسلم من شره وأذاه ، وإنما يعبد الله وحده ويردد في اليوم واللييلة الشهادة بأن الله وحده لا شريك له ، وأنه لا يستحق العبادة سواه وأنه المنعم والمتفضل على خلقه بالرزق والإحياء والصحة وغير ذلك من النعم والمسلم يعلن أيضاً وعلى الملأ أنه لا يقبل أي تشريع أو نظام يخالف شرع الله ومنهجه ، ويعلن أيضاً أنه لا يعبد إلا الله ولا يلجأ إلا إليه ولا يدعو إلا إياه ، غير مبالي بطواغيت البشر ، وهو بهذا الإعلان يحقق جوهر الإيمان بالله ، وجوهر العقيدة وجوهر الحرية ، ثم ينطلق بعد ذلك حراً ألباً غير مقيد بأوامر البشر ونواهيهم ، ولا يعترف إلا بالحدود والضوابط التي شرعها المولى سبحانه وحددها للبشر ، عزيزاً على كل متكبر وطاغية لا يؤمن بالله أو يشرك معه غيره في أي نوع من أنواع العبادة ، وكل ذلك يمثل أسمى وأجل صور الحرية وأعظمها كيف لا يكون ذلك ، والمسلم قد وهب حياته بكل ما فيها من نظم وأخلاق وتشريع وقيم وسلوك لله عزوجل فلا يسير ولا يعمل ولا يدع إلا ما يراه متفقاً مع شرع الله ومنهجه .

الموضوع الثالث :- ويدور حول خصائص الإسلام :

من المعروف أن كل أمة لها ثقافة وحضارة تميزها عن بقية الأمم الأخرى ولكي تصمد هذه الثقافة أمام الثقافات الأخرى لأبد لها من خصائص ومقومات تحميها من السقوط ، والثقافة الإسلامية هي من الثقافات الأكثر مقاومة وبقاءً وتحدياً أمام بقية الثقافات ، لأن خصائصها ومصدرها يختلف عن أي ثقافة أخرى ، والمتتبع المنصف يجد أن الثقافات البشرية لا تصمد طويلاً ، ولا تستطيع المقاومة ، وهي معرضة للزوال والفناء .

وفيما يلي عرض موجز لبعض خصائص الثقافة الإسلامية .

١- هي ثقافة ربانية في غايتها ومصدرها :-

وكونها ثقافة ربانية الغاية فهذا يعني أنها تربط الإنسان بخالقه وتجعله يلجأ إليه في كل أقواله وأفعاله وكون مصدرها إلهي فهي بعيدة كل البعد عن الأفكار الفلسفية التي أنتجها الإنسان ، وحاول تقديمها للبشرية ، وهذا هو السر الذي أعطى الثقافة الإسلامية قيمة التفرد والخلود ، ومن البديهي أن الثقافة التي تنبع من كتاب الله وتحقق للإنسان حاجاته ورغباته ، وفي نفس الوقت يطمئن إليها ويشق في صحتها ، لاشك أنها ثقافة راقية وتصلح لكل زمان ومكان وجيل ، كيف لا تكون كذلك ؟ وهي تقدم أشمل منهج للحياة وهذه الخاصية جعلت الثقافة الإسلامية تأخذ طابعاً مغايراً للثقافات التي استمدت مصادرها من الأفكار الفلسفية اليونانية والرومانية ، ومن النصرانية المحرفة أو من الفلسفة الوضعية (١) .

وهذه الصفة الربانية التي تتميز بها الثقافة الإسلامية تحمي الإنسان وتعصمه من التناقض والاختلاف الذي تعاني منه الثقافات والفلسفات البشرية والتي عادة ما ترتبط بظروف معينة ،

(١) نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

وتخضع لمؤثرات كثيرة منها ظروف البيئة والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وما ينجم عن ذلك من ردود الفعل التي تبعتها عن العمق والصدق والاتزان (١) .

وهذا الأمر واضح في الثقافات الأخرى فهي تتسم بالتخبط والعشوائية وعدم الثبات ، ومثال ذلك ما حصل في الفلسفة الماركسية التي كانت تعتبر الحالة الاقتصادية أصل لكل الأعمال الإنسانية في حياة الأمم فهذه الفلسفة لم تصمد طويلاً وانهارت لعدم صلاحيتها لفطرة الإنسان .

وبناء على ما سبق يمكن إجمال خاصية الربانية وفوائدها في الآتي : -

- من خلال هذه الخاصية يتعرف الإنسان على غاية الوجود الإنساني ويعي قيمة الحياة ومعناها

ويعرف الإنسان من أين جاء ولما جاء وإلى أين قراره ومصيره .

- الاهتداء إلى الفطرة السليمة ، واهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسباً رخيصاً بل مغنماً كبيراً

والحقيقة والواقع يؤكدان أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم وثقافة ، ولا فلسفة ونظريات مهما بلغت ، وإنما الذي يملؤه الإيمان بالله ، وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالجوع والظماً حتى تجد الله وتؤمن به وتتوجه إليه .

- سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلي ويتضح هذا من خلال توحيد الغاية والاتجاه بالنسبة

للفرد المسلم .

- التحرر من الأنانية والعبودية والشهوات ، وذلك أن الإنسان الذي وجهته ربانية يوقفه إيمانه بالله

واليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات النفس ومتطلبات الدين ، وبين ما تدفعه إليه شهوته وما يأمره

به دينه ، بين ما يمليه عليه الهوى ، وما يمليه عليه الواجب ، بين متعة اليوم وحساب الغد (٢) وهذا

الالتزام لا يعني أن الإنسان ملاك لا يقع في خطأ أو خطيئة فهذا غير متصور لأن التقصير حاصل

والذنوب كثيرة ، وإنما المطلوب هو سرعة العودة إلى الحق والالتزام بشرع الله ومنهجه .

٢- هي ثقافة شاملة :-

كونها قدمت للإنسانية ثقافة صالحة لكل زمان ومكان ، ولكل جيل وأمة إنه شمول يستوعب

الزمان كله ، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الإنسان كله إنها رسالة لكل زمان ومكان

وجيل ، وليست خاصة بعصر معين أو جيل محدد وينتهي أثرها بانتهاء العصر أو الجيل كما هو الحال

في الرسائل السابقة ، فقد كان النبي يبعث لمرحلة معينة حتى إذا ما انتهت بعث الله نبياً آخر ، أما

محمد عليه السلام فهو خاتم النبيين ، ورسالته هي الرسالة الباقية إلى يوم الخلود. (٣)

وهي شاملة لأنها تستوعب حياة الإنسان كلها الروحية والجسدية والمشاعر والأحاسيس ، وتهتم

به جنيناً ومولوداً وشاباً وياًفياً وشيخاً وحيماً وميتاً.

(١) عدنان زرزور ، إنسانية الثقافة الإسلامية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٢م ، ط ٢ ، ص ١

(٢) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ، ١٩٧٧ ، ط ١ ، ص ١٠ - ١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

وهي شاملة أيضاً لأنها لا تقتصر على جانب معين من جوانب النشاط الإنساني بل تشمل نشاطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأدبي والفني ، وفي ظل هذا الشمول يشعر الفرد بأن حياته منظمة وتسير وفق منهج رباني يحدد له الخير من الشر والضلال من الهدى ، وينتج عن هذا اخلاص في العمل والعبادة ، والمسلم في ظل هذا الشمول يعتبر نفسه في عبادة وهو يؤدي أي عمل فلا فرق عنده بين عمل ديني وعمل دنيوي فالكل عبادة إذا أخلص النية لله ، وقد اعتبر أحد المفكرين الشمول بأنه خاصية إسلامية انفردت بها الثقافة الإسلامية عن بقية الثقافات والمذاهب الأرضية « إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية ، هو المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية ، وهو المزية التي توحى إلى الإنسان أنه كائن شامل فيستريح من « فصام » العقائد التي تشطر السريرة إلى شطرين » (١) .

٣- هي ثقافة متوازنة :-

ويقصد بالتوازن هنا : الموازنة بين الحقوق والواجبات والموازنة بين الحقوق مع بعضها البعض ، والواجبات مع بعضها البعض ، والموازنة أيضاً بين مطالب الروح والجسد وقد جاء الإسلام بتشريعه وثقافته محافظاً على هذا التوازن وجمع بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الحقوق والواجبات، والغرض من هذا التوازن هو مراعاة فطرة الإنسان وميوله ورغباته ونزعاته واستعداداته وفوائده . لذا فالمسلم مأمور بأداء العبادات المفروضة عليه من صلاة وصيام وحج وزكاة ، ومأمور أيضاً بالسعي في الأرض للبحث عن الرزق واكتشاف ما في الكون من معجزات وأسرار ، والمجال لا يسع هنا لذكر الأدلة والشواهد على تلك الموازنة ، ولكن حسبنا أن نذكر بعض الأسس التي ينبغي اتباعها حتى نحقق مبدأ الموازنة :-

أ - التأكيد على أن الإسلام يوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة وذلك من خلال العقيدة والشريعة التي أمر الناس بالعمل بها .

ب - الإسلام يرفض الدعوة إلى الانشغال بالدنيا وترك الآخرة .

ج - الإسلام يرفض الدعوة إلى الانشغال بالآخرة وترك الدنيا .

د - التأكيد على أن الإسلام دين الوسطية فهو لا يغلب جانب على آخر ويحقق للإنسان المطالب الروحية والمادية معاً .

ومن هنا نصل إلى أن الإنسان المتوازن في نظر الثقافة الإسلامية هو ذلك الإنسان العاقل المفكر المتزن الذي يلبي أشواقه الروحية وتطلعاته العاطفية ، ويشبع غرائزه الفطرية في حدود ما شرع الله وما أباح .

٤ - هي ثقافة عالمية :-

يمكن القول بشكل عام أن الثقافات الإنسانية ثقافات ضيقة ومحدودة تكون صالحة لفترة ثم تأتي أجيال لاحقة تعتبرها خرافة أو نوعاً من التراث يجب تركه والبحث عن ثقافة جديدة تشبع الرغبات وتحقق الطموحات ، هذا هو حال الثقافات التي هي من صنع البشر تغير وتبدل وعدم ثبات . أما الثقافة الإسلامية فأفاقها رحبة واسعة ومطلبها عالمي ليس له حدود جغرافية عبر عن ذلك رسول المسلمين ربي بن عامر رضي الله عنه إلى قائد جيش الفرس ، حيث حدد هذا المسلم البسيط في نظر الفرس السبب والهدف الذي من أجله خرج هو وأمثاله من المسلمين فقال « إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » (١) هكذا يوضح لنا ربي بن عامر عالمية الإسلام بعبارات دقيقة وموجزة ، يتبين منها أن الثقافة الإسلامية ، ليست للعرب أو العجم وحدهم وليست للرجل الأبيض دون الأسود - كما هو حال بعض ثقافات اليوم التي تفرق بين الناس بسبب اللون أو العرق أو الجنس - إنها ثقافة البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، قال تعالى « يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » (٢)

فهنا يحدد الإسلام أن تعدد الشعوب والقبائل إنما هو للتعارف والتعاون وأن التفاضل والتمايز إنما هو بالتقوى والعمل الصالح بغض النظر عن الجنس أو اللون أو المكان والزمان ، وبشكل عام فغاية الإسلام وهدفه هو تكوين الإنسان الصالح أينما كان موطنه وزمانه، وهذا عكس الثقافات الوضعية فغايتها تكوين المواطن الصالح الذي يخدم وطنه ومجتمعه فقط .

ولمزيد من التوضيح والمقارنة بين عالمية الإسلام وثقافته ، وبين عنصرية وقومية الثقافات الوضعية اقرأ ما يقوله العالم الفرنسي رينان « جنس واحد يلد السادة والأبطال هو الجنس الأوروبي فإذا ما نزلت بهذا الجنس إلى مستوى الحظائر التي يعمل فيها الزوج والصينيون فإنه يثور ، فكل تائر عندنا هو بطل لم يتح له ما خلق له ، هو إنسان ينشد حياة البطولة ، فإذا هو مكلف بأعمال لا تتفق وخصائص جنسه ، إن الحياة التي يتمرد عليها عمالنا يسعد بها صيني أو فلاح أو كائن لم يخلق لحياتنا » (٣)

وبعد عزيزي القارئ :- المطلوب منك المقارنة بين الثقافتين الإسلامية والوضعية من حيث الأنظمة والتشريع ، والنظرة للإنسان والعالمية والقومية .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، بيروت ، دار الخير ، ج٧ ، د.ت ، ص ٣٩

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٣) عبدالكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ م ، ط١٣ ، ص ١٦ .

٥ - هي ثقافة واقعية إيجابية :-

الثقافة الإسلامية إيجابية نظراً لما تحدثه في وجدان ومشاعر المسلم من حبه لعمل الخير وتعاونه مع الآخرين ، وحبه للمجتمع وحبه للفضيلة ، وتفانيه في سبيل تحقيق الحق وإزهاق الباطل ، ولذا فليس الفرد في عرف الثقافة الإسلامية ذلك الإنسان السلبي الذي يعيش علي هامش الحياة فلا علاقة له بالأحداث والقضايا والمتغيرات التي تحدث حوله ، وإنما هو ذلك الإنسان الإيجابي في كل تصرفاته يهتم ويتابع أحوال الآخرين ومشاكلهم يؤلمه ما يؤلمهم ويفرحه ما يفرحهم (١) .

وتظهر إيجابية الثقافة الإسلامية في كل مجالات الحياة المختلفة ففي مجال الحياة الاجتماعية لا يتوقف الأمر عند النهي عن الإفساد في الأرض بالقتل والحراقة والسرققة وتخريب المصالح العامة والخاصة ، بل يتعدى ذلك إلى الأمر بالإصلاح والتعمير والتعاون على الخير قال تعالى « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** » (٢) ، وبشكل عام فالإيجابية في الإسلام تقتضي دعوة الناس إلى الخير والحق والحب والتعاون فيما بينهم ، والقيام بمثل هذه المهام تشعر الفرد بضخامة المسؤولية التي يجب أن يقوم بها وبأهميته كفرد في الحياة وأنه لم يخلق عبثاً ، وأن دوره في الحياة فعال وإيجابي .

إن الإيجابية في الثقافة الإسلامية تجعل الإنسان المسلم يحسن دائماً بغض النظر أحسن الناس أو أساءوا فهو مبادر للخير مشارك فيه بالمال والوقت والجهد .

٦) هي ثقافة واضحة :-

ويعني هذا وضوح الثقافة الإسلامية في كل جوانبها سواء في الأصول والفروع أو الوسائل والغايات ، وأول ما يبدو الوضوح في نظرة الثقافة الإسلامية للمسائل الاعتقادية وأولها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ففي هذا الجانب نجد أن الثقافة الإسلامية قدمت تصوراً واضحاً بعيداً عن كل الخرافات والتأويلات التي تحدث في الثقافات الأخرى ، والتي تصور الأله والمعبود وكأن له شريك أو ولد ، وبالمقابل ثقافات أخرى شطت في هذا الجانب وانكرت وجود إله أو رسل ، ولم تؤمن بكل ما هو غيبي ، وهذا تطرف وغلو من الجانبين ، وهذا عكس الإسلام الذي يعتمد على البرهان والعقل والدليل ، لذا فالمولى طلب من المشركين أن يدللوا وبرهنوا على وجود إله آخر مع الله كما يزعمون ويدعون قال تعالى « **أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** » (٣) لذا فقضية التوحيد واضحة في ذهن كل مسلم وعقله وضميره كيف لا ؟ وهو يستقبل ويودع الحياة بالتوحيد من خلال الشهادتين (٤) ومن مظاهر الوضوح أيضاً أن المسائل التعبدية من صلاة وصوم وحج وزكاة واضحة محددة لكل الناس لافرق بين غني وفقير ورجل وامرأة وأسود وأبيض ومن مظاهر وضوحها

(١) سامية محمدي عجوة ، برنامج مقترح في الثقافة الإسلامية لطلاب التعليم الفني التجاري ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٣) سورة النمل ، آية ٦٤ .

(٤) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

أيضاً أن جزاء الأعمال وثوابها عند الله واضح ومحدد فمن يعمل الخير يلقي الأجر والثواب ، ومن يعمل الشر يلقي العقاب والجزاء وكذا الأمر بالنسبة للآداب العامة واضحة لكل الناس مثل آداب الأكل والشرب والملبس وحقوق الجار والضيف ، وبالجملة يمكن القول إن كل الحقوق والواجبات والأوامر والنواهي والعقيدة والشريعة واضحة في الإسلام لكل الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وعصورهم .

١- هي ثقافة إنسانية :-

يمكن القول إن الثقافة الإسلامية هي ثقافة إنسانية لأن هدفها بالدرجة الأولى هو الإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو مكانه أو زمانه قال تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » (١) فهنا الآية واضحة ومبينة أن التكريم عام لكل الناس ، وهذا ولاشك اعتراف من الإسلام بقيمة الإنسان وأهميته في الحياة بدليل تكريم الله له وتفضيله على سائر المخلوقات ،

وتتضح إنسانية الثقافة الإسلامية من خلال احترامها للإنسان وعدم التفريق بينه وبين أخيه الإنسان ، وذلك من خلال فرض عبادات ومعاملات وعقائد واحدة فلا فروق ولا امتيازات لأحد فكل واحد له حقوق وعليه واجبات لذا « فالثقافة الإسلامية ومنهجها القرآن والسنة تتميز بأنها إنسانية في نزعتها وغايتها وهدفها لأن الرابطة التي تربط بين الناس هي رابطة العقيدة بها يرتفع الإنسان وينخفض » (٢)

وبهذا المفهوم وهذه النظرة تختلف الثقافة الإسلامية عن باقي الثقافات « لأن كل ثقافة بشرية المصدر بأي صورة من الصور لا يمكن أن تكون إنسانية تصلح لجميع الناس في جميع العصور ، أو على الأقل لا يمكن أن تتصف بالعموم والخلود ، لأن الإنسان مهما سمت عنده النزعة الإنسانية واستطاع أن يكون مثلاً للنزاهة والتجرد لا يمكن أن ينفصل عن مجتمعه وبيئته أو من زمانه على أقل تقدير » (٣)

والبعض يصف القرآن الكريم بأنه كتاب الإنسان فهو إما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان ، وقد وردت كلمة إنسان في القرآن الكريم (٦٣) مرة هذا فضلاً عن ذكره بالفاظ أخرى مثل (بني آدم) وكلمة الناس التي تكررت (٢٤٠) مرة (٤) ، وقد فسر الشوكاني كلمة الناس في قوله تعالى « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » بقوله أن المراد بالناس هنا كل فرد من أفراد الناس وليس المقصود بهم المسلمين فقط ، فالفطرة في كل إنسان ، وإنما تأتي عوارض تعرض لهم فيبقون بسببها على الكفر . (٥)

ومن هنا نلاحظ أن القرآن الكريم قد كرم كل الناس وساوى بينهم ، ولكن منهم من يريد أن يعيش في النور والهدى ومنهم من يريد عكس ذلك .

(١) سورة الإسراء ، آية ٧٠ .

(٢) عبدالكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٣) عدنان زرزور ، إنسانية الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٤) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٥) محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ، ج٤ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٣م ، ط٠ ، ص ٢٢٤ .

الموضوع الرابع : ويتناول القرآن الكريم *

لا يكتمل إيمان الفرد ما لم يؤمن بأركان الإيمان الستة ومنها الإيمان بالكتب السماوية كلها قال تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم » (١) ، والكتب السماوية التي يجب الإيمان بها على سبيل التفصيل هي الكتب التي ذكرها الله عزوجل في كتابه الكريم مثل التوراة والإنجيل والزيور والصحف المنزلة على إبراهيم ، قال تعالى « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل » (٢) وقال سبحانه « وآتيننا داود زيوراً » (٣) وقال سبحانه « إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى » (٤) ، إلا أن هذه الكتب قد طرأ عليها التحريف والتبديل من قبل اليهود والنصارى وقد جاء القرآن الكريم مهيمناً عليها يصدق ما فيها من الحق ويكذب ما فيها من التحريف والتبديل قال تعالى « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » . (٥)

وقد جاء القرآن الكريم جامعاً لأصول الدين كله ومهيمناً على الكتب السماوية السابقة ، ومع هذا ينبغي القول إن كتاب الله واحد منذ الأزل فهو كتاب واحد في حقيقته وتشريعاته ودعوته إلى التوحيد ، أوتي اليهود جزءاً منه وهو التوراة ، وأوتي النصارى جزءاً منه وهو الإنجيل ، وأوتي المسلمون الكتاب كله وهو القرآن الكريم ونظراً لأنه هو الكتاب الخاتم والمهيمن على بقية الكتب المنزلة فلا بد من عرضه بشكل موسع نوضح فيه حقيقته وأهميته وإعجازه وسلامته من التحريف والتبديل والفرق بينه وبين السنة النبوية .

أيد الله سبحانه رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم كما أيده بمعجزات حسية أخرى ، وكما أيد من قبله من الرسل بما شاء سبحانه من الآيات البيّنات وهذه من سنن الله سبحانه في تأييده للصفوة من عباده الذين اختارهم لحمل رسالته إلى أقوامهم ليبلغوا ما أوحى إليهم ، ويدعوا إلى توحيده ، وينذرهم عقابه والتأييد من الله سبحانه بمثل هذه المعجزات والخوارق ، له أهمية بالغة من حيث أنه يتبين بذلك كون مدعي الرسالة صادقاً في دعواه ، وحتى لا يلتبس الأمر بالأدعياء الذين يقصدون تضليل الناس وإغواءهم ، فيدعون لأنفسهم ما ليس لهم ولتقوم بذلك حجة الله سبحانه على القوم الذين يقفون من الرسول موقف المعاند والمحارب ، فإنه إذا ما ظهر على يديه ما هو خارج عن طوق البشر ، ولا طاقة لأحد الإتيان بمثله ، وما هو مخالف كذلك للسنن الكونية

* هذا الموضوع في غالبه أخذ من المحتوى الذي يدرس حالياً في جامعة صنعاء والسبب في ذلك أنه حاز على تقدير جيد جداً عند تحليل المحتوى ، والباحث يرى أن أي معيار يحصل على هذا التقدير يبقى كما هو مع إدخال بعض الإضافات إليه ، وهذا العمل الغرض منه الاعتراف بالجوانب الإيجابية الموجودة في المحتوى الحالي ، والاستفادة منها عند بناء المنهج المقترح.

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٦ .

(٢) سورة ال عمران ، آية ٣ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٦٣ .

(٤) سورة الاعلى ، آية ١٨ - ١٩ .

(٥) سورة المائدة ، آية ٤٨ .

المألوفة ، وليس من قبيل ما يظهر على يد ساحر أو كاهن ، فإن ذلك يصبح دليلاً مُلجئاً للعقل بالتسليم والتصديق ، إلا أن يكون صاحبه مكابراً ومعانداً ، فهذا قد توقن نفسه بصدق الرسول ، إلا أنه لا يظهر سوى الجحود والنكران .

ولما كان القرآن الكريم أعظم معجزة جاء بها رسول الله عليه السلام ، وفيه ما يغني عن كل معجزة لمن كان يريد الحق والاهتداء إلى الصواب ، فإن المشركين كانوا إذا طلبوا آيات من رسول الله عليه السلام جاءت الإحالة أحياناً من الله سبحانه على القرآن لبيان أن فيه غناء لهم عن كل آية حسية يطلبونها ، وذلك مثل قوله تعالى « وقالوا لولا أنزل عليه آياتٌ من ربه قل إنما الآياتُ عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمةٌ وذكرى لقوم يؤمنون » (١)

وبين عليه السلام ما يمتاز به القرآن الكريم على سائر المعجزات في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة . » (٢)

ففي هذا الحديث يبين الرسول عليه السلام أن معجزته التي تحدى بها قومه الوحي الذي أنزل عليه وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا إنه لم يؤت من المعجزات الحسية كمن تقدمه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به - لم يعطها بعينها غيره - ليتحدى بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، فقد كان السحر فاشياً في قوم موسى عليه السلام فجاءهم بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره ، وكذلك إحياء عيسى عليه السلام للموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وهكذا بقية الأنبياء لكل منهم معجزة ، وكان آخرهم محمد عليه السلام الذي بُعث في قوم يتميزون بالفصاحة والبلاغة ، فكان لابد من معجزة تواكب وتتحدى ما عندهم من فصاحة وبلاغة ، فكان القرآن الكريم الذي تحدى الله به العرب وطلب منهم أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة من سوره ، فلم يقدرُوا على ذلك .

كما يتميز القرآن الكريم بأنه معجزة مستمرة دائمة ، قائمة في زمانه عليه السلام ، وبعد مماته ، وهذا عكس معجزات الرسل السابقين حيث انقرضت بانقراض من شاهدها ولم يبق الا الخبر عنها .

وكوّن القرآن حجة قائمة مستمرة ، فهذا ما يقتضيه خلود الرسالة المحمدية التي ختم الله تعالى بها رسالاته ، وهذه من أهم مظاهر الفرق بين رسالة خاتم النبيين ، وسائر الرسالات ، إن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، فأكمل الله سبحانه برسالته الدين وأتم بها النعمة كما قال تعالى « ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم لكن رسولٌ الله وخاتم النبيين . » (٣)

(١) سورة العنكبوت ، الآيتان ٥٠ - ٥١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

وقال سبحانه « **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** » (١) ، وروي الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلاً وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** » (٢) وعموم رسالته عليه السلام وكونها خاتمة الرسالات ، يعني انقطاع الوحي والنبوة بعده وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد سوى القرآن والسنة ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان برسالته من كل البشر ، إنسهم وجنهم أسودهم وأبيضهم ، غنيهم وفقيرهم .

بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم :-

ذكر العلماء وجوهاً كثيرة لإعجاز القرآن الكريم ، نورد بعضاً منها على سبيل التمثيل وليس الحصر ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى المراجع المدونة في آخر هذه الوحدة .

أولاً- الإعجاز البياني :-

بعث الله عزوجل رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام في قوم كانوا أئمة البيان وأرباب الفصاحة والبلاغة ، وكانوا قد وصلوا في ذلك الذروة ، فما كان أحد يباريهم في هذا الميدان ، وكان لهم نواد وأسواق يلتقون فيها فيبرز المتسابقون بأجود ما جاءت به قرائحهم وأعلى ما وصلت إليه بلاغتهم وفصاحتهم .

وجاءهم القرآن الكريم وهم على هذه الحال ، فتحداهم في مواضع عديدة ، وفي المكي والمدني ، وقد تدرج معهم في التحدي : فقد جاء التحدي على ثلاث مراحل هي :-

المرحلة الأولى : - وفيه التحدي بالقرآن كله قال تعالى « **قل لئن أجمعتم الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** » (٣)

المرحلة الثانية :- وفيه تم التحدي بسورة واحدة قال تعالى « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** » (٤)

المرحلة الثالثة : - وفيه تم التحدي بعشر سور مثله مفتريات « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** » * (٥).

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٢) رواه الشيخان في صحيحهما .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٨٨ .

(٤) سورة يونس ، آية ٣٨ .

* وهذا الترتيب هو الثابت عند العلماء بهذا الشأن : انظر البرهان للأمام الزركشي .

(٥) سورة هود ، آية ١٣ .

ولا يخفى من وجود التلازم بين نبوته عليه السلام ، وكون القرآن منزلاً من عند الله ومع زعمهم أنهم قادرون على المعارضة والإتيان بمثله كما حكى القرآن عنهم « **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** » (١) ، ولم ينقل عن العرب مجرد المحاولة للمعارضة ، لما يعرفونه من قرارة أنفسهم من أن القرآن الكريم فوق الطاقة البشرية ، وإن من حاول ذلك فإنما يكشف عن عجزه ، وفشله ، فكان الأولى لحفظ ماء الوجه هو الإمساك عن محاولة المعارضة والتقليد ، وهنا يمكن أن نطرح السؤال الآتي :-

هل توفرت الشروط اللازمة لتحدي الله للعرب قديماً ، وهل يمكن أن يستمر هذا التحدي إلى العصر الحاضر؟ *

نعم لقد توفرت شروط التحدي في العرب قديماً وهي :-

أ - أنهم أصحاب الفصاحة والبلاغة .

ب - وجود الرغبة الشديدة عندهم لمعارضته ، لما عرف عنهم من محاولة إبطال ما جاءهم به الرسول عليه السلام ، ومحاربتهم إياه بشتى الوسائل .

ج - عدم وجود ما يمنعهم من المعارضة كالخوف من سطوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا هم أصحاب السطوة والسلطة في مكة .

فعجز هؤلاء العرب دليل على عجز سواهم من باب أولى ، ولذا فقد قامت الحجة عليهم وعلى من سواهم من غير أهل اللسان ، لأنه لا يلزم في المعجزة أن يكون جنسها مقدوراً لكل فرد من أفراد المرسل إليهم ، بل أن يكون مقدوراً لهم في الجملة ، فالتب الذي اشتهر به قوم عيسى عليه السلام ، لم يكن يُحسَنُه كل فرد من أفراد قومه ، وكذا السحر الذي اشتهر في قوم موسى عليه السلام وفي هذا المعنى يقول الإمام الزركشي « وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومَظَنَّة المعارضة ، وكما قامت الحجة - في معجزة عيسى - بالأطباء وفي معجزة موسى بالسحر فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير ، أبرع ما تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته وكذا الطب في زمان عيسى ، والفصاحة في مدة محمد عليه السلام » (٣) هذا الجواب يخص الجزء الأول من السؤال ، وأما الجزء الثاني منه وهو عن مدى استمرارية هذا التحدي إلى العصر الحاضر .

فالإجابة أيضاً بنعم لأن اللغة العربية مستمرة ودائمة وهناك من العرب من يجيدها إجابة تامة ، بل أصبح لها كلياتها وأقسامها وأساتذتها ومناهجها وتفرعت إلى أفرع عدة ، وعدّ فيها رسائل الماجستير والدكتوراه ، ولا يمنع هذا من الاعتراف أن هناك قصوراً وضعفاً في تعلمها وتعليمها لدى الكثير من الناطقين بها .

(١) سورة الأنفال ، آية ٣١ .

* هذا السؤال طرحه الباحث .

(٢) انظر الإمام الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، د.ت ، ط.خ.

هذا من جانب ، ومن جانب آخر هناك مجالات عدة للإعجاز غير الفصاحة والبلاغة تحدى الله بها العرب قديماً وحديثاً ومنها الاخبار بالغيب وهو أنواع : -

النوع الأول : - وهو إخبار عن الماضي وهو من الغيب الذي لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله تعالى له وهذه الاخبار تتعلق بالأمم السابقة في الأزمنة الخالية ، كإخباره عن أحوال وقصص الرسل السابقين مع أقوامهم ، وكذا قصة أصحاب الكهف وغير ذلك من القصص التي أخبر بها عليه السلام مع أنه أمي لا يحسن الكتابة ، ولا سبقت منه رحلة ، وليس في أهله من يُعَلِّمُ الاخبار ، ومن أمثلة ما أخبر به القرآن عن الأمم السابقة قوله تعالى « وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » (١) .

النوع الثاني : - إخباره بما يكون في المستقبل مما لم يكن قد وقع ، ثم وقع كما أخبر به عليه السلام ، وهذا دليل لا يُدحض على أن القرآن من عند الله تعالى ، ذلك أن علم الإنسان محدود بالزمان الحاضر والماضي أما المستقبل فغيب مستور مجهول ، والأمثلة في هذا كثيرة منها : - قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢) ، فهذه البشارة ببقاء الحق الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ القرآن الذي أنزل عليه من ربه ، وهذه البشارة جاءت في مكة والرسول عليه السلام وأصحابه في أشد المواقف وأحرجها مع أعداء الله بمعنى أن هذه البشارة لم تأت بعد النصر والتمكين وإنما جاءت وقت الصد والاعراض ، وما كان ليصدر مثل هذا لولا أنه الوحي المنزل من عند الله سبحانه ، أما الرسول عليه السلام فلا يملك من هذا الأمر شيئاً .

ومنها إخبار الله لنبيه ببعض المؤامرات التي قام بها بعض الأعداء محاولين قتله عليه السلام فأوحى الله إليه ليحذره منهم ويتقن شرمهم خاصة تلك المؤامرات التي كان يدبرها اليهود والمنافقين .

النوع الثالث : - من أنواع الغيب الذي أخبر به رسول الله عليه السلام عن طريق الوحي من الله تعالى ، ما كان يحدث زمن رسول الله عليه السلام من أمور كانت عند أهلها في ظي الكتمان ، أو يتناجي بها أهلها خفية بل كان بعضها ما يزال حديث نفس عند أصحابها ، من هذا النوع ما وقع للمسلمين يوم غزوة أحد ، فمجرد الهم الذي هو من أعمال القلوب ولا يطلع عليه أحد إلا الله سبحانه يكشفه القرآن الكريم ، ويعترف به الصحابة رضي الله عنهم الذين وقع منهم ذلك بعد نزول الآية قال تعالى « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٣) ، وكذا إخباره عن قصة اتفاق بعض أزواجه عليه ، صلى الله عليه وسلم والقصة معروفة في سورة «التحریم» ومفصلة في الصحيحين وغيرهما ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، حيث كان قد بعث خطاباً إلى مشركي مكة يخبرهم بعزم الرسول عليه السلام على غزوهم ، فكشف الله هذا السر وأنزل

(١) سورة يوسف، آية ١٠٢ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٣) سورة آل عمران، آية ١٢٢ .

فيه قرآناً يتلى قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » (١) .

هذه أمثلة بسيطة لما أخبر به القرآن عن الأمور الغيبية بأنواعها المختلفة ذكرت هنا إجمالاً ، وللاستزادة يمكن الرجوع إلى مراجع هذه الوحدة .

ما سبق كان عرضاً موجزاً لمظاهر الإعجاز في القرآن الكريم من حيث الفصاحة والبيان ، ويعتبر الوجه الأول من وجوه الإعجاز ، أما الوجه الثاني من أوجه الإعجاز: فهو الإعجاز في مجال التشريع : - ويتبين إعجاز القرآن في هذا الجانب عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي لا تلبث أن تنكشف عوراتها ، ويظهر عجزها ونقصها عن معالجة المشكلات البشرية ، ومسيرة الأوضاع والأزمات والانسجام مع كل الأحداث والمستجدات ، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص ، بحيث يبلغون غداً ما وضعوه اليوم ، والقرآن الكريم الذي أنزله العزيز الحكيم العليم بكل شيء خالق النفس البشرية والخبير بما يصلحها ويفسدها قال تعالى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢) ، هذا الكتاب العزيز الذي وصفه رب العزة بقوله « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (٣) سليم من كل عيب ، كامل من كل نقص ، كفيل برعاية مصالح العباد ومعالجة مشكلاتهم ، وهدايتهم إلى كل ما يصلحهم في الدنيا والآخرة، إذا استمسكوا به ، واهتدوا بهديه ، والشريعة التي جاء بها كتاب الله عزوجل مدارها على مصالح الإنسان، والتي تنحصر في ثلاثة أمور هي: (٤)

الأول : - درء المفسد وفي ذلك ستة أشياء : -

(١) الدين (٢) النفس (٣) العقل (٤) النسب (٥) العرض (٦) المال .

الثاني : - جلب المصالح ، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين ، وأباح المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع ، على الوجه المشروع ، الذي سد كل ذريعة في هذا الباب تؤدي إلى ضرر النفس أو الغير .

الثالث : - التمسك بمكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، وقد اشتمل القرآن على جميع مكارم الأخلاق ، وقد أجابت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت « كان خلقه القرآن » (٥)

والحاصل : - أن التشريع في القرآن الكريم ، لم يترك جانباً من الجوانب التي تمس الحاجة إليه في حياة الإنسان إلا ووضع لها القواعد والأسس فالأحكام المتعلقة بالنظام الاجتماعي ، والمتعلقة بالنظام الاقتصادي والسياسي ، وعلاقة المسلمين بغيرهم في حالتهم الحرب والسلام ، وكذا صيانة

(١) سورة الممتحنة ، آية ١ .

(٢) سورة الملك ، آية ١٤ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٩ .

(٤) لمزيد من التوضيح راجع أضواء البيان للشنقيطي .

(٥) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والدارمي وأحمد .

المجتمع المسلم من الجريمة بما وضع لمرتكبيها من الزواجر والعقوبات كل هذه ونحوها ، جاء التشريع الإلهي في القرآن الكريم فيها بما يكفل للإنسان السعادة ، والحياة الكريمة في هذه الدنيا ، إذا استمسك بهدي القرآن واستنار بنوره واسترشد به في كل قضاياها التي تهتم في هذه الحياة .

كما ترك الإسلام الباب مفتوحاً أمام العقل البشري للاستنباط واستخراج الحكم بالأصول المعتمدة لكل جزئية لم ينص عليها القرآن أو السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ومن هنا نعلم أنه ليس هناك من نقص أو عيب في التشريع الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم ، سوى ما ألقاه به أعداء الإسلام من الباطل والبهتان ، لتزهد المسلمين في العودة إليه ، وحملهم على البحث عن البديل في القوانين الوضعية التي صاغتها أيد رفضت الدين جملة وتفصيلاً .

من أجل ذلك عمدوا إلى توجيه العديد من التهم والافتراءات على هذا التشريع ، مدعين أنه غير قادر على إقامة المجتمع الراقي ، ولا يستطيع مواكبة التطورات في كل عصر ، وسمع بهذا المنتسبون إلى الإسلام ، وربطوا بينه وبين أحوال المسلمين وما يعانونه من الضعف والذل ، والتخلف المادي وصدقوا مثل هذا الباطل والافتراء ، دون أن ينظروا في موقف المسلمين من التشريع الإسلامي وهل هذا الضعف والتخلف نزل بالمسلمين ، وهم على أتم حال في إقامة التشريع الإسلامي ، وتطبيقه في كل شؤون الحياة حتى يكون التشريع نفسه قد عجز عن حل المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي ؟ أم أن بُعد المسلمين عن الإسلام وإعراضهم عن هديه وشرعه هو السبب في كل المعضلات النازلة بهم (١) .

المطلوب منك عزيزي القارئ الإجابة عن هذا السؤال بطريقة علمية بعيداً عن العواطف والميول وبقى السؤال وهو : ما العلاقة بين العقيدة والشريعة ، وهل يكفي المسلم أن يلتزم بالعقيدة دون الشريعة ؟ ولماذا ؟ (٢)

والجواب باختصار :-

إن الشريعة الإسلامية التي نزل بها القرآن الكريم - إلى جانب كونها الشريعة الخالدة إلى يوم القيامة ، الكفيلة بإصلاح شؤون الإنسان في الدنيا ، والتي لا يعوزها حل مشكلة ولا علاج معضلة - يعتبر الأخذ بها والاحتكام إليها جزءاً من عقيدة المسلم الذي آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، من أجل ذلك فإن المسلم الصادق يظل قوي الارتباط بكتاب الله عزوجل يتمسك به ويرجع إليه في كل شيء ويعتبر ذلك عبادة لله عزوجل تعبده بها ، ويعلم أن الميل عنه إلى ما سواه يجعله مسؤولاً أمام الله عزوجل الرقيب على أعماله والعليم بما تكنه نفسه والذي لا يخفي عليه شيء من أموره ظاهرها وباطنها ، جليها وخفيها ، وأنه سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة لذلك فإن العبد ، لا يجد سبيلاً للتحايل على أحكام الله من أوامر ونواهي .

ومن هنا نجد أن التشريع الإلهي له سلطان على النفوس ، وله رقيب من داخل النفس البشرية ، أما القانون الوضعي فإنه يفقد كل ذلك لأن واضعه بشر ، لا يملك صاحبه سلطاناً على النفوس ، ولا يملك المراقبة على أحوال الإنسان في خلواته ، وفي نفس الوقت نجد الناس يتهربون منه ويسلكون مسالك عدة للتخلص منه ، ومن سلطانه وعقوبته .

ونخلص إلى القول إن الإسلام عقيدة وشريعة ، ولا يكفي أن يلتزم المسلم بالجانب العقائدي ويهمل الجانب التشريعي أو العكس ، وإنما المطلوب الالتزام بهما معاً ، ولا يغنى أحدهما عن الآخر .

الجانب الثالث من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم هو الإعجاز العلمي :-

وهذا النوع من الإعجاز يعجز الملحدون والمشككون في تفسيره ، وعقولهم تقف حائرة حياله ، وكل يوم يتكشف لهم ولغيرهم صدق هذا القرآن وأنه من عند الله ، ولم يكن النبي عليه السلام قادر على التنبأ بمثل ذلك وهو النبي الأمي ، وقد تمكن بعض العلماء من تحديد حوالي « ٨٠٠ آية » تمثل أكثر من ١٢٪ من مجموع آيات القرآن تدخل كلها تحت موضوع الإعجاز العلمي للقرآن (١) .

ومع كون هذا الجانب يمثل قمة الإعجاز في القرآن الكريم ، إلا أن الكثير من العلماء يحذرون من الجزم بأن مدلول الآية الفلانية هي النظرية الفلانية فإن الأمر فيه خطورة من حيث أن النظريات لا تستقر على حال ، وإذا بالذين يريدون إظهار عظمة القرآن وإعجازه من هذا الجانب ، يقعون في نقيضه ، وتصيح الحجج التي يرفعونها حججاً عليهم ، وهم في غنى عن هذا كله ، ونحن نقصد إلى أنه لا بد من إعادة ثقة الناس بدين الله عزوجل ، وربطهم بكتابه الخالد ، وتبصيرهم بالخير الذي جاء به ، ولفت أنظارهم إلى المحاسن التي اشتمل عليها ، وإلى ما فيه من البراهين الساطعة التي تقوم بها الحجة على الناس ، ويلزمهم الخضوع لها وما فيه أيضاً من الهدى الذي به فلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأن الناس - بدون العودة إلى الوحي الإلهي - لن يفلحوا أبداً ، ولن تدركهم رحمة الله سبحانه ، وأن الإنسان لا يستطيع الاكتفاء بعقله لإدراك المضار والمنافع ، والمصالح والمفاسد ، إذ لو كان العقل كافياً لإدراك ذلك ، والأخذ بيد الإنسان إلى شاطئ الأمان والسلامة ، لوكل الله سبحانه الإنسانية إليه ، ولما أرسل رسله ، ولا أنزل كتبه ، وها نحن نشاهد الكثير من الأنظمة والقوانين تسقط وتتغير بين فترة وأخرى .

وما ذلك إلا دليل على قصور العقل البشري ، وأنه غير قادر على تحقيق السعادة والرخاء للبشرية . وهنا يجب التنويه على أنه يجب أن لا ينخدع المسلمون ببريق الحضارة الغربية ، وضخامتها المادية ، فذلك ليس مقياساً للحياة الكريمة المطلوبة للإنسان إذ أن السعادة والطمأنينية لا تدرك بضخامة المادة وحدها ، كما أنه لا يمكن إطلاق الحكم على الحياة بأنها الحياة التي تستقر عندها النفس الإنسانية ، من خلال الحضارة المادية التي نمت وسائلها في الفترة الأخيرة .

(١) زين محمد شحاتة ، بناء برنامج في الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩ في البرنامج .

وفيما يلي نتعرف على بعض الآيات القرآنية التي ظهر إعجازها ، لعل هذا يقنع البعض من شبابنا المفتون ، الذين يرون في الحضارة الغربية وما يدعوونه من علمية وحياد وموضوعية قدوتهم وقبلتهم فلا يؤمنون إلا بما قالت ، ولا يصدقون إلا بما أنتجت . قال تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون » (١) ، فالآية تشير إلى أن الجبال تتحرك كما تتحرك السحاب.

ومعلوم أن السحاب لا يتحرك بذاته ، ولكن ينتقل محمولاً على الرياح ، فكذلك الجبال تمرّ بسرعة محمولة على الأرض ، فالأرض هي المسرعة بها كما تسرع الرياح بالسحاب وفي هذا إثبات لحقيقة علمية وهي دوران وحركة الأرض وقال سبحانه « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » (٢)

اكتشف علماء الكيمياء والنبات في الفترة الأخيرة أن مصادر الوقود جميعاً ترجع في أصلها إلى تلك النقطة الخضراء الموجودة في النبات ، فهذه النقطة الخضراء تخزن من وقود الشمس في أجزاء النبات وتحوله إلى مواد نباتية ، يسهل أكلها أو حرقها ، وإخراج الوقود الكامن من تلك الأجزاء ، واتضح أيضاً أن البترول ما هو إلا عبارة عن مواد متحولة من نبات مطمور بالتراب والصخور أو حيوانات تغذت على نباتات وأخذت من النبات الوقود ، وهنا ندرك أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها من الشجر الأخضر ، والقرآن قرر هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً فكيف يدعي البعض أن القرآن من قول محمد عليه السلام وهو لم يكن ليدرك مثل هذه الأمور نظراً لأميته ، ولمحدودية العلم في وقته .

ومن آيات الإعجاز العلمي في عالم الحيوانات قوله تعالى « وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين » (٣) ، فهذه الآية تبين أن اللبن الذي نشربه ويشتمل على فوائد كثيرة يخرج من بين شئيين لا يستصيغهما الإنسان وهما الفرث والدم ، فالفرث هو الغذاء المتخمر ، له رائحة غير طيبة ، والدم لا يقبل الإنسان السوي أن يشربه ، ومع ذلك يخرج من بينهما هذا اللبن نقياً خالصاً ، ومن إعجاز القرآن العلمي في مجال عالم الإنسان قوله تعالى « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك » (٤) في هذه الآية يخبرنا القرآن منذ نزوله أن الجنين له ثلاثة أغشية أسماها ظلمات لأن الغشاء حاجز وحاجب يمنع عنه النور والضوء ، والعلم الحديث أثبت مؤخراً أن هذه الأغشية لا تظهر وتتضح إلا من خلال التشريح الدقيق وتحتاج إلى أجهزة دقيقة ، وعندما يشاهدها الإنسان بالعين المجردة تبدو له وكأنها غشاء واحد فقط .

(١) سورة النمل ، الآية ٨٨ .

(٢) سورة يس ، آية ٨٠ .

(٣) سورة النحل ، آية ٦٦ .

(٤) سورة الزمر ، آية ٦ .

ويقول سبحانه « اقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق » (١) ، اكتشف العلم حديثاً وبواسطة الأجهزة الدقيقة أن مني الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى « بالحيوانات المنوية » كل منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها ، فهذا في نظر علماء الطب اكتشاف حديث ، بينما القرآن يقرر ويؤكد على هذه المعجزة منذ مئات السنين فمن يا ترى علم محمد عليه السلام بهذه المعجزة وغيرها ؟ ويستمر القرآن الكريم في عرض بعض المعجزات في عالم الإنسان ، وفي هذا يقول سبحانه « بلى قادرين على أن نسوي بنانه » (٢) ، في هذه الآية إشارة إلى حقيقة علمية كبرى أفادت البشرية ، وجنبتها الكثير من المتاعب والمصاعب ، ولم يكتشفها العالم إلا في أواخر القرن الماضي (١٨٨٣م) أي بعد نزول القرآن بمئات السنين . فما هي يا ترى هذه الحقيقة العلمية ؟ إنها البصمة المميزة لكل إنسان ، ولا يوجد تشابه فيها بين اثنين من البشر لذا فعند حصول جريمة معينة يلجأ رجال الأمن إلى أخذ البصمات من المشتبه بهم ، ومطابقتها بالبصمات الموجودة في موقع الجريمة ، ونعود ونسأل من علم محمد عليه السلام هذه المعجزة؟

ويقول سبحانه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » (٣)

هذه الآية تشير إلى حقيقة علمية ، لم يلتفت لها العلماء إلا حديثاً وهي أن كل أعصاب الإحساس توجد تحت الجلد مباشرة وأن هذه الأعصاب هي التي تشعر بالألم وتجعل الإنسان يحس به وينتقل عبرها إلى المخ . هذه بعض معجزات القرآن الكريم في المجال العلمي ، وكما سبق القول إنه يجب أن لا نربط بين هذه الحقائق والقرآن فالأولى متغيرة ولا تستقر على حال والثاني ثابت وغير قابل للزيادة أو النقصان وأما ذكرنا لما سبق فهو من باب الاستثناس ، لعل ذلك يلفت انتباه بعض الغافلين أو المعاندين ممن لا يرون حقائق قرآنهم ودينهم ويمرون عليها مروراً سريعاً.*

ومن هنا نصل إلى تعريف القرآن الكريم ، ومن أحسن التعاريف المميزة له عما سواه أن يقال فيه « هو كتاب الله تعالى المنزل على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للهداية والإعجاز بأقصر سورة منه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا نقلاً متواتراً ،

عزيزي القارئ : - « قارن بين هذا التعريف ، وبين تعريف السنة النبوية الوارد في الموضوع التالي لهذا الموضوع » ولم يتوفر لكتاب - على مدى التاريخ البشري - ما توفر للقرآن الكريم من العناية والاهتمام سواء في جمعه وحفظه ، وكتابته ، وتلاوته ، وتناقله ، أو في تفسيره وفهمه ونشره وكيف لا يتوفر له ذلك وهو الكتاب الذي ختم الله سبحانه به كتبه وجعله مصداقاً لها ومهيماً عليها

(١) سورة العلق ، آية ٢-١ .

(٢) سورة القيامة ، آية ٤ .

(٣) سورة النساء ، آية ٥٦ .

* الأمثلة التي ذكرت هنا هي اضافة من الباحث ولا توجد في المحتوى الحالي وقد رجع فيها الباحث إلى : -

- زين محمد شحاتة ، بناء برنامج في الثقافة الاسلامية ، مرجع سابق .

- محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، جدة ، الدار السعودية للنشر ، ١٩٨٤م ، ط ٥ .

قال تعالى « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » (١) وقد تكفل المولى بحفظه قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢)، ونزل القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه السلام منجماً (٣)، في نحو ثلاثة وعشرين عاماً على حسب الوقائع والحاجات، وحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وكان أول ما نزل من القرآن صدر سورة «اقرأ» وآخر ما نزل من القرآن - على الصحيح - قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (٤)، وكانت هناك مظاهر عديدة للعناية بالقرآن أهمها : -
- كتابة كل ما ينزل على رسول الله صلى الله عليه السلام من القرآن الكريم، وقد اتخذ لنفسه كُتَّاباً يكتبون عنه ما يوحى إليه منه .

- منع الصحابة رضي الله عنهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن .
- ومن مظاهر عناية المولى بكتابه أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله عليه السلام في رمضان من كل عام فيعرض القرآن عليه، وفي العام الذي توفى فيه عرض عليه القرآن مرتين .
- أما عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن بعد موته عليه السلام فقد سارعوا إلى جمعه على مرحلتين .

المرحلة الأولى : - كانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة وكان فيهم من حفاظ القرآن فخاف أبو بكر أن يموت القراء فيذهب بعض القرآن، وأوكلت هذه المهمة إلى كاتب الوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه فقام بجمعه من صدور الرجال ومن العُسْبُ (٥) واللخاف (٦) وكتبه في صحف وضعت عند أبي بكر وبعد وفاته سلمت لعمر ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم جميعاً .

المرحلة الثانية : - وكانت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان سبب هذا الجمع ما بلغ الخليفة من اختلاف الناس في الأمصار في القراءات وأراد عثمان بهذا أن يجمع الناس على لسان واحد فطلب من حفصة الصحف وكلف أربعة من الصحابة هم : - زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وأمر عثمان أن توزع النسخ على أقاليم الدولة الإسلامية، وأمر بإحراق كل ما خلاف هذه النسخة ليتم بذلك القضاء على منابع الاختلاف والفتنة .

(١) سورة المائدة، آية ٤٨ .

(٢) سورة الحجر، آية ٩ .

(٣) منجماً: أي مفرداً وفوائد ذلك تسهيل حفظه، معالجة كل قضية وحادثتها في وقتها، التسلية والتثبيت للرسول عليه السلام والصحابة .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٨١ .

(٥) العُسْبُ : بضمين جمع عسيب، والعسيب : جريدة النخل وهي العفة مما لا ينبت عليه الخوض .

(٦) اللخاف : حجارة بيض عريضة رقيقة ومفردها لخرة .

ويمكن أن نختم هذا الموضوع بالسؤال التالي : كيف يتعامل الباحث الذي يريد أن يبحث في موضوع معين في القرآن بحيث يكشف عن جميع جوانبه ، ويعرف قصد الشارع ؟ نقول : لمن أراد ذلك لا بد من الآتي :-

- ١- حصر الآيات الواردة في الموضوع مثل آيات الجهاد ، الربا ، الخمر الخ .
 - ٢- معرفة أسباب النزول والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ .
- هذا إلى جانب الإلمام بالآيات التي نزلت في فترات مختلفة ، والرجوع في تفسير بعض الآيات إلى بعضها الآخر . وتبيين له الناسخ من المنسوخ ، استطاع بكل ذلك أن يصل إلى الفهم المتكامل عن الموضوع ، كما تتضح له مقاصد الشريعة ، ويتجنب بذلك مزالق الهوى والجهل أو الحكم على قضية من جانب زاوية معينة ، هذا إلى جانب الرجوع إلى السنة النبوية ، وإلى أقوال المفسرين وأهل اللغة .

الموضوع الخامس : ويتناول المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية :-

سبق القول إن الثقافة الإسلامية لها جانبان جانب معياري يتمثل في شريعة الله المتضمنة في الكتاب والسنة وهذه الشريعة تشمل كل جوانب الحياة من عقيدة ونظام حكم وأخلاق وسلوك وعلوم ومعارف .

والجانب الثاني تطبيقي ويتمثل في تطبيق الجانب الأول تطبيقاً عملياً وواقعياً على كل جوانب الحياة ويمكن القول إن هذين الجانبين يمثلان لب العقيدة وجوهرها ، لذا فالتسليم بها واجب لأن مصدرها رباني ويقصد بالربانية هنا شيئان :-

– ربانية المصدر والمنبع : إن أولى مقومات النظام الإسلامي أنه نظام رباني « صادر من الله للإنسان وليس من صنع الإنسان ، تتلقاه الكينونة الإنسانية بجملتها من بارئها وليست الكينونة الإنسانية هي التي تنشئه ، كما تنشئ ، التصور الوثنى أو التصور الفلسفي - على اختلاف ما بينهما - وعمل الإنسان فيه هو تلقيه وإدراكه والتكيف به وتطبيق مقتضياته في الحياة البشرية» (١) ، وتقتضي الربانية هنا من الفرد المسلم التلقي والإدراك في حدود طبيعته الإنسانية وفي حدود وظيفته ، وهذا ليس انتقاصاً من قدر الإنسان ؟ وإنما هو تكريماً وتقديراً له فهو الذي يطبق هذا النظام ويتعامل معه بصور شتى وتحكمه في كل ما حوله من القيم والأوضاع دون زيادة عليها من خارجها ودون نقص كذلك. (٢)

– ربانية الوجهة والغاية : ويقصد بها هنا « أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حُسْنُ الصلة بالله - تبارك وتعالى - والحصول على مرضاته فهذه غاية الإنسان ووجهة الإنسان

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٢) علي أحمد مذكور ، نظريات المناهج التربوية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة « (١) ، قال تعالى « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » (٢) .

وتأسيساً على ما سبق فإنه يترتب على كون النظام الإسلامي نظاماً ربانياً في مصدره وغايته ، أنه نظام كامل متكامل شامل لا يقبل الزيادة والنقصان صالح لكل زمان ولكل جيل لأنه من صنع الله وما هو من صنعه فلا يتفق ولا يتلاءم مع ما صنعه البشر مهما كانت حضارتهم وثقافتهم . والحديث السابق يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن مصادر الثقافة الإسلامية لمعرفة ما هي المصادر الربانية التي لا تقبل الزيادة والنقصان، وما هي المصادر البشرية التي يمكن من خلالها أن يتحرك العلماء والمجتهدون في إطارها، لاستنباط بعض الأحكام والتفصيلات التي تحتاجها الأمة . وبناءً على ما سبق يمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين : -

القسم الأول : - المصادر الشرعية وتنقسم بدورها إلى قسمين

أ - مصادر أصلية وهي كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .
ب - مصادر فرعية وهي التي تستمد مشروعيتها من المصادر الأصلية السابقة مثل الإجماع ، والاجتهاد والقياس .

القسم الثاني : - المصادر البشرية وهي كثيرة ومتعددة ومنها : -

أ - الخبرة الإنسانية .

ب - العلوم البشرية .

ج - التاريخ الإنساني .

وفيما يلي عرض موجز لهذه المصادر : -

أولاً : المصادر التشريعية : -

(أ) المصدر الأول : القرآن الكريم

يقول أحد الباحثين (٣) أن للتشريعة الإسلامية مصدر واحد هو : -

الوحي الإلهي وهذا الوحي قسمان : -

أ) وحي متلو وهو القرآن الكريم ومعنى أنه « متلو » أنه متعبد بتلاوته .

ب) وحي غير متلو وهو السنة النبوية .

ويضيف أنه « من نعمة الله على المسلمين أنهم وحدهم يملكون المصدر الوحيد الذي يتضمن كلمات الله تعالى الخاتم للبشر ، سالمة من كل تحريف أو تزيف أو زيادة أو نقصان ، وذلك هو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولم يزل كما أنزله الله على قلب محمد ، وكما لقنه

(١) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٢) سورة الإنشقاق ، آية ٦ .

(٣) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ، ط ١ ، ص ٣٥ .

لأصحابه وتلقاه عنهم من بعدهم جيلاً بعد جيل محفوظاً في الصدور مكتوباً في المصاحف متلوّاً بالألسنة مسموعاً في المساجد والمدارس والمنازل محوطاً بكل معاني التكريم « (١) ، وأيضاً يدرك المتتبع لتاريخ الرسل والرسالات أن المولى سبحانه لم يرسل رسولاً أو نبياً إلا ومعه أدلة مادية ومعنوية ليحاج به قومه ، ويبين لهم صدق نبوته ورسالته ، والكثير من الأنبياء كانت أدلتهم مادية أذهلت من رآها مثال ذلك قصة إبراهيم مع قومه عندما القوه في النار فكانت له برداً وسلاماً وقصة موسى عليه السلام مع فرعون وكذا بقية الأنبياء عليهم السلام ، ولكن المولى لم يشأ لحكمة يعلمها أن يجعل معجزة آخر الأنبياء حسية تذهل من يراها وتستعجل إيمانه ، كما شاء سبحانه أن تكون رسالته عليه السلام عالمية إلى الأمم كلها وللأجيال قاطبة وهذا يقتضي أن تكون المعجزة خالدة وباقية ما بقي الإنسان فكانت معجزته عليه السلام القرآن الكريم الكتاب المفتوح والمنهاج المرسوم ، الذي يستمد منه أهل كل زمان ومكان ما يصلح حياتهم ويلبي مطالبهم ويقودهم إلى الخير والحق. لذا فقد كان المولى براعي أحوال الناس في كل مرة ينزل فيه الوحي وهذا واضح من خلال نزول القرآن على مرحلتين هما : -

أ - **المرحلة المكية** : - وهي المرحلة التي نزل فيها القرآن في مكة قبل الهجرة وكان التركيز في هذه المرحلة على العقيدة ونبذ الشرك .

ب - **المرحلة المدنية** : - وهي المرحلة التي نزل فيها القرآن في المدينة فيما بعد الهجرة وكان التركيز هنا على الجوانب التشريعية والمستجدات التي كانت تواجه المجتمع الجديد . وقد تميز القرآن الكريم بإعجازه في كل جانب من جوانبه .

فهو معجز في بنائه التعبيري وترتيبه الفني ، ومعجز في البناء والتناسق والتكامل فلا مصادفة فيه ولا تناقض ، ومعجز في قوة تأثيره على القلوب والفطر السليمة إلى جانب إعجازه في مجالات التشريع المختلفة. والقرآن في مجمله يتجدد إعجازه على مر الأيام والسنين ، فكل من يقرأه يفهم وبصيرة يجد فيه من الأحكام والدلائل والشواهد ما يؤكد أنه من عند الله عزوجل ، فكل مسلم سليم الفطرة يعتبره المصدر الأول للتشريع ، لذا فالمولى قد تكفل بحفظه من التحريف أو الضياع وهياً له من خدمه من العلماء والباحثين قال تعالى « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » (٢).

ب (**المصدر الثاني** : - **السنة النبوية** : - وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الثقافة الإسلامية وقد عرفت بأنها « كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ».

ولقد لقيت السنة من الإهتمام الشيء الكثير في عهد الصحابة حتى اليوم فقد حفظت وتناقلتها الأجيال وسهر عليها العلماء، طلباً وجمعاً وكتابة، وبحثوا في صحيحها وضعيفها ووضعوا لذلك

(١) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ، ط١ ، ص٣٥ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩ .

الضوابط لمعرفة الرواة والمتون والصحيح والضعيف والموضوع والحسن ، ويعتبر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب كتاب «صحيح البخاري» من العلماء الذين خدموا السنة خدمة جلييلة ، واعتبر كتابه هذا أصح كتاب بعد كتاب الله ، وكذا الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب كتاب صحيح مسلم وكذلك بقية أصحاب السنن وقد جاءت السنة لأمر عدة منها : - (١)

- توضيح وبيان للقرآن لأن بعض الأحكام جاءت عامة فخصصتها السنة والمطلق قيدته السنة ، والمجمل فصلته ، ولولا السنة لما عرفنا كيفية الصلاة ولا مقدار الزكاة ، ولا كيفية الصحيحة لأداء مناسك الحج .

- تشريع أحكام جديدة استقلت بها السنة مثال ذلك تحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها أو خالتها .

- توضيح بعضاً من معاني القرآن الكريم مثل بيان المقصود بالمغضوب عليهم في سورة الفاتحة فبينت السنة أنهم اليهود ، وأن الضالين هم النصارى ، وقد تعرضت السنة قديماً وحديثاً لهجوم شديد ممن ينسبون إلى الإسلام ومن المستشرقين الذين حاولوا الطعن فيها ليصلوا إلى هدفهم الأكبر وهو الطعن في القرآن الكريم نفسه ، ولكن الله حفظها من التشويه والتحريف فقيض لها علماء وضعوا الشروط والقواعد لهذا العلم الجليل حتى وصلت السنة إلينا على نوعين : -

- الأحاديث الصحيحة وهي درجات في صحتها وقوتها .

- الأحاديث المردودة وهي درجات فبعضها لا يحتج به وبعضها فيه نظر والتصحيح والتضعيف علم له قواعده وأصوله المبينة في علم مصطلح الحديث وهو العلم بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد (٢)، وقد حرص العلماء على ترتيب السنة ترتيباً منطقياً يساعد طالب العلم والباحث في الوصول إلى مرادهما عند البحث عن أي حديث بأقل وقت وجهد فتم جمع كل الأحاديث التي تتعلق بموضوع معين في باب واحد كباب الطهارة أو الصلاة مثلاً .

وزيادة في خدمة السنة وحفظها وفي التيسير على الباحثين والمهتمين فقد تمت الاستفادة من العلوم الحديثة كعلم الحاسب الآلي فتم إدخال معظم الأحاديث في أشرطة خاصة « دسكات » ورتبت بحسب صحتها وأسانيدها ، ولاشك أن هذا توفيق من الله وتسخير منه لخدمة سنة المصطفى عليه السلام .

- الاجتهاد : - ويعتبر المصدر الثالث من مصادر التشريع وقد أقره عليه السلام في عهده حينما أقر معاذ بن جبل رضي الله عنه على قوله عندما أرسله إلى اليمن فكان مما قاله « اجتهد رأيي ولا ألو » فضرب رسول الله عليه السلام صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » (٣)

(١) جامعة صنعاء ، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الرياض ، منشورات الجامعة ، د.ت ، ط ١ ، ص ١٧٥ .

(٣) رواه أبو داود في السنن ، كتاب الأفضية ، ج ٣ ، ص .

فكان هذا دليل واضح على جواز الاجتهاد فيما لا نص فيه .

ويقسم العلماء الاجتهاد إلى قسمين : - (١)

(١) **اجتهاد فردي** : وهو كل اجتهاد لم يثبت باتفاق المجتهدين على رأي في أمر ما .

وهو عمل فردي توصل إليه مجتهد بعد بحث وتدقيق في الأحكام الشرعية ودليل هذا حديث معاذ السابق .

(٢) **اجتهاد جماعي** : وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد عليه السلام على حكم شرعي

وللاجتهاد شروطه وقواعده عرضها العلماء في أكثر من موضع ويمكن القول إن الاجتهاد لا يمكن الاستغناء عنه في أي عصر من العصور نتيجة للتطورات والأحداث والمستجدات التي تعيشها المجتمعات خاصة في عصرنا الحاضر ، لذا كان لا بد من الإبقاء على باب الاجتهاد مفتوحاً ولكن بشروطه الموضوعية والمحددة من قبل العلماء حتى نضمن أن تعالج كل القضايا والمستجدات التي ليس فيها نصاً صريحاً في الكتاب أو السنة ،

كما أن إقرار الشريعة لمبدأ الاجتهاد يعتبر من السعة والمرونة التي تتميز بها هذه الشريعة فرغم ثبات مصادرها الرئيسية إلا أن هناك مصادر يستطيع من خلالها العلماء والمجتهدون الوصول إلى حكم شرعي مبني على اجتهادهم ورأيهم .

- الإجماع : - ويعرفه كثير من الأصوليين بأنه « اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه

وسلم في عصر من العصور على حكم شرعي » (٢)

وهذا النوع من الإجماع لا يستطيع أحد الجزم بحصوله خاصة بعد انتشار الإسلام وخروجه عن نطاق مكة والمدينة وكثر العلماء والمجتهدون وتفرقوا في أماكن شتى من العالم الإسلامي فصعب جمعهم في مكان واحد ووقت معين لأخذ رأيهم في مسائل معينة .

والإجماع عند الرعيل الأول من الأئمة يطلق على ما علم من الدين بالضرورة وعندما سئل الإمام الشافعي : هل من إجماع ؟ قال : - « نعم بحمد الله كثير في جملة الفرائض التي لا يسع جهلها ؟ فذلك الإجماع هو الذي لو قلت : أجمع الناس لم تجد حولك أحداً يعرف شيئاً يقول لك : هذا ليس بإجماع فهذه الطريقة التي يصدق بها من ادعى الإجماع، وفي أشياء من أصول العلم دون فروع » (٣) وهناك أيضاً مصادر فرعية أخرى منها القياس والاستحسان والعرف والاستصحاب ومذهب الصحابي ، وشرع من قبلنا .

وتبقى المصادر البشرية وهي كثيرة ومنها ما يلي : -

(١) علي حسب الله ، أصول التشريع الإسلامي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦م ، ط ٥ ، ص ١١٥ .

(٢) محمد سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(٣) الشافعي ، كتاب الام ، ٢٥٧/٧ .

اللغة العربية :-

تعتبر اللغة وعاء الثقافة ووسيلتها الأولى في التعبير وتسهم اللغة في تسهيل العمل الجماعي ، وتنظيمه بشكل يتناسب مع قيمة الإنسان الذي ميزه الله بالنطق ليختلف بهذه الصفة عن سائر المخلوقات . هذا إلى جانب كون اللغة وسيلة هامة من وسائل الإتصال بين أعضاء المجتمع من جهة ، وبينهم وبين المجتمعات الأخرى من جهة ثانية وعن طريقهما تنتقل الخبرات والثقافات والتجارب بين الأمم .

وتزداد أهمية اللغة العربية على وجه التحديد لكونها لغة القرآن الكريم ، واختارها المولى لتكون وسيلة وأداة لنشر خاتم الأديان ، وبعث بها خاتم المرسلين ، وبهذا تصبح اللغة العربية لغة متعبد بها ، ولها أهميتها الدينية والقومية والاجتماعية قال تعالى « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (١) ، وإجمالاً يمكن القول إن هناك علاقة قوية بين الثقافة واللغة فالأولى عبارة عن تنظيم يشتمل على مظاهر عديدة من الأفعال والأشياء والأفكار والمشاعر يعبر عنها الإنسان عن طريق الرموز ، وذلك بفضل اللغة التي يتعامل معها ويفضل هذه الصفة الرمزية أصبح من السهل انتقال الثقافة من إنسان إلى آخر ومن جيل إلى جيل (٢).

التاريخ والحضارة الإنسانية :-

يتصور البعض أن الإسلام يمنع المسلمين من الاستفادة مما عند الآخرين من تجارب وخبرات وعلوم، وهذا تصور غير صحيح ومرفوض لأن أفعال الرسول عليه السلام وأصحابه تثبت أنهم استفادوا من تجارب وخبرات الآخرين .

ويشير أحد المهتمين إلى أن الخبرات والتجارب الإنسانية ليست شراً كلها ينبغي تجنبها واعتبارها في الخط المعادي للإسلام ومما قاله « إن الخبرة البشرية في أنشطتها الوضعية ليست شراً كلها ، وهي ليست نسيجاً من الأخطاء التي يتخللها صواب ، كما قد يخيل للبعض ، إنها محاولة للكشف قد تصل وقد لا تصل وهي عندما تصل تمنح العقل البشري في العالم إضاءة جديدة للمسيرة التاريخية والشكل الحضاري ، فإن حدث وإن جاء هذا الكشف مطابقاً للمعطيات القرآنية وحاول امرؤ ما أن يؤشر عليه فليس معنى ذلك إحالة تلك المعطيات الإلهية على كشوف الوضعيين واستجداء الرضا والقبول من أصحابها ، فهذا لا يخطر على بال لأنه نقيض البدايات الإيمانية ابتداءً ، وإنما هي محاولة التحدث باللغة التي قد تقنع حشوداً من أتباع المذاهب الوضعية وأفواجاً من المعجبين بهذه النظرية أو تلك في تفسير التاريخ. » (٣)

(١) سورة يوسف ، آية ٢ .

(٢) محمد الهادي عفيفي ، في أصول التربية ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٣) عماد الدين خليل ، رؤية إسلامية في قضايا معاصرة ، كتاب الأمة ، سلسلة تصدرها وزارة الأوقاف القطرية ،

ويتأكد مما سبق أن الثقافة الإسلامية لها مفهومها في الاستفادة من التاريخ والخبرات الإنسانية بما لا يتعارض مع مصادرها وخصائصها ، وبما يتفق مع نظرتها لطبيعة الإنسان والكون والحياة . ومن هنا نلاحظ مرونة الإسلام وتعاطيه مع كل ما يمكن أن يستفاد منه من معطيات وخبرات وتجارب تفيد البشرية وأنه لا يحجر على العقل المسلم ويحصره في دائرته فقط ، وإنما يدعو إلى التطلع والبحث عن ما في الكون . وما لدى الآخرين من مفردات حضارية يمكن أن تفيدي في نهضة الأمة وتقدمها .

الموضوع السادس : ويدور حول مفهوم الإسلام للعبادة :-

قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (١) ، يريد الإسلام من خلال هذه الآية أن يجعل الحياة في - شكلها وجوهرها - عبادة لله عزوجل ، وليس معنى ذلك أن المطلوب من الفرد المسلم ليحقق مفهوم العبادة أن يعتكف في المسجد عابداً أو ناسكاً أو يواصل الصيام طوال الدهر وإنما معنى ذلك أن كل ما يأتيه الإنسان ، وكل عمل يدعه الإنسان يجب أن يتوفر فيه أمران :-
 - أن يكون العمل أو الترك موافقاً لما جاء في القرآن أو السنة .
 - أن يريد الإنسان بعمله أو بتركه وجه الله .

فإذا كان الأمر كذلك فالحياة بالنسبة للفرد هي عبادة (٢) وقد أدرك شيخ الإسلام ابن تيمية سعة هذا المفهوم وقال « إن العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل والمملوك والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادات » (٣)
 العبادة إذاً تشمل كل الأعمال الصالحة ما دام قصد بها وجه الله وليست كما يتصور البعض من أن هناك أعمال دينية محضة يؤجر الإنسان على فعلها كالصلاة والصوم وبقية العبادات وأعمال دنيوية محضة ليس لها علاقة بالعبادة كالعمل ، والعلم وبقية مجالات الحياة الأخرى وهذا التصور غير صحيح ويخالف الشرع الحكيم كيف لا يكون كذلك والرسول عليه السلام يؤكد أن المرء يؤجر حتى على العلاقة المشروعة بين الزوجين قال عليه السلام فيما رواه مسلم في حديث طويل « وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » ، فهنا نجد أن الأمر المباح ينال به المؤمن أجراً لأنه يتعلق به ترك الحرام وكذلك الأكل والشرب وبقية الأعمال إذا قرنت بنية . وهنا ينبغي التأكيد على النهي عن الابتداع في العبادة قال عليه السلام « من أحدث في أمرنا هذا ما

(١) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(٢) عبدالحليم محمود ، الإسلام والإيمان ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ، ١٩٨٤م ، ط١ ، ص ٦٨ .

(٣) أحمد بن تيمية ، العبودية ، ص ٣٨ .

ما ليس فيه فهو رد « (١) وقال « كل بدعة ضلالة » (٢) وعرف الشاطبي البدعة بقوله « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك ما يقصد بالطريقة الشرعية. » (٣) ومما يؤسف له أن نجد من يروج ويتبنى البدع والخرافات في الفكر الإسلامي حتى أن البعض اسقطوا عن أنفسهم بعض العبادات ، ومنهم من ادعى أنه يعبد الله والله يعبد كابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود فقال :

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده (٤)

وما علم هذا وأمثاله أنهم بالعبادة الخالصة لله عزوجل يتحررون من كل ما سوى الله وأن المؤمن إذا أخلص في عبادته وتوجهه إلى الله فانه يتحرر ولا يسترق لشهواته ونزعاته ويكون غايته رضا ربه فلا المال يغيره ولا السلطان يرهبه ويمكن القول إن ما ينطبق على الأفراد ينطبق أيضاً على المجتمعات والدول قال عليه السلام « إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » (٥) إن المسلم عندما يقرأ هذا الحديث ويقارنه بحال المسلمين اليوم يحزن ويتألم لما يجد من بون شاسع بين أحوال المسلمين وبين هذا الحديث الذي هو دعوة صريحة من الله للبشر بأن يتحرروا من كل شيء سوى الله وأن يستعينوا به وحده ويسألوه وحده ، إن الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات يجب أن يذكروا هذا التوجيه النبوي وهم يستجدون قوتهم وعيشهم وأمنهم من غيرهم . وفي ختام الحديث عن مفهوم الإسلام للعبادة يرى الباحث أن يُذكر بأهم الجوانب التي ينبغي أن يراعيها كل فرد مسلم حتى يحقق مبدأ شمولية العبادة لله : - أن يعتقد الفرد المسلم أن الإسلام دين شامل وكامل لكل نواحي الحياة فليس في الإسلام المبدأ القائل بأن ما لقيصر لقيصر وما لله لله . - أن يدرك الفرد المسلم أن الإسلام قد نظم له سلوكه ومعاملاته وعواطفه وغرائزه . - أن يدرك المسلم الغاية من وجوده متذكراً وملتزمًا بقوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون » (٦)

- أن يدرك الفرد المسلم أهمية الإخلاص والنية في العبادة .
- أن ينبذ الفرد المسلم كل البدع والخرافات التي يحاول البعض إلصاقها بالإسلام .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب العلم مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .

(٣) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، الاعتصام ، تحقيق أحمد عبدالشافي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م ، ط ١ ، ص ٣٧ .

(٤) ابن عربي ، فصوص الحكم تحقيق أبو العلا عفيفي ، بيروت ، ط ١٩٨٠م ، ط ١ ، ص ٨٣ .

(٥) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٦) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

– أن يدرك الفرد المسلم أن من مقتضيات العبادة طاعة الله والإمتثال لأوامره فإنه كما أمرنا بالصلاة والصيام فقد أمرنا بتحكيم كتابه وسنة نبيه عليه السلام قال تعالى « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (١)

– أن يدرك الفرد المسلم أن الإيمان بالله عاطفة فطرية مغروسة في ضمير ووجدان كل فرد قال عليه السلام « كل مولود يولد على الفطرة. »
وكما يقول العلماء إن الفطرة هي دين الله عزوجل .

– أن لا يتردد المسلم في أداء واجباته اليومية من وظيفة وطلب علم ومساعدة محتاج أو دفع أذى عن الآخرين بحجة أنها لا تفيده عند الله عزوجل ، وعليه أن يدرك أن المساهمة في كل مجالات الحياة هي عبادة لله إذا حقق الشرطين اللذين سبق ذكرهما في بداية الموضوع .

– أن يتأكد لدى الفرد المسلم أن العبادة ليست مظهراً فردياً أو خاصة من خواص المجتمع الإسلامي فقط ، إنما هي مظهراً من مظاهر التجمع الإنساني منذ بداية الخليقة لذا نجد أن هناك تجمعات إنسانية تعبد البقر أو الشمس أو القمر ، أو تعبد بعض المظاهر الكونية الأخرى بحجة أنها تنفع أو تضر ، وهنا يجب أن يدرك الفرد المسلم نعمة الله عليه وأنه وفقه وأرشده إلى الطريق الصحيح فعرف ربه وعبده على بصيرة وباقتناع وبدون واسطة أو تدخل من أحد .

الموضوع السابع : ويتعلق ببيان جوانب الإسلام الثابتة وجوانبه المتغيرة :-

إن المتتبع للثقافة الإسلامية بجوانبها المختلفة يجب أن يفرق بين جانبين هما :-
– الجانب العقائدي المتمثل في الكتاب والسنة وما جاء فيهما من تعاليم ونظم وتشريعات وهذا الجانب يمكن أن يطلق عليه مرجعية حاكمة وملزمة .

– الجانب الاجتماعي ويشتمل على جانبين هما :-
أ – الجانب الفقهي الذي هو محل اجتهاد البشر لمواجهة مستحدثات ظهرت في زمن ما .
ب – الجانب التاريخي والمتمثل في سلوكيات المجتمع المسلم حكماً ومحكومين .

وفيما يلي عرض موجز لهذين الجانبين :-

أولاً - الجانب العقائدي :-

يتكون الجانب العقائدي في الإسلام من ستة أركان كما وردت في الحديث المشهور وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهي أركان مترابطة مع بعضها البعض ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر والركن الأول ترتبط به بقية الأركان ارتباطاً صدور وغاية لأن الإيمان بالله ذاتاً وصفاتاً هو جوهر العقيدة ولبها ومن أجل هذا الجانب أنزل الله الكتب وأرسل الرسل من أجل أن يدرك البشر حقيقة الإيمان ويهتدوا إليه بفطرتهم السليمة .

ومن خاصية هذا الجانب الثبات ويسمى أحد الباحثين (١) هذه الخاصية بأنها خاصية « الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت » وهذا يعني أن هناك ثبات في مقومات النظام الإسلامي الأساسية وهذا الثبات مستمد من كون هذا النظام رباني صادر من عند الله وتنحصر وظيفة الإنسان فيه على التلقي والاستجابة والتكيف والتطبيق في واقع الحياة ، وبما أنه ليس نتاج فكر بشري وأنه هبة من خالق الإنسان للإنسان بما أنه كل ذلك فهو يتميز بأنه نظام يقوم على « الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت » وأي تغيير في طبيعة الحياة وأمطها المختلفة لا بد أن يظل مرتبطاً ومحكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا النظام .

وتأسيساً على ما سبق فالإسلام يرى أن الحياة الإنسانية بكل معطياتها ليست كلها ثابتة وليست كلها متغيرة ، فالجانب الثابت يشتمل على كل ما يتعلق بالألوهية كحقيقة الإيمان بوجود الله ووحدانيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بالملائكة والكتب والرسل والقدر. وهذه الأركان يمكن تسميتها بالمقومات الثابتة وهي غير قابلة للتعديل وغير قابلة للتطوير « لأنه بها يأخذ ملامحه المستقلة التي جاء ليطبّعها في الضمير البشري وليقيم عليها منهجه الواقعي ونظامه العلمي وليحول بها خط سير التاريخ الانساني وليعلن بها ميلاد « الإنسان الجديد » اذا يُعلمه إلغاء عبودية الإنسان كما يعلمه إلغاء عبودية الإنسان للأشياء والأحياء في كل صورها وأشكالها ، وذلك بإعلان عبودية الإنسان لله وحده بلا شريك ومن ثم لم يكن بد من ثبات تلك المقومات كي لا تترد البشرية بعدها إلى التيه الذي لا دليل فيه وقد جاءها الإسلام ليخرجها من ذلك التيه وليضع لها الموازين التي ترجع إليها بجملة تصوراتها ومناهجها. » (٢)

الجانب الاجتماعي :-

وهذا الجانب يمكن تسميته بالجانب المتغير ويتضمن الأوضاع والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وسلوكيات الناس وعاداتهم وتقاليدهم والدارس للثقافة الإسلامية وفقهها وتاريخها يجد اتساع منطقة « العفو » أو الفراغ التي تركتها النصوص قصداً لاجتهاد المجتهدين في الأمة ليملئوها بما هو أصلح لهم وأليق بزمانهم وحالهم ، مراعين في ذلك المقاصد العامة للشرعية مهتدين بروحها وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن وأن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكن عفا الله عنها والله غفور حلِيم. » (٣)

وسميت منطقة العفو أخذاً من الحديث الشريف الذي رواه سلمان « ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً » (٤) ثم تلا « وما كان ربك نسياً » (٥) وهذا يدلنا على اتساع منطقة العفو وإنها

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - فصل الثبات ، مرجع سابق .

(٢) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٣) سورة المائدة ، آية ١٠١ .

(٤) رواه البيهقي .

(٥) سورة مريم ، آية ٦٤ .

مقصودة من الشارع الحكيم الذي أراد لهذه الشريعة العموم والخلود والصلاحية لكل زمان ومكان وحال (١) وهذا واضح من خلال تغيير الفتوى لبعض العلماء من وقت لآخر ومن بلد إلى بلد بما يتفق والمستجدات الطارئة وهكذا يرى الإسلام « أن هذا التغيير لا ينبغي أن يكون منفلاً من كل قيد وإنما تحكمه في تغييره القيم الثابتة ، أو الجانب الثابت في حياة الإنسان فتضبط منطلقاً في الأرض دون أن توقف حركته أو تعوقها وتمنع من حياته الخلل والاضطراب وأن الشريعة الربانية قد روعي فيها - من لدن منزلها سبحانه - أن تستجيب للجانبين معاً على نحو معجز ففي الجوانب الثابتة تعطي الشريعة تفصيلات ثابتة غير قابلة للتغيير ، وفي الجوانب المتغيرة تعطي أصولاً عامة ثابتة ، وترك للعقل البشري المؤمن أن يجتهد بما يراه محققاً للمصلحة. » (٢)

وفي ختام هذا الموضوع ينبغي أن نشير إلى أن الإسلام يرفض الفصل الجذري بين الأمور العقائدية « الجوانب الثابتة » وبين الأمور الدنيوية « الجوانب المتغيرة » ويقبل التمييز بينهما على أساس أن هناك علاقة بين الإنسان وربّه والأصل فيها الاتباع وتمثل في العقائد والعبادات التي يؤمن بها الإنسان ويؤديها وعلاقة بين الإنسان والإنسان ، والأصل في هذه العلاقة أنها متغيرة بطبيعتها وقال البعض أن الأصل فيها الابتكار والابتداع من قبل الإنسان في إطار الثوابت .

الموضوع الثامن :- ويدور حول التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية: (٣)

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي منذ البداية يدرك حجم المؤامرات وقدمها من أجل النيل من هذا الدين وتشويهه أمام الآخرين بل والقضاء عليه إن أمكن لهم ذلك، فهذا هو حامل اللواء الأول عليه السلام يُطرد من مكة ويضطهد ويوصف بأنه ساحر ومجنون ، إذلاً فلا غرابة أن يستمر هذا العداء ما استمر هذا الدين وهذا العداء أخذ أشكالاً عدة فتارة يأخذ شكلاً عسكرياً وتارة أخرى يأخذ شكلاً ثقافياً وحضارياً وفكرياً .

وفيما يلي نحاول الحديث عن هذا الغزو بنوعيه العسكري والثقافي :-

أولاً- الغزو العسكري :- وبدأ هذا الغزو حين بدأت الحروب الصليبية بدعم وتأيد من أكابر رجال الدين النصراني ومن أكابر زعمائهم وكتابهم وتحقق لهم النصر والغلبة على المسلمين فقتلوا وشردوا وهتكوا الأعراس دون رحمة أو هوادة ، وتذكر كتب التاريخ أنهم قتلوا في المسجد الأقصى أكثر من سبعين ألف مسلم ، ولكن بعد فترة أدرك المسلمون خطورة الوضع ودافعوا عن دينهم وديارهم

(١) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ - ١٤١ .

(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج ٢ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨١ ، ط ١ ، ص ٣٢٠ .

(٣) انظر كلاً من :-

- علي جريشه ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ م ، ط ٣ .

- جامعة صنعاء ، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق .

- جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق .

حتى تحقق لهم النصر في معركة حطين ثم بدأ العدو يدرك أن الغزو العسكري لن يجدي في إخضاع المسلمين فكان لابد من التفكير في غزو آخر يعتمد على أساليب ماكرة ومسميات براقة حتى يستطيعوا التآمر على الخلافة الإسلامية سياسياً وعسكرياً واجتماعياً وكان لهم ذلك .

ففي المجال السياسي اجتمعت فرنسا وانجلترا وحلفائهما وعقدتا اتفاقاً ينص على تقاسم العالم الإسلامي وسمي ذلك الاتفاق « سايس بيكو عام ١٩١٦ » .

وفي المجال العسكري تأمرت تلك الدول مع حلفائها ممن يحسبون على الإسلام من أجل إسقاط الخلافة العثمانية .

وفي المجال الاجتماعي سعى الأعداء إلى نشر الانحلال والفرقة بين المسلمين وفي نهاية المطاف تهيأت لهم الظروف وسقطت الخلافة على يد الخائن (كمال أتاترك) ليبدأ الغزو بعد ذلك يأخذ شكلاً آخرًا وأسلوباً جديداً .

ثانياً - الغزو الثقافي « الحضاري » :-

وأخذ أشكالاً وأساليب ومسميات عدة فيما يلي عرض موجز لبعضها :-

١- الاستشراق :- وهو ذلك التيار الفكري الذي يحاول معتنقوه الاهتمام بدراسة علوم العالم الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية داخل المجتمعات الإسلامية ، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .

بدايته :- ومن الصعب تحديد بداية الاستشراق إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس في حين يقول آخرون أنه لم يبدأ إلا أيام الصليبيين أما ظهوره بشكل رسمي في أوروبا فكان سنة (١٧٧٩م) في إنجلترا ، و(١٧٩٩م) في فرنسا وأدرج ضمن قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٨م).

اتجاهات الاستشراق :- ويمكن حصرها في ثلاث اتجاهات هي :-

- اتجاه علمي موضوعي :- ومهمة هذا الاتجاه البحث عن الحقيقة من خلال دراسة علوم الشرق المختلفة وكانت هذه هي بداية الاستشراق وكان فيه نوع من التجرد والموضوعية حتى أن البعض منهم دخل في الإسلام أمثال اللورد « هيدلي دينه » وهو فرنسي عاش فترة في الجزائر ودفن فيها وتسمى بناصر الدين والشاعر الألماني « جوتيه » والدكتور « جرينه » عضو مجلس النواب الفرنسي ، وفي الفترة الأخيرة الدكتور جارودي الفرنسي .

- اتجاه صليبي متعصب :- يحقد على الإسلام ويشوه صورته لدى المسلمين بقصد زعزعة إيمانهم ثم لدى غير المسلمين لصدهم عن الإسلام وهذا الاتجاه هو الغالب على أكثر المستشرقين أمثال « جولد زيهر » وهو يهودي مجرى من كتبه (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) وكذلك « زويمر » وهو مستشرق و مبشر ، وأسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية ، وغيرهم كثير .

- اتجاه دفاعي :- وهذا الاتجاه مرتبط بالاتجاه الثاني وهدفه الواضح هو إبراز محاسن المجتمعات

الغربية وثقافتها وتشويه المجتمعات الإسلامية وثقافتها • والاستشراق بشكل عام له أهداف كثيرة منها الدينية والسياسية والاقتصادية ، ومن أهدافه الواضحة : -

- التشكيك في صحة رسالة محمد عليه السلام والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من أقوال الصحابة في القرون الثلاثة الأولى .

- التشكيك في صحة القرآن نفسه .

- التقليل من قيمة الإنتاج الفكري الإسلامي المتمثل في الفقه والتفسير واعتبار ذلك مقتبس

من الرومان .

- النيل من اللغة العربية والتقليل من شأنها ، والاهتمام باللهاجات العامية .

- اضعاف روح الإخاء بين المسلمين وتفرقتهم لإحكام السيطرة عليهم .

وقد اهتم هؤلاء بالكتابة في الصحف والمجلات والكتب وشاركوا في المؤتمرات والندوات والمحاضرات ومما يؤسف له أنهم قد حققوا الكثير من أغراضهم حتى أن البعض من المسلمين تتلمذوا على أيديهم وأصبحوا أكثر عداء وحقدًا على المسلمين والإسلام من أساتذتهم المستشرقين .

٢- التنصير أو ما يسميه البعض بالتبشير : - وهو مصطلح أطلق على فريق من أهل الغرب

الحاقدين الذين يحاولون إخراج المسلمين وغيرهم من دينهم وإدخالهم في النصرانية .

بدايته : بدأ بعد فشل الحروب الصليبية ، وكان الغرض منه إدخال المسلمين وغيرهم في

النصرانية ثم تغير هذا الاتجاه وأصبح الغرض هو إبعاد المسلمين عن دينهم وكما قال أحد زعمائهم

«بأنه لا يلزم دخول المسلمين النصرانية فإن ذلك تشريفاً لهم وتكريماً» ، وقد حظى التنصير بدعم

مالي ومعنوي من القوى الصليبية المختلفة وبالمقابل أيضاً وجد من غالبية المسلمين رفضاً ومقاومة

ضد هذا الغزو الجديد ولما أدرك الأعداء ذلك بدأوا بتغيير بعض أساليبهم بعد أن وجدوا صعوبة في

اختراق المسلمين عقائدياً فلجأوا إلى اختراع مسميات جديدة منها العلمانية ، التحديث ، التمدن ،

التغير الاجتماعي ، التحضر ، والغرض من هذه المسميات هو تغيير لون جلدهم التي عرفها

المسلمون وأيضاً التغيير في قيم الإسلام الثابتة إلى قيم ومبادئ جديدة الغرض منها إبعاد المسلمين

عن دينهم .

٣- اليهودية : - هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط

مع بني اسرائيل الذين أرسل الله اليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً .

وقد ورد ذكر اليهود في القرآن في أكثر من موضع ومنها قصصهم مع أنبيائهم ومنهم موسى

عليه السلام الذي ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني في الفترة (١٣٠١ - ١٢٣٤ ق،م) ،

وتربى في قصر فرعون ثم سافر إلى مدين وعمل راعياً عند شعيب وفي طريق عودته إلى مصر أوحى

الله اليه في سيناء «وأمره بأن يذهب هو وأخوه هارون عليهما السلام إلى دعوته هو وقومه ولكن

موسى عليه السلام كُذِّب من قبل قومه وبدلاً من أن يعبدوا الله وحده عبدوا العجل الذي صنعه لهم

السامري ولما أمرهم موسى بالدخول إلى فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له « إن فيها قوماً جبارين وأنا

لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون» (١) فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة مات خلالها موسى عليه السلام ودفن في كثيب أحمر دون أن يدخل فلسطين ثم مات بعده أخوه هارون عليه السلام ويذكر المؤرخون أنه لم يبق من قوم موسى إلا اثنين كان يوشع واحداً منهم .

أفكارهم ومعتقداتهم :-

- يعتقدون بأنهم شعب الله المختار وأن أرواح اليهود جزء من الله وإذا ضرب غير اليهود (الأمي) يهودياً فكأنما ضرب العزة الألهية ، تعالى الله عما يقولون .
- يعتقدون أن الفرق بينهم وبين الآخرين كالفرق بين الإنسان والحيوان .
- يجوز عندهم غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضد ه .
- يقولون إن اليهودية خاصة بهم ولا يجوز لأحد الدخول فيها .
- يقولون إن يعقوب عليه السلام صارع الرب وأن داود عليه السلام قبيح في عين الرب وأن الثواب والعقاب عندهم إنما يتم في الدنيا فالثواب هو النصر والتأييد والعقاب هو الخسران والذل .
- التابوت هو صندوق كانوا يحفظون فيه أعلى ما يملكون من ثروات وموثيق وكتب مقدسة .
- الهيكل هو البناء الذي أمر به داؤد وأقامه سليمان فقد بنى بداخله المحراب أي قدسي الأقداس وفيه مكان يوضع فيه تابوت عهد الرب .
- يوم السبت لا يجوز لديهم الاشتغال فيه لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب - كما يعتقدون بعد خلق السموات والأرض تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - .
- يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد زيارة بيت المقدس مرتين في العام .
- يوم الفصح يبدأ من (١٤) إبريل مساءً وينتهي (٢١) منه وهذه الفترة فترة عيد وهي الفترة التي خرج فيها بنو إسرائيل من مصر ويكون الطعام هنا خبزاً غير مختمر .
- هذه باختصار بعضاً من معتقداتهم الكثيرة .

موقفهم من محمد عليه الصلاة والسلام :-

سبق القول إنهم كذبوا موسى عليه السلام وحاربوا رسالته وحرفوا التوراة وقد استمروا على هذا المنوال في محاربة محمد عليه السلام والتأمر عليه بعد أن عاهدوا ثم نكثوا، تأمروا مع أعدائه وحاولوا قتله أكثر من مرة ولكن الوحي كشفهم وفضح أمرهم وأخرجهم الرسول من المدينة ثم أخرجهم من الجزيرة وقال عليه السلام « لا يجتمع في الجزيرة دينان » ، وظل الحقد في قلوبهم خاصة بعد وفاته عليه السلام وبدأوا بإشعال الفتنة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم أججوها في عهد علي رضي الله عنه فوَقعت بعض الأحداث المؤسفة في التاريخ الإسلامي بسبب هؤلاء الحاقدين واستمروا في التأمر على الإسلام والمسلمين وأنشأوا من أجل ذلك المنظمات والمحافل الماسونية حتى تغير من لونها وتعمل على هدم قيم الإسلام ومبادئه ومن أخطر منظماتهم الماسونية وهي منظمة يهودية

صهيونية الغرض منها التغيرير بغير اليهود وتسخيرهم لخدمة اليهود واليهودية والبعض يرجح بدايتها إلى القرن السابع عشر الميلادي وتُضم تحت لوائها العديدين زعماء العالم العربي والإسلامي . ويستمر التآمر حتى يصل إلى احتلال ثالث الحرمين في فلسطين بتخطيط ومباركة من القوى العالمية الحاكمة التي اجتمعت في مؤتمر بال بسويسرا عام (١٨٩٧م) وقررت أنه لا بد من إيجاد وطن قومي لليهود ومنذ ذلك التاريخ وهم يخططون حتى أسقطوا الخلافة الإسلامية ومن ثم زحفوا على فلسطين واسقطوها عام (١٩٤٨م) في شهر مايو بتآمر دولي وإقليمي .

- المنظمات والوسائل : - يعتمد اليهود على مخططات ومناهج عدة منها : -

أ - المنهج الديني : - يتجمع اليهود تحت مظلة دينية فيحرصون على إشاعة نصوص التوراة

«المحرقة» والتلمود «المختلق» والبروتوكولات التي وضعها زعماءهم . وعندما أقاموا دولتهم في فلسطين كان ذلك على أساس ديني وكان رجال الدين يتقدمون تلك الحروب وعندما جاءوا إلى سيناء كانوا يقبلونها بحجة أنها من الأراضي المقدسة وبرغم أن هذا الاتجاه بين وواضح في تعاملهم مع القضية ، إلا أن الكثير من حكام العرب يتجاهل هذه الحقيقة ويحاول التفريق بين الصهيونية واليهودية والمعتدلين والمتشددين والحمائم والصقور وهذا في الواقع كذب وافتراء فاليهود لا يؤمن لهم جانب ولا يقبل لهم عهد وكيف نقبل منهم العهود والمواثيق وقد نكثوها مع أنبيائهم فكيف سيكون الحال معنا اليوم يا ترى؟

ب - المنهج التنظيمي : - يعتمد اليهود منذ بداية تاريخهم على التنظيمات السرية

ويجعلون لهم فروعاً في أماكن متعددة ويجعلونها قاصرة على اليهود وقد يلحقون غيرهم لاستخدامهم لصالحهم وهذا واضح في الماسونية وتركيبها وتظهر الدقة في تنظيمهم بالطريقة التي وصلوا بها إلى فلسطين خلال الاستعمار الانجليزي فقد وصلوا على شكل أفراد ثم جماعات وبدأوا في شراء الأراضي حتى تمكنوا من احتلال فلسطين وأجزاء أخرى من الوطن العربي .

ج - المنهج السياسي : - ويتبعون سياسة تعتمد على التأثير على الدول القوية فعندما

كانت بريطانيا هي العظمى كان تأثيرهم عليها حتى ساعدتهم في الحصول على فلسطين وفي العصر الحاضر انتقل تأثيرهم على الولايات المتحدة الأمريكية فأصبحت بالنسبة لهم الراعي والحامي والداعم مادياً وعسكرياً ومعنوياً .

د - المنهج الاقتصادي : - نجد أن اليهود يسيطرون على المال والأعمال في أمريكا وفي

الغرب فالبنوك في أيديهم ، والذهب تجارتهم ومن خلال المال يسيطرون على القرارات السياسية ويضعونها لصالحهم .

هـ - المنهج الإعلامي : - ويستخدمونه للتأثير على الدول والأفراد ويكسبون تعاطفهم من

خلال إشعار الآخرين أنهم يتعرضون للقتل والطرده من بلادهم وأن الدول العربية تجتمع ضدهم هذا من جانب ، ومن جانب آخر فهم يسعون من خلال الإعلام إلى نشر الرذيلة والفساد بين الشعوب من خلال الأفلام الهابطة والمجلات المنحلة كيف لا وعندهم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وهكذا نجد أن اليهود لا

يتورعون في عمل أي شيء في سبيل بقائهم ومصالحتهم .

ومن هنا فلا بد للعالم العربي والإسلامي أن يدرك خطورة الوضع والوقوف صفاً واحداً ضد العدو الغاشم الذي أذلهم وشردهم رغم أنهم لا يتجاوزون ثلاثة ملايين نسمة تعيش في فلسطين واثني عشر مليوناً مشردين في أنحاء العالم ، وعلينا جميعاً أن ندرك أيضاً أن المعركة هي معركة بقاء وإننا وإياهم لن نكون على وفاق أو تراض مصداقاً لقوله تعالى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (١)

٤ - الماركسية : - وقد يقول البعض لماذا تتحدثون عن الماركسية مع أنها سقطت في عقر دارها ؟ وهذا فهم قاصر لأننا لو تركنا الحديث عنها وذهبنا نعرض أسباب صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وأن غيره لا يصمد كثيراً فهنا القارئ يحتاج إلى ضرب أمثلة للنظم والنظريات التي سقطت ولماذا سقطت ؟ فكان لابد من عرضها بإيجاز • تعتبر الماركسية مذهب اقتصادي وسياسي واجتماعي سميت باسم راعيها الأول « كارل ماركس » ، وهو يهودي ولد في ألمانيا عام (١٨١٨)م وتوفي سنة (١٨٨٣)م وقد وضع ماركس أسس مذهبه في (المنشور الشيوعي) ثم أفاض في شرحه في كتابه (رأس المال) وأهم المبادئ التي تقوم عليها الماركسية هي : -

- الدعوة إلى الاتحاد فالدين عندهم أفيون الشعوب ولا يؤمنون إلا بالمادة والمبدأ عندهم « لا إله والحياة مادة»

- يفسرون التاريخ تفسيراً مادياً بحتاً ويسمونه بالمادية التاريخية أو الجدلية .

- يرفضون الملكية الفردية والدولة عندهم تسيطر على أدوات الإنتاج وليس للمواطن الحق في امتلاكها .

- يسعون إلى تغيير هذا العالم عن طريق الثورة والصراع الطبقي وصراع الطبقات عندهم يكون حتماً مقضياً ويجب خوضه في كافة الميادين .

- يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لخدمة الرأسمالية والامبريالية والرجعية لذا هدموا المساجد ومنعوا الناس من إظهار شعائر الدين .

- لا قيمة عندهم للعمل أمام أهمية المادة وأساليب الإنتاج .

- الدولة تتمثل عندهم في الحزب والحزب هو الدولة .

- في سبيل بقائهم لا يترددون في ارتكاب أبشع الجرائم ولا يمنع أن يهلك العالم ويبقوا هم .

- يعتمدون على الغدر والخيانة والاعتيالات لازالة الخصوم والمنافسين ولو كانوا من أعضاء

الحزب ، ومن المعروف أن المذهب الماركسي كانت ترعاه دولة الاتحاد السوفيتي سابقاً وانتشر في بعض الدول ومنها للأسف بعض الدول العربية وقد حاربت هذه القوة المسلمين داخلياً وخارجياً ، أما داخلياً فقد منعتهم من أداء شعائر دينهم ومنعتهم من الإتصال بالعالم الإسلامي وغيرت أسماءهم ،

وخارجياً فقد تمثل في أكبر عملية غزو لدولة مستقلة هي دولة أفغانستان. هذا إلى جانب أنها نشرت أفكارها ومبادئها في بعض الدول العربية والإسلامية ولكن الله أذن بزوال هذه القوة وأصبحت اليوم عدة دول وهذا التشرذم والانقسام سهل لبعض الجمهوريات الإسلامية أن تستقل وتحاول العودة إلى دينها من جديد، والمتتبع يذكر قضية الشيشان وما جرى فيها حتى نالت الاستقلال .

وبعد؛ فإن هذا السقوط يشعر المسلمين بالقوة والعزة والثبات فبعد أن كان الاتحاد السوفيتي قوة عظمى مرهوبة الجانب أصبحت اليوم دولة عادية وهذا يعني أن التمكين من الله والقوة والضعف منه ، نسأله سبحانه أن يمكن لهذه الأمة ويعيد لها مجدها وقوتها وهذا لن يتم إلا من خلال التمسك بدينه والدفاع عنه .

٥ - العلمانية : - تعريفها : - العلمانية بالانجليزية (seularism) وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لاصلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي .

ونشأت هذه الدعوة في أوروبا ، ثم انتشرت في أقطار كثيرة من العالم بدعم من الاستعمار واليهود . والتنصير المسيحي، والشيعوية الملحدة وقد ساعد على ذلك ظلم الكنيسة للعلماء والمفكرين حتى أنها كانت تجرم كل من يحاول التفكير والبحث فقتل العديد من العلماء واتهموا بالخروج على الدين ، فثار العديد منهم ضد هذا الظلم وكتبوا العديد من الكتب التي تدعوا إلى الثورة وإلى تحرير العقل وإلى اخضاع الوحي للعقل عند التعارض ، هذا إلى جانب بعض العوامل الأخرى التي مهدت لقيام الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م) وهي أول حكومة لا دينية حكمت باسم الشعب وتبنت المذهب العلماني بشكل رسمي .

هذا وتذكر بعض المصادر أن أول من أدخل العلمانية للعالم العربي هو « الخديوي إسماعيل » عن طريق إدخال القانون الفرنسي إلى مصر عام (١٨٨٣م) ، ثم جاء دور (كمال أتاتورك) الذي أسقط البقية الباقية من رموز الخلافة وحوّل تركيا المسلمة إلى دولة علمانية تحارب الإسلام وشعائره، وما زالت تركيا حتى اليوم تعاني من آثار هذا الظلم فكل من يدعو هناك إلى الإسلام يهاجم ويفصل من عمله ويهدد في حياته حتى وإن وصل إلى الحكم عن طريق الشعب كما حدث مع حزب الرفاه إذ أبعده عن الحكم رغم أنه وصل إليه عن طريق الانتخابات .

الأفكار والمبادئ :-

- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً والبعض يؤمن به ولكنهم ينفون العلاقة بين الله وحياة الناس .

- الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب .

- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي .

- يطبقون مبدأ النفعية « البرجماتية » على كل شؤون الحياة .

- يسعون إلى الإباحية والفوضى الأخلاقية .

– العلمانيون العرب يطعنون في حقيقة الإسلام والقرآن والسنة .
 – يسعون إلى إقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ويحاولون تطبيقها في العالم العربي
 – يزعمون أن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة وأنه يدعو إلى التخلف .
 ما سبق هو عرض موجز لبعض المبادئ والنظريات والمعتقدات التي لها دور في محاربة الإسلام
 والسعي لتقويضه والظعن فيه .
 وهناك الكثير من المبادئ والنظريات والمذاهب لم نتعرض لها منها الوجودية و الماسونية
 والقديانية و القرامطة و البوذية وغيرها، ولمن يرغب التوسع في هذا عليه مراجعة بعض المصادر الواردة
 في نهاية الوحدة ، ويبقى السؤال ما تأثير هذا الغزو على العالم العربي والإسلامي في مجالات الحياة
 المختلفة؟

والإجابة عن هذا السؤال ليست بالسهولة التي يتوقعها البعض فالتحدي واضح والمؤامرة كبيرة
 والهجمة شرسة ولكن حسبنا أن نذكر بعضاً من مظاهر هذا التأثير على المجالات المختلفة
 باختصار شديد .

أولاً: المجال العقائدي : - سعت بعض هذه المذاهب إلى تشكيك بعض المسلمين في دينهم
 وزعزعة عقيدتهم من خلال الطعن في مصادر الإسلام الثابتة القرآن والسنة والظعن في حقيقة النبوة
 ويقولون إن السبب في تخلف المسلمين هو تمسكهم بالعقيدة الإسلامية .

ثانياً: المجال الاجتماعي : - سعت هذه المذاهب إلى نشر الفوضى داخل المجتمع المسلم من
 خلال مصادر متعددة وركزوا في هذا المجال على المرأة والشباب وحقوقهما في الإسلام فزعموا أن
 الإسلام ظلمهما ولم يعطهما حقهما من الرعاية والاهتمام. وقالوا إن الإسلام لم يعد قادراً على مواكبة
 هذه المتغيرات الاجتماعية التي تحدث داخل المجتمع وبالتالي لابد من ثورة على كل القيم والأنماط
 الاجتماعية التي يعيشها المجتمع .

ثالثاً: في المجال الاقتصادي : - رغم ما يملكه العالم الإسلامي من ثروات بشرية مادية
 تتمثل في مصادر الطاقة وفي الزراعة وسعة الأراضي وكثرة عدد السكان إلا أنه يعد اليوم من الدول
 المتخلفة في العالم ومن الدول الفقيرة والسبب في هذا يعود إلى أن الأعداء سيطروا على المال
 والأعمال في بلادهم وفي بلاد المسلمين وأصبح رأس المال العربي والإسلامي مهاجر إلى الشرق أو
 الغرب ، كما سنوا قوانين وتشريعات اقتصادية تخالف قيمنا ومبادئنا .

رابعاً: في المجال السياسي : - سعت هذه المذاهب إلى محاولة فصل الدين عن الدولة
 وأشاعت مبدأ لاسياسة في الدين ولا دين في السياسة وإن كان هذا ينطبق على الدين في الغرب ،
 فلا يمكن تعميمه على الإسلام لأن الفرق بينهما واضح فالإسلام منظومة متكاملة شاملة لكل جوانب
 الحياة فكيف ننزع السياسة من هذه المنظومة المتكاملة ونستورد لها النظريات من الشرق والغرب .
 وللأسف أن البعض من حكام العرب والمسلمين صدق هذه المقولة وأصبح يطبقها في مجال السياسة
 والحكم داخل المجتمع المسلم .

خامساً: في المجال التربوي والثقافي : - سعت هذه المبادئ إلى تقليص دور الدين واللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة وحصره داخل المساجد فقط ، وظنوا أن التطور يأتي بمحاربه وبتحجيمه ، ولم يأخذوا بأسباب البحث والتفكر الذي دعا إليهما القرآن ، كما حصل هناك تغريب لكثير من أبناء المسلمين الذين درسوا في الغرب أو الشرق فعادوا إلى بلادهم وهم يحملون أفكار ومبادئ تلك الدول ويسعون إلى نشرها في المجتمع المسلم .

سادساً: في مجال التشريع والقانون : - وفي هذا المجال سعت الدول الغربية والشرقية إلى تصدير قوانينها ونظمها إلى العالم الإسلامي بهدف السيطرة والاحتواء فامتلات المحاكم ودور القضاء بنظريات غربية وشرقية لا علاقة لها بالمجتمع الإسلامي وزعم هؤلاء أن الدين ثابت وأحكامه كذلك بينما الحياة تتغير فلا بد من مواكبة هذا التغيير من خلال تشريعات ونظم مستوردة ، وما علم هؤلاء أن الشريعة الإسلامية تتميز بالمرونة والسعة وأنها صالحة لكل زمان ومكان وباستطاعتها استيعاب كل التغيرات والتطورات من خلال مصادرها الفرعية من اجتهاد وقياس وإجماع ومصالح مرسله وكل هذا يحتاج إلى علماء ومفكرين يستنبطون الأحكام من مظانها ومصادرها المعروفة وبهذا لا نحتاج إلى استيراد نظم وقوانين شرعية أو غربية .

سابعاً: في مجال الإعلام : - سعت هذه النظريات إلى هدم كل فضيلة في المجتمع المسلم واستخدمت لذلك كل الوسائل والإمكانات فسخرت الإعلام ووسائله لخدمة هذا الغرض فغزت أفلامهم ومجلاتهم الهابطة أغلب العقول والبيوت المسلمة وكان لهذا الغزو أثره الاجتماعي والنفسي على الشباب فتغيرت بعض القيم والعادات والسلوكيات وانتشرت الجريمة وتعاطى المخدرات والانتحار وظهر بعض الشباب العايب الذي يرفض كل فضيلة ويقلد كل ما تقدمه وسائل الإعلام وكان لظهور المحطات الفضائية وما يسمى بالبث المباشر عبر أجهزة الاستقبال دوره الكبير في ذلك، هذا باختصار عرض موجز لما حصل في المجتمع المسلم من خلل وغزو في مجالات الحياة المختلفة من قبل أصحاب ومعتنقي النظريات السابقة ساعدتهم في ذلك بعض المسلمين ممن أعجبتهم تلك المبادئ والأفكار وفي الوحدة الرابعة من هذا المنهج سيتم التعرض لهذه المجالات وطرحها بتوسع أكثر ومناقشتها من جوانبها المختلفة .

الموضوع التاسع : ويدور حول طبيعة الدنيا وطبيعة الآخرة :-

الحياة في نظر المسلم دنيا وآخرة حياة وموت بعث ونشور وهي أيضاً دار للعمل والتكليف والسعي في الأرض وعمارتها والمسلم يرى أن الحياة زائلة وأن مصيره محدود ومعروف وهو الموت لذا لا يركن إلى الحياة ويعتبرها غاية وإنما هي عنده وسيلة توصله إلى عالم أبقي وأدوم ، وأنها آية من آيات الله الكبرى ومعجزاته الكثيرة لذا فالحياة في نظر المسلم « ليست إلهاً وليست قوة مدبرة في ذاتها تنشأ وتنشيء إرادتها المستقلة ، كذلك هي ليست تلقائية وجدت مصادفة وتمضي خبط عشواء إنما هي خليفة أنشأها الله سبحانه بقدر وتمضي كذلك وفق قدر وهي مودعة خصائصها الذاتية التي تفرقها من الموات ، أعطاه هذه الخصائص الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى والذي يخرج الحي من

الميت ويخرج الميت من الحي والذي يتوفى الأنفس حين موتها والذي خلق الموت والحياة والذي يبدأ الخلق ثم يعيده « (١)

والمسلم يرفض الفكرة القائلة أن الطبيعة هي التي أوجدت هذه الحياة بما فيها من ناس وحيوانات ونبات وجماد وأنه سبحانه هو الذي خلق الحياة بما فيها من أشكال الطبيعة المختلفة وأنه هو الذي أوجد بين هذه الكائنات والمخلوقات التناسق والتكامل وأنه سبحانه أودع في الأرض أقواتها وأرزاقها وجعل الكون كله مسخراً ومساعداً لهذا الإنسان ليحقق مبدأ الخلافة في الأرض ، والمسلم يدرك أن هناك عوالم تحيا معنا ولكن لا نراها مثل الجن والملائكة وهم من عالم الغيب ويدرك أيضاً أن جميع الأحياء مكفولون برزق الله ، قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (٢) ويعى أيضاً أنه وجميع المخلوقات في عبادة دائمة ومستمرة لله قال تعالى « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » (٣) والمسلم يعتقد أن الحياة بكل ما فيها تسير وفق نظام محدد ودقيق يدل على حكمه وخالق خبير بأحوال خلقه . ويمكن القول بأن الحياة الدنيا جديرة بأن تعاش في نظر الإسلام بوصفها تحمل قيمة اعتبارية ضخمة أو قيمة نسبية بالقياس إلى الآخرة وبحسب موقعها منهم وهذا معنى كونها في الإسلام دار تكليف وعمل ، والقرآن الكريم حدد سبب خلق الإنسان ، وبين أنه خليفته في الأرض قال تعالى « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة » (٤)

ويبين أيضاً أن الدنيا دار إبتلاء وامتحان فقال سبحانه « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » (٥) ، وحدد طبيعة الحياة الدنيا وأنها عبارة عن لهو ولعب وأن الآخرة هي دار القرار قال تعالى « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » (٦)

وينبغي الإشارة إلى أن الإسلام لا يقلل من شأن الدنيا ولا يحط من قدرها بل اعتبر بعض العلماء صلاح الدنيا ونظامها شرطاً أساسياً لصلاح الدين كله وقال أحدهم: « إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا ، فنظام الدنيا بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة ، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمساكن والأقوات والأمن ، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية ، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة ، وطلب قوته من وجوه الغلبة ، متى يفرغ للعمل والعمل ؟ وهما وسيلتاها إلى سعادة الآخرة فإذن : إن

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

(٢) سورة هود ، آية ٦ .

(٣) سورة النحل ، آية ٤٩ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٧ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية ٦٤ .

نظام الدنيا ، أعني مقادير الحاجة ، شرط لنظام الدين « (١) مما سبق يتضح لنا أن الإسلام ، كما هو منهجه في التوسط يوازن بين الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة وجعل الحياة الثانية مؤسسة على الأولى. وقد اعتبر الإسلام الإنسان مسؤولاً مسئولية عظمى أمام الله تعالى عن حياته الثانية التي لا يلحقها فناء ولا انقطاع ولذا كان الحديث عن اليوم الآخر حديثاً عن أهم الأشياء وأعظمها خطراً في حياة الإنسان ، لأنه حديث عن المصير النهائي بين يدي عليم خبير ومن العجيب أن أغلب الناس يحاولون نسيان هذا اليوم أو تجاهله رغم خطورته على مصير ونهاية كل إنسان ، بل وصل الحال ببعض إلى التعجب والاستغراب والتشكك والاستنكار كما قال سبحانه تعالى « ق ، والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجوعٌ بعيد » (٢) ، وقال سبحانه « عم يتساءلون ، عن النبا العظيم ، الذي هم في مختلفون » (٣) وقال سبحانه « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم » (٤) ، وهنا يمكن طرح السؤال التالي : هل هذا العناد والغفلة صادر عن وعي وعلم ؟ أم عن أهواء وشهوات ؟

إن الباحث عن الحقيقة يدرك الجواب وهو أن هناك مكابرة وغفلة وشهوة وهوى تفصل الإنسان عن نفسه وضميره ، وعن شعوره بالتبعية والمسئولية وإدراكه لحقيقة ذلك لذا فهو يندفع بقوة ليغطي تفكيره وعقله رغبة منه في الاستمرار والإقبال على المعاصي والشهوات قال تعالى « بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، يسأل آيان يوم القيامة » (٥) ،

إنه يريد أن يستبعد وقوع هذا اليوم حتى يستمر على حياته العابثة التي لا تقرب المصير ولا بالجزاء والحساب « وهذه هي المناقضة الحادة للتكليف والمسئولية بكل مراحلها وصورها ولكنها أشد ما تكون مناقضة للمسئولية الأخيرة أو العظمى أمام خالق الإنسان وخالق الكون كله سبحانه وتعالى ولكن إذا تجاوز الإنسان مسئوليته أمام النفس والضمير واحتال على مسئوليته أمام القانون وفي عين المجتمع ورأى الناس فإن مسئوليته العظمى تنتظره أمام الله في اليوم الآخر » (٦) ، إن مفهوم اليوم الآخر في الإسلام متعدد المراحل ، فهو يبدأ بالموت وحياة البرزخ ثم بعد ذلك البعث والحشر والميزان والصراف حتى ينتهي الأمر بالمكلف إما إلى الجنة أو إلى النار. وبالجملة فإن مفهوم هذا اليوم ومضمونه هو الحساب والمسئولية أو الثواب والعقاب ، أو الجنة أو النار ، وهذه هي النتيجة التي تقابل التكليف والعمل المطلوب من الإنسان في الدنيا قال تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من

(١) الإمام أبو حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، طبعة القاهرة ، د.ت ، ط ، ص ١٣٥ .

(٢) سورة ق ، الآيات ٣-١ .

(٣) سورة النبا ، الآيات ٣-١ .

(٤) سورة يس ، آية ٧٨ .

(٥) سورة القيامة ، الآيتان ٥ ، ٦ .

(٦) عدنان زرزور ، دراسات في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً « (١) . والمسلم الحق إذا أراد أن يكتمل إيمانه باليوم الآخر فلا بد أن يؤمن بالتالي : -

- الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور ويقوم الناس جميعاً لله رب العالمين .

- الإيمان بالحساب والجزاء لكل الناس .

- الإيمان بأن المصير والنهاية إما للجنة وإما إلى النار .

- الإيمان بأن الله عادل ولا يظلم أحداً .

- الإيمان بأن الله غفور رحيم ، وأنه شديد العقاب .

وعندما يؤمن الإنسان بما سبق يظهر ذلك على حياته وسلوكه وتصرفاته فيدرك الغاية من خلقه ، وينفي أيضاً العبثية عن الحكمة الألهية في الخلق ويعي أنه سبحانه سيعيده إليه ، ويحاسبه على أعماله ويجازيه عليها ومعنى هذا أن الحياة في نظر الإنسان العاقل ليست عبثاً أو ضجراً أو توتراً أو شعوراً بالاغتراب والرغبة في التخلص من الحياة بالانتحار أو قضاء الحياة بالعبث والفوضى وعدم المسؤولية ، وهذا ما تسعى إليه بعض المذاهب الهدامة كالوجودية التي تنكر الله واليوم الآخر ويعتقد أصحاب هذا المذهب بعبثية الحياة ومن أبرز كتابهم « البيركامي » حتى يقال إن « الوجودية » التي تمثلت في كتاباته هي « وجودية الأطمئنان إلى عبث الحياة » كما يقول بعض الباحثين ومن أبرزهم أيضاً « سارتر » الذي قال عن الكون والحياة « هذا الكون وجد بغير داع ، ويمضي لغير غاية ، والعالم كله خداع في خداع » وقوله أيضاً « يوجد كل موجود بدون سبب عقلي وبدون داع وتمتد حياته بواقع من الضعف ثم يموت بالمصادفة » (٢) وقابل هذا العبث أحد الشعراء (٣) العرب فردد ورددت معه الجماهير أغنية أم كلثوم الشهيرة : -

وهرت فيه بين شتى الفكر
أدرك لمأذا جنت أين المفر
وكشف ما يحجبه في الخفاء
عمري وأحست ديبب الفناء

لبنت ثسوب العيش لسم استشر
وسوف انضوه برغمي ولم
أفنييت عمري في اكتناه القضاء
فلم أجد أسراراه وانقضى

إلى أن قال : -

وينمحي اسمي من سجل الوجود
فغاية الأيام طول الهجود .

سأنتحي الموت حيث الورود
هات استنيها يا منى خاطري

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) الشاعر هو عمر الخيام .

ونظراً لأن هذه الآراء والتصورات تحتاج إلى رد وبيان إلا أن الوقت المخصص لهذا المساق غير كاف ومحدد بمدة زمنية قصيرة ولا نستطيع التوسع وإنما يمكن الرجوع إلى المصادر التي سيتم ذكرها في نهاية هذه الوحدة لمن يرغب في الاستزادة ، ولكن حسبنا أن نذكر نحن المسلمين عندما نقرأ أو نسمع مثل هذا العبث والتمرد قوله تعالى « أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » (١) وقوله « أيعسب الإنسان أن يترك سدى » (٢) نعم لن يترك الإنسان سدى ، ولم يخلق عبثاً ، ومن فوائد الإيمان باليوم الآخر أيضاً إدراك العدل الإلهي المطلق قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٣) يلاحظ أن القوانين البشرية تردع الظلم والظالم وتعيد الحقوق إلى أصحابها ، فإذا كان الحال كذلك بالنسبة للبشر فمن باب أولى أن يقتصص المولى من الظالم للمظلوم خاصة وأن الإنسان تقع عليه مظالم كثيرة عبر العصور وقد لا يستطيع أن يرفعها عن نفسه أو يقتصص من الظالم هذا رغم أن المولى قد أنزل تشريع لو أخذ به الناس ما ظلموا ولا ظلّموا ولكن عندما تفسد الضمائر وتباع الذمم فلا بد من عدل إلهي يقضي بالحق وهو خير الحاكمين .

وأخيراً من مظاهر الإيمان باليوم الآخر التزام الإنسان بتطبيق قواعد الأخلاق وأحكام التشريع من نفسه ومن ضميره وذاته وهذا الالتزام هو محصلة طبيعية لاعتقاده الجازم بأنه لم يخلق عبثاً ، وأن الدنيا عنده ليست نهاية الرحلة وأن هناك حساب وعقاب وهذا الشعور هو ما يمكن أن نطلق عليه بالرقابة الذاتية وهي الضمان الحقيقي والنهائي بتنفيذ القانون والالتزام بأحكام الله في حال غياب أنواع الرقابة الأخرى أو التحايل والهروب منها تبقى هذه الرقابة التي نسميها رقابة الله واليوم الآخر قائمة بل تزداد رسوخاً مع زيادة الإيمان في النفس البشرية ومع محاولة الإنسان الارتقاء في درجات الكمال. وأخيراً يمكن القول إن التصور الإسلامي للحياة الدنيا والحياة الآخرة تصور متوازن ومتكامل ولا يحيد فيه أن يطغى جانب على آخره أو أن يعمر جانب ويدمر آخره يمكن اعتبارهما متكاملين ومتداخلين فالدنيا ليست نقيضة الآخرة وإنما هي مزرعة لها والعكس ، وكذا فالآخرة ليست بديلاً عن الدنيا والعكس فكل منهما له ميدانه وله خصائصه والإسلام بهذا يرفض الاستغراق في الماديات ويرفض الرهينة والانقطاع للعبادة .

الموضوع العاشر :- التأكيد على أن الحياة ناشئة بإرادة الله وهي من أصل واحد هو الماء :-

يدرك المسلم العاقل أن هذه الحياة بما فيها من آيات ومعجزات ومخلوقات وجمادات و عالم غيب ناشئة بإرادة الله سبحانه ، حادثة بقدره وعلمه وأنها من أصل واحد هو الماء قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وقوله « والله خلق كل دابة من ماء » ، فالآيتان تدلان أن كل الأحياء

(١) سورة المؤمنون ، آية ١١٥ .

(٢) سورة القيامة ، آية ٣٦ .

(٣) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ - ٨ .

خلقت في الأساس من الماء ولكن كيف تطورت ونشأت حتى وصلت إلى حالتها الراهنة فهذا لم يتحدث عنه القرآن ويمكن للعقل البشري وللعلماء وللمجتهدين البحث والدراسة ولكن بشكل علمي ومنصف وليس كما يعتقد دارون ونظريته التطورية وإنما يجب الاستعانة بما قاله بعض العلماء المنصفين بخصوص الماء وأهميته وأنه يمكن أن يكون أصل الحياة في نظرهم وعدوا بعض الدلائل منها :-

- إن الماء يغطي نحو ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وهو بذلك يؤثر تأثيراً بالغاً على الجو السائد، ودرجة الحرارة ولو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث .

- إن الماء له درجة ذوبان مرتفعة وهو يبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع وهو بذلك يساعد علي بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة .

- إن الماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد، ولهذه الخاصية أهميتها بالنسبة للحياة إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشد البرد بدلاً من أن يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار، كما أن الماء الذي تحت الجليد تكون درجة حرارته فوق درجة التجمد، وكل هذا له تأثير على بقاء الأحياء البحرية حية وعندما يأتي الربيع يذوب الجليد بسرعة .

ونعود مرة أخرى للآية الأولى وهي قوله تعالى « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » (١)

وهذه العودة هي للمقارنة بين حديثها عن الماء وما ذكر سابقاً عنه من قبل العلماء لندرك أهمية الماء في خلق هذا الكون وتكوينه فمعنى قوله « كانتا رتقا » أي لا تمطر ولا تنبت « ففتقناهما » أي بالمطر والنبات فالفتق والرتق استعارة ونظيره قوله تعالى « والسماوات ذات الرفع والأرض ذات الصدع » فالرفع لغة الماء والصدع هو النبات لأنه يصدع الأرض أي يشقها (٢) ومعنى قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه ، فيدخل فيه النبات والشجر لأنه من الماء صار نامياً وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر واسناد الحياة إلى ظهور النبات معروف في آيات شتى كقوله تعالى « ويحي الأرض بعد موتها » (٣)

ولمزيداً من التوضيح فالقرآن لم يتركنا نتساءل عن قصة الماء الذي به الحياة بل يخبرنا عن بدء خلقه قال تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها » (٤)

(١) سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .

(٢) أبوبكر الرازي ، التفسير الكبير ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ١٦٢

(٣) سورة الروم ، آية ١٩ .

(٤) سورة النازعات ، الآيتان ٣٠ - ٣١ .

ومعنى دَحِيَّهَا كما قال ابن عباس رضي الله عنه أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله « **والأرض بعد ذلك دحاها** » يقال دحوت الشيء أدحوه إذا بسطته وأنشد المبرد :

دحاها فلما رأها استوت على الماء أرسى عليها الجبال .

فبان من هذه الآية أن كل الماء الموجود في الأرض خرج من باطنها هذا ما قاله علماء التفسير قديماً (١) وهكذا يقول أيضاً العلماء المتخصصون في علم الأرض والبحر حديثاً مما دعا أحدهم وهويدرس ويتابع خواص الماء وظواهره إلى القول « إنني أجد شخصياً أن تفسير هذه الظواهر والعجائب بنسبتها إلى قدرة إله حكيم خبير وتصميم خالقٍ علوي يعد تفسيراً مرضياً للنفوس ومقنعاً للعقول ، إنني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة ، إنني المس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم. » (٢)

وكما سبق وأن عرفنا أن الأصل في النشأة والخلق هو الماء فلا بد أيضاً أن نعرف أن الحياة تقوم على قاعدة الزوجية التي لا تشمل الأحياء فقط ولكنها تشمل كل الأشياء الموجودة في الكون قال تعالى « **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** » (٣) قال بعض المفسرين عن هذه الآية السماء والأرض ، والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ، والموت والحياة ، وعددوا أشياء أخرى وقالوا كل اثنين زوج والله فرد لا مثل له (٤) وتقدير الزوجية هذا واشتمال الحياة على الضمانات التي تجدها وتكثرها عن طريق هذه الزوجية ، وتوافر الجنسين في كل نوع من المخلوقات وينسبة تؤهله للاستمرار والبقاء دليل على أن هناك قصد وتدبير لتستمر الحياة وفق ما أرادته المولى وهذا واضح وبين فالحياة منذ آلاف السنين تسير وفق منهج واضح ومحدد ولم تنقرض الحيوانات أو النباتات أو الإنسان بل يتجدد ويزداد خبرة ومعرفة بالكون وما فيه ، ولذا فالقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى ذلك من خلال ذكر الكثير من الآيات التي تؤكد أن الحياة قائمة على قاعدة الزوجية بين كل المخلوقات وإن حاول البعض إنكار ذلك أو تجاهله أو نسيجه كل هذه المخلوقات والكائنات إلى الطبيعة أو الصدفة، وهذا تحايل وهروب يشهد به المنصفون من علماء الحضارة الغربية المعاصرة قال أحدهم « وهناك ظواهر عديدة تدل على وحدة الغرض في هذا الكون وتشير إلى نشأته والسيطرة عليه لا بد أن تتم على يد إله

(١) لمزيد من التوضيح انظر : -

- الحافظ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ .

- الأمام محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٧٩ .

- صفوت عبدالفتاح محمود ، وتأملات في قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » بيروت ، دار الجليل ، ١٩٩٦م ، ط ١ .

(٢) توماس دافيد باركس ، الماء يروي لك القصة من كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، مرجع سابق .

(٣) سورة الذريات ، آية ٤٩ .

(٤) أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ،

القاهرة ، الدار العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م ، ط ٢٠ ، ص ٢٠ .

واحد لا آلهة متعددة إنني أجد بوصفي من المشتغلين بالعلوم أن النتائج التي وصلت إليها بدراستي العلمية عن الكون والله تتفق كل الاتفاق مع الكتب المقدسة التي أؤمن بها واعتقد في صدق ما جاءت به عن نشأة الكون وتوجيه الله له ، وقد يرجع ما نشاهده أحياناً من التعارض بين ما توصلت إليه العلوم وبين ما جاء في هذه الكتب المقدسة إلى نقص في معلوماتنا» (١)

ما سبق يدعونا نحن المسلمين إلى التدبر والتفكير في هذا الكون وما فيه من بديع الصنع وحكمة الخلق وأنه يجب علينا أن لا نسير وراء النظريات والأفكار المادية التي يروج لها أصحابها بغرض تشويش عقيدتنا ومحاولة الفصل بين العلم والإيمان بحجة أن أوروبا عملت ذلك فتقدمت وإن كان هذا ينطبق على أوروبا بحكم ما حصل من تعسف من الكنيسة ضد العلماء والباحثين فلا ينطبق علينا، ونحن أمة أول ما نزل وحيها بالدعوة إلى القراءة وإنما المطلوب منا جميعاً هو البحث وطلب العلم بكل أشكاله ومجالاته، وأن لا ننصرف عن الدنيا ونتركها لغيرنا بحجة الفوز بالآخرة فهذا تصرف مرفوض فالمسلم عالم عابد وهو دائماً في عبادة من خلال كل الأعمال التي يقوم بها ما دام أخلص النية لله .

مراجع الوحدة :-

- ١ - أبو جعفر أحمد الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية .
- ٢ - جامعة صنعاء ، الثقافة الإسلامية ، وهو المقرر على الطلبة حالياً .
- ٣ - سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته .
- ٤ - علي أحمد مدكور ، نظريات المناهج التربوية .
- ٥ - نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية .
- ٦ - يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام .
- ٧ - أي تفسير من التفاسير الموجودة لديك .

(١) إيرل تشسترديكي ، الله يتجلى في عصر العلم ، موضوع بعنوان (الكون تحت سيطرة مركزية) ، مرجع سابق ،

محتوى الوحدة الثانية وعنوانها : الإسلام والكون

أولاً : المقدمة :-

تناول هذه الوحدة موضوع الكون الذي طالما انشغل به الباحثون والمختصون ، واعتبروا الوصول إلى حقيقته معضلة تؤرقهم وتشغل بالهم وفكرهم .

وحاول الكثير منهم الوصول إلى معرفة أسرارهِ وماهيته ونشأته وصفته وخالقه ، ودور الإنسان فيه ، وفي بداية الحديث عن الكون لابد من تعريفه لغة واصطلاحاً ، وعند أهل الاختصاص .

الكون لغة :- عند أهل اللغة هو الحدث ، يقال : كان كوناً وكيونة فالكائن هو الحادث ، ويقال كونه فتكون ، أحدثه فحدث ، والله مكون الأشياء ، أي مخرجها من العدم، (١) .

الكون اصطلاحاً :- كثرت تعريفات الكون وتعددت بسبب اختلاف وجهات نظر المعرفين ، فكل واحد ينظر إليه من زاويته ومن تخصصه. وفيما يلي عرض موجز لهذه التعريفات :-

الكون عند الفلاسفة :- يرادف الكون عندهم الوجود المطلق العام، فالوجود عندهم بمعنى الكون .

الكون عند الصوفية :- يقول الجرجاني : - ويرى أهل التحقيق أن الكون عبارة عن وجود العالم كلية من حيث هو عالم ، لامن حيث الحق ، ويقصد بأهل التحقيق الصوفية .

الكون عند المتكلمين :- يرى المتكلمون أن الكون مرادف للوجود ، وقد يستخدم اصطلاح « العالم » أيضاً ويشار به إلى مجموع أجزاء الكون ، أي إلى مجموع المخلوقات .

الكون عند أُنشئتين :- وهو يربط هذا التعريف بنظرية النسبة ، لذا فالكون عنده هو : مجموع الأحداث المتميزة بارتباطها الزماني والمكاني .

الكون في التراث الأوروبي :- لفظ « كون » « universum » يشير إلى مجموع الأشياء أو مجموع ما يوجد في الزمان والمكان ، وعند الفيلسوف « ليبنتز » هو جملة الأشياء الموجودة .

الكون في القرآن الكريم :- وله خصوصيته في تعريف الكون ، فهو يشير إلى التكوين بمعنى إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود - صنعة الله تعالى - وهو تكوينه للعالم ، ولكل جزء من

أجزائه ، لوقت وجوده على حسب علمه وإرادته وفي هذا يقول سبحانه « **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » (٢) ومعنى هذا أن الله يحكم بكون هذا الأمر فيكون ، ومن هنا نستنتج أن

الكون في التصور الإسلامي هو : - « مجموع ما تكون بالإرادة الإلهية في الزمان والمكان من الموجودات غيبها وشهودها صغيرها وكبيرها على اختلافها بعد أن لم تكن موجودة » (٣)

(١) انظر لسان العرب مادة « كون » .

(٢) سورة يس ، آية ٨٢ .

(٣) رجع الباحث إلى :-

- توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية - مرجع سابق .

- حسن الحياياري ، التصور الإسلامي للوجود ، عمان ، دار البشير ، ١٩٨٩ ، ط x .

- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٣ ، ط x .

ومن أجل التعرف على المزيد عن الكون وطبيعته ودور الإنسان فيه فقد تم إعداد هذه الوحدة والمكونة من ستة موضوعات ، وهذه الموضوعات هي المطلوبة من أجل تحقيق الأهداف الستة لهذه الوحدة (١) ومن أجل تدريسها يمكن للمعلم الرجوع إلى دليل المعلم الموجود في هذا البحث للاستفادة منه .

ومن أجل التسهيل على المعلم والطالب تم في نهاية الوحدة ذكر بعض المراجع والمصادر التي يمكن الاستفادة منها في هذا المجال .

ثانياً : محتوى الوحدة :

الموضوع الأول : ويتناول الكون باعتباره مخلوقاً حادثاً وليس أزلياً :-

تعترف البشرية بالفعل أو بالقوة أن هناك إلهاً مدبراً وخالقاً وموجداً لهذا الكون العجيب ، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم قال تعالى « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » (٢) وقد تعددت الآراء والنظريات الفلسفية حول الكون، وتركز البحث والتحليل حول ثلاث نقاط رئيسية هي: (٣)

(١) خلق الكون .

(٢) تدبير شؤون الكون .

(٣) تعدد الكون فمن الناس من يرى أن هناك كونين ، ومنهم من يرى وجود كون واحد فقط وهو مانحسه ونراه ، ومنهم من قال بقديم الكون ، ومنهم من قال إن الكون حادث .
ومنهم من يزعم أن الكون هو الذي يسيطر على ذاته دون حاجة الى قوة أخرى تقوم بتدبير شؤونه، وهناك من يرى وجود قوة عظيمة تسيطر على هذا الكون وترعى شؤونه ، ويعتقد « أفلاطون » أن هذا الكون الذي نحسه ، ليس هو الكون الحقيقي ، ولكنه صورة عن الكون الحقيقي « عالم المثل والأفكار » وفي ضوء ذلك شبه العالم الحقيقي بأنه مجموعة من الأشجار المثالية تنبع كل هذه الأشجار من شجرة رئيسية تتصف بأنها كاملة متكاملة لا تتغير ولا تفنى ، حيث إنها موجودة منذ الأزل .
ويرى أرسطو أن العالم واحد ولا يمكن أن يكون هناك غير هذا العالم ، وأن هذا الكون المحسوس هو الكون الحقيقي ، لأن الجهات التي تتحرك العناصر إليها هي الجهات المطلقة فكل مادة يجب أن تتجه إليها ، أي تتحد بمادة هذا العالم ، ومما قاله أرسطو عن قدم العالم « العالم قديم بمادته وصورته وحركته وأنواع موجوداته ، لا يكون ولا يفسد فيه سوى جزئيات الأنواع . » (٤)

(١) انظر الملحق رقم (٢) لمعرفة أهداف هذه الوحدة بشكلها النهائي .

(٢) سورة الرعد آية ١٥ .

(٣) حسن الحيايى - مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٤) يوسف كرم ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

ويرى زعماء الفلسفة الطبيعية أنه يوجد كون واحد هو ما نحسه بأحاسيسنا قائم بذاته دون تدخل من أية قوة أخرى ، وهذا ما يميل إليه « جورج بيركلي » أحد زعماء الفلسفة البراجماتية حيث قال « لا يوجد شيء في هذا العالم لا يمكن إحساسه وأي شيء لا يمكن إحساسه فإنه غير موجود » وهذا ما استقر أيضاً في أذهان أقطاب الفلسفة الشيوعية القائلين بأنه لا وجود لمخالق هذا الكون . ويرى « جون لوك » أحد زعماء البرجماتية أن المعلومات البشرية عن الكون تأتي عن طريق الأحاسيس ، وأن هناك عالماً حقيقياً من الصعب علينا نحن البشر تحديده . هذا عرض موجز لبعض الآراء الفلسفية حول قضية الكون ولكن ياترى ما هو رأي الإسلام في هذا الكون وخاصة في الثلاث القضايا المطروحة سابقاً؟

أولاً : قضية خلق الكون :-

إن المتتبع والقارئ لكتاب الله عزوجل يجد أن فيه ما يكشف لنا نحن البشر عن جميع ما يدور حول هذه القضية من تساؤلات ، ويوضح أيضاً أن البشرية مهما أُوتيت من علوم ومعارف وتقدم لا يمكن أن تصل إلى هذه الحقيقة ، إلا عن طريق واحد هو الوحي الذي أوحى الله به إلى رسله عليهم السلام ، خاصة ما أنزل على خاتمهم محمد عليه السلام وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » (١) ويقول سبحانه « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (٢) ويقول سبحانه « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (٣) ويقول « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » (٤) ولمزيد من التوضيح عن مراحل نشأة الكون والأطوار والتحويلات التي تمت فيه تراجع الآيات التالية :-

- سورة فصلت الآيات من « ٩ - ١٢ » . - سورة نوح الآيات من « ١٥ - ٢٠ » .

- سورة النازعات الآيات من « ٢٧ - ٣٣ » . - سورة عبس الآيات من « ٢٤ - ٣٢ » .

وغيرها من الآيات التي تتحدث عن مراحل نشأة الكون وتركيبه ، وعدد سماواته وأرضه و جباله ووديانه وشمسه وقمره وعن الإنسان والحيوان ، وكلها تقرر وتؤكد أن هذا الكون « مخلوق حادث ، وليس بالقديم الأزلي ، كما أنه لم ينشأ من ذات نفسه .. لقد خلقه - سبحانه خلقاً وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن سواء في ذلك مادة بنائه الأساسية أو الصورة التي ظهرت فيها ، ولم يشارك الله - سبحانه - أحد في خلق هذا الكون ، ولا في خلق شيء منه سواء في ذلك مادته أو صورته ، إن الله سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ، وأعطى كل شيء صورته ، وأعطى كل شيء وظيفته » (٥)

(١) سورة البقرة ، آية ٢٩ .

(٢) سورة يس ، آية ٣٦ .

(٣) سورة طه ، آية ٥٠ .

(٤) سورة الزمر ، آية ٦٢ .

(٥) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

ومع أن مسألة خلق الكون واضحة ومحددة في القرآن الكريم ، إلا أن هناك بعض الماديين والملحدين أنكروا كل ذلك ، ومن هنا نشأت نظريتان تفسران خلق هذا الكون وهما : -

النظرية الأولى : - وأصحابها ينكرون وجود خالق لهذا الكون ، ويدعى هؤلاء أنه لا يحتاج إلى خالق ، وأنه خلُق ويسير بالصدفة ، وأصحاب هذا الرأي واهمون ومخدوعون ومن السفه وضياح الوقت مناقشتهم ، لأنهم ينكرون حقائق ووقائع يصعب إنكارها وتجاهلها .

النظرية الثانية : - وتقوم على أساس الاعتراف بأن هذا الكون موجود وله خالق ، ولكن كيف يفسرون وجوده ونشأته؟

وأصحاب هذه النظرية يضعون أربعة احتمالات للإجابة عن هذا السؤال :

الاحتمال الأول : - أن هذا الكون مجرد وهم وخيال .

الاحتمال الثاني : - أن هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه « أي من العدم »

الاحتمال الثالث : - أن هذا الكون مخلوق ولكن ليس لنشأته بداية .

الاحتمال الرابع : - أن هذا الكون له خالق مدبر ، يسير حسب مشيئته وقدرته .

فالاحتمال الأول يقوم على أساس أن كل ما حولنا لا يعدو أن يكون وهماً من الأوهام ، ليس له ظل من الحقيقة فالطائرات والسيارات والناس وكل ما على الأرض ليس إلا خيلاً ووهماً وهذا تصور ورأي يقوم على التصورات الخيالية والوهمية ، ولا يحتاج إلى رد ومناقشة لأنه ينافي العقل والشرع والواقع والتجربة .

وكذلك الاحتمال الثاني لا يقل في السخف والحماسة عن سابقه .

أما الاحتمالات الثالث والرابع فبينهما اتفاق في عنصر واحد هو القول بالأزلية وهذه الأزلية إما أن تنسب إلى عالم ميت ، وإما أن تنسب إلى إله حي يخلق ويحي ويميت ، ولا توجد صعوبة عند الفلاسفة الغربيين في الأخذ بأحد الرأيين السابقين ولكن مع هذا فهم يؤكدون على أنه لا بد أن أصل هذا الكون من مخلوق أزلي ليس له بداية وأن خالقه عالم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه، (١)

وهذا القول هو الذي يتفق مع التصور الإسلامي الذي يقوم على أساس الاعتراف بأن لهذا الكون خالق متصف بالأزلية والقدم ، وأن الكون مخلوق حادث وليس مخلوقاً أزلياً .

ثانياً : قضية تصريف أمور الكون :-

الكل يشهد بأن هذا الكون بما فيه من آيات ومخلوقات تسير وفق قوانين ثابتة ومحددة وموزونة ، تدل على أن هناك مدبر حكيم وخالق عظيم يسير ويصرف هذه المخلوقات البديعة بدقة وانتظام واقتدار .

(١) فرانك ألن ، الله يتجلي في عصر العلم ، مرجع سابق ، ص ١١ .

إن الإنسان السوي عندما يمر بقصر بديع أو حديقة جميلة لا بد أن يتساءل : من المهندس والمشرّف على هذا العمل الجميل الرائع ، ثم لا يلبث أن يعترف بقدرة المهندس وبراعة العامل الذي نفذ ، فلماذا لا يحدث من هذا الإنسان نفس التساؤل حول الكون ومصممه ومبدعه ، ألا يستدعي منه ذلك طرح السؤال التالي : -

- من المصرف والمدير لكل شؤون هذا الكون.؟

إن الجواب عن هذا السؤال مرتبط بمبدأ السببية القائل بأنه من الضروري أن لكل حادث محدث ، وأن الأشياء لا توجد نفسها من العدم ، وهذا معيار فطري من معايير العقل التي يدرك بها حقائق الأشياء في الكون ، وهذا عكس ما يقوله الماديون الحسيون بأن هذا مجرد وضع اكتسبه العقل من التجربة ، ويُرَد عليهم أيضاً أن الطفل الصغير عندما يسأل من حفر البحر ؟ أو من خلق الجبال والشمس والقمر ؟ فهذا الطفل ليس لديه تجربة ، ومع هذا يدرك السببية ، ويسأل عنها ، ويتوافق تفكيره هذا مع فكر المفكرين والباحثين القائلين بأن كل هذا المخلوقات لم تخلق نفسها ، ولم تخلق من العدم ، وأن لها خالقاً أوجدها من العدم ، وهو أيضاً يُسَيِّرُها ويَصْرِفُها حسب مشيئته وإرادته .

والمتأمل لطبيعة عمل ونظام ودقة مخلوقات هذا الكون يدرك مدى سيطرة الخالق على كل أجزائه، فهاهي الشمس تشرق كل صباح وتودع في المنزلة ثم يأتي بعدها القمر ومنازله ، وكذا بقية الأجرام السماوية ، وكذلك فصول السنة بحرماً ويردها ، فكل مخلوق من هذه المخلوقات يؤدي وظيفته دونما خلل أو نقص أو زيادة مصداقاً لقوله تعالى «وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مَّظْلُومُونَ ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (١)

وقوله تعالى « إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنبي توفكون، فائق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذي أنشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون» (٢).

فهذه الآيات وغيرها تدل دلالة واضحة على أن هذا الكون بكل ما فيه لا يمكن أن يكون بدون مسيطر ومدبر، فالدقة والإبداع والتنظيم في كل جزء منه يدل على أنه لا بد من وجود خالق عظيم يدبر أمره وشأنه .

(٣) تعدد الكون :- الكون في التصور الإسلامي ينقسم إلى قسمين هما :-

(أ) كون محسوس مادي مشهود .

(ب) كون غير محسوس أو مغيب . وفيما يلي نعرضهما بإيجاز :-

(١) سورة يس ، الآيات ٣٧ - ٤٠ .

(٢) سورة الانعام ، الآيات ٩٥ - ٩٨ .

أولاً: الكون المادي أو المحسوس : - وقد عرض القرآن الكريم هذا الكون بكثير من الإيضاح فحدد ظواهره ومظاهره من جبال وسهول وأودية وسماء وأرض ومطر ونبات وبحار وأنهار وأشجار ودواب وقد عرض سبحانه هذه المظاهر - في كتابه العزيز - لا ليعالج أمرها علاجاً فنياً تحليلياً فيكون كتاب هيئة أو كتاب حيوان ، ولكن عرض لها ، لأنها دلائل تدل على قدرته ، وعن عجيب صنع الله الحكيم وبهذا الشأن يقول علي مذكور « وهكذا نرى أن القرآن لم يتناول الكون المشهود من الناحية الفنية لأن القرآن كتاب للتوجيه يصل الإنسان بالله ، ولو تعرض لهذه النواحي لما انتهى أمره ، ومن ناحية أخرى يدرك القرآن ضرورة ترك الحرية للعقل الإنساني كي ينمو ويتقدم حتى يدرك مكونات الكون ويدرك صورها بسبب تدرجه في قوته واكتماله ... فكلما ارتقى العقل الإنساني اكتشف ناحية من نواحي الدقة وجانباً من جوانب القدرة التي يصعب أن تتجلى للإنسان في طور واحد من أطوار حياته.» (١)

ومن هنا ندرك أن الكون المادي يعتبر مجالاً خصباً للبحث والتأمل واستخراج خيراته وثمراته والتي هيأها الله سبحانه للإنسان، ففي باطن الأرض توجد الثروات المعدنية والتي تعتبر اليوم أهم مصادر الدخل في العالم ، وعلى ظهرها يزرع الإنسان قوته ، ومن بحارها يستخرج الثروات ويستفيد من مائها بعد تحويله إلى مياه صالحة للاستهلاك سواء للزراعة أو للاستعمال الأدمي وهكذا بقية خيرات هذا الكون ، ولا يقف الإنسان عند هذا القدر فقط بل عليه واجب آخر نحو هذا الكون المادي ويتمثل في وجوب التفكير والتأمل لكل ما فيه من آيات ومعجزات وعجائب كلها تدل على وجود خالق عظيم .

ثانياً: الكون المغيب : - ويسمى بالكون غير المحسوس « أو بعالم الغيب » وهذا الكون منفصل تماماً عن الكون المادي لأنه يتضمن أشياء ومخلوقات لا تدرك بالحواس ، ونظراً لما له من أهمية فقد اعتبر أول صفة من صفات المتقين القائل فيهم سبحانه « الذين يؤمنون بالغيب » (٢)

ومن هذا العالم : الروح ، الملائكة ، الجنة والنار ، الجن ، الملائكة الأعلى وغير ذلك ، فالروح مكون من مكونات الإنسان وهو من الله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (٣)

ومن الكون المغيب الملائكة وهم عالم خاص يقومون بأعمال عدة منها التسبيح والاستغفار ورصد أعمال العباد ، وتوصيل الوحي إلى الأنبياء والرسل ، وقبض الأرواح ومساعدة المؤمنين قال تعالى عنهم « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » (٤)

(١) علي أحمد مذكور ، نظريات المناهج التربوية ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

(٢) سورة البقرة آية ٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٤) سورة فاطر آية ١ .

وهناك عالم الجن وفيهم الصالح والعاصي ، وقد منحهم المولى قدرات أكثر من قدرات البشر قال تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » (١) ومن الكون المغيب أيضاً الملائ الأعلى ، وما فيه من عوالم لا يعلم صفتها وكنهها إلا المولى سبحانه ومن ذلك سدرة المنتهى ، العرش ، اللوح المحفوظ ، البيت المعمور ، وغير ذلك كثير . والكون غيبه وشهوده هو كائن طائع عابد لله خاشع لجلاله وعظيم سلطانه قال تعالى « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال » (٢) ويقول سبحانه « تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (٣)

وهذا الكون بعوالمه المختلفة الوارد ذكرها في القرآن والسنة لا يمكن الحصول على معلومات صحيحة بشأنها إلا من خلال هذين المصدرين .

هذا إلى جانب وضوح علامات هذا الكون ودلائله في النفس البشرية صاحبة الفطر السليمة ، إلا أن هناك مكابرة وعناد من البعض الذين يحاولون إنكار وجود هذا الكون بكل ما فيه بحجة أنه لا يشاهد ولا يجرب وهم بهذا يقلدون ويروجون لما يقوله بعض الفلاسفة والملاحدة الذين يقولون بأنه لا يوجد شيء وراء الطبيعة .

وهذا التصور بعيد عن الواقع والعقل كيف لا يكون ذلك ؟ ونحن نعيش ونشاهد أحداث كثيرة ووقائع متعددة كلها تدل على وجود هذا العالم المغيب شاء هؤلاء أو أبوا أو رضوا أو كرهوا ، وهؤلاء يكابرون ويعاندون حتى وإن رأوا الحقيقة أمامهم واضحة .

الموضوع الثاني : ويدور حول الطبيعة باعتبارها مخلوقة لله تسير وفق إرادته .

يحاول البعض تسمية الأشياء بغير اسمها أو طرحها على غير حقيقتها ، إما عن جهل وعدم إدراك ، أو عن مكابرة وعناد ، وكلا الفريقين خاسر ، لأنه يقف أمام الحقيقة والواقع ومن تلك الادعاءات ما يقول به البعض من أن هذا الكون بما فيه من آيات ومعجزات ودقة ونظام ، وبشر وحيوان وجماد خلق مصادفة وبدون خالق ، أو القول بأن الطبيعة هي التي أوجدته وتسيره ، وما علم هؤلاء أن الطبيعة لا تملك من أمرها شيئاً فضلاً عن أن تملكه لغيرها ، وأنها هي مخلوقة لها خالق مدبر ، يجب أن يوجه الناس وجوههم إليه، والقرآن الكريم يوضح لنا أن الطبيعة والصدفة لا يمكن أن تخلق السموات والأرض ولا يمكن أن تنزل المطر وتنبت الزرع قال تعالى « أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها أمله مع الله بل هم قوم يعدلون » (٤)

(١) سورة النمل ، آية ٣٩ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٥ .

(٣) سورة الإسراء آية ٤٤ .

(٤) سورة النمل ، آية ٦٠ .

ويستمر القرآن في دحض حجج القائلين بالصدفة أو الطبيعة ، وي طرح عليهم سؤالاً ليس له إلا إجابة واحدة فقط تقطع المعاذير ، وتقيم الحجة على المعاندين والغافلين قال تعالى « **أم خُلِقُوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون** » (١) فالآية هنا تضع هؤلاء أمام خيارين ليسألوا أنفسهم ، أخلقوا من غير شيء ، أبداً بمعنى آخر هل الطبيعة أو المصادفة هي التي جاءت بهم إلى الدنيا ، أم هم خلقوا أنفسهم ، وخلقوا السموات والأرض والعوالم ، وحددوا الأرزاق والآجال ، وسيروا الشمس والقمر ، ورتبوا تعاقب الليل والنهار وأنبتوا الزرع وأنزلوا الماء ، هل عملوا كل ذلك ؟

إن الجواب على هذين السؤالين لا يحتاجان إلى تفصيل وإيضاح لأنهما لا يقومان على حجة أو دليل ، فلم يدع أحد من البشر منذ القدم أنه هو الذي أوجد الكون أو خلق شيئاً من مكوناته . إذاً لا يبقى إلا الحقيقة التي يقررها القرآن ويعترف بها العقلاء والمنصفون وأصحاب الفطر السليمة ، وهي أن الله خالق هذا الكون بمن فيه، ومن هذا الاعتراف وهذه الحقيقة يمكن إجمال الدروس المستفادة من ذلك في الآتي : -

أولاً : أن جميع الأشياء خلقت لغاية وحكمة ولم تأت باطلاً أو عبثاً ، ولم يكن للطبيعة أو المصادفة أي دخل في ذلك ، كما تقتضي الحكمة الإلهية من خلق الأشياء نفع الناس قال تعالى « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** » (٢) وخلقها على درجة من الإتقان والإحكام تفوق كل تصور ، وصدق الله حين قال « **فتبارك الله أحسن الخالقين** » (٣) وهنا أيضاً تنتفي العبثية في خلق هذا الكون قال تعالى « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين** » (٤) وقال سبحانه « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا** » (٥) فهاتان الآيتان وغيرهما تبين أن هذا الكون منزّه عن الوصف بأنه مخلوق عبثاً أو باطلاً ، والواقع والعقل يشهد أنه مخلوق لغاية وحكمة ، القصد منها نفع الناس ورعاية مصالحهم وشؤونهم .

ثانياً : إن هذه العوالم وهذا الخلق متقن الصنع متناسق المعالم مكتمل الأجزاء وثيق البنية محدد المعالم ، وكل هذا يدل على أن هناك موجد لهذا الوجود ، وهذا الموجد يجب أن يكون في جلاله وقدرته أعظم من الموجود نفسه .

ولا غرابة في وضوح معالم هذا الكون وإكتمال أجزائه وتناسق صنعه ، أليس هو القائل عن نفسه « **صنع الله الذي أتقن كل شيء** » (٦) قال الإمام الشوكاني: أتقن كل شيء أحكمه يقال رجل تقن: أي حاذق بالأشياء فالله سبحانه وتعالى صنع ما صنع مع إتقان كل شيء . (٧)

(١) سورة الطور ، آية ٣٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٩ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ١٤ .

(٤) سورة الأنبياء آية ١٦ ، والدخان آية ٣٨ .

(٥) سورة ص آية ٢٧ .

(٦) سورة النمل آية ٨٨ .

(٧) محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

ويمكن تحديد مظاهر الإتقان في أربعة أمور هي :

(أ) تمام النظام في الأرض والسماء في الهواء والماء وفي الليل والنهار ، فمن يستطيع ياترى أن يحدد عمل كل ذلك غيرالله، إن العلم مهما تقدم لايمكن أن يأتي بشمس غير شمسنا، ولا بسما غير سمائنا .

(ب) دقة التقدير ، وقد لفت القرآن أنظار الناس لدقة التقدير في آيات كثيرة ، حتى يتنبه الإنسان لهذا الإبداع وذلك التقدير الفائق الذي عليه تقوم الحياة وليس للصدفة أو العفوية أو الطبيعة - كما يقول بعض الناس - دخل في هذا الترتيب والتنظيم المتقن اقرأ قوله تعالى « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » (١) .

فالتعبير في قوله « موزون » فيه دقة وبلاغة متناهية ، وفيه دلالة على أن النسب لو اختلفت فسد الشيء، فلا يكون الهواء هواء ولا الثمار ثماراً ، ولا الإنسان إنساناً .

(ج) شدة الإحكام : - وهذا واضح في صفحة الكون ونواميسه الماثورة في كل مكان فكيف تسير وكيف تعمل بنظام عجيب ، بغير فساد أو فوضى ، وبغير تأخير ولا تقديم وبغير تمرد أو عصيان ، فمن يا ترى أحكم كل ذلك إنه الخالق سبحانه .

(د) اهتداء كل شيء إلى وجهته (٢) : - وهذا واضح في كل جزء من أجزاء الكون ، فالشمس لها مهام معينة منها التدفئة والنور ومن خلال دوران الأرض حولها تنشأ الفصول الأربعة ، والملاحظ لها يدرك أنها تسير إلى وجهتها وشأنها وعملها دون ملل أو انقطاع أو تأخير وكذا الأرض اليابسة هي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضية، فالتربة تحتوي على العناصر التي يمتصها النبات ، ويمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الحيوان ، ولم ترفض الأرض هذه الوظيفة في أي يوم من الأيام ، ونظرة أخرى إلى جسم الإنسان الذي يتكون من مجموعة من الخلايا ، وكل خلية تذهب إلى مكانها المخصص ، فلا خلية الأذن تذهب إلى القلب ، ولا خلية العين تذهب إلى اليدين وهكذا بقية الخلايا فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

من كل ما سبق يمكن أن نصل إلى ما يسميه محمد عماره « بالتوحيد الديني » ويمثل هذا التوحيد فلسفة هذه الأمة بمعنى « تصورها للكون » وهي بهذا التصور التوحيدي للكون قد أفصحت عن أهم ما يميز حضارتها من قسماث ألا وهي : « قسمة التوازن والموازنة بين المتقابلات والمتناقضات واتخاذ الموقف الوسطي العادل الذي يؤلف بين ما يحسبه آخرون في حضارات أخرى غير قابل للتأليف .. بل والمواخاة بين هذه المتقابلات بنظرة شمولية تثمر « الموقف الثالث » « الوسطى » - بمعنى العادل - والرافض لكلا الموقفين المتطرفين الباطلين لأن كلا منهما قد جاء ثمرة للنظرة الوحيدة الجانب - الجزئية - القاصرة - التي لم تبصر سوى قطب واحد من أقطاب ظواهر هذا الكون !

(١) سورة الحجر ، آية ١٩ .

(٢) انظر كلاً من :

- توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الأوروبية ، مرجع سابق .

- محمد عماره ، الاستقلال الحضاري ، دراسة مقارنة بالحضارة الأوروبية ، مرجع سابق .

فالنظرة التوحيدية للكون هي التي وازنت وألفت وأخت بين « التوحيد الديني » الذي يعني وجود الفاعل الأول والسبب الأول في هذا الكون : الله سبحانه وتعالى وبين ما في الطبيعة والطبائع من خصائص ذاتية تجعلها فاعلة لأفعال ومسببة لأسباب .

وهي التي وازنت بين « التوحيد الديني » الذي يقطع بأن العالم هو خلق الله وبين تصور هذا العالم قديماً ، وفق مقولة فلاسفة الإسلام وأغلب متكلميهم : إن فعل القديم قديم ! فلم تشهد حضارتنا ذلك الانقسام الذي جعل القائلين بقدوم العالم « ماديين ، والقائلين بالخلق الإلهي : « مثاليين » - كما حدث في التراث الفلسفي للحضارة الأوروبية ، وفي إبداعها الفلسفي الحديث - بل قد بلورت حضارتنا ما يمكن أن يسمى : « المادية المؤمنة » وكان فلاسفتها وأغلب متكلميها « ماديين - مؤمنين » يؤمنون بالله الخالق للطبيعة [الخليقة] وفي ذات الوقت يعطون للطبيعة وقوانينها مالها من تأثير وفعل .

مفهوم الطبيعة لدى المسلم :-

الطبيعة لغة :- تأتي بمعنى طبع الشيء طبعاً ، وطباعة أي صاغه في صورة ما ويقال طبع الله الخلق أي أنشأه .

وتأتي الطبيعة الإنسانية بمعنى السجية ، ومزاج الإنسان المركب من الأخلاط والقوة السارية في الأجسام التي يصل بها الجسم إلى كماله الطبيعي الذي هيأه الله (١) له ، فالطبيعة الإنسانية بهذا المعنى هي « مجموعة الخصال والسجايا التي خلق الله الناس وفطرهم عليها .سواء كان ذلك من خلق الله للإنسان في البداية أو بتهيئة الإنسان كي يقوم بذلك في نفسه أو من خلال البيئة والأشياء المحيطة » (٢) وبناء على ما سبق يمكن القول إن مفهوم المسلم للطبيعة يتفق مع التعريف السابق الذي يقول إن الطبيعة جزء من هذا الكون الذي خلقه الله ، وأنها ليست خالقه أو محدثه لأي جزء من أجزاء هذا الكون ، وبهذا فالمسلم يرفض تعريف الماديين أو المثاليين أو الطبيعيين لمفهوم الطبيعة فالطبيعة في نظر المسلم : ليست إلهاً أو خالقاً يجب أن يعبدها من دون الله بل هي جزء من هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ، والإنسان جزء من هذا الخلق الذي يقرب ويعترف أن الله خالقه ورازقه ومالك أمره كله في الدنيا والآخرة ، والإنسان المسلم يتعامل مع إله واحد لا شريك له في ربوبيته أو ألوهيته ، وهذا الإله ليس كإله أرسطو وبقية الفلاسفة إلهاً سلبياً لا عمل له ولا إرادة ، وليس كإله أفلاطون الذي لا يشعر إلا بذاته ، وليس كإلهي الفرس « هرمز » الخاص بعالم الخير والنور و«أهرمان» الخاص بعالم الظلام والشر ، وهو ليس إلهاً كإله إسرائيل « يهوا » الذي رسمته تصوراتهم المنحرفة ، وتفكيرهم الضال وإله المسلم ليس مثل « الطبيعة » الخرساء الصماء التي لا تطالب عابديها بعقيدة ولا بشعيرة ، ولا بالسير حسب منهج ولا نظام في الحياة ولا أخلاق ولا آداب ولا ضمير ولا سلوك .

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، انظر مادة طبع ، ج ٢ ، ص ٥٤٩ .

(٢) علي أحمد مذكور ، نظريات المفاهيم التربوية ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

إن إله المسلم يختلف تماماً ما عن كل ما سبق ، إنه حي لا يموت ، وإنه باقٍ لا يفنى إنه رازق كل الأحياء ، إنه الرقيب والمطلع على كل السرائر والضمائر ، إنه العدل الذي لا يظلم ، إنه الوهاب للحياة والقادر على ذلك ، وبهذا فالمسلم يرفض بعض المصطلحات التي توهمه أن الطبيعة هي الخالقة أو الموجدة لأي شيء في الكون لأن هذا لا يستقيم مع فطرته ومنهجه ، والطبيعة في نظره ليست إلامصطلحاً فلسفياً إغريقياً ، انتقل إلي الفكر الغربي الحديث ، وأصبحت عندهم بمثابة الإله والمعبود والخالق والموجد لهذا الكون .

مفهوم الطبيعة عند غير المسلم : -

وتعني الأشياء المادية المحسوسة حولنا من جماد وحيوان ونبات ، ففي الاصطلاح اليوناني «الفيزيقا» هي الطبيعة و«الميتافيزيقيا» ما وراء الطبيعة أي الأمور الغيبية وغير المحسوسة ، فالطبيعة عندهم هي الجوهر المادي الأول الذي تصنع منه الأشياء ، وهذا الجوهر المادي هو أصل الوجود والعلة الأولى في وجود هذا الكون ، وهي عند أفلاطون المثال وعلة الوجود والنفس الكلية ، وعند أرسطو هي أصل الأشياء ومصدر الحركة والمادة التي تصنع منها الأشياء ، وهذا هو المفهوم الإغريقي القديم للطبيعة.

وقد استعارت الفلسفات الغربية الحديثة هذا المفهوم للطبيعة ، وأصبحت عندهم هي « الأشياء وهي القانون الطبيعي الذي يعمل في الأشياء والطبيعة هي أصل الأشياء » (١) وبهذا فالطبيعة عند هؤلاء الماديين والواقعيين والمثاليين ليست من خلق الله وصنعه ، بل يرى هؤلاء أنها هي الخالق والموجد لهذا الكون ، وهي بمثابة الإله عندهم .

وبهذا نلاحظ الفرق الكبير والواضح بين مفهوم المسلم للطبيعة ، ومفهوم غير المسلم لها .

الموضوع الثالث : ويتناول دور الإنسان في التعامل مع الكون المشهود :-

سبق القول إن الكون في التصور الإسلامي ينقسم إلى قسمين هما : - (٢)

(١) الكون المغيب :-

ويشتمل على مخلوقات كثيرة منها الملائكة ، الجن ، الملائكة الأعلى ، ويقتصر دور الإنسان هنا على الإيمان بها والتسليم بكل مفرداتها التي وردت في القرآن والسنة ، والسبب في ذلك أنها أمور توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها ، والمسلم يؤمن بذلك عن اقتناع لأنه أصلاً يؤمن أن الإخبار بها جاء من لدن حكيم عليم ، كما يدرك أيضاً أن معرفته بالأمور الغيبية لا بد أن تأتي عن طريق الوحي الذي جاء به الرسل عليهم السلام .

(١) محمد رشاد سالم، علم النفس الإسلامي العام والتربوي دراسة مقارنة ، الكويت، دار القلم، ١٩٨٧م، ط١، ص ١٠٣

(٢) علي أحمد مدكور ، نظريات المناهج التربوية ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٢) الكون المشهود :-

وهذا الكون يصوره الإسلام تصويراً منطقياً وواقعياً ، فجعله مصدراً للمعرفة والثقافة الواقعية ، وذلك من خلال النظر إلى كائناته المختلفة من إنسان وحيوان ، ونبات وجماد ، فهذه المفردات بكل ما فيها من دقة وعظمة تصاحب الإنسان في كل أطوار حياته في الليل والنهار والحر والبرد والأحزان والأفراح ، ومن خلال مروره بهذه الحالات يزداد معرفة ويكتسب الخبرات المفيدة والنافعة له ولمجتمعه ، مستعيناً على ذلك بعقله وسمعه وبصره وكل حواسه محققاً بذلك قوله تعالى « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (١)

ولما كان هذا الكون بكل ما فيه مصدراً لثقافة الإنسان دعانا سبحانه إلى النظر فيه ، والتفكر في مكوناته وأسراره الكثيرة فقال سبحانه « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** » (٢)

ففي هذه الآية وغيرها من الآيات دعوة إلى الإنسان ليتفكر وينظر إلى الكون المشهود من خلال نوعين من الحواس (٣) :-

أ- الحواس الظاهرة :- أو «الإدراك الحسي» ومن خلالها يتعرف الإنسان على الرؤية العامة للأشياء ومظاهرها وخواصها وحركاتها وتقلباتها وسكانتها وما يؤثر فيها سلباً وإيجاباً ، وأبعادها ومقاييسها كما وكيفاً وهذه الأشياء التي تكون مقدمة للتفكير والاستجلاء المكنون ؟ وفي هذا المعنى وردت آيات كثيرة تحث على ذلك قال تعالى « **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها** » (٤) وقال سبحانه « **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت** » (٥) .

فهذه الآيات وغيرها تدعو الإنسان إلى مشاهدة الأشياء المحسوسة من سماء وأرض وجبال وحيوان وملاحظتها وإعمال العقل والفكر لمعرفة ما وراءها من أسرار ومعجزات ودلائل كلها تدل على أن الوصول إليها لا بد أن يتم عن طريق الحواس الظاهرة حتى نستطيع أن ندرك سر هذا الكون وطبيعته وعظمته .

ب- الحواس العقلية :- أو الحواس الباطنة وهي القلب والعقل ولهذه الحواس خواص كثيرة في استجلاء واستيضاح حقائق الأشياء وكنهها ، ومن ذلك إدراك السببية بين الأشياء ويسمى البعض «خاصية السببية» وتعني قدرة الفرد على إدراك العلاقة بين كل كائن ومحدثه ، وهذه العلاقة لا يمكن أن تدرك بالحواس الظاهرة بل لا بد فيها من إعمال العقل ، ولكي يستفيد الإنسان من الكون المشهود

(١) سورة النحل ، آية ٧٨ .

(٢) سورة يونس ، آية ١٠١ .

(٣) توفيق يوسف الواعي ، الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤) سورة الرعد ، آية ٢ .

(٥) سورة الغاشية ، الآيات من ١٧ - ٢٠ .

بكل ما فيه من معجزات وآيات وخيرات لا بد أن يستخدم إدراكه الحسي والعقلي للوصول إلى حقيقة الكون والاستفادة من مظاهر النفع الموجود في كل مخلوق من مخلوقاته ، والتي يكون نفعها عاماً وظاهراً لا يختص به الغني دون الفقير أو الرئيس دون المرؤوس كالشمس والهواء والماء ، فهذه النعم يستفيد منها الكل دون استثناء ، والحصول عليها سهل ومجاني ، وهنا يمكن التساؤل ماذا لو كان الهواء أو الشمس يباعان بثمن ؟ كيف سيحصل عليهما الفقير ؟ - أجب أخي القاريء الكريم وتفكر في عظيم نعم الله ولطفه بعباده جميعاً - وإما أن يكون نفع هذا الكون خفياً ومستتراً وبالتالي فهو يحتاج إلى جهود وعقول تبحث من أجل الوصول إلى الطرق والوسائل المناسبة والسهلة للاستفادة منه كالثروات المعدنية الموجودة في باطن الأرض ، وهي ثروات متاحة لكل الناس فمن يعمل ويجتهد يحصل عليها ، ويستفيد منها ، ومن نعم الله على الأمة الإسلامية أنها تقع في منطقة تمتلك وتتحكم في أكبر احتياطات النفط والغاز في العالم ولكن للأسف أن الاستفادة من هذه الخيرات والنعم محدودة ومقيدة بقيود كثيرة منها ما يرجع إلى عوامل داخلية، ومنها ما يرتبط بعوامل خارجية .

وماسبق يقودنا إلى الحديث عن الآثار السلبية والسيئة التي لحقت بالمجتمعات بشكل عام من جراء الاستغلال السيء للكون ومظاهره وخيراته الكثيره .

والمتتبع هنا لا بد أن يُفرّق بين نوعين من النعم : -

١- نِعَمَ أنعم الله بها على البشرية ، واختص سبحانه بالتصرف والتحكم بها ، فلا يستطيع أحد من البشر مهما أوتي من علم ومعرفة أن يتدخل أو يتحكم فيها بأي شكل من الأشكال ، وأيضاً هذه النعم لا يستطيع من ذات نفسها الامتناع عن تقديم الخير للبشرية تحت أي مبرر ، أو عذر ، والسبب في ذلك أن الله ربط هذا التسخير وهذه المنافع بقدرته هو وحده ؟ وهنا ندرك الفرق بين كرم الله وعطفه في منحه لكل هذه المنافع دون ربطها بقيود أو شروط ، ولعلمه سبحانه أنه لو ترك التصرف بها للبشر دون تدخل منه لاستغلت استغلالاً سيئاً تعود على البشرية بالضرر والدمار .

٢ - نِعَمَ أنعم الله بها على البشرية ولكنه - سبحانه - ترك فيها مجالاً للعقل البشري أن يشارك فيها من خلال البحث والتنقيب والتجربة ، وهذه النعم تنقسم إلى قسمين : -

أ (نعم وخيرات استغلتها البشرية استغلالاً حسناً ، وعادت عليها بالخير والفائدة في كل مجالات الحياة المختلفه ، ومثال ذلك وسائل الاتصالات والمواصلات بمختلف أنواعها ومسمياتها ، وكذلك الحاسب الآلي وما يتعلق به ، وكذلك وسائل المعيشة الأخرى من مسكن ومشرب وملبس فهذه الخيرات والنعم وفرت على الناس الكثير من الوقت والجهد والمال . وهذه النعم ليس لها وطن ولا جنسية فمن يعمل ويجتهد يصل فيها إلى نتيجة ، ومن يتهاون ويكسل يظل عالمة على الآخرين ، يستورد منهم ما يحتاجه وما يؤسف له أن هذا هو حال العالم الإسلامي اليوم .

ب) نِعَمَ وخيرات متوفرة في الكون ، ولكنها استغللت استغلالاً سيئاً من قبل البشرية وبالتالي عادت عليها بالضرر والدمار ، وهذا واضح من خلال إنتاج الأسلحة الفتاكة والتي أدت إلى فناء مئات آلاف من البشر دون وجه حق ، وكذلك صناعة وتجارة المخدرات ، وغيرها من وسائل التجارة

الأخرى والتي أثرت على البشرية تأثيراً سلبياً في أغلب مجالات الحياة .

وهذا الاستغلال السيء للكون وكّد نوعين من المجتمعات :-

- مجتمعات قوية :- تفرض هيبتها وسلطانها من خلال ما تملكه من قوة عسكرية واقتصادية .

- مجتمعات ضعيفة :- لا تملك من أمرها شيئاً ، وتتبع الدول القوية في كل المجالات ، يحدث

هذا رغم أنها تملك أسباب القوة والثروة .

وبعد فإن كل منصف يدرك أن البشرية تعاني اليوم آثاراً مدمرة ، وفساداً واضحاً من جراء

الاستخدام السيء لبعض مظاهر الكون ، وأن هذه الآثار ستظل بل وقد تزيد إذا لم يُرشد هذا

الاستخدام ، ويحكم ضمن قواعد وقيم ترفض العبثية والفوضى والتلاعب بخيرات هذا الكون ، وفي

نفس الوقت ترفض التهاون والتكاسل في استغلاله الاستغلال الأمثل والنافع ، والمسلم يدرك أن هذا

التوازن من صميم دينه وعقيدته ، فهو يعي أنه مطالب بتسخير الكون والاستفادة من كل ما فيه ،

ولكن بشرط أن يحافظ على الصالح العام للبشرية ، ويعي أيضاً أنه يأثم لو أنتج أو استخرج أي

شيء يلحق الضرر والأذى بالآخرين ، كيف لا يكون كذلك وهو يقرأ ويسمع الكثير من الآيات الدالة

على ذلك قال تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » (١) وقال سبحانه

« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها » (٢) وقال « وسخر لكم الفلك لتجري في

البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » (٣) وقال

« والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . (٤)

ومن هنا « فإن هذا المنهج القرآني وهذه الفطرة السليمة للعوالم وللخلق تدعو إلى الالتفات

والدهشة وتضع الإنسان أمام لوحة دراسية كبيرة تحفز فكره وتنبه عقله ، وتجيش مداركه ، ليكشف

هذه المغاليق وليستفيد من هذه المخلوقات التي جعلها الله نعمة له ، ولا يقف أمام المجهول وقوف

العاجز الحائر ، لكنه يقف أمامها بمصباح فكره ونور بصيرته ، غير هيب ولا وجل ، وكلما كشف سرّاً

، ووجد قانوناً أهدى إلى سبب وفطن إلى علة هتف في أعماقه (٥) « فتبارك الله أحسن الخالقين » (٦)

وتذكر قوله سبحانه « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٧) .

وبهذا العمل والاعتراف يدرك المسلم في كل زمان ومكان ، أن عليه واجباً إسلامياً لا يقل في

أهميته عن بقية أوجه العبادات الأخرى ، ويتمثل هذا الواجب في الأمور التالية :-

- أن يعترف ويقر أن كل ما في الكون هي نعم وآيات ومعجزات بثها المولى في كل جزء منه .

(١) سورة الجاثية آية ١٣ .

(٢) سورة الملك آية ١٥ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٣-٣٣ .

(٤) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٦) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٧) سورة فصلت آية ٥٣ .

– أن يسعى جاهداً إلى استغلال كل هذه الخيرات والنعم، وأن يُعمل عقله وفكره ووقته وما له في سبيل ذلك.

– أن يسعى جاهداً إلى المحافظة على كل هذه النعم والخيرات ، وأن يلزم نفسه ويدعو غيره إلى عدم استغلال خيرات هذه الكون ونعمه استغلالاً يخرجها عن أهدافها وغاياتها .

– أن يسعى جاهداً إلى التفكير والنظر في كل آيات الكون ، ويدرك أن هذا التفكير يقوده إلى مزيد من الإيمان والاقتناع .

– أن يرفض الدعوات والأباطيل التي تقول إن هذا الكون هو من صنع الطبيعة .

– أن يتعاون مع بقية أفراد الأمة الإسلامية ويتبادل معهم المنافع والخيرات والتي تسهم في استغلال هذا الكون خاصة وأن الأمة تملك كل مقومات النهوض في كل المجالات وإنما المطلوب المزيد من التعاون والتكامل والثقة .

– أن يتعاون مع بقية الجنس البشري أينما كانوا ، ويستفيد من خبراتهم وتجاربهم ، وعليه أن يدرك أن دينه لا يرفض هذا النوع من التعاون مادام فيه خير ومنفعة للأمة بشرط المحافظة على عقيدتها ومقوماتها الحضارية .

الموضوع الرابع : ويتناول الحقائق الكونية التي اكتشفها العلم الحديث

والثابتة بطرق علمية صحيحة وأنها لا تتنافى مع القرآن .

سبق الإشارة إلى أنه أمكن حصر حوالي « ٨٠٠ » آية من آيات القرآن الكريم كلها تشير إلى حقائق علمية وكونية ، والقرآن الكريم هو كتاب حق بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، لأنه من لدن حكيم خبير عالم بما يصلح العباد والبلاد ، وهو معجزة باقية إلى يوم الدين ، فكان لا بد أن يتضمن حقائق ومعلومات تشتمل على الماضي والحاضر والمستقبل ، ولا تناقض ما توصلت إليه عقول الناس من حقائق علمية ثابتة بالطرق الصحيحة ، وهذا ما حدث فعلاً فقد جاء العلم مؤيداً وداعماً لكل الحقائق الوارد ذكرها في القرآن الكريم ، ومع ذلك فنحن لا يجب أن نستشهد بالنسبي على صدق المطلق فلا يجوز أن نستشهد على صدق القرآن بالحقائق العلمية فالحقائق العلمية قد لا تتفق مع ما ذكره القرآن ، ويبقى القرآن صادقاً وهي كاذبة أو هي لم تصل إلى درجة الصدق بعد والعلم حق لأنه ثابت بالعقل والحس ، والحق لا يعارض الحق وعلى هذا يمكن القول ، إنه لا تعارض بين العلم الحق ، والإيمان الصحيح .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس كل علم يدعو إلى الإيمان ويؤيده ويدعمه ، بل هناك علم يتعارض مع الإيمان ويناقضه تماماً ، ومثال ذلك ظهور بعض النظريات والآراء الفلسفية والتي تناولت قضايا كبرى شغلت الباحثين والمهتمين كنظرية الصدفة التي تنسب خلق هذا الكون بكل ما فيه إلى الطبيعة ، وتنكر الخالق ، ونظرية التطور لدارون ، ونظرية التحليل النفسي لفرويد وغير ذلك كثير ، وهي لا تعدو أن تكون آراء فلسفية ، وليست حقائق علمية ثابتة ، وقد ثبت بطلانها وعدم صحتها وتعرضت للنقد والتفنيد من قبل الكثير من العلماء التجريبيين وغيرهم من الباحثين المنصفين وهنا يبرز السؤال وهو : – هل ينبغي ربط الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم بالحقائق العلمية

والنظريات الفلسفية أم لا ؟

ابتداءً ينبغي القول إن كل ما جاء في القرآن الكريم من حقائق علمية وآيات كونية جاء العلم الحديث والثابت بطرق علمية صحيحة يؤيدها ويتفق معها تماماً وبهذا الخصوص أجرى بعض الباحثين والمهتمين - خاصة من علماء الغرب - العديد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال ، ومن ضمن هؤلاء العالم الفرنسي « موريس بوكاي » فقد أجرى هذا العالم دراسة للآيات العلمية التي وردت في القرآن الكريم والواردة في التوراة والإنجيل ، وتوصل إلى أنه لا توجد آية في القرآن الكريم تعارض ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ، وفي نفس الوقت وجد أن بعض النصوص في التوراة والإنجيل تناقض ما توصل إليه العلم الحديث ، والسبب يرجع إلى التحريف والتضليل اللذين حصل لهما وأفرغهما من محتواهما العلمي الصحيح ، وما قاله هذا العالم « لقد أثارته دهشتي العميقة في البداية الجوانب العلمية في القرآن ، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوي الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية » (١)

ومن أمثلة هذه الحقائق التي صارت مشهورة بين الدارسين هي حديث القرآن عن توسع الكون قال تعالى « والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون » (٢) وحديثه أيضاً عن أصل الحياة وانفصال السماء عن الأرض قال تعالى « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » (٣) وتحدث القرآن عن مراحل تطور الجنين ونموه وخلق « ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً » (٤) .

وعن ضياء الشمس ونور القمر يحدثنا القرآن قائلاً « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً » (٥)

ويلفت القرآن النظر إلى معجزة هامة تظهر في قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء » (٦)

فالآية تبين حقيقة علمية لم يتوصل لها العلماء إلا حديثاً وهي أن الإنسان كلما صعد إلى أعلى قل الأكسجين ، ويحصل لديه ضيق شديد في التنفس وضيق في الصدر ، وهذا واضح خاصة بعد صعود الإنسان بالطائرة والمركبات الفضائية ، لذا نجد الاحتياطات تتخذ لحماية المسافرين الذين يعانون من بعض أمراض الجهاز التنفسي .

(١) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢١٦ .

(٢) سورة الذاريات آية ٤٧ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٠ .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٥) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٦) سورة الأنعام آية ١٢٥ .

ما سبق عرض موجز لبعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الأمور العلمية التي لم يكتشفها العلم إلا مؤخراً وبعد جهود مضيئة وأجهزة دقيقة وأموال طائلة والقرآن الكريم عندما يتحدث عن هذه الحقائق أفاض في عرض بعضها ، كالحديث عن خلق السموات والأرض والكواكب والنجوم وما فيهما من حقائق ومعجزات تكاد البشرية تفني أعمارها وأوقاتها في البحث عن أسرارها وكنهها ، لذا فالمولى تكفل ببيان بعض هذه الأسرار حتى يكون هناك نوع من الإشباع لتلك الرغبات الإنسانية المتطلعة إلى معرفة المجهول وأسراره ، وكما توسع القرآن في شرح وعرض بعض آيات الكون فقد اختصر في عرض بعضها ، واكتفى بإشارات بسيطة وعابرة ليترك للإنسان مجالاً للبحث والتأمل والاستنتاج لكل أسرار الكون وما فيه من معجزات وكل هذه الحقائق سواء ما ورد منها بشكل موسع أو ما ورد بشكل موجز كلها تشير إلى آفاق من المعرفة والعلم التي يجب أن يتدبرها الإنسان ويسير على هداها، حتى يحصل له من العلم ما يحقق رغبته وسعادته ، ويحقق تقدم المجتمع والأمة التي ينتمي إليها .

وبعد : - فإذا كان القرآن قد أشار إلى بعض الحقائق الكونية والعلمية ، فإن هذا ليس مبرراً لأن نربط بين النصوص القرآنية التي تشير إلى ذلك وبين النظريات والكشوف العلمية الحديثة التي توصل إليها العلماء مؤخراً ، لأن هذه المقارنة خاطئة من الناحيتين الاعتقادية والمنهجية ، أما من الناحية الاعتقادية فالنصوص القرآنية قطعية الثبوت والدلالة وهي صحيحة وصادقة بذاتها لا بشهادة من خارجها عليها ، وفي هذا يقول أحد الباحثين : (١) « إن النصوص القرآنية قطعية الدلالة ، ومطلقة الدلالة كذلك ، ونهائية في تقرير الحقيقة التي تقررها ، ومن ثم لا يجوز أن يستشهد على صدقها بقول آخر إلا من جنسها ومن مستواها من حيث قطعية الدلالة ونهائيتها المطلقة وقول البشر وما يقررونه سواء من الحقائق العلمية أو النظريات العلمية ليس من جنس تلك النصوص ولا هو في مستواها حتى يستشهد به على صدقها ، وفي هذا يتجلى الخطأ الاعتقادي والخطأ المنهجي معاً في الاستشهاد بتقريرات البشر « العلمية » على صحة أو صدق النصوص القرآنية ، فالنصوص القرآنية صحيحة وصادقة بذاتها لا بشهادة من خارجها عليها والمؤمن بها لا يجوز أن تدركه الهزيمة أمام علم البشر ، فيستشهد به على صدقها وصحتها .. فأما « النظريات العلمية » فمعروف عند العلماء المحدثين أنفسهم أنها ليست سوى « فروض راجحة » فروض علمية لتفسير ظاهرة أو ظواهر كونية ، وتظل النظرية قائمة ومعتبرة إلى أن يوجد فرض علمي آخر ، يفسر تلك الظاهرة - أو الظواهر - تفسيراً

أوضح أو أصح .. وهي عرضة دائماً للتبدل والتغيير والتعديل والإلغاء فأين يذهب النص القرآني إذا نحن فسرناه بإحدى تلك النظريات وعلقناه بها . أين يذهب عندما يظهر خطأ تلك النظرية أو عندما تعدل في بعض أجزائها أو عندما يضاف إليها جديد ؟ إننا سنضطر أن نحمله ونجري به وراء نظرية أخرى لعلها تتوافق معه ! وهكذا لا نكف عن حملته الجري به .»

ومن هنا يستطيع المسلم أن يقول وباطمئنان إن القرآن جاء منهج هداية ولم يكن في يوم ماكتاب طب أو فلك أو طبيعة ، وما جاء من آيات بهذا الشأن هو محاولة لتصحيح الانحرافات والتصورات الباطلة والأوهام المضللة التي أحاطت بهذه المسائل ، وجاءت تلك الآيات والإشارات بالقدر الذي يكفي لتصحيح العقيدة وإعطاء صورة صحيحة وصادقة عن بعض المظاهر العلمية لهذا الكون .

ومع هذا فالإسلام لا يمنع البشرية من الانتفاع والاستفادة مما ثبت من «حقائق علمية» وليس «النظريات العلمية» حفاظاً على المنهج القرآني وقدسيته لكونه قطعي الدلالة ومطلق الدلالة وغيره ليس كذلك . ومن هنا فلا يستشهد على صدق القرآن وصحته بشيء من الحقائق والنظريات الظنية التي يقوم بها الإنسان معتمداً على نتائج قياسية لا ترقى إلى مستوى الحقيقة المطلقة والمتوافرة في القرآن ، وبالتالي فالمقارنة هنا تكون غير سليمة وغير علمية من الناحيتين الاعتقادية والمنهجية العلمية أيضاً .

ومما سبق يمكن أن نستخلص الحقائق والنتائج التالية : -

- إن القرآن الكريم أشار إلى حقائق كونية كثيرة لا يمكن حصرها هنا .
- ينبغي ألا نقارن أو نربط بين الحقائق العلمية الثابتة ثبوتاً ظنياً، وبين القرآن الكريم الثابت ثبوتاً قطعياً.
- التأكيد على أن القرآن الكريم هو كتاب هداية ومنهج حياة ، ولا يمكن أن نعتبره كتاب طب أو طبيعة أو فلك .
- التأكيد على أنه لا تناقض ولا مصادمة بين الحقائق العلمية الواردة في القرآن وبين الحقائق العلمية الثابتة بطرق صحيحة .
- التأكيد على خلود وعظمة القرآن ، وأنه معين لا ينضب ، وأنه معجز للأولين والآخرين ، فكل يوم تزداد البشرية معرفة وعلماً من خلال النظر في آياته وتدبر معانيه وأساره .
- التأكيد على أنه لا يوجد ما يمنع من الانتفاع بالآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم ، ولكن بشرط أن لا نربطها بشيء من خارجها .

الموضوع الخامس : ويتناول دعوة الإسلام للناس للنظر إلى ما في الكون والحياة من مظاهر الجمال :-

يُعتبر النص القرآني الكريم ضرباً من التعبير المعجز : - سواء أكان ذلك من حيث الشكل الجمالي والفني للنص أم من حيث اللغة التعبيرية أو المضمون .

فمن حيث الشكل الفني ينفرد القرآن بهيكل خاص له خصائصه وتميزه عن بقية أشكال الأدب المعروفة اليوم : من قصة وخطبة ومقالة ورسالة وحكاية وقصيدة .

ومن حيث اللغة التعبيرية والمضمون يظل النص القرآني متفرداً أو متميزاً على كل لغات التعبير الأخرى فلا تشابه ولا تقارب بينهما ، وهو أمر واضح وبين لا يحتاج إلى تعقيب أو توضيح .

والقرآن الكريم باعتباره منهج حياة يحث الناس ويدعوهم من خلال آيات كثيرة إلى أعمال العقل والنظر والتفكير في كل آيات هذا الكون البديع المنظم ، وغالباً ما تتضمن الآيات التي فيها دعوة للتفكير والتأمل قوله تعالى « أفلا يعقلون » « أفلا ينظرون » « أفلا يتدبرون » .

والمطلوب من الإنسان العاقل البحث والتأمل والتفكير في كل مظاهر الجمال المشوثة في أرجاء هذا الكون ، والنظر إلى دقة التقدير والحساب والتنظيم والترتيب والتناسق والتكامل والترابط بين كل جزء من أجزائه وكل مظهر من مظاهره الكثيرة ، هذا ويمكن إدراك مظاهر الجمال ومعانيه في الكون من خلال النظر والتفكير في المظاهر التالية : - (١)

- انتظام ودقة دورات النجوم والكواكب ومواقعها ، وبذلك استطاع المزارعون والمسافرون برأً وبحراً الاهتداء بها واتخاذها علامات قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون » (٢) وقال سبحانه « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » (٣)

- يلاحظ أن حجم الأرض وكتلتها وميلها على محورها وموقعها من الشمس ومن القمر ، وانتظام دورتها حول نفسها وحول الشمس ودورة القمر حولها ، إن كل هذا محسوب حساباً دقيقاً وبهذا الحساب تصلح الأرض للحياة .

- يتضح أن مساحة المحيطات المالحة ، ومساحة الأرض اليابسة محسوبة بدقة لحفظ جو الأرض وبقائه صالحاً للحياة .

- يلاحظ الدقة والروعة المتناهية في توزيع عناصر الجو بين النتروجين « الآزوت » بمقدار

(١) رجع الباحث إلى :-

- حسن الحياي ، التصور الإسلامي للوجود ، مرجع سابق .

- جون كلوفر مونسيما ، الله يتجلى في عصر العلم ، مرجع سابق .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٦ .

(٣) سورة يس ، الآيات ٣٧ - ٤٠ .

(٧٨٪) والأكسجين بمقدار (٢١٪) و(١٪) لبقية الغازات الصغيرة ، وثبات حجم الاكسجين على الرغم من الاستهلاك الكبير من قبل جميع الأحياء ، وهذا القدر وهذه النسبة من الأكسجين هي اللازمة بالضبط لحفظ هذا النوع من الحياة .

– يلاحظ الإبداع الإلهي في تقدير حجم الشمس فلو كبرت أكثر مما هي عليه أو زادت حرارتها أو قربت إلى الأرض ، لاحترق كل ما على وجه الأرض ، ولتعذرت الحياة عليها ، وكذلك العكس فلو صغرت أو قلت حرارتها أو بعدت عن مكانها الحالي لتجمدت الأرض وتعذرت الحياة فيها .
– كذلك الأمر بالنسبة للقمر فلو قرب من الأرض أو زاد حجمه لارتفع المد الذي يحدثه في المحيطات بحيث يغمر اليابسة كل يوم مرتين .

– ونظرة إلى خواص الماء الذي يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض وهو بذلك يؤثر تأثيراً بالغاً على الجو السائد ودرجة الحرارة ، ولو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث ، وللماء أيضاً درجة ذوبان مرتفعة وهو يبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن ، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة ، فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة ، ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير ولقلت متعة النشاط الإنساني على سطح الأرض .

وهكذا نجد العديد من الموافقات والموازنات في كل أجزاء الكون صغيرها وكبيرها ، حياها وجمادها فمن يا ترى حَكَمَ وَقَدَّرَ كل ذلك ؟ هل هي الطبيعة أم المصادفة أم الإنسان أم شيء آخر؟
إن كل ما سبق يدل ويؤكد أن هناك صانعاً وخالقاً ومدبراً ، يشهد بذلك دقة الصانع وجودت الصنعة وكمالها وتناسقها ، كما تشهد باليد المبدعة التي أبدعت هذا الكون وأودعته سننه وقوانينه ، ومن هنا فالمسلم يرفض الخرافات التي تقول إن الكون خُلِقَ بالمصادفة أو أن الطبيعة هي التي خلقتة أو التلقائية .

ومما سبق يتضح لنا جمال الكون ، وأن التناسق والتوافق لا يقف عند حدود الدقة والانتظام والضبط فحسب ، ولكن هذا التوافق والتناسق في كل أرجاء الكون يجعلنا نشهد بالجمال والكمال والبهاء والموازنة والحسن والزينة لكل جزء فيه ، ولكل حركة على وجه الكون وإلى هذا أشار أحد الباحثين بقوله (١) « إن عنصر الجمال مقصود قصداً في بناء الكون ، وفي ظواهره ، وفي الحياة المبتوثة فيه ، وإيقاظ حاسة الجمال في البشر مقصود كذلك قصداً في المنهج القرآني وفي التربية الإسلامية بهذا المنهج ، إن هذا الإنسان مخلوق فائق على الحيوان فمطالبه الأساسية ليست هي مجرد الكفاية الحيوانية من الطعام والشراب والجنس - كما تقول الماركسية - فمن مطالبه الأساسية كذلك أن يستمتع بالجمال في شتى صورته جمال المناظر وجمال المشاعر ، من أجل هذا تتكفل عقيدته الصحيحة

الرفيعة في الإسلام أن توظف مشاعره إلى الجمال في الكون وفي الحياة المبثوثة فيه ، فالله - سبحانه - جعل الجمال عنصراً من عناصر بناء الكون والحياة ، والكمال في صنعته الباهرة يحقق هذا الجمال»
والقرآن الكريم يربط بين جمال هذا الكون ، وبين ما يقدمه للناس من منافع وخيرات يقول سبحانه « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (١)

ويحدد مهمة النجوم بقوله « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » (٢)

ويحدد سبحانه وظيفة الليل والنهار بقوله « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٣)

فهذه الآيات وغيرها هي عبارة عن توجيه إلى المنافع والمصالح التي وهبها المولى سبحانه للبشر في حدود حاجتهم وما يحقق لهم حياة كريمة قائمة على أسس سليمة ، ولم يكتف المنهج القرآني الكريم بتحديد المنافع والمصالح فحسب وإنما تجاوزهما إلى الدعوة إلى التمتع بالجمال والكمال والزينة والبهجة والمنظر والحسن والنظر إلى الألوان وتنوعها ، والزروع وجمالها والثمار وفوائدها ، والحيوانات ومنافعها وما فيها من زينة وحسن .

وفيما يلي بعض الآيات التي تتحدث عن مظاهر الجمال في الكون وما فيه من زينة وحسن : قال تعالى : «الذي خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير » (٤)

فالمولى يوجه في هذه الآيات أنظار الناس إلى ما في الكون من توافق وتناسق وكمال وزينة حتى إن الأبصار وبقية الحواس لا تستطيع أن تحدد نقصاً أو تجدد ثغرة في هذا الكون بل إنها قد تعجز أحياناً عن استيعاب عظمة هذا الكون والتسليم بمفرداته .

ويلفت القرآن الحس الإنساني إلى جمال حركة الظل وألوانها الجميلة الرائعة التي لا يدركها إلا صاحب الحس المرهف اللطيف والعقل السليم قال تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ، ثم قبضناه إينا قبضاً يسيراً » (٥)

(١) سورة يونس آية ٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٧ .

(٣) سورة القصص آية ٧٣ .

(٤) سورة الملك الآيات ٣ - ٥ .

(٥) سورة الفرقان الآيات ٤٥ - ٤٦ .

وينبه القرآن الإنسان إلى النظر والتأمل إلى مشهدين عظيمين يعيش معهما صباحاً ومساءً ،
 وبهما يعرف تنظيم أمور حياته كلها قال تعالى « **والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس** » (١)
 ويلفت القرآن الأنظار إلى النجوم ودقتها ، وتنظيمها ، ومواقعها التي يعجز الإنسان أن
 يتصورها أو يدركها ، فأقرب نجم إلى شمسنا يبعد عنها بأكثر من أربع سنوات ضوئية ، والسنة
 الضوئية تعادل بمقياس المسافة (٦) مليون ميل ، قال تعالى « **فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسـم لو
 تعلمون عظيم** » (٢)

ويوجه القرآن الأنظار إلى تنوع الألوان وجمال هذا التنوع سواء في الجمادات أو الأحياء قال
 تعالى « **ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيضٌ
 وحمرٌ مختلف ألوانها وجرابيبٌ سودٌ ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى
 الله من عبادة العلماء إن الله عزيز غفور** » (٣)

ويدعونا القرآن إلى التأمل والنظر والتفكر في عالم الحيوانات وما فيهما من جمال ومنافع قال
 تعالى « **والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
 تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرعوف رحيم ، والخيل
 والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون** » (٤)

وهنا نلاحظ الجمع بين الجانب الجمالي وبين جانب المنفعة والفائدة ، فالقرآن هنا يلفت الأنظار بقوة
 إلى عنصر الحسن والجمال الذي أودعه الله في كل ما خلق إلى جوار عنصر النفع أو الفائدة فيها .
 كما أنه شرع للإنسان الاستمتاع بالجمال والزينة مع المنفعة أيضاً فقولُه سبحانه في معرض
 الامتنان بالأنعام « **والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون** » (٥) ففي هذه الآية تنبيه
 على جانب المنفعة والفائدة ثم يقول « **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** » (٦) وهذا تنبيه
 على الجانب الجمالي .

وفي نفس السياق يقول « **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** » (٧) فالركوب يحقق المنفعة
 المادية ، أما الزينة فهي متعة جمالية فنية .
 ويوجهنا القرآن إلى النظر والاستمتاع بجمال الثمار والزروع ، ولم يقف عند هذا الحد فحسب ،
 بل تعداه إلى الدعوة إلى الإيمان من خلال هذا النظر والتأمل قال تعالى « **وهو الذي أنزل من السماء**

(١) سورة التكويد ، الآيات ١٧ - ١٨ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات ٧٥ - ٧٦ .

(٣) سورة فاطر ، الآيتان ٢٧ - ٢٨ .

(٤) سورة النحل ، الآيات ٥ - ٨ .

(٥) سورة النحل ، الآية ٥ .

(٦) سورة النحل ، الآية ٦ .

(٧) سورة النحل ، الآية ٧ .

ماءً ، فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حياً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (١) هذا وقد اعتبر القرآن الكريم كل المخلوقات والأشياء الموجودة على الأرض زينة لها قال تعالى « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » (٢) وهذه الآية صريحة وواضحة في بيان أهمية الزينة والجمال على وجه الأرض ، وهناك آيات كثيرة وردت فيها ألفاظ الزينة ، والجمال ، والحسن .

ما سبق عرض موجز لبعض لمسات الكون المادي الذي نعيشه وهي كما يقول عنها أحد الباحثين « لمسات جمالية يعجز البيان البشري أن يزيد لها عرضاً أو إيقاعاً ويهدف المنهج القرآني إلى رفع الإنسان إليها وإطلاق مشاعره تجاهها وهو يحدثه عن (حقيقة الكون) من حوله ليشتملي ما فيه من جمال ، إلي جانب ما فيه من منفعة له ومصلحة ، وإلى جانب ما فيه من ضبط ودقة » (٣)

ولم يقتصر القرآن على بيان جمال هذا الكون الذي نعيشه ونحيا فيه بل أخذ يحدثنا عن حياة أخرى هي الباقية وهي الدائمة وهي الأبدية وهي النهائية لكل حي على وجه الأرض ، إنها الحياة الآخرة وهي إما سعادة أو شقاء جنة أو نار ، وقد شوقنا القرآن إليها وحثنا على العمل من أجلها ، بل إن سر سعادتنا فيها يعتمد على ما قدمنا في حياتنا الأولى ، فكأن الحياة الثانية مبنية ومؤسسة على الحياة الأولى ، وقد وعدنا المولى ووعدته حق أن أعمالنا في الدنيا لن تضيع مهما كانت صغيرة في نظرنا قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . (٤) ويصف لنا المولى حال أهل الجنة بقوله « إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » (٥)

ويستمر سبحانه في وصف حال أهل الجنة بقوله « وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ ، لسعيها راضيةٌ ، في جنةٍ عاليةٍ ، لاتسمع فيها لاغية ، فيها عين جارية ، فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة » (٦)

ويقول أيضاً في وصف نعيم الجنة « في جناتٍ النعيم ، ثلثة من الأولين ، وقليلٌ من الآخرين ، على سررٍ موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهةٍ مما يتخيرون ، ولحم طيرٍ مما يشتهون ، وحورٌ عِين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون » (٧)

(١) سورة الأنعام ، آية ٩٩ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

(٤) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ - ٨ .

(٥) سورة الإنسان الآيات ٥-٧ وانظر أيضاً نفس السورة من آية ٨ إلى ٢٢ .

(٦) سورة الغاشية ، الآيات ٨ - ١٦ .

(٧) سورة الواقعة ، الآيات من ١٢ - ٢٣ .

وهكذا نجد أن الحياة الآخرة تجمع بين الجمال الفائق بكل ألوانه وأنواعه ، وبين المتاع الحسي ، وكلاهما مطلب أساسي لكل إنسان سواء في الدنيا أوفي الآخرة .

وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين « وهكذا تجتمع كل صنوف الجمال وألوانه في ذلك الكون المغيب ، حيث يضاف إلى جمال المناظر جمال المشاعر في أعلى مستوى يعز على الخيال البشري أن يتمناه» (١)

ويبقى هناك جمال ونظام وتناسق وانضباط في أمور أخرى وهي من صميم الإسلام قد يغفل عنها البعض أو يتناسوها نظراً لداومتهم عليها ، ومن تلك المظاهر الصلاة والحج ، فالصلاة فيها انضباط ودقة وجمال ونظام يظهر ذلك من خلال تحديد وقتها ، ووجوب الطهارة لأدائها ، واصطفاف الناس صفواً واحداً واتجاه الناس جميعاً أينما وجدوا إلى مكان واحد ، وتقديم أحدهم وتأديتهم لها بطريقة واحدة ومنظمة وكأنهم على قلب رجل واحد .

وكذلك الحج له شروط وأركان واحدة للجميع ، فأنت ترى الملايين يزي واحد في مكان واحد ويؤدون نفس الشعائر ويرددون نفس الألفاظ ، فلا تعرف فقيرهم من غنيهم ، أو ملكهم من رعيتهم ، فالكل هنا سواسية ولاشك أن أصحاب الأحاسيس المرهفة والمشاعر النبيلة تأخذهم هذه المظاهر إلى الشعور بعظمة هذا الدين وروعته وجماله .

وبعد : - فإن الكون بما فيه من غيب وشهود ودنيا وآخرة وعبادة وعمل هو جميل ورائع ومنظم ومتوازن وصديق للإنسان لا تنافر ولا تصادم بينهما ، ولكي يسعد هذا الإنسان ويستفيد مما في الكون المشهود ونعم ما عليه إلا أن يتفكر ويتأمل ويستخدم كل الوسائل المتاحة له ، خاصة ما ظهر منها في الفترة الأخيرة من وسائل العلم والتكنولوجيا ، وكلها تعين وتساعد على الاعتراف بجمال الكون وروعته وتناسقه ودقة تنظيمه .

ولكي يسعد الإنسان كذلك سعادة أبدية ما عليه إلا أن يتفكر في روعة وجمال الكون المغيب الذي وصفه المولى في آيات كثيرة ، وسيجد نفسه مشتاقاً إليه ، عاملاً كل ما يسعده فيه ، ويقربه إليه ، ولن يحصل هذا إلا باتباعه المنهج الرباني الذي يسعده في الدنيا والآخرة .

وأخيراً : - على المسلم أن يدرك أن هناك محاولات عديدة تحاول أن توجد نوعاً من الخصام والتنافر بين الإسلام ، وبين مظاهر الجمال المختلفة ، وأصحاب هذه المحاولات يختلفون في نواياهم ومقاصدهم : -

- فمنهم من يرى وعن حسن نية أن الإسلام لايهتم بالجمال ومظاهره ، وأصحاب هذا الاتجاه ، يتعللون بالقول إن الجمال وسيلة لإشباع غرائز صرفه لدى الإنسان وأن الاهتمام به قد يشغل الإنسان عن العبادة ، ويتوهم هؤلاء أن الولوج بالجمال ينافي الإيمان ويدخل صاحبه في دائرة الكبر المقيت عند الله وعند الناس ، وقد رد على هؤلاء رسول الله عليه السلام في الحديث المشهور عن ابن مسعود

حيث قال « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال عليه السلام : «إن الله جميل يحب الجمال» الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم

- ومنهم من يرى وعن سوء نية أنه لا علاقة للإسلام بالجمال ، وهؤلاء يحاولون حصر الإسلام في المسائل التعبدية فقط ، وهم ينطلقون من خلفية فلسفية منعزلة عن تعاليم السماء .
يتضح لنا مما سبق أن كلا الاتجاهين لا يتوافقان مع التصور الإسلامي الذي ينطلق في ممارسته للجمال واهتمامه به من مفهوم عبادي خاص ، هو أن الإشباع الجمالي الصرف لا قيمة له ألبيته مالم يقترن بهدف يتحدد وفق مبادئ الإسلام وقيمه، وهذا يعني أن قضية الالتزام في الجمال أمر مفروغ منه .
والمسلم يستطيع أن يحدد موقف الإسلام من الجمال ومظاهره من خلال الآيات السابق ذكرها ، والتي يتبين منها أن هناك مظاهر للجمال مبعثثة في كل مخلوقات الكون ، وكلها تؤكد أنه لا تعارض بين الإسلام وقيمه ، والجمال ومظاهره ، والتذوق وروعته ، والحسن وبهائه .

الموضوع السادس :- المسلمون والعلوم الكونية، ويدور حول الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين في كشف أسرار الكون واستغلاله .

لا أحد ينكر فضل العلم والعلماء على البشرية ، وما قدمه العلماء عبر العصور من مخترعات ونظريات خدمت المجتمعات بشكل واضح ، فسهلت الصعب ، وقربت البعيد ، ووفرت الوقت والجهد والمال ، ويسرت للناس سبل الحياة المختلفة وقد تباينت اهتمامات المجتمعات بالعلم والعلماء ، فمن المجتمعات من حاربتهم ووقفت ضدهم ، حتى وصل الحال إلى أنها أهدمت البعض ، وسجنت البعض الآخر وهذا ما كان يحدث في المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ومن المجتمعات من شجع العلماء وأفسح لهم المجال ، حتى إن الحكام والأمراء كانوا يتسابقون لكسب رضاهم والفوز بمجالستهم، وهذا ما كان يحدث في المجتمعات الإسلامية ، وفيما يلي استعراض موجز لهذا الموضوع :-

فضل العلم ومكانته في الإسلام :-

وردت الكثير من الآيات والأحاديث التي تبرز أهمية العلم والعلماء في الإسلام وكان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذي خلق» (١) فهذه الآية دعوة صريحة إلى تعلم القراءة .
ويقول سبحانه في فضل العلماء «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب» (٢) ويقول سبحانه «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٣) وقال سبحانه «وقل رب زدني علماً» (٤) وقال عليه السلام «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» (٥) ويقول عليه

(١) سورة العلق آية ١ .

(٢) سورة الزمر آية ٩ .

(٣) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٤) سورة طه آية ١١٤ .

(٥) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

السلام في بيان فضل العلم وأن المشتغل به أفضل من العابد « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » (١)
أنواع العلوم :-

يمكن أن تقسم العلوم إلى قسمين :-

(١) علوم شرعية :- مصدرها الوحي والنبوة ، وينبغي على كل مسلم الإمام بها بقدر الحاجة ، كمعرفة أركان العقيدة ، وأحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج وبقية العبادات وبعض المعاملات التي يحتاج إليها المسلم في حياته ، والإمام بذلك واجب على كل مسلم عاقل بالغ ذكر أو أنثى، أما بقية العلوم الشرعية كعلم الأصول أو التفسير أو الحديث فهذه العلوم تعلمها فرض كفاية ، وقد نبغ وتفرغ لها الكثير من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً .

(٢) علوم طبيعية واجتماعية :- وتعتمد هذه العلوم في غالبها على العقل والتجربة كعلوم الطب والكيمياء والرياضيات والفيزياء وهذه العلوم يمكن تسميتها بالعلوم الطبيعية أو المادية ، أما العلوم الاجتماعية فتشمل علم الاجتماع وعلم التربية وعلم الاقتصاد والسياسة ، وهذه العلوم بشقيها الطبيعي والاجتماعي تعلمها فرض كفاية ، بمعنى أنه ينبغي لمجموعة من العلماء والباحثين الاهتمام بها وتعلمها ، وإذا حصل تقصير في ذلك قد يآثم المسلمون جميعاً .

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن العالم الإسلامي قد قصر بشكل واضح في استيعاب هذه العلوم ، ولم يستفد منها بالشكل المطلوب ، وأصبح اليوم يعيش حالة على العلماء والباحثين الأجانب ، يحدث هذارغم الرصيد الحضاري والثقافي الذي يملكه العالم الإسلامي، وهنا يمكن أن يطرح التساؤل التالي:
 - ما الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين علمياً ، رغم أن دينهم وثقافتهم ورصيدهم الحضاري يؤهلهم لذلك؟ وما النتائج التي ترتبت على ذلك؟

إن الجواب على هذا السؤال قد يصعب ، نظراً لصعوبة تحميل جهة ما مسؤولية ذلك ، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض العوامل والتي يتوقع أن لها دوراً في ذلك فقد سبق ذكر الآيات والأحاديث التي تحث على العلم وعلى طلبه وتبين دور العلماء ومكانتهم وإن كان البعض يحاول أن يختصر تلك التوجيهات على العلوم الشرعية فقط ، وهذا في الواقع احتكار في غير محله ، لأن الإسلام ما جاء إلا لخير العباد والبلاد ، وهذا الخير لن يتم الحصول عليه والوصول إليه إلا إذا استفدنا من كل العلوم والمعارف والخبرات البشرية خاصة فيما يتعلق منها بالجانب المادي .

ولا شك أن الأمة الإسلامية قد خسرت في الجوانب المادية ، وأصبحت تعاني من التخلف العلمي والسياسي والاقتصادي والحضاري والتربوي .

ويرجع هذا التخلف إلى عوامل عدة ، وأسباب كثيرة يمكن ذكر أهمها فيما يلي :-

أولاً: عوامل عقائدية وحضارية وهذا العامل يتضمن عدة أمور منها :-

أ - لا بد أن تدرك الأمة جيداً أن التخلف العلمي والحضاري الذي أصابها في الجوانب المادية

المختلفة قد أصابها حين تخلت عن مَعِيْن قوتها، الذي أعطاها هذه القوة من قبل في كل الميادين، بل وصل بها الحال إلى ما هو أبعد من ذلك حينما كانت هي الرائدة وهي المسيطرة وهي الحاكمة .

ب - لا بد أن تعي الأمة أن الخروج من هذا التخلف لا بد أن يرتبط بالعودة إلى المنبع الأصلي ، وأن أية محاولة خارج هذا الإطار سوف تفشل ، والدليل أن بعض الدول حاولت أن تعمل شيئاً في هذا المجال ولكنها فشلت وكانت النتيجة أنها تبنت واستوردت قشور الحضارة وكانت النتيجة المزيد من الفشل في أغلب الجوانب المادية.

ج - لا بد أن تعي الأمة أفراداً وجماعات شعوباً وحكومات أن العلاج الموضوعي والحقيقي والعلمي لكل أنواع التخلف واجب مفروض على الأمة إن أرادت أن تصلح أحوالها ولكنه - وحده - لن يحل شيئاً ما لم يقم على أساس حقيقي (١) كما قال تعالى « **أقمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جُرْفِ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** » (٢)

د - لا بد أن تعي الأمة وخاصة شبابها ومثقفوها أنه لا علاقة بين الإسلام كدين وبين تأخر المسلمين في الجوانب المادية ، لأن هذا الشبهة يحاول البعض إصاقها بالإسلام ، فيزعمون ظلماً وزوراً أن الإسلام هو السبب في تخلف المسلمين ، وهؤلاء قلة من المعاندين والمكابرين لأنهم لم يدركوا حقيقة الإسلام وموقفه من العلم والعلماء ، وأنه لا مقارنة بينه وبين بقية الأديان المحرفة التي حاربت العلم والعلماء - كما سيتضح لاحقاً - .

هـ - لا بد أن تدرك الأمة أنها مطالبة بالاستفادة مما في الكون من ثروات وخيرات ، وأن ذلك مطلب شرعي واقتصادي ، حتى تستقل الأمة في قرارها وقوتها ، مع التأكيد على أن العمل في هذا المجال هو عبادة لله بشرط إخلاص النية .

و - على الباحثين والمهتمين بدراسة العلوم الكونية من العلماء المسلمين أن يدركوا أنهم يختلفون عن غيرهم ، لأنهم يحملون رسالة سامية ، القصد منها نفع البشرية وتحقيق مصلحتهم الدينية والدينية ، وأن المطلوب منهم الاقتصاد في استغلال الكون وخيراته ، وعليهم أن يدركوا أن القيم والأخلاقيات في الإسلام مطلوبة في كل الأعمال، وهذا عكس ما يحدث لدى العلماء الذين لا يحملون قيماً ومبادئ ، ويقتصدونهم على البحث فقط بغض النظر عما إذا عاد ذلك بضرر أو نفع فلا فرق عندهم .

ز - وبناء على ما سبق يمكن القول إن حضارتنا عرفت ما يمكن أن نسميه بـ «الروح المؤمنة» التي سَرَتْ لافي «علوم الشرع وحدها - فهذا طبيعي ومألوف - وإنما في «العلوم العقلية» أيضاً التي اتسقت في المنطق والنتيجة والغاية مع «علوم الشرع» بل قد شاعت هذه «الروح المؤمنة» في العلوم الطبيعية التي غت كعبادة لله يُقيمها العلماء سعياً لاكتشاف أسرار الله في كونه وسننه في ملكوته ، فإذا ما طبقوها نراهم قد ربطوا الوسائل بالغايات مستهدفين من تطبيقاتها تلك السعادة الدنيوية

(١) محمد قطب ، رؤية إسلامية لآحوال العالم الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٩٩١ ، ط١ ، ص ١٨٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٩ .

لخلق الله ، تلك التي بدونها لن يستطيع الخلق عبادة الحق بعمران الكون الذي شاء لهم أن يعمره ، (١)

ح - من يدرس تراثنا العلمي بإنصاف يلحظ شيوع «الروح المؤمنة» في ثنايا هذا العلم وتخللها لحقائقه ونظرياته ، فحتى «قوانين» هذه العلوم غير غريبة ولا بعيدة عن الإيمان، فإذا قرأنا - من تراثنا - كتباً في [الأحجار والجيولوجيا] نجد المؤلف يبدأ هذه الكتب بـ [بسم الله الرحمن الرحيم] وبـ [الحمد لله] فإذا فرغ من مبحث قال : [والله أعلم] (٢)

ثانياً : عوامل سياسية واقتصادية : - وهنا يجب أن نعرف الحقائق التالية : -

أ - ينبغي أن ندرك حقيقة واضحة وهي أن أغلب مناطق العالم الإسلامي قد خضعت للاستعمار الأجنبي ، وبعضها لم يستقل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين وكان من نتائج هذا الاستعمار شعور الغالبية من أبناء المسلمين بروح الانهزام والتبعية لكل ما هو أجنبي ، وهذا الشعور ولّد لدى الغالبية رضا بالأمر الواقع ، وعدم محاولة التغيير متذرعين بالكثير من الحجج ، فيبقى الحال كما هو عليه خاصة في الجوانب العلمية والمادية.

ب - ينبغي أن ندرك أن من أهم نتائج الاستعمار للعالم الإسلامي هو شعور المستعمر بالقوة والسيطرة ، ونتج عن هذا أنه فرض علينا وحتى اليوم الكثير من سلوكياته وأنماطه الاستهلاكية ، وأبعدنا عن كل وسائل التقدم العلمي والمادي تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب .

ج - يلاحظ أن المستعمر استغل قوته الاقتصادية والسياسية والعسكرية من أجل التدخل في شؤون الدول الأخرى ، ففرض عليها المعاهدات السياسية والاتفاقات الاقتصادية والعلمية والعسكرية . بمعنى أنه قيد حركتها وحربتها ولم يسمح لها بالتحرك إلا في حدود ضيقة وتحت رعايته ورقابته ، وهدفه من هذا منع أي تقدم علمي أو مادي يحصل في الدولة الضعيفة .

ثالثاً : عوامل مادية وعلمية وهنا ينبغي إبراز الحقائق التالية : -

أ - ينبغي التأكيد على أن مقتضى التقدم العلمي والمادي والسياسي والاقتصادي واستغلال خيرات الكون المشهود بصفة عامة لا يعني خروج الناس عن دينهم وأخلاقهم وإنسانيتهم ، ولا يعني أيضاً محافظة الناس على دينهم وأخلاقهم وإنسانيتهم أن يقعدوا عن التقدم العلمي والمادي والاقتصادي والسياسي ، كما فعلت أوروبا المعاصرة وكما أوعزت بذلك لغالبية الناس فأخرجت البعض منهم عن دينهم ، ولم تقدم لهم مساعدة للخروج والتخلص من التخلف العلمي والمادي الذي يعانونه .

ب - إن المفاهيم السابقة قد تنطبق على بعض المذاهب والأديان المحرفة والباطلة ، ولكنها لا تنطبق على الدين الإسلامي ، لأنه لا يتف في يوم ما ضد العلم أو ضد التقدم المادي الذي يخدم البشرية ويحقق لها مصالحها ، بل هو مؤيد وداعم لهما ، ولكن ما يحدث في الواقع الحالي إنما هو

(١) محمد عماره ، الاستقلال الحضاري ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

نتيجة لعجز المسلمين في عالم الواقع عن تحقيق الإسلام في صورته «المثالية» وانحسروا وضعفوا وتراجعوا لأسباب كثيرة ، ويلاحظ هنا أن تقدم أوربا وتطورها في الجوانب المادية لم يكن بسبب تركها لدينها المحرف ، وإنما هناك أسباب كثيرة ساعدتهم على ذلك - نعرفها لاحقاً -

ج - ينبغي أن يدرك الجميع أن العلم المادي بكل أنواعه ، ليس حكرًا وملكاً لأحد ، بل هو مشاع للجميع وبالذات لمن يعمل ويفكر ويخطط ، وعندما تقدمت أوربا مادياً لم يكن بسبب أن الرجل الأوروبي أذكى أو أمهر من غيره ، فكل المجتمعات والشعوب فيها القدرات المختلفة ، وإنما الذي حصل لتلك المجتمعات هو ذكاء من جهة وإمكانات بحث وتجريب من جهة أخرى ، وقيادات تخطط وتقول .

ولو وجدت كل هذه الإمكانيات في أي بلد لحصل ما يحصل في أوربا حالياً ، والدليل ما يحدث حالياً في دول جنوب شرق آسيا من ثورة علمية وصناعية واقتصادية أخافت الدول الأوروبية وأمريكا وأطلقوا عليها مصطلح «النمور الآسيوية» نظراً لسرعة تقدمها في كل المجالات .

د - ينبغي أن ندرك ونثمن الدور والجهود التي بذلها وبذلها العلماء المسلمون في السابق واللاحق ، فقد كانت لهم ولا تزال إسهامات في كل مجالات الحياة ، والمنصفون يشهدون بذلك ، وما حدث في العصور الإسلامية المختلفة من مظاهر التقدم المادي والعلمي سجله المؤرخون المنصفون من مسلمين وغيرهم ، وقد أكدوا جميعاً على انتشار المؤسسات التعليمية والتي بدأت بالمسجد والكتاتيب ، ثم توسعت ليصبح هناك المجالس العلمية والمدارس والمكتبات العامة والخاصة ، وكذلك اهتمت الدولة الإسلامية بحركة الترجمة من وإلى العربية حتى قيل إن بعض الخلفاء كانوا يمنحون كل من يترجم وزن ما ترجمه من المال ، وكذلك انتشرت حركة التأليف والنشر وبرز العديد من العلماء في مختلف المجالات نذكر منهم : -

- الإمام الرازي وقد ألف كتابه المشهور «الحاوي» ويقع في عشرة أجزاء يختص كل جزء منها بطب عضو أو أكثر، وقد ضمنه الرازي آراء جميع من سبقوه من العلماء بالإضافة إلى تجاربه وملاحظاته وقد تُرجم عام (١٢٧٩م) إلى اللغة اللاتينية بواسطة الطبيب اليهودي العربي فرج بن سالم .
- الإمام ابن سينا : - وقد اشتهر بكتابة «القانون» وقد جمع فيه خلاصة الفكر اليوناني والعربي ويمثل غاية ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في مجال الطب نقلاً وتجربة وتصحيحاً وابتكاراً، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى قال عنه «وليم أوسلر» إنه كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن وقد طبعت ترجمته اللاتينية ست عشرة مرة في الثلث الأخير من القرن الخامس عشر ، كما ترجم إلى العبرية في نابلي عام (١٤٩٢م) .

- الإمام أبي القاسم خلف الزهراوي : - وقد اشتهر بكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهذا الكتاب موسوعة طبية تقع في ثلاثين جزءاً ومزودة بأكثر من مائتي شكل للأدوات والآلات الجراحية التي كان يستخدمها ، ومعظمها من اختراعه ، وقد ترجم إلى اللغة العبرية واللاتينية .

— أما علوم الكيمياء فيجمع المؤرخون على أنها تحولت في عصر النهضة الإسلامية من الصفة الخرافية إلى العلم التجريبي بفضل الكثيرين من أمثال جابر بن حيان والرازي والهمداني ، وقد اشتهر الهمداني بكتابه « الجوهرتين العتيقتين » وقد حققه وترجمه إلى الألمانية المستشرق السويدي « كريستوفرتول » عام (١٩٦٨ م) وَضَمَّنَ هذا الكتاب دراسة تفصيلية لكل المعادن المعروفة في عصره ، وشرح عملية استخراج الذهب والفضة من جميع النواحي النظرية والعلمية والتكنولوجية ، ابتداء من الحصول على الخام من منجمه وانتهاء بصب قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين ، ثم استخدامهما في صناعة الحلبي .

— وفي مجال العلوم الاجتماعية برز العديد من العلماء ويأتي في مقدمتهم الإمام ابن خلدون والذي ينحدر أصله من منطقة حضرموت في اليمن ، وقد اشتهر بكتابه « مقدمة ابن خلدون » وقد ترجمت إلى عدة لغات ، ويعتبره الكثيرون وبحق رائداً لعلم الاجتماع ، وأبا لفلسفة التاريخ والحضارة. (١)

وأخيراً يمكن القول إن مخترعات وإسهامات العلماء المسلمين قد فاقت عصرها وأدهشت الأوربيين كما حصل عندما أهدى الخليفة « هارون الرشيد » ساعة « لشرلمان » (٢) واخترعوا البوصلة ، واستخدموا الحمام الزاجل في نقل الرسائل هذا ما كان في الماضي ، أما الحاضر فيشهد أن هناك الكثير من العقول المسلمة التي لو أُتيح لها المجال لأبدعت وبرزت ، ولكنها تحارب وتهضم ، والبعض هاجر إلى الخارج للبحث عن فرص للعمل وبرز البعض هناك وساهموا في أغلب المجالات العلمية .

و — التأكيد على أننا يجب أن نستفيد مما عند الآخرين من وسائل علمية ومادية حديثة وندرك أننا نأثم ونحاسب أمام الله إذا لم نقوم بهذه المهمة ، مع التأكيد أن الاستفادة ينبغي ألا تعارض عقيدتنا وفكرنا وحضارتنا .

هـ — وهي دعوة للمفكرين والباحثين في المجالات العلمية المختلفة من العرب والمسلمين الذين يسافرون إلى تلك الدول ، ثم يعودون دون الحصول على الخبرات والمعارف المطلوبة ، عليهم أن يدركوا أن شعوبهم ودولهم تنتظر منهم الكثير ، فلا يكفيننا منهم أن يعودوا بقشور هذه الحضارة من ملابس ومركب وسلوك ، وإنما المطلوب منهم أن يأتوا لنا بالجانب النافع والمفيد .

ر — وأخيراً على الأمة إذا أرادت أن تمسك بزمام التقدم العلمي والمادي فعليها بتشجيع العلماء والباحثين كما يجب عليها الاهتمام بالجامعات ومراكز البحث العلمي وإتاحة الفرصة أمام المختصين والباحثين الكي يبحثوا ويفكروا دون وصاية أو رقابة من أحد، وفي ختام هذا الموضوع ينبغي أن يطرح السؤال الآتي : —

— ما الأسباب التي أدت إلى تقدم الغرب بقسميه الأوربي والأمريكي ؟

(١) أحمد فؤاد الباشا ، الحضارة الإسلامية والتقدم العلمي ، من منشورات جامعة صنعاء ، ١٩٨٨ م ، ط ٣ ،

(٢) عبدالنواب يوسف ، الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤ م ، ط ١ ،

في البداية ينبغي الإشارة إلى أن الكنيسة ورجالها في أوروبا حاربوا العلم والعلماء ، ووقفوا ضدهما بشتى الوسائل والأساليب ، حتى وصل الأمر إلى إعدام البعض وسجن البعض الآخر بسبب الأعمال العلمية الجديدة التي أتوا بها ، هذه حقيقة ومُسلِّمة يعترف بها الجميع .

وكان من نتائج ذلك نفور عدد كبير من الأوربيين من الدين وأخذوا يبتعدون عن الدين رويداً رويداً ، حتى انسلخوا منه تماماً في الفترة الأخيرة ، ولم يبق إلا طقوس قد تؤدي يوم الأحد أو لا تؤدي فالأمر سيان بالنسبة لهم ، ورأى هذا الحشد أن هذا هو الصواب وأن كل تصرف يؤدي إلى إبقاء سلطان الدين - فضلاً عن توسيع سلطانه - هو عمل ضد الشعوب وضد الحضارة ! وضد إنسانية الإنسان ! (١) .

وكما سبق القول إن أوروبا قد تكون معذورة في أن تقف هذا الموقف العدائي من دينها بسبب موقف الكنيسة من العلم والعلماء ، ولكن لا يقبل منها أن تعمم هذه النتيجة وتفرضها بالترغيب أو التهيب على بقية الدول والشعوب .

وعليها أن تدرك أيضاً أن تقدمها المادي والعلمي والاقتصادي والعسكري لم يكن نتيجة لهذا السبب فقط ، وإنما هناك أسباب أخرى أدت إلى هذا التقدم لعل منها ما يلي : -

أولاً : غياب قوى ودول عظمى تنافسها وتشاركها ، والمتتبع للتاريخ يلاحظ أن هذه الدول لم تنهض إلا مؤخراً ، وإلا أين كانت أوروبا حين وصل المسلمون إلى الصين شرقاً وإلى الأندلس غرباً . ثانياً : إن أوروبا لم تبدأ في حضارتها من الصفر ، وإنما استفادت مما هو متاح من خبرات وعلوم ومعارف الحضارات السابقة ، خاصة الحضارة الإسلامية .

ثالثاً : إن أوروبا تقدمت علمياً ومادياً بسبب الإمكانيات البشرية والمادية التي أتاحت لها ، والمتتبع لتاريخها الاستعماري يجد أنها نهبت الكثير من خيرات العالم الإسلامي ، وسخرتها لخدمتها ولتقدمها ، وهذا ما دعا أحد الباحثين إلى أن يتساءل بقوله « وهل تضخمت أوروبا ، وبلغت قوتها ما بلغت ، وبلغ سلطانها ما بلغ إلا حين استعمرت العالم الإسلامي ونهبت خيراتة » (٢)

رابعاً : أنهم أنفقوا وبسخاء على الأبحاث والتجارب ومراكز البحث ، وهبوا لعلمائهم الإمكانيات المادية والبشرية مما جعلهم يتفرغون للعلم وللعلم وحده ، وهذه حسنة تحمد لهم .

خامساً : إن المتتبع لمؤلفات الحضارة الغربية في العلوم الطبيعية لن يجد « للروح المؤمنة » أثراً بل سيجد النقيض على نحو أكيد، فهذه المؤلفات قد لا تتحدث عن الإلهاد ولا تجادل في إنكار الخالق الصانع القادر في هذا الكون ، ولكنها تصحب القارئ من البداية إلى النهاية فتقف بعقله عند حدود المحسوس والأسباب والمسببات في إطار هذا المحسوس ، وأيضاً لاتشعر القارئ بوجود قوة خالقه وراء هذا المحسوس ، بل ولا بالحاجة لوجود هذه القوة ، وكما يقول أحد الباحثين « إن هذه

(١) محمد قطب ، رؤية إسلامية لإحوال العالم الإسلامي ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

المؤلفات إذا لم تنكر صراحة وجود هذه القوة الخالقة فإنها تُرسب في الذهن الإنساني تصوراً للكون لا يحتاج الإنسان في إدراكه إلى أكثر من الأسباب والمسببات المادية التي يجدها ويلمسها أمام حواسه، وهذا النهج الغربي وهذه الروح الغربية تُكوّن العقلية غير المؤمنة ، ولذلك فإننا حين نتحدث عن الروح المادية والإلحادية للحضارة الغربية لا نقف بمقاصدنا فقط عند [الطابع النفعي] في القيم والأخلاقيات ، وإنما نقصد سريان [الروح الملحدة] في التراث العلمي للحضارة الغربية ، الأمر الذي ميزها ويميزها عن حضارتنا العربية الإسلامية التي تميزت [بروحها المؤمنة] التي تسري في كل العلوم والفنون وسائر الميادين والمجالات» (١)

سادساً : وبناء على العامل السابق فإن أصحاب هذه الحضارة المادية الصرفة لا يتورعون في هدم قيم البشرية وأخلاقها ، بل لا يتورعون عن تدميرها بشكل كامل في سبيل وصولهم إلى حقيقة علمية أو نظرية معينة ، والدليل ما أنتجوه من أسلحة مدمرة ، ومن وسائل غير إنسانية الهدف منها القضاء على الإنسان وتدميره ، ومع هذا يجب ألا ننسى أنهم اخترعوا ووصلوا إلى حقائق وأمور كثيرة خدمت البشرية ووفرت عليهم الكثير من الجهود .

وبعد : فإن النموذج الأوربي المنحرف - حتى ولو ملك القوة المادية والعلمية - سيظل موضع استنكار من قبل الكثير من المنصفين الذين يبحثون عن الحقيقة وحدها بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية أو السياسية ، وهذه النظرة ليست تحاملاً أو تعصباً ، وإنما هي من واقع تجارب مريرة ومعاناة مؤلمة مارسها الرجل الأوربي والأمريكي ضد بقية شعوب العالم - وخاصة العالم الإسلامي - وهذا الاستقواء حصل عندما شعر هؤلاء بالقوة العلمية والمادية .

وأخيراً ما المخرج لهذه الأمة لكي تنهض من جديد وتستفيد من كل الإمكانيات المتاحة في هذا الكون ؟

إن الجواب عن هذا السؤال يمكن اختصاره في النقاط التالية : -

- على الأمة أن تدرك أنها صاحبة رسالة مهمتها منع الفساد في الأرض وتحقيق منهج الله فيها .
- عليها أن تدرك أنها تمتلك كل مقومات التقدم العلمي والمادي فهي تقع في موقع متوسط في العالم وتملك قوة بشرية ، وثروات طبيعية كثيرة خاصة النفط ، الغاز ، الذهب .
- يجب على الأمة ألا تيأس بسبب الواقع المؤلم الذي تعيشه اليوم .
- على الأمة أن تستفيد من كل ما هو مفيد ونافع بغض النظر عن مصدره .
- على الأمة أن تحاول أن تستقل بقرارها السياسي والاقتصادي ، وتوجد بين شعوبها روح التعاون والتكامل .

ثالثاً : مراجع الوحدة الثانية : -

عزيزي المعلم : يمكنك إرشاد طلابك من أجل الرجوع لهذه المراجع وغيرها بقصد الزيادة في الاطلاع حول موضوعات هذه الوحدة : -

- أحمد فؤاد الباشا ، الحضارة الإسلامية والتقدم العلمي ، من منشورات جامعة صنعاء .

- حسن الحيارى ، التصور الإسلامي للوجود

- سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي .

- علي أحمد مذكور ، نظريات المناهج التربوية .

- عبدالتواب يوسف ، الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية .

- محمد عمارة ، الاستقلال الحضاري .

- مفتاح محمد دياب ، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية .

- مجموعة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ، الله يتجلى في

عصر العلم ترجمة الدمرداش عبدالمجيد سرحان .

محتوى الوحدة الثالثة وعنوانها : الإسلام والإنسان .

أولاً : مقدمة الوحدة :-

خُصِّصَ الحديث في محتوى هذه الوحدة عن موضوع طالما شغل الكثير من الباحثين والدارسين ، وقالوا فيه آراء ونظريات متعددة منها الصحيحة ومنها الخاطئة . فيا ترى ما هو هذا الموضوع ؟ إنه موضوع الإنسان من حيث طبيعته وماهيته وبداية خلقه ونشأته ، ومن أجل التعرف على هذه القضايا وغيرها تم إعداد محتوى هذه الوحدة والمكونة من عشرة موضوعات كلها ذات علاقة بالإنسان هذا المخلوق المكرم العجيب وهذه الموضوعات في مجملها تحقق الأهداف العشرة التي تم وضعها لهذه الوحدة . (١)

ومن أجل تدريسها ، على المعلم الرجوع لدليل المعلم الذي تم إعداده في البحث وذلك من أجل الاستفادة منه عند تدريس هذا المنهج . (٢)
وقد تم أيضاً الإشارة إلى بعض المراجع والمصادر التي يمكن أن يستفيد منها كل من المعلم والطالب من أجل التوسع في موضوعات هذه الوحدة .

ثانياً : محتوى الوحدة الثالثة :- الموضوع الأول : وهو بعنوان : الإنسان باعتباره كائناً كريماً على الله .

الخلق والنشأة :-

ظل الإنسان منذ آلاف السنين يتأمل في أصل خلقه ونشأته ، وحاز هذا الموضوع على الكثير من الاهتمام والدراسة والبحث من قبل الباحثين والمهتمين خاصة علماء الاجتماع والفلسفة وعلماء الأحياء ، وحاول كل منهم أن يجد تفسيراً وتحليلاً دقيقاً يحدد فيه ماهية الإنسان وطبيعته ، وبداية نشأته وخلقته ، ومن العلماء الذين حاولوا الحديث حول هذا الموضوع الفيلسوف (ثالس) الذي قال إن الإنسان بمثابة كل شيء في هذا الكون وأنه خلق من الماء ، وأن عملية التطور حصلت له بطريقة طبيعية، وأنه سيعود إلى طبيعته الأصلية التي خلق منها بعد مرور الأيام .

ويرى آخرون أن الإنسان يشبه الحيوان في الخلق والنشأة ، ولكنه يتميز بصفات تجعله يختلف بقدر بسيط عن الحيوان كقدرته على التخيل والتذكر والتفكير ، وعجز آخرون وأعلنوا عدم قدرتهم على تفسير الكيفية والبداية لخلق هذا الإنسان ونشأته . (٣)

وإن المتأمل والدارس لكل الآراء والتفسيرات الفلسفية والمادية التي قيلت حول نشأة الإنسان وخلقها يجد أنها تتناقض مع بعضها وتختلف من فترة لأخرى ، ولا ترقى إلى مستوى الحقيقة والثبات الذي يبحث عنه المهتمون ، وبدون عصبية أو محاباة .

(١) من أجل الاطلاع على أهداف هذه الوحدة بشكلها النهائي يمكن الرجوع للملحق رقم (٢) .

(٢) من أجل الاطلاع على دليل المعلم يمكن الرجوع إلى الملحق رقم (٦) .

(٣) حسن الحيارى ، التصور الإسلامي للوجود ، مرجع سابق ، ص ١٧١ .

يمكن القول إن الباحث عن حقيقة هذا الأمر لن يجد ذلك إلا في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذا هو الواقع الذي اعترف به بعض الباحثين المنصفين من غير المسلمين ، واقرأ معي ما قاله العالم الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) حول هذا الموضوع في كتابه المشهور « ما أصل الإنسان » حيث قال « إنَّ ما جاء به القرآن من بيان عن أصل الإنسان سوف يثير دهشة كثير من الناس لا ريب ، تماماً كما أدهشت أنا أيضاً حين اكتشفته لأول مرة ، وفوق ذلك فإن مقارنة النصوص القرآنية والتوراتية والإنجيلية - تكشف عن ذلك بصورة أوضح ، فكلاهما يتحدث عن الله الخالق ، إلا أن التفصيلات التي أوردتها التوراة في وصف الخلق - وهي غير مقبولة علمياً - لا وجود لها في القرآن ، أما القرآن فيحتوي - حقاً - على آيات بينات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل ، ويستحيل تفسير وجود هذه الآيات البينات بالمنطق البشري ... فإذا ما وضعنا ما ذكره القرآن جنباً إلى جنب مع غيره من الظواهر الطبيعية الأخرى والتفصيلات التي أوردتها القرآن عن أصل الإنسان فإنها تشكل عنصراً مهماً في الجدل الذي طال مداه بين العلم والدين ، فهي تعيد فتح باب البحث والنقاش على أساس من الاهتمام والتركيز على حجج جديدة ، وبالنظر إلى هذه النقاط المهمة التي تتفق فيها المعطيات العلمية الأكيدة الثابتة مع كتاب مقدس ، نجد أن الأمر يستلزم إعادة النظر في الأحكام غير المتأنية «السريعة» التي قصرت جل اهتمامها على التصورات المجردة أكثر من الحقائق» (١).

ولمزيد من التوضيح حول هذا الموضوع لا بد من الإجابة عن التساؤل التالي :

ماذا قال القرآن عن بداية خلق الإنسان ونشأته؟

يؤكد القرآن الكريم أن الإنسان في أول أمره خلق من تراب فقال تعالى « هو الذي خلقكم من تراب » (٢) وقال سبحانه « والله خلقكم من تراب » (٣) ولذا فالإنسان عند موته يتحلل إلى عناصره الأولى التي لا تختلف عن باقي عناصر الأرض قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (٤) ولقد تكرر في القرآن أن أصل الإنسان هو التراب في عدة آيات وبإضافة الماء إلى هذا التراب صار طيناً ، ثم مكث حتى صار حمأ مسنوناً ثم يبس هذا الحمأ - المتغير الرائحة - حتى صار صلصالاً وفي هذا يقول سبحانه « إنا خلقناهم من طيب لازب » . أي من طين لاصق بعضه ببعض ، ويقول سبحانه « وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (٥) والحمأ المسنون : طين أسود متغير اللون وإلى جانب هذا فقد اختص الله الإنسان بخاصية لم تكن لأحد غيره ، وتتمثل هذه الخاصية في أن الله نفخ فيه من روحه قال تعالى «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ، قال يا أبلّيس مالك

(١) موريس بوكاي ، ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، الرياض الناشر مطبعة مكتب التربية لدول الخليج

العربي بالرياض ، ط ، د ت ، ص ٢١ .

(٢) سورة غافر ، آية ٦٧ .

(٣) سورة فاطر ، آية ١١ .

(٤) سورة طه ، آية ٥٥ .

(٥) سورة الحجر، الآيات ٢٧ - ٢٩ .

ألا تكون مع الساجدين ، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمأ مسنون « (١) ففي هذه الآيات إشارة واضحة إلى أن آدم بعد أن تم خلقه باجتماع : الطين المصور بهذه الصورة مع الروح أي - قبضة من الطين ونفخة من الروح - أمر الله ملائكته بالسجود لآدم وهو سجد تحية واحترام وتكريم ، وامتنال لأمره تعالى وليس سجد عبادة ، لأنها لا تكون إلا لله وحده . كما يؤكد القرآن أن الإنسان خلق خلقاً سويّاً معتدل القامة وفي أجمل صورة وأحسن هيئة ، كما يوحي التعبير القرآني أن الله شكل الإنسان بطريقة نموذجية قال تعالى « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » (٢) إن كلمة تقويم تعني تنظيم شيء ما بطريقة مخططة جيداً . وهناك آية أخرى تصف أن تسوية شكل الإنسان ستأتي من خلال كلمة العدل ، والتركيب وتعني كلمة ركب صَنع الشيء من مكوناته قال تعالى « الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك » (٣)

وهنا لا بد أيضاً من الإشارة إلى أن الله خلق من آدم زوجته حواء ... ومن هذين الزوجين تناسل الناس جميعاً بواسطة الماء المهين الذي أشارت إليه آيات كثيرة في القرآن ، قال تعالى « وبدأ خلق الإنسان من طين » ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين « (٤) وقال سبحانه « ألم نخلقكم من ماء مهين » (٥) وقال « فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق » (٦)

المشبهة التي أثرت حول خلق الإنسان : - (٧)

أشار « تشارلس دارون ١٨٠٩ - ١٨٨٢م » في كتابه أصل الأنواع الذي صدر في إنجلترا عام « ١٨٥٩ » إلى أن جميع الأحياء الأرضية نشأت من أصل واحد ، فمن الأحياء المائية نشأت الأحياء البرمائية ، ومنها نشأت الأحياء البرية ، ومن الحيوانات البرية نشأ الإنسان الذي لا يفصله عن القرد سوى حلقة واحدة . ويستند دارون في نظريته هذه على ما يسميه قانون الانتخاب الطبيعي القائل بأن الحياة نشأت بمحض الاتفاق والمصادفة ، فالخلية الحية أو (الأميبا) صورة متطورة من المادة البحتة غير العضوية ، ثم تطورت تلك الخلية البسيطة إلى أخرى معقدة فظهرت المملكة النباتية والحيوانية ثم ظهرت الزواحف بأنواعها ، وما لبثت أن انقرضت ، وقام على أنقاضها الثدييات ومن بينها الإنسان الذي تطور عن القردة العليا ، ويزعم أن الفرق بين الإنسان والحيوان فرق كمي وليس كيفياً ، كما يزعم أن

(١) سورة الحجر ، الآيات ٢٨ - ٣٣ .

(٢) سورة التين ، آية ٤ .

(٣) سورة الانقطار ، الآيتان ٧ - ٨ .

(٤) سورة السجدة ، آية ٧ .

(٥) سورة المرسلات ، آية ٢٠ .

(٦) سورة الطارق الآيتان ٥ - ٦ .

(٧) رجع الباحث إلى :

- محمد سيد المسير ، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٩ ، ط ٢ .

- عباس العقاد ، عقائد المفكرين في القرن العشرين ، القاهرة ، دار المعارف . دت ، ط ٢ .

- موريس بوكاي ، ما أصل الإنسان ، مرجع سابق .

أن كل هذا حدث بعيداً عن الإرادة الإلهية أو العناية الربانية .
هذا هو مجمل ما تقوم عليه نظرية دارون ، وكما يقول المفكر عباس العقاد إن العجيب في هذه
الشبهة أمران هما : -

الأمر الأول : أنها اعتمدت على التشابه بين الأحياء في قوانين الخلق و سنن التكوين وفي التوالد
والتناسل وفي الطعام والشراب دليلاً على النوع الواحد أو الأصل الواحد ، وهؤلاء يجهلون قول الحق
سبحانه « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » .

وقوله « **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير** » (١) ومن ثم فإن جميع هذه
الخلايق التي تدب على وجه الأرض ينظمها قانون الخلق والتدبير الواحد الذي وضعه الخالق سبحانه .

الأمر الثاني : أن بعض الكتاب والمفكرين اتخذوا هذه الفرضية سُلماً للإلحاد والتشكيك بالأديان
عامّة ، وبالقرآن والإسلام على وجه الخصوص ، والبعض من هؤلاء ظل يردد هذه النظرية ويؤمن بها
حتى بعد قيام البراهين والأدلة العلمية على بطلانها وعدم مصداقيتها ، إلى جانب أن أصحابها لم
يدعو إلى مناقضة الإيمان بوجود الله أو يدعو إلى الإلحاد وبهذا الخصوص يقول العقاد « ولقد هوجم
المذهب - مذهب التطور - كثيراً باسم الدين وجعله بعضهم مرادفاً للإلحاد والمادية ومع هذا لم يكن
ولاس ولا دارون ملحدين معطلين وكان ولاس شديد الإيمان بالله ، خامرته الشكوك في الديانة
التقليدية ولم تخامرته في الإيمان بالله وبحكمته و من كلامه ما يستدل به على تصديق المعجزات
وخلود الإنسان . أما دارون فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفي وجود الله ، ولم يقل قط أن التطور
يفسر خلق الحياة ، وغاية ما ذهب إليه أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية ، وفي ختام
كتابه عن أصل الأنواع يقول : إن الأنواع ترجع في أصولها إلى بضعة أنواع تفرعت عن جرثومة الحياة
التي أنشأها الخلاق .»

كما يؤكد « يوسف كرم » أن دارون اعترف في آخر حياته أن الكلمة الأخيرة عنده هي أن المسألة
خارجة عن نطاق العقل البشري .

الرد على هذه الشبهة أو الفرضية :-

ابتداءً يجب القول إن الفرد المسلم يرفض هذه الفرضية جملة وتفصيلاً ، لأنها تتناقض مع مبادئ
العقيدة التي يؤمن بها ، وقد سبق أن عرفنا موقف القرآن من قضية بداية الخلق والنشأة ومع هذا
ينبغي الإشارة هنا إلى بعض الحجج والأدلة المادية التي تقول ببطلان هذه الفرضية لعلها تقوي إيمان
المؤمن ، وتقنع البعض من المسلمين وغيرهم من الذين لا يزالون يؤمنون بهذه الفرضية ، حتى إن البعض
لا زال يُدرّسها في بعض الجامعات والمدارس ويعتبرها حقيقة مُسلمة .

وفيما يلي نورد بعض الأدلة العلمية التي تثبت بطلان هذه الفرضية :

أ - يتصور البعض أن القرد أقرب الحيوانات إلى الإنسان ، وهذا تصور قاصر لأن علم التشريح أثبت أن هناك فروقاً هائلة بين الإنسان والقرد ، فالإنسان منتصب القامة على قدميه ، لأن سلسلة ظهره مقوسة في العنق وفي الظهر وفي الصلب ، والقرد ليس له شيء من ذلك ، كما أن الإنسان يتميز بنمو الدماغ وزيادة حجم الجمجمة ، وقد أحصى الباحثون معدل وزن الدماغ فكان متوسطه في الرجال [١٣٦٠] غراماً وفي النساء [١٢٠٠] غراماً. وأما القرد التي يدعى البعض أنها تشبه الإنسان فقد بلغ معدل وزن المتوسط منها [٣٦٠] غراماً والحد الأعلى [٤٢٠] وهذا نادر ، إلى جانب أن هناك فروقاً جسدية كثيرة يراها كل ذي بصيرة ولا يتسع المجال لذكرها هنا وصدق المولى حين قال « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

ب - أما علماء الآثار والحفريات ، فقد دلت الحفريات والأبحاث التي أجروها مؤخرأفي طبقات سفلى قديمة على وجود هياكل لحيوانات راقية موجودة اليوم ، مما يدل على حياتها في الزمن القديم وهي كثيرة الظهور ، أي أنها لم « تترق » مع الزمن ، لأنها أصلاً مخلوقة على هذه الهيئة منذ بداية نشأتها قبل مئات السنين .

كما أعلن البروفسور « جوهانزهورذرلر » بياناً في العاشر من شهر مارس عام [١٩٥٦] رفض فيه نظرية « دارون » وقال « لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالة قرودة » لأن الهياكل التي درس عليها تؤكد أن الإنسان عاش بمعزل عن القرد منذ عشرة ملايين سنة .

ج - أما علم الوراثة فقد دحض علماء هذه النظرية وأثبتوا من خلال المكتشفات أن وحدات الوراثة « الجينات » الموجودة في نواة الخلية - في الذكر والأنثى - والمتوضعة على الكروموزومات - هي المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وجناسها .

ويقول « كريس موريسون » إن هذه الجينات لو جمعت كلها ووضعت في مكان لكان حجمها أقل من نصف فنجان ، ومع ذلك فإن هذا القدر يسع الصفات الفرد لليونين من البشر ، ويحبس كل الصفات المتوارثة العادية لجميع من الأسلاف ، ويحتفظ بنفسية كل فرد منهم في تلك المساحة الضئيلة ويقول أحد الباحثين (١) عن خطورة هذه النظرية « إن العيب الرئيسي لنظرية « دارون » ليس في الوقائع العلمية التي بسطها في كتبه وتابعه فيها أعوانه ومريدوه ، بقدر ما هو في إحياء تلك النظرية التي خلقت طابعها الخطر لافي أفكار الجماهير وحدها ، بل في اتجاه العلماء كذلك منذ عهده إلى العصر الأخير » ويضيف الباحث : إن هذه النظرية قد ثبت بطلانها وعدم صحتها فها هو أحد علمائها وهو « جوليان هكسلي » يفرد فصلاً بعنوان « تفرد الإنسان » في كتابه « الإنسان في العلم الحديث » وأثبت فيه أن الإنسان متفرد في كل شيء حتى في تكوينه البيولوجي فضلاً عن تكوينه العقلي والنفسي ، وهذا الاعتراف هو في حقيقته إلغاء لجذور نظرية دارون فيما يختص بالإنسان .

هذه بعض الأدلة التي تثبت بطلان هذه الفرضية من قبل علماء الغرب أنفسهم ، ذكرت هنا على سبيل الاستئناس ، لعلها تقنع البعض من المفتونين ولا زالت الأدلة تتواصل وكل يوم يظهر لنا العلم حقائق جديدة وأدلة تبين مدى قصور هذه الفرضية ، وأنها لا تُعبّر عن الحقيقة التي ينشدها الباحثون والمختصون .

مظاهر تكريم الله للإنسان :-

الإنسان كائن كريم على الله اختصه بالكثير من الصفات والخصائص وكرمه عن باقي المخلوقات ، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الصفات والخصائص .

(١) **العقل وقابلية العلم** : وتمثل هذه الخاصية في قدرة الإنسان على القيام بالعمليات العقلية العليا كالتفكير المجرد الذي يتعلق بأمر معنوية مجردة ، والتأمل والتدبر في ظواهر الكون والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة في موضوعية وتجرد عن الهوى والمؤثرات الذاتية والقياس والاستدلال والاستنباط واستنتاج النتائج الصائبة ، وهذه خاصية هامة يتفرد بها الإنسان عن باقي المخلوقات ، لأنه قد يشترك مع بعضها في الكثير من الخصائص والصفات كالحركة والغذاء والتناسل والحس ، ولكنه ينفرد عنها بالقدرة على التفكير والتكيف والاستفادة مما عند الآخرين ، واستخلاص المفيد من الخبرات والتجارب التي عندهم ، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق العلم والمعرفة خاصة في هذا العصر الذي تضاعفت فيه المعارف والعلوم بشكل واسع ، وقد اختص المولى سبحانه هذا الإنسان بخاصية القدرة على تحصيل العلم والاستفادة من معطاته فزوده بأدوات تحصيل هذا العلم وهي السمع والبصر والفؤاد قال تعالى « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (١)

كما أشار المولى إلى حاجة الإنسان إلى العلم ، وأنه بحاجة إلى المزيد منه كما قال بعض العلماء أنه عليه السلام لم يطلب من ربه الزيادة في شيء إلا من العلم قال تعالى « **وقل رب زدني علماً** »

(٢) **السمو والنفخة الروحية** :

يشارك الإنسان التراب - الجماد - في أصل الخلقه وعناصر التكوين ، كما يشارك الحيوان في الكثير من الصفات ، إلا أنه ينفرد عن النبات والحيوان والجماد بخاصية النفخة الروحية المرتبطة بالسماء ، وهذه الخاصية هي التي تربط الإنسان بخالقه ، وتعطيه سمة النفخة الإلهية ، ومهما حاول البعض أن ينفي أو ينزع هذا التكريم عن الإنسان بحجة أن الطبيعة هي التي تشرف على حياته وخلقته ، ستظل هذه الخاصية تشريف وتكريم للإنسان ، وواضحة لكل ذي بصيرة وعقل قال تعالى « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** » وقال « **ونفخت فيه من روحي** » ولا ريب أن هذه الإضافة إلى المولى توحى بعظم التكريم والسمو والرفعة لهذا الإنسان .

(٣) **تسخير الكون للإنسان** :

الكون بكل ما فيه من أرض وسماء وشمس وقمر ونبات وحيوان وجماد وبحر وبر، كل هذا هو مسخر للإنسان ومهيأ له لكي يستفيد منه ويعمر الأرض ، وأي مخلوق ثان غير الإنسان لا يمكن أن

يستفيد من معطيات وخيرات الكون، كما هو الحال بالنسبة للإنسان الذي يستطيع أن يستغل ويستثمر كل الخيرات الموجودة على وجه الأرض قال تعالى « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» وقال « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

٤) الاستخلاف والتكليف :

وهذه الخاصية واضحة فعندما كرم المولى هذا الإنسان وخلق بيده ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته بالسجود له ، وسخر له كل ما في السماء والأرض ، ومنحه العقل الذي يفكر به ، لم يكن كل هذا دون هدف أو غاية أو عبثاً قال تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » نعم إن الإنسان لم يخلق عبثاً أو دون قصد ، وإنما أمر أن يكون خليفة الله في أرضه ، يقوم على بنائها وعمارته وفقاً لمنهج الله الذي ارتضاه لعباده قال تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »

٥) المنطق والبيان والتعامل بالرموز اللغوية :

يمتاز الإنسان عن بقية المخلوقات بقدرته على اكتساب أية لغة من اللغات الإنسانية وقدرته على استخدام لغة حقيقية ، وعلى الكلام والبيان والتعامل برموز وألفاظ ذات دلالة لغوية وهي القدرة التي لا يمتلكها أي نوع من أنواع الحيوانات الأخرى مهما بلغت درجة رقيه ، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي له خاصية الكلام الإرادي المقصود .

وخاصية البيان المذكورة في قوله تعالى « الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان » (١) ولتمييز الإنسان بالكلام عرفه البعض بأنه « حيوان يتكلم » وعماد الكلام اللغة وبدونها لانطق ولا منطلق ولا حوار مع بقية الخلق ولا تواصل مع الماضي والحاضر والمستقبل ، واللغة - كما نعلم - ليست مجرد تعبير ولكنها أيضاً أداة للتفكير ، وبدونها لا يستطيع الإنسان أن يعرف أبعاده المختلفة « القيم ، التملك ، الاتجاهات ، العادات ، التواصل مع الآخرين » (٢)

٦) الإنسان يتميز بنزعة الاجتماعية :

يتميز الإنسان عن باقي المخلوقات بالنزعة الاجتماعية أو الدافع الاجتماعي الموروث المتأصل في خلقه وتكوينه ، ولذا يقال عن الإنسان أنه « اجتماعي بطبعه » أو « مدني بطبعه » وبحكم هذه الصفة لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمفرده بعيداً عن المجتمع البشري الذي ينتمي إليه ، بل نجده يسعى إلى التفاعل مع الآخرين ، ويكتسب الخبرات والمعارف المتجددة ، ويكون شخصيته ويحقق أمنه وحرية ، ويرتبط بهذه النزعة نزعة الإنسان نحو البناء والتعمير ، ومحاولة التغلب على قلة الموارد الطبيعية المتوفرة له ، ومن أجل هذا فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يدفع به طموحه إلى المغامرة وركوب المخاطر ، وهذه المغامرة ناشئة عن إرادته الحرة التي بدونها يصبح متساوياً مع بقية المخلوقات الأخرى التي يسيرها الإنسان ويرعاها، وهذه المغامرة لا تكون حقيقية إلا إذا تضمنت إمكان الخطأ وترجيح الصواب . (٣)

(١) سورة الرحمن ، الآيات من ١ - ٤ .

(٢) عمر التومي الشيباني ، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي ، مصراته ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ م ، ط ١ .

(٣) زكي نجيب محمود ، فلسفة وفن ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ١٩٦٣ م ، ط ١ ، ص ٧٣ .

(٧) يمتاز الإنسان بنزعة الدينية :

وهذه النزعة الدينية أو الشعور الديني هو أمر فطري مغروس في النفس الإنسانية يولد الإنسان وهو مزود بها ، ولا يمكن الاستغناء عن هذه النزعة مهما تقدم العلم ، أو تطورت وسائل الحياة ، وفي هذا المعنى يقول « الشيباني » « إن النزعة الدينية والحاجة إلى التدين أمران فطريان في الإنسان وجدا معه منذ بداية خلقه وسيبقيان معه يلاحقانه ما بقيت الحياة ، وما دام له عقل يعقل به الجمال والقيح ويميز بين الخير والشر » (١) وفي القرآن والسنة الكثير من الأدلة التي تؤكد هذه النزعة أو العاطفة الدينية قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٢) والحديث المشهور الذي رواه البخاري « كل مولود يولد على الفطرة .»

ومن خلال هذه النزعة يجب على الإنسان أن يتجه بعبوديته إلى الله عزوجل ، ويؤمن بجميع الغيبات والمعتقدات الثابتة بالقرآن والسنة ، وعليه أن يتحمل أمانة التكليف والمسؤولية ، المأمور بها من الله والتي الغرض منها عمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة .

(٨) يمتاز الإنسان بالنزعة الخلقية :

وهذه النزعة يربطها الإسلام بالنزعة الدينية ، لذلك نجد المولى سبحانه وصف نبيه عليه السلام بحسن الخلق بقوله « وإنك لعلی خلق عظیم » وقال عليه السلام « خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا » (٣)

كما أكد العلماء المسلمين على أهمية الأخلاق قديماً وحديثاً قال عالم الأخلاق المسلم « ابن مسكويه » « إن الإنسان هو الذي من بين الموجودات كلها يلتمس له الخلق المحمود والأفعال المرضية ، وإن أفعاله وقواه وملكاته التي يختص بها من حيث هو إنسان وبها تتم إنسانيته وفضائله هي الأمور الخلقية أو الأمور الإرادية التي تتعلق بها قوة الفكر والتمييز. » (٤)

والخلق في أبسط تعاريفه هو « عادة أو اتجاه راسخ في النفس تصدر عنه الأفعال بسهولة ويسر » . وعرفه ابن مسكويه بأنه « حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية » (٥) ويقصد بقوله « من غير فكر ولا رؤية » أي السهولة واليسر ، ولا يفهم من قوله هذا أن العمل الأخلاقي لا يحتاج إلى فكر ورؤية، ونظراً لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتسم بالنزعة الخلقية فقد عرفه بعض علماء الأخلاق بأنه « الحيوان الأخلاقي أو ذو النزعة الخلقية ، أو ذو القدرة على التمييز بين الخير والشر. » (٦)

(١) عمر التومي الشيباني ، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد .

(٤) أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ، طبعة الجامعة الأمريكية ،

١٩٦٦ ، ط ١٠ ، ص ١٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٦) عمر التومي الشيباني ، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

والخلق الكريم له مظاهر متعددة منها الصدق والأمانة والإخلاص ، ومعاملة الناس بالحسنى والتواضع والقناعة واحترام الآخرين والعطف على الفقير والمريض والمحتاج والرحمة والصبر إلى غير ذلك من الفضائل الخلقية التي حث عليها المولى سبحانه ودعا إليها نبيه عليه السلام ، ويلاحظ أن هناك إمكانية لتعديل وتغيير عادات وأخلاق واتجاهات الإنسان المكتسبة نحو الأفضل ، وقد أكد على هذه الخاصية الكثير من العلماء منهم الإمام الغزالي الذي قال بإمكانية تغيير خلق الإنسان واستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية (١) .

ويعد : فإن الخصائص والمظاهر التي سبق ذكرها يتبين منها أن المولى سبحانه عندما خلق الإنسان ومنحه تلك الخصائص والصفات إنما كان الغرض والقصد منها هو أن يكون الإنسان كائناً إيجابياً فعالاً في كل مجالات الحياة فالإنسان المسلم يجب أن يكون إيجابياً وفعالاً في علاقته مع كل مفردات الكون والحياة ، وقبل ذلك يجب أن تكون علاقته بخالقه إيجابية فيمتثل لكل الأوامر ويجتنب كل النواهي . والثقافة الإسلامية بشكل عام هي ثقافة إيجابية وفعالة نظراً لما تحدثه من آثار طيبة ونبيلة في نفس كل مسلم ، فهي تدفعه إلى عمل الخير والتخلق بالأخلاق الحسنة ، كما أنها تشعر الفرد المسلم بضخامة مسؤوليته وبأهميته في الحياة ، وتشعره بأنه ليس إنساناً سلبياً يحسن إذا أحسن الناس ويسىء إذا أساءوا ولكنه يتعامل من منطلق مبادئ وقيم إسلامية يعتنقها ويؤمن بها . والإنسان الإيجابي هو ذلك الإنسان الذي نراه محباً للخير كارهاً للشر يعمل الإحسان دائماً ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحقق قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٢)

وللإيجابية مظاهر كثيرة يمكن تحديد بعضها فيما يلي :-

- الإيجابية تعلي من شأن الفرد المسلم وتشعره بأهمية وجوده في الحياة ، هذا الوجود الذي من خلاله يحقق الإنسان الغاية من خلقه وهو عبادة الله والقيام بواجب الخلافة في الأرض امتثالاً لقوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٣)
- الإيجابية تجعل الفرد المسلم يترفع في اهتماماته وغاياته وأهدافه ، فلا يزاحم الناس من أجل مطالب ومنافع فردية خاصة به ، وإنما نجده يقدم الآخرين على نفسه ويعمل من أجلهم ويسعد لسعادتهم .
- الإيجابية بالنسبة للفرد المسلم هي إخلاص في العمل الذي يؤديه وفي أي موقع ، وأداء للأمانة التي يحملها وفي سبيلها يتحمل كل المصاعب والمشاق ويحاول التغلب عليها مهما بلغت .
- الإيجابية تجعل الفرد المسلم يتمثل القدوة الحسنة في كل حياته ، ويدعو الناس إلى الدين الحق محاولاً إسعادهم في الدنيا والآخرة ، وفي سبيل هذه الدعوة يتحمل كل أنواع الأذى ويصبر على كل مكروه يصيبه في سبيل تحقيق هذه الغاية .

(١) أبو حامد الغزالي ، ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ط ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

- الإيجابية تجعل الفرد المسلم يتفاعل مع جميع الأحداث التي تدور حوله ، ويؤثر في مجراها ويحاول أن يبرز دوره في كل حركاتها وسكناتها (١).

وفي ختام هذا الموضوع يمكن أن نستخلص من طبيعة خلق الله للإنسان على هذه الهيئة وبهذا التناسق والتكامل ، ومن مظاهر تكريم الله للإنسان ، ومن الإيجابية التي يتصف بها هذا الإنسان ويختلف بها عن باقي المخلوقات سواء العلوية أو البهائية ، نستخلص من كل ما سبق أن هناك علاقة قوية ومتلازمة بين إنسانية الإنسان ، وبين حرية الإرادة والاختيار التي منحها الله للإنسان ، ويلاحظ أن اجتماع هاتين الميزتين وهما الإرادة والاختيار كاف لجعل الإنسان أهلاً لحمل أمانة التكليف والنهوض بتبعات الابتلاء والاختبار ، مستعيناً بذلك بالعقل الذي منحه المولى إياه ومن خلاله يتحمل أمانة التكليف التي قوامها الحرية والاختيار قال تعالى « بل الإنسان على نفسه بصيرة » (٢) وقوله « وهديناه النجدين » (٣) أي طريق الخير والشر ، والمعنى وضوح الهداية والضلال أمام الاختيار والإرادة الإنسانية ، وهذه ميزة وخاصة منحها المولى لعباده المؤمنين حتى يتحرروا من عبوديتهم للعباد وفي هذا يقول سيد قطب « إن المنهج الإسلامي - بهذه الخاصية يخرج العباد إلى عبادة الله وحده «والإنسان» بمعناه لا يوجد على الأرض إلا يوم تتحرر رقبته ، وتتحرر حياته من سلطان العباد - في أية صورة من الصور - كما يتحرر ضميره من هذا السلطان » وكل هذا لن يحدث ما لم يترك للإنسان حرية الإرادة والاختيار وهذا ما يحدث فعلاً في المنهج الإسلامي فالإنسان لا يجبر ولا يلزم بل يترك له الأمر يختار ما يشاء إما الهدى وإما الضلال وإما الخير وإما الشر (٤) ألم يقل له سبحانه « بل الإنسان على نفسه بصيرة » (٥)

الموضوع الثاني : ويتناول الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض :-

مفهوم الخلافة في الأرض :-

قال تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » (٦)

في هذه الآية امتنان من الله على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم ، كما يبدو من سياق الآية الكريمة كما يقول محمد الغزالي « إن الملائكة كانت متشائمة من مستقبل الإنسان على ظهر الأرض لعلها أحست أن أصله الترابي سيجعله هشاً أمام الاختبارات الصلبة ، وأنه سيفقد تماسكه أمام الأهواء والمغريات أو لعلها رأت أنه يشبه أجناساً أخرى لم تصدع بأمر الله أو لعل شعاعاً من عالم الغيب طلع عليها فرأت معه صوراً من الحروب الدامية والمسالك المعوجة التي سوف

(١) سامية محمدي عوجة ، برنامج مقترح في الثقافة الإسلامية لطلاب التعليم الفني التجاري ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) سورة القيامة ، آية ١٤ .

(٣) سورة البلد ، آية ١٠ .

(٤) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

(٥) سورة القيامة ، آية ١٤ .

(٦) سورة البقرة آية ٣٠ .

يخوضها البشر . على أية حال لقد تساءلت الملائكة وقالت لله جل شأنه « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » وكان الجواب : « إني اعلم ما لا تعلمون » ورغم هذا نجد أن الإسلام يعد الإنسان كائناً محترماً مكرماً مفضلاً مخدوماً. (١)

والإنسان كما يقول بعض الفلاسفة المحدثون مشروع إنسان وليس إنساناً جاهزاً مثل بقية المخلوقات التي هيأها الله لعمل معين ، فالملائكة مفلحون على الخير لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والجن إلا من آمن منهم والشياطين مفلحون على الشر لا يحمدون عنه ، وبقية الحيوانات والهوام مسيرة بالغريزة الكامنة في أصل فطرتها هي التي توجه سيرها وترسم لها طريقها الرتيب في الحياة .

ومن هنا اقتضت المشيئة الإلهية في أن تسلم لهذا الكائن الجديد زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتوكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحويل والتبديل ، وكشف ما في الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات .

وكما يقول صاحب الظلال إن هناك مؤشرات في الملائكة الأعلى الكريم توحى بأن هذا الإنسان مخلوق ليكون خليفة الله في الأرض ، كما تتبدى في أمر الملائكة بالسجود له وفي طرد إبليس الذي استكبر وأبى . رعاية الله له أولاً وأخيراً .

ويضيف القول « إن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان بخلافته في الأرض ، عاملاً مهماً في نظام الكون ، ملحوظاً في هذا النظام ، فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السموات ومع الرياح ومع الأمطار ومع الشمس والكواكب وكلها ملحوظ في تصميمها وهندستها إمكان قيام الحياة على الأرض ، وإمكان قيام هذا الإنسان بالخلافة. » (٢)

أهمية العبادة والخلافة والعلاقة بينهما :-

سبق الإشارة إلى تعريف مفهوم العبادة في موضوع سابق ، وهنا نعقد مقارنة بين المفهوم الشامل الواسع والعميق الذي كانت الأجيال الأولى من المسلمين تفهمه من أمر العبادة والمفهوم المحدود والضيق الذي تفهمه الأجيال المسلمة المعاصرة اليوم .

كان الرعيل الأول يفهم أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله ، وأنهم لم يخلقوا إلا لتحقيق هذه الغاية واستنتجوا ذلك من قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٣) وحول فهم الجيل الأول لمعنى هذه الآية يقول أحد الباحثين « إن هذه الآية الكريمة كانت تمثل في حسهم معنى هائلاً جداً وعميقاً جداً وشاملاً لكل حياة الإنسان ، فالقرآن نزل بلغتهم وهم يفهمون إحياء تلك اللغة ، ويدركون أسرار بلاغتها ، فيدركون من معنى الآية أن غاية الوجود الإنساني كله محصورة في العبادة ولا تتعداها إلى شيء غيرها على الإطلاق ، فالنفي والاستثناء هما أقوى صور الحصر والقصر في اللسان العربي ومعناهما النفي البات من جهة والحصر الكامل من الجهة الأخرى : نفي أي غاية

(١) محمد الغزالي ، علل وأدوية ، دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٥ ، ط ١ ، ص ١٢ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٦٠ .

(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

لوجود البشري غير عبادة الله وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله « (١) .
ومن ثم لم يحصر هذا الرعيل مفهوم العبادة في نطاق الشعائر التعبدية وحدها كما انحصر في
حس الرعيل المعاصر الذي جاء بتصورات قاصرة ومحددة « إن شعائر التعبد لا يمكن بدهاءة أن تكون
هي كل « العبادة » المطلوبة من الإنسان ، فما دامت غاية الوجود الإنساني كما تنص الآية السابقة
محصورة في عبادة الله ، فأني يستطيع الإنسان أن يوفي العبادة المطلوبة بالشعائر التعبدية فحسب ،
فكم تستغرق الشعائر من اليوم واللييلة ؟ وكم تستغرق من عمر الإنسان وبقية العمر ؟ وبقية الطاقة ،
وبقوية الوقت ؟ أين تنفق وأين تذهب ، تنفق في العبادة أم في غير العبادة ؟ وإن كانت في غير
العبادة فكيف تتحقق غاية الوجود الإنساني التي حصرتها الآية حصراً كاملاً في عبادة الله ؟ وكيف
يجوز للإنسان من عند نفسه - أن يجعل لوجوده - أو لجزء من وجوده - غاية لم يأذن بها الله » (٢)
ومن هنا نصل إلى أن الإنسان لا يستطيع مهما حاول أن يقوم بواجب العبادة المفروضة عليه نحو
الله من خلال الشعائر التعبدية وحدها من صلاة وزكاة وحج ، بل لابد أن يدرك أن حياته كلها عبادة ،
وأن الله سبحانه قد فرض عليه عبادة تناسب تكوينه وتناسب مهمته : تناسب طاقاته المتنوعة ،
وتناسب وقته ، والكدر الذي يلازمه ، عبادة لا ترهقه في شيء ولا تحمله ما لا يطيق ، وتتسع في
نفس الوقت لتشمل وجوده كله وعمره كله من لحظة التكليف إلى لحظة الموت ، وتشمل كل ألوان
النشاط الذي يقوم به ألم يقل سبحانه عن هذا الفهم « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له » (٣)

نعم هذا هو مفهوم العبادة الذي كُلف به الإنسان مفهوم شامل يشمل الحياة كلها ، وهذا ما فهمه
الرعيل الأول أما أغلب الرعيل المعاصر فقد قَصَرَ مفهوم العبادة على بعض الشعائر التعبدية ، واعتبر
أن هذا هو كل المطلوب منه نحو خالقه ، هذا هو واقع الحال في حياة المسلم المعاصر ، ولا بد من
تصحيح هذا التصور الخاطيء والفهم المحدود، ولن يحدث هذا إلا إذا أدركنا المفهوم الصحيح للعبادة ،
وأنها تبدأ بالإقرار بالعبودية لله وحده دون شريك قبل الصلاة والصيام والزكاة والحج وعلينا جميعاً أن
ندرك خطورة الظاهرة القائمة اليوم في حياة المسلم المعاصر وهي وجود ملايين من البشر يعتقدون أن
الإنسان إذا أدى الشعائر التعبدية فهو مؤمن كامل الإيمان ولو تحاكم راضياً إلى شريعة غير شريعة
الله ، ولو تعامل بالربا والغش أو الكذب والخداع في المجال السياسي وغير ذلك من الممارسات
الخاطئة التي يعتقد البعض بعزلها أو فصلها عن معنى العبادة في الإسلام .

إن هذا التصور ما كان ليحدث إلا عندما حاول البعض إخراج معنى لا إله إلا الله - ومقتضياتها -
من دائرة العبادة وتوهم الكثيرين أن العبادة تبدأ بالشعائر وتنتهي بالشعائر . إن هذا الفهم قد أحدث
اختلالات ضخمة في حياة المسلم المعاصر لا يستقيم معها إسلام ولا بد من تصحيحها في التصور وفي
السلوك معاً ، لتصحيح حياة المسلمين وإخراج الناس من الوهدة التي سقطوا فيها وأصبحوا - بسبب

(١) محمد قطب ، مفاهيم ينبغي أن تصحح ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٨ ، ط ٤ ، ص ١٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ - ١٦٣ .

سقوطهم هذا غثاء كغثاء السيل. (١)

إن من يفهم العبادة بهذا الفهم القاصر والمحدود عليه أن يعيد قراءة النصوص التالية وغيرها كثير لا يتسع المجال لذكرها هنا، ومن خلالها سيستنتج أن العبادة أشمل وأعمق مما يتصور .

قال تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً » (٢)

وقال سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » (٣)

وقال سبحانه « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٤)

وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة » أخرجه ابن ماجة وقال عليه السلام « نعم المال الصالح للرجل الصالح » وقال عليه السلام « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وقال عليه السلام « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله » أخرجه مسلم . إن من يقرأ هذه النصوص وغيرها ويعي ما فيها من تكاليف وتنظيم في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والروحية والاجتماعية والتربوية ، يصعب عليه بعد ذلك أن يختزل ويضيق على نفسه وغيره مفهوم العبادة في الإسلام .

وهنا يمكن أن يطرح التساؤل التالي :-

كيف يمكن أن نحقق مفهوم العبادة والاستخلاف في الأرض إذا نحن حصرنا العبادة على الشعائر التعبدية فقط وهل تقع تلك التكاليف كلها في داخل العبادة أم في خارجها؟

وإذا كانت في خارجها فكيف يستقيم المعنى في الآية الكريمة التي تحصر التكليف كله في العبادة وحدها ؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نعرض هنا ما قاله أحد المفكرين (٥) حول هذا الموضوع « لا بد إذن - بداهة - ألا تنحصر العبادة في الشعائر التعبدية وحدها، كما ظنت الأجيال المتأخرة من المسلمين ، وأن يكون معنى العبادة هو المعنى الشامل الواسع الذي تحمله الآيتان الكريمتان « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » (٦)

ويوم فهم المسلمون العبادة بهذه الصورة تقدموا في المجالات المختلفة .

ويوم فهمت الأجيال الحاضرة عكس ذلك تأخرت في كل المجالات ، ومن هنا يجب أن نعي جميعاً أن العبادة تشمل نشاط الروح كله ، ونشاط العقل كله ونشاط الجسد كله مادام ذلك كله متوجهاً إلى الله وملتزماً فيه بما أنزل الله وهي في الوقت نفسه عبادة لا عنيت فيها ولا مشقة ولا تكلف الإنسان

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٣) سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

(٤) سورة الرحمن ، آية ٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٦) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ - ١٦٣ .

ملا طاقة له به لأنها تأخذ نشاطه الطبيعي الذي يمكن أن يصدر عنه بحكم تكوينه فتحوله إلى عبادة بتلك اللمسة البسيطة العميقة في ذات الوقت التي توجهه إلى الله وبيتغي به مرضاة الله « وهذا هو المفهوم الصحيح للعبادة والخلافة كما أنزله الله ، وحين كان الأمر على هذا الفهم الذي فهمه الجيل الأول من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، لم تكن هناك دوائر مغلقة في حياة المسلم ينتقل من واحدة إلى أخرى ساعة بعد ساعة ، ولم تكن العبادة مجرد ساعة من الساعات يخرج المسلم منها إلى غيرها ، إنما كانت هناك دائرة واسعة شاملة ينتقل الإنسان في مختلف جوانبها من نشاط إلى نشاط ، وهو في جميع الأحوال قائم أو متحرك في داخلها يعبد الله .

بعض الطاقات والنعم التي أودعها الله في النفس البشرية : -

الإنسان وحده دون بقية المخلوقات هو الذي يملك حرية تكييف مصيره وصياغة شخصيته ، وهو الكائن الوحيد الذي أودع فيه المولى الكثير من الطاقات والنعم التي تمكنه من القيام بواجباته نحو ربه ونحو الكون الذي يعيش فيه ، ومع وجود هذا التمايز وهذا التكريم من المولى للإنسان ، إلا أننا نجد القرآن الكريم أشار مراراً إلى التناقض الكبير والعجيب في الشخصية الإنسانية ، فالله الذي كرم الإنسان وعظمه وفضله وجعله خليفته في الأرض هو ذاته الذي يفصل القول في بيان ظلم الإنسان وجهله وعصيانه وهله وكفره وتكبره وعناده وجدله ، وقد أوضح سبحانه هذه المفارقة في الشخصية الإنسانية في أكثر من موضع فقال سبحانه « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » (١).

ومن هنا نجد أن من أفضل النعم وأجلها على الإنسان أن الله خلقه بهذه الصورة وبتلك الهيئة التي يتميز بها عن باقي المخلوقات لكن الإنسان لم يرع هذا التكريم وهذا الحسن ، فكان لا بد من جزاء يقابل هذا الإجحاف والإنكار ، وهذا واضح من خلال الآية السابقة ، وحول هذه الثنائية - أي ثنائية خلق الله للإنسان في أحسن تقويم ثم جعله في أسفل السافلين - يقول أحد المفكرين (٢) « وهذه الثنائية التي تنظم حياة البشر ويضطرب فيها سعيهم بين خير وشر وفضيلة ورذيلة وكرهية وكرم وبخل وغير ذلك من الصفات هي المعيار الذي تقاس به إنسانية الإنسان وبه يتحدد مدى قربه أو بعده من نموذج الإنسان الذي اختصه الله بخلافته على الأرض ، ولعل هذا الميزان الدقيق والمتغير والمتقلب بين الخير والشر والجنة والنار والحق والباطل الذي تتأرجح عليه الإنسانية في سعيها لتحقيق مثلها الأعلى هو المحك والمقياس الذي امتحن الله به الإنسان وابتلاه ليتميز الناس بقدر طاقاتهم وجهودهم وعملهم لبلوغ درجة الموازنة الدقيقة بين هذه التناقضات ».

إن النعم والخيرات المغروسة في النفس الإنسانية دون غيرها هي الثمن الذي كان على الإنسان أن يدفعه لاختياره تحمل الأمانة التي عرضها المولى على السموات والأرض والجبال « فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » (٣)

(١) سورة التين ، الآيتان ٤ - ٥ .

(٢) عون الشريف قاسم ، الإسلام والثورة الحضارية ، الخرطوم ، دار المأمون المحدودة ، ١٩٩١ م ، ط ٣ ، ص ١٨٢ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٧٢ .

ومن النعم والطاقات التي أودعت في الإنسان وتعيينه على أداء واجب الأمانة نحو خالقه ونحو الأرض المكلف بعمارتهها نعمة العقل والمعرفة التي فضل بها الإنسان حتى على الملائكة ، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يكتشف عالم الشهادة والتفكر في عالم الغيب ، ومع هذا فالعقل الإنساني محدود وقاصر ولا يدرك من أسرار الكون وعلاقة الوجود إلا القليل من عالم الشهادة «الكون المشهود» أما « الكون المغيب » فليس للعقل ولا لوسائله إليها من سبيل ولذا قال سبحانه « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » ، ومن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان دون بقية المخلوقات نعمة الحرية والاختيار فالإنسان حر في اختيار الإيمان أو الكفر الخير أو الشر قال تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» وقال « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » وهكذا نجد المولى يمتحن ويختبر هذا الإنسان ، ويرى أي الطريقتين يختار ، وبهذا يختبر إيمانه وقدرته على التعامل مع هذه النعم والطاقات .

ومن النعم التي هيأها المولى للإنسان نعمة الدين من خلال - الوحي والرسول والقرآن - وذلك من أجل أن يهيئ له المولى بيئة روحية ومعنوية حتى تتكامل شخصيته الإنسانية ويستغل كل النعم والطاقات الموجودة في شخصيته والتي هي مزيج من جسد وروح وعاطفة وعقل وحب وكراهية . وهناك نعم كثيرة أسداها المولى لهذا الإنسان ولكن لا يتسع المجال لذكرها ويمكن الرجوع إليها من مصادرها المختلفة ومن ذلك نعمة القدرة على التخاطب مع الآخرين والقدرة على تحصيل العلوم والمعارف ، والقدرة على التفريق بين الحق والباطل والخير والشر .

دور الإنسان المسلم في تحمل مسؤولية إعمار الأرض :-

الإنسان في الإسلام هو سيد هذه الأرض والقائم على إعمارها بخلافته فيها عن الله ، وكل ما فيها مهياً ومعد له بعلمه وقدرته سبحانه .

ولكي يتحمل الإنسان هذه المسؤولية ويقوم بمهمة إعمار الأرض ، فقد أوتي إمكان العلم ببعض شؤونها ونواميسها ، ولم يقف الحال عند هذا الحد بل نجد المولى كافأه فأباح له أن يستمتع بطبيباتها وجمالها وخيراتها المبتوثة فيها ، وليست الأرض وحدها بكل ما فيها من أحياء وأشياء وجماد ولكن السماوات مهياً لمساعدة الإنسان في تحمل المسؤولية وأداء الأمانة قال تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » (١) ، وقال سبحانه « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢)

وحول تهيئة المولى للإنسان كل الوسائل والأسباب والمظاهر التي تجعله يقوم بواجب المسؤولية وإعمار الأرض كما طلب منه ، يقول أحد المفكرين : « إن شبكة من المواد الدقيقة جداً والجسيمة جداً انتظمت في خدمة الإنسان وتأمين معاشه وتخطيط حاضره ومستقبله.» (٣)

(١) سورة البقرة ، آية ٢٨ .

(٢) سورة الجاثية ، الآيتان ١٢ - ١٣ .

(٣) محمد الغزالي ، علل وأدوية ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

ورغم هذه التهيأ نجد أن الإنسان قد قصر في أداء هذا الدور وضعف أمام الكثير من المغريات ، وسقط أمام الشهوات ، وحول هذا المعنى يقول أحد المفكرين « ولكن هذا الإنسان في التصور الإسلامي كما هو في الحقيقة على كل ما استودعه الله من أمانة الخلافة الكبرى في هذا الملك العريض ، وعلى كل ما سخر له من القوى والطاقات والأشياء والأحياء فيه ، وعلى كل ما أودعه هو فيه من طاقات المعرفة والاستعداد لإدراك الجوانب اللازمة في الخلافة من النواميس الكونية ... على كل هذا هو مخلوق ضعيف تغلبه شهواته أحياناً ، ويحكمه هواه أحياناً ويقعد به ضعفه أحياناً ، ويلزمه جهله بنفسه في كل حين » (١)

وبعد التكليف الإلهي للإنسان للقيام بتحمل مسؤولية إعمار الأرض هو المنهج القويم والصحيح والوحيد لتحقيق شيئين هامين في حياة الإنسان هما : العبودية والخلافة .
وبناءً على ما سبق فإن المسلم مطالب بأن يسعى من أجل إعمار هذا الكون ، ويتحمل مسؤوليته بكل صدق وأمانة، مستعيناً بذلك بما منحه خالقه من أدوات وطاقات ونعم في تحمل هذا العبء وأداء الأمانة بشكل صحيح.

كل هذا من أجل أن نحقق الغرض الذي نسعى إليه جميعاً أفراداً وشعوباً ، وهو إعادة بناء الحضارة الإسلامية والارتقاء بها في جانبيها المادي والمعنوي وبشكل متوازن ومتكامل يجمع بين العلم والعمل والواقع والتطبيق والروح والمادة والعقيدة والسلوك والغيب والشهادة ، وهذا لن يحدث ما لم يشعر كل فرد في المجتمع بأهمية أدائه لدوره أياً كان موقعه ومكانته وكذلك لا بد أن تشعر المؤسسات التربوية والثقافية والتعليمية بأهمية هذا الجانب وتسعى إلى تنميته وغرسه في نفوس الأجيال حتى يشعر كل منهم بمسؤوليته وبأهمية دوره في إعادة تشكيل روح الأمة الحضارية خاصة فيما يتعلق بالجانب المادي الذي نحن بحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى .

الموضوع الثالث : - ويتناول فطرة الإنسان باعتبارها مجبولة على الإيمان بالله .

الإنسان مفتور على الإيمان بالله : -

يتضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من النصوص التي تؤيد أن الإيمان بالله تعالى مسألة فطرية مركوزة في النفس الإنسانية يشعر بها كل من سلمت طويته وبحسها كل من صفت نفسه ، فيدرك أن هناك قوة وراء هذا الكون أخرجته من العدم إلى الوجود وأنها هي التي تنظم أموره وتدبر ما يجري له ، وأنه ينبغي التوجه إليها بالعبادة والخضوع وهذا الشعور قاسم مشترك بين الناس جميعاً أودعته فطرهم قبل وجودهم إلى هذه الحياة ومن الأدلة قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » (٢)

(١) سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٢م ، ط ١١ ، ص ٢٦ .

(٢) سورة الروم ، آية ٣٠ .

وقد أشار بعض المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية ما يؤكد أن المولى قد فطر الناس على توحيدهِ والإيمان به وأنه واحد لا شريك له ، قال الإمام الزمخشري « الفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله تعالى « لا تبديل لخلق الله » والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له ، لكونه مجابواً للعقل مساوقاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر ، ومن غوى منهم فباغواً شياطين الأنس والجن. » (١)

ويقول الإمام الشوكاني أيضاً « الفطرة في الأصل الخلقة ، والمراد بها هنا الملة وهي الإسلام والتوحيد وكل فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام ، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين ، وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيين. » (٢)

كما أكدت أحاديثه عليه السلام هذا المعنى للفطرة ، وبينت أن الإنسان خلق على فطرة الإيمان وأنه لو ترك من غير تأثير وتدخل من قبل بعض العوامل الخارجية لنشأ على ملة الإسلام قال عليه السلام فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء (٣) ؟ ثم يقول : « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »

وجاء أيضاً في حديث آخر قوله عليه السلام فيما يرويه عن ربه في حديث طويل « ... وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً » (٤)

ومن خلال الآية السابقة والحديثين السابقين يتضح أن الإنسان يولد على معرفة الحق والخير ، وعلى الإيمان بالله ، ولكن تأثير بعض العوامل الخارجية سواء كانت بيئية أو اجتماعية أو تربوية أو ثقافية قد تطمس المعرفة الفطرية بالله وبدينه فيقع الإنسان في الكفر دون أن يشعر .

ورغم أن الإيمان بالله مغروس في فطرة الإنسان ، فإننا نجد الكثير من الأمم والشعوب وعلى مر التاريخ قد خالفت هذه الفطرة ، وأخطأت في تصورها للإله ، فوجد من يتخذ الشمس والقمر إلهاً يعبد من دون الله ، ووجد أيضاً من يجعل إلهاً للخير وآخر للشر ، والبعض عبد مظاهر متعدده من الكون . ولتصحيح المسار بعث الله الأنبياء والرسل من أجل أن يوضحوا للناس المنهج السليم والمبدأ القويم ، وكان آخرهم محمد عليه السلام الذي جاء بدين يوافق الفطرة ويلبي حاجات الإنسان ، ومما جاء به الاعتقاد الجازم بنفي وجود شريك مع الله في تدبير هذا الكون ، وأنه سبحانه القادر على كل شيء ، فهل يتعارض هذا الاعتقاد والتصور مع العقل أو الفطرة السليمة ؟

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٢) الإمام الشوكاني ، فتح القدير ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير « باب لا تبديل لخلق الله » ج ٦ ، ص ٢٠ ، وللحديث عدة روايات ، وورد أيضاً في صحيح مسلم في كتاب القدر ، ج ٨ ، ص ٥٢ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب صفات أهل الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار

الواقع أن هذا الاعتقاد يتفق تماماً مع مبدأ السببية - المذكور في موضع سابق - والذي ينص على أن كل سبب لا بد له من مسبب ، وكل مخلوق لا بد له من خالق ، أما إنكار ذلك فهو يتعارض مع العقل والفطرة السليمة .

ويمكن أن يطرح هنا التساؤل التالي :-

ما أسباب فساد الفطرة؟

هناك أسباب عديدة لفساد الفطرة الإنسانية ، منها أسباب بيئية واجتماعية وثقافية وتربوية . هذا إلى جانب أن هناك شياطين من الجن والإنس تعمل على إغراء وإغواء الإنسان ، وتحاول أن تغير معالم الإيمان والفطرة السليمة ، وفي هذا المعنى يقول المولى « وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » (١)

وقوله تعالى عن تزوين الشيطان للملكة بلقيس وقومها عبادة غير الله « وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ » (٢)

ويقول سبحانه « إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا » (٣)

والإنسان في ساعات الصحة والغنى والعافية قد يقل عنده الشعور الفطري وإرتباطه بخالقه ، ولكن سرعان ما يعود إلى ربه في وقت الضيق والشدة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع. وفي هذا المعنى يقول « لاروس » في معجمه للقرن العشرين « إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل أجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية .. إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل ، إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند قليل جداً من الأفراد » (٤)

الإنسان روح وجسد وعقل :-

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة متكاملة وواقعية ، فهو يتكون من جسم وعقل وروح وكل مكون من هذه المكونات له خصائصه وحاجاته .

فالجسم هو عبارة عن وشائج اللحم والدم ، أو جميع الأجهزة والأعضاء بما في ذلك السمع والبصر ، وهو النوازع الفطرية ، وهو الشهوة الجامحة التي لا تهدأ ولا تكف وهو مطالب بحفظ الحياة على الأرض ويكون ذلك بالمحافظة على ذاته أولاً والمحافظة على النوع ثانياً ، ولكل وسائله من طعام وشراب وتناسل (٥) .

كما أن الجسد بحاجة إلى السكن والكساء والشعور بالأمن والراحة والاطمئنان حتى يبقى سليماً ومعافى من كل الأمراض والعاهات .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢١ .

(٢) سورة النمل ، آية ٢٤ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٥٣ .

(٤) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الرياض ، مكتب القويفل لخدمة الطالب الجامعي . د.ت ، ط ، x ،

ص ٥٠ .

(٥) توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، مرجع سابق ص ١٨٤ .

ومن أجل أن يحصل الجسد على حقه ويستمر في البقاء والحياة فقد جعل له المولى نوازع فطرية قوية وملحة يستحيل تجاهلها أو عدم الاستجابة لها ، فلا يستطيع الإنسان أن يقاوم الإحساس بالجوع والعطش ، وإذا حاول سيجد نفسه عرضة للهلاك والفناء ، ويشترك الإنسان في هذه الصفات والحاجات مع باقي المخلوقات وأما الروح وهو جزء هام في الإنسان ، فهو مرتبط بالسماء ، وهو الجزء الذي يميز الإنسان عن باقي المخلوقات ، وحاول البعض من الناس أن ينكره أو يتجاهله ، وحاول البعض السؤال عنه ، وجاء الجواب من المولى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (١)

ولخص أحد الباحثين الحديث (٢) حول قضية الروح بقوله « إن إنكار الروح من المنكرين لا يقوم على أساس علمي صحيح ، وإنما هو مجرد تخرصات وأوهام تعارض ما يحس به الإنسان ويشعر به شعوراً لا يستطيع إنكاره لأنه لو أنكره لأنكر حياته ووجوده وشعوره ، فالروح نفحة علوية ولطيفة ربانية تتصل بالروح الإلهية ، والأنوار القدسية لأنها نفحة من أسرار القدسية ، أودعها هذا المخلوق البشري ، وعلم الإنسان محدود بالقياس إلى علم الله المطلق ، وأسرار هذا الوجود أوسع من أن يحيط بها العقل البشري المحدود ، والإنسان لا يدبر هذا الكون فطاقته ليست شاملة ، إنما وهب منها بقدر محدد ، وبقدر حاجته ليقوم بواجب الخلافة في الأرض ، ومهما يبدع الإنسان في الكون ويكتشف ، لكنه سيقف حسيماً أمام ذلك السر اللطيف - وهو الروح - لا يدري ما هو ولا كيف جاء ولا كيف يذهب ولا أين يكون ، إلا بقبس من التنزيل ويعلم الحكيم الخبير »

نعم إن العلم مهما تقدم وارتقى لا يمكن أن يكتشف سر هذه الروح ، لأنها مرتبطة بالله وهي من عنده سبحانه ، وسيظل الإنسان بحاجة إلى النور الإلهي حتى يتمكن من معرفة هذا السر. أما العقل وهو المكون الثالث من مكونات الإنسان فمهمته مساعدة الإنسان ومعاونته لاختيار أفضل الطرق لإجابة النوازع الفطرية واختيار الأفضل والتغلب على الصعوبات التي قد تواجهه وتعرض سبيل حياته . ونظراً لأهمية هذا المكون فقد خصص له موضوع مستقل في آخر هذه الوحدة .

وإجمالاً يمكن القول إن الإسلام دين التوازن والتكامل ، وهو يرفض كل النظريات والمبادئ التي تهتم بجانب من جوانب الإنسان وتهمل البقية الأخرى ، فيرفض الفلسفة الروحية التي تعلو من شأن الروح وتهمل الجسد فترهقه وتوقعه في الانحراف ، كما يرفض الفلسفة المادية التي تُلقى الروح ومطالبها، وتنظر إلى الإنسان على أنه حيوان يجب أن يتمتع بكل شيء أمامه بغض النظر عن تعارضه مع قيمه أو سلوكه .

أما الإسلام فهو متوازن في كل تنظيماته وتشريعاته وقيمه وسلوكه ، ويرفض التشدد والمبالغة حتى في الأمور التعبدية ، وكان هذا منهجه عليه السلام الذي كان إذا عرض عليه أمران اختار أيسرهما .

(١) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

العلاقة بين فطرة الإنسان والإيمان بالله وأهمية ذلك : -

سبق القول إن الإنسان كائن مزدوج مكون من روح وجسد وعقل ، كما أنه مخلوق ولديه استعدادات متساوية للخير والشر ، للحق والضلال ، وهو بحكم طبيعته وخلقه قادر على التمييز بينهما ، كما أنه قادر على اختيار أيهما شاء وهاتان القدرتان - التمييز والاختيار - كامنة في كيانه ، ومغروسة في نفسه ويعبر عنها المولى تارة بالهداية « وهديناه النجدين » (١) وتارة أخرى يعبر عنها بأنها إلهام « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » (٢)

وما الرسائل والعوامل الخارجية الأخرى ، إلا إيقاظ وتذكير لهذه القدرات الكامنة في النفس البشرية .

والإنسان السوي يدرك أن فطرته السليمة والخيرة المغروسة فيه ، تقوده إلى الإيمان بالله والاعتراف بربوبيته وألوهيته ، وأنه وحده سبحانه المستحق للعبادة دون غيره من المخلوقات .

وعن العلاقة بين فطرة الإنسان والإيمان بالله يقول سيد قطب « والفطرة الإنسانية مؤمنة ، والإيمان حاجة فطرية ، كما أنه حاجة عقلية لا يملك الإنسان أن يستغني عنها ، وهي مركوزة في كينونته وهو مفطور عليها ، ونظرة الإسلام أن الفطرة لا تحتاج إلى مجرد وجود إله ، بل إنها تحتاج إلى وحدانية هذا الإله ، وتلجأ إلى هذه الوحدانية التجاء بدافع ذاتي فيها المواقف التي تهز كيانه وتنفض عنها الركام وتردها إلى الاستقامة ، سواء في ذلك مواقف الشدة والحاجة أو مواقف التدبر لهذا الكون ومواقفاته ، وعلامات الاستفهام الملحة على الفطرة فيه » (٣)

ومما سبق يمكن استخلاص الآتي : -

- إن الإنسان مفطور على الإيمان بالله وربوبيته ووجدانيته .
- إن الفطرة الإنسانية ذات تكوين مزدوج .
- إن الإنسان مخلوق ولديه استعدادات للخير والشر .
- إن الإنسان مزود بقدرة واعية كامنة فيه ، قادرة على الاختيار الحر للخير والشر .
- إن الإنسان حر ، لذلك فتبعية أعماله ومسئوليته تقع عليه وحده .
- إن النفس الإنسانية هي جماع شخصية الإنسان . (٤)
- وأما عن أهمية العقيدة والإيمان بالله بالنسبة للإنسان فيمكن ذكر بعض منها فيما يلي : -
- أنها تحرر الإنسان من العبودية والالتجاء لغير الله فتجعله يقف شامخاً أمام كل متكبر وجبار ، ولا يرضى إلا بحكم الله ولا يقبل إلا شريعته ومنهجه الذي ارتضاه لعباده المؤمنين .
- أنها تحرر العقل الإنساني من الخرافة والانحرافات العقائدية الضالة ، خاصة وأن هذا العقل قد يفكر تفكيراً معوجاً ويحكم هواه وشهوته، فيرتضي الخضوع لعبادة غير الله من شجر وشمس وحيوان .

(٢) سورة الشمس ، الآيتان ٧-٨ .

(١) سورة البلد ، آية ١٠ .

(٣) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٧٠ .

(٤) علي أحمد مدكور ، نظريات المناهج ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

– إن العقيدة تجعل هدف الإنسان واضحاً وغايته محددة مستعيناً لذلك بإشراقات النبوة التي جاءت لتعرفهم بالهدف والغاية من وجودهم وخلقهم .

– إن العقيدة الصحيحة توحد الانتماء والفكر ، فالإسلام جاء ليقول للناس أن أصلهم واحد وأبوهم واحد ، وربهم واحد ودينهم واحد والتفاضل بينهم يكون بالتقوى فقط ، لا باللون أو الجنس أو الوطن .

– العقيدة الصحيحة تجعل الناس يقاومون الباطل ويصدون أصحابه حتى إنها تجعلهم يحاربون أجزاء منهم كمحاربة النفس الأمارة بالسوء ووسواس الشيطان .

– العقيدة السليمة تجعل الناس يسعون لعمارة الأرض والسعي من أجل بنائها وإقامة الحياة على ظهرها ، وهذا ما كان يحدث في المجتمعات الإسلامية السابقة ، فهاهي آثارهم تشهد في كل بلد دخلوه في الأندلس والهند وغيرهما .

– العقيدة الصحيحة تحث معتنقيها على العلم والعمل من أجل القيام بواجب الخلافة في الأرض ، لأن هذه المهمة لا يمكن أن تتحقق للجهلاء ، فالأرض لا تخرج كنوزها ولا تنقاد ما لم تكن هناك وسيلة لذلك وهو العلم .

– العقيدة الصحيحة تحقق المبادئ في عالم الواقع ، وهذا عكس ما يحدث في المجتمعات الأوروبية التي ترفع الشعارات الجميلة كالحرية والمساواة والإخاء ، ولكنها في الواقع تمارس غير ذلك خاصة مع المجتمعات الإسلامية ... تتبع أخي القارئ بعض القضايا المعاصرة كقضية فلسطين والبوسنة والعراق ، ثم احكم ، وقارن بعد ذلك ببعض الممارسات الإنسانية التي كانت سائدة في المجتمع المسلم ، خاصة في التعامل مع غير المسلمين .

– إن العقيدة السليمة تزرع في النفوس الأخلاق الطاهرة والقيم السليمة باعتبار ذلك أعظم ضابط لحياة الفرد والجماعة والأدلة والأمثلة كثيرة .

– إن العقيدة الصحيحة تنبثق منها التشريعات والتنظيمات والأحكام التي تنظم للناس حياتهم وكيفية المعاملة بينهم كأفراد ومجتمع من جهة وبين غيرهم من المجتمعات والأفراد من جهة ثانية ، ومن الملاحظ أن الإسلام قد أولى الإنسان الرعاية والاهتمام من قبل ولادته ، وحتى بعد مماته ، فوضع لذلك الضوابط والنظم والتشريعات التي تكفل له حياة كريمة . (١)

المسلم يتطلع إلى حياة هي خير وأبقى .

من المعروف أن الإنسان ينفرد عن بقية المخلوقات بخصائص وصفات كثيرة ، والغرض من هذا التفرد هو تهيئة الإنسان للقيام بواجب الخلافة في الأرض ، وهذه هي رسالة الإنسان الحقيقية ومهمته الكبرى في الحياة الدنيا .

ومن هذا التكليف تقع المسؤولية ، ومن ثم يكون الثواب والعقاب ، وعلى الرغم من كبر هذه المسؤولية ، إلا أن هناك مسؤولية كبرى وعظمية سوف تكون أمام الله في الآخرة ، ولذا فالدنيا دار

تكليف وعمل والآخرة دار جزاء ومسئولية وحساب ، والحديث عن هذه المسؤولية يقود إلى الحديث عن الحياة التي يتطلع إليها الإنسان المسلم بشوق ويعتبرها الباقية والدائمة والمصير المحتوم والنهائي . وهذا لا يعني أن الإسلام يطلب من المسلم أن يظل ينتظر هذا اليوم ويعمل له فقط إن هذا ليس هو المقصود ، وإنما المقصود أن المسلم يوجه كل أعماله وأنشطته اليومية من عمل وعلم وتجارة وصناعة وزراعة كل ذلك يوجهها الوجهة الصحيحة القائمة على منهج الله وشرعه ، فلا يتعامل بالربا ، ولا يغش ولا يرتشي ولا يكذب ولا يأكل إلا من مصادر حلال ، فإذا فعل ذلك فإنه يحقق لنفسه ويضمن لها الفوز في الحياة الثانية .

ومن العجيب أن الإنسان يحاول أن يغفل أو يتغافل عن هذا اليوم ، بل قد يسأل عنه بطريقة التهكم والسخرية « إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد » (١) « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحي العظام وهي رميم » (٢) ، وعن تجاهل الكفار لهذا اليوم يحدثنا المولى بقوله « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » (٣)

إن الإنسان عندما يغفل عن هذا اليوم إنما يريد أن يقبل على شهواته ويتنصل من المسؤولية والتبعية الملقاة على عاتقه « أبحسب الإنسان أن لن نجوع عظامه، بلى قادرين على أن نسوي بنانه ، بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، يستل أيان يوم القيامة » (٤) نعم يريد أن يستبعد وقوع هذا اليوم ليستمر في فجوره وطغيانه وأثامه وفي هذا يقول زرزور (٥) « وهذه هي المناقضة الحادة للتكليف والمسؤولية بكل مراحلها وصورها ولكنها أشد ما تكون مناقضة للمسؤولية الأخيرة أو العظمى أمام خالق الإنسان وخالق الكون كله ... سبحانه وتعالى ، ولكن إذا تجاوز الإنسان مسؤوليته أمام النفس والضمير ، واحتال على مسؤوليته أمام القانون ، وفي عين المجتمع ورأي الناس ، فإن مسؤوليته العظمى تنتظره أمام الله في اليوم الآخر! »

إن الإنسان عندما يحاول أن يقطع الصلة بين الدنيا والآخرة إنما يحاول أن يفرغ الحياة من محتواها ويفقد معناها ، وهي جديرة بأن تعاش في نظر الإسلام بوصفها تحمل قيمة اعتبارية ضخمة أو قيمة نسبية بالقياس إلى الآخرة ، ومع هذا الترغيب نجد ما يقابله من التحذير من جعل الحياة هي الهم الأكبر والغاية الأسمى قال عليه السلام « من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له ! ومن كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة » .

وما سبق لا يعني أن الإنسان ملاك طاهر مقدس لا يرتكب الآثام والمعاصي ، إن هذا ليس هو المقصود ، لأن الإنسان يفعل الخير وقد يفعل الشر - وهذا هو المشاهد - بناء على إرادته واختياره .

(١) سورة ق ، آية ٣ .

(٢) سورة يس ، آية ٧٨ .

(٣) سورة الجاثية ، آية ٢٤ .

(٤) سورة القيامة ، آية ٣ - ٦ .

(٥) عدنان زرزور ، دراسات في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

ومع هذا ينبغي القول أن الله خلق الإنسان وكونه بحيث لا يصلح له إلا الخير ، وأنه سبحانه قد تفضل على الإنسان فجعل معرفته بهذه الحقيقة أمراً مستقراً في نفسه ، حتى لا يحتاج أن يتعلمه من الخارج وإن حصل تعليم خارجي فإنما هو لزيادة المعرفة وتدعيمها .

الموضوع الرابع : وعنوانه بشرية الرسل . حاجة الأمم للرسل :-

يعد الإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة ولا يكتمل إيمان الفرد ما لم يؤمن بجميع الرسل ، حتى وإن ادعى أنه يؤمن بالله ، بل إن المولى اعتبر من يؤمن به ويكفر برسله كافراً لا ينفعه الإيمان بالله قال تعالى « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً » (١)

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية « نص سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر ، وإنما كان كفراً لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممنوعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها فكان كجحد الصانع سبحانه، وجد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية وكذلك التفريق بين الله ورسله» (٢) وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يرسل في كل أمة رسولاً « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » (٣) ثم ختم هذه الرسالات برسالة محمد عليه السلام حيث أرسل للبشرية جميعاً .

وقد اقتضى عدله سبحانه ألا يحاسب أو يعذب أحد من خلقه إلا بعد أن يقيم عليه الحجة « وما

كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٤)

كما اقتضت الحكمة الإلهية أن يتتابع الرسل والأنبياء على البشر ليقوموا بهدایتهم وإيصال شرع الله إليهم ، وقد أخبرنا عليه السلام بعددهم فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً « وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً » (٥)

والأنبياء والرسل المذكورون في القرآن خمسة وعشرون ذكر منهم ثمانية عشر في موضع واحد من سورة الأنعام في الآيات من (٨٣ - ٨٦) وبقيتهم ذكروا في آيات أخر .

إن هذا العدد الكبير من الأنبياء والرسل يؤكد أن المولى سبحانه يعلم حاجة عباده إليهم ، وأنه سبحانه رحيم بهؤلاء العباد ، رغم عناد البعض ورفضهم الامتثال لأوامر أنبيائهم وإعراضهم عن الحق ومنهجه ، ووصل الحال ببعض الأمم إلى إتهام الأنبياء والرسل بالكذب والسحر والجنون وغيرها من الصفات التي تنبئ عن فساد في الضمائر والأخلاق .

(١) سورة النساء ، الآيتان ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) انظر القرطبي في تفسيره للآية .

(٣) سورة فاطر ، آية ٢٤ .

(٤) سورة الإسراء ، آية ١٥ .

(٥) الإمام أحمد بن حنبل ، مشكاة المصابيح ، ج٣ ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، ص ١٢٢ .

واليوم وفي عصر الذرة والفضاء يحاول الإنسان أن يستمر في هذا العناد ويرفض التسليم للرسول وتعاليمهم اغتراراً بما وصل إليه من علوم ومعارف ، وبحجة أن الالتزام بتعاليم السماء هو حجر على العقول وتجميد للحضارة والرقي ، وهنا يمكن أن يطرح التساؤل الآتي : -

هل يمكن للبشرية أن تستغني اليوم عن الرسل وتعاليمهم ؟ وهل هي قادرة على أن تقود نفسها دون الحاجة إلى منهج سماوي يدلها على الخير ويبعدها عن الشر ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تطول ، ولا يمكن الإلمام بها في هذا الموضوع ، ومع ذلك يمكن مساعدة القارئ من خلال بيان أهمية الرسل وحاجة الأمم إليهم ، ثم على القارئ أن يستزيد حول هذا الموضوع من خلال المراجع المذكورة في نهاية الوحدة .

تتمثل حاجة الأمم للأنبياء والرسل في معرفة الأمور التالية : -

- عن طريق الرسل والأنبياء يعرف الإنسان ربه وخالقه ، ويعبده بطريقة صحيحة وهذه المعرفة لا سبيل إليها مالم يتلق الإنسان ذلك عن طريق الوحي الإلهي ، الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه ، وقد أكد القرآن على هذه القضية في أكثر من موضع فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » (١) وكذلك قال إبراهيم وهود وصالح عليهم السلام جميعاً .

- من الملاحظ أن مصالح الناس وغاياتهم وأهدافهم تؤدي في الغالب إلى الاختلاف والفرقة في أغلب الأمور ، ولذا فهم بحاجة إلى من ينظم لهم أمورهم ، ويضع لهم الضوابط والقوانين التي تعرفهم بما هو لهم وبما هو عليهم ، ولو تركوا بدون توجيه لحدث النزاع والخلاف وقد يؤدي ذلك إلى العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع الواحد .

- إن المجتمعات بحاجة إلى الرسل لتعرف وجهتها في الحياة وعلاقتها مع الحياة وكذلك الحاجة إليهم واردة لهداية العقول ولصلاح الضمائر والقلوب وبدونهم لا يمكن أن تستقر الحياة ، وتسير بشكلها الطبيعي .

- من المعروف أن هناك حقائق ومعارف لا يستطيع الناس التعرف عليها من خلال حواسهم وحدها ، ولا بد فيها من الامتثال لما جاء من وحي إلهي عن طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام ومن ذلك : -

أ - الإيمان بالغيب ، وأول ذلك توحيد الله ومعرفة صفاته وآياته الدالة على كماله وما يجب له تعالى من عبادة

ب - الإيمان بالملائكة والجن ومعرفة أعمالهم وصفاتهم ، وهذا لا يمكن للعقل البشري أن يعرفه

دون وحي إلهي .

ج - الإيمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء وما فيهما من جنة ونار وبرزخ وصراط ، وإدراك حقيقة ذلك اليوم لا يتم إلا عن طريق الوحي الذي جاء به الرسل عليهم السلام . والإيمان باليوم الآخر بكل ما فيه - بعد الإيمان بالله ومعرفة - هو أكبر باعث على اتباع ما شرعه المولى من الحق وإقامة العدل والقيام بكل أعمال البر والخير والإحسان . (٢)

(١) سورة الأعراف ، آية ٥٩ .

(٢) عبد الوهاب الدليمي ، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٢ - ٧٣ .

مما سبق يتبين أهمية الرسل وحاجة البشرية إليهم ، وأنه لا سبيل للبشر للخروج من الشقاء والضلال إلا باتباع الوحي الإلهي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وأن الضلال والشقاء إنما يأتي من إعراض الناس عن دين الله ، وأن البشرية مهما ارتقت وتقدمت في المجالات المادية والعلمية لا يمكن أن تستغني عن الوحي الإلهي الذي جاء به الرسل عليهم السلام ، وخاصة خاتمهم الذي أتم الله على يديه الدين .

بشرية الرسل تكريم للجنس البشري :-

سبق القول إن الإنسان هو أفضل مخلوقات الله ، وأنه كائن كريم ، مفضل على كثير من المخلوقات ، وفيه الكثير من الصفات والخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات ، وزيادة في التكريم والاهتمام بهذا الإنسان ، اختار الله عزوجل من الجنس البشري رسلاً وأنبياء يقومون بواجب التبليغ والدعوة لأقوامهم قال تعالى « الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس » (١) وقال سبحانه « وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين » (٢)

ومن الواضح أن هذا الاختيار والإصطفاء يمثل قمة التكريم للجنس البشري كما أن هذا الاختيار ليس كسباً من قبل الإنسان ، فهو لا يستطيع أن يصل إليه بكثرة العبادات والأعمال الصالحة والمجاهدة والزهد والانقطاع ، بل هي محض اختيار واصطفاء من الله ، وقد عبر علماء التوحيد عن هذه الحقيقة بقولهم « النبوة اختيار ، وليست بكسب » (٣) قال تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٤)

والقارئ في تاريخ النبوات وحياة الأنبياء عليهم السلام يجد نقاء صفحة النبي وصفاء نفسه بمعنى أنه سبحانه لم يبعث نبياً إلا وكان ذا حظ وافر من صفاء النفس وسلامة العقل وسداد الرأي ، وصدق في القول والعمل ، وأمانة في السر والعلن ، وتنزهاً عن الأغراض الخاصة وغير ذلك من الصفات الحميدة والخصال الكريمة .

وهذا لا يعني أن كل من اتصف بهذه الصفات أو ببعضها يكون نبياً أو رسلاً ، وإنما المعول عليه هو اصطفاء الله ووحى السماء لاختيار من يصلح لهذه المهمة من بين ملايين البشر ، لأن المهمة صعبة ، فالرسل هم سفراء الله إلى خلقه والواسطة بينه وبينهم ، يبينون للناس ما نزل إليهم ، ويقومون بالحجة بذلك على الخلق ولإظهار الحجة والدليل فقد زود المولى أنبياءه بالآيات البينات التي يسميها علماء التوحيد « بالمعجزات » وقد أوتي كل نبي آية باهرة ومعجزة خارقة يعجز البشر عن الإتيان بمثلا ، ومن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً ، وكان عيسى عليه السلام يحي الموتى وهكذا بقية الأنبياء كل منهم أتى بمعجزة وكانت معجزة محمد عليه السلام القرآن الكريم الذي تحدى به العرب رغم فصاحتهم وقوة بلاغتهم .

(١) سورة الحج ، آية ٧٥ ..

(٢) سورة الكهف ، آية ٥٦ .

(٣) عدنان زرزور ، دراسات في الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٢٤ .

وطريقة المعجزات هي الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر لتقرير نبوة الأنبياء، وفي هذا المعنى يقول الإمام الطحاوي « ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات ، فإن النبوة يدعيها أصدق الصادقين ، أو أكذب الكاذبين ، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين ، بل قرائن أحوالهما تقري عنهما وتعرف بهما ، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة. » (١)

وقد حاول الكثير من الناس وعلى مر العصور إثارة الكثير من الشبه حول رسل الله جميعاً ، ومن أكثر الشبه تداولاً شبهة أن الرسول لا يكون بشراً ، وقد أثبتت هذه الشبهة على لسان قوم نوح عليه السلام ، ثم قالتها بقية الأمم من بعدهم ، حتى جاءت على لسان المشركين في عهد خاتم الأنبياء محمد عليه السلام .

وهؤلاء جميعاً يجهلون منزلة الإنسان عند الله لذا فهم يستكثرون أن يكون هناك نبي منهم « قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبین » (٢) وقد رد المولى على هؤلاء ودحض افتراءاتهم « راجع سورة الأنعام الآيات من ٨ - ١٠ » « وسورة الإسراء الآيات ٩٤ - ٩٦ » .

وقد استغرب الكفار بشرية الرسل ، وكونهم يتساوون معهم في الكثير من الصفات والخصائص ، لذا طلبوا أن يكون هناك ملائكة مع هؤلاء الرسل « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً » (٣)

فالكفار جعلوا بشرية الرسل عليهم السلام مانعة من امتيازهم على سائر أفراد الناس ، وقالوا أن الرسل لا بد أن تكون أرقى من البشر عقلاً وأخلاقاً وأدباً ، والبشر في نظرهم ليسوا أهلاً لأن يكونوا رسلاً بين الله وعباده ، لأنهم يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق كما يفعل سائر الناس .

رسالة محمد عليه السلام هي الخاتمة :-

قال تعالى « ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٤) وقال عليه السلام « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (٥).

وكونه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين فقد اختصه المولى بالكثير من الصفات والخصائص ومنها :-

أولاً :- أنه عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين :-

كما يتضح من الآية والحديث وقد ظهر الكثير ممن يدعون النبوة بعده عليه السلام ، ولكنهم لم يفلحوا ، وكشف الله أمرهم وإدعائاتهم ، وظهر بطلان أقوالهم .

(١) أبو جعفر الأزدي الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ١٠ .

(٣) سورة الفرقان ، آية ٧ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

(٥) رواه البخاري .

ثانياً : عموم رسالته عليه السلام :-

من المعروف أن الأنبياء والرسل السابقين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة قال تعالى « إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه » (١) وقال « ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً » (٢) أما محمد عليه السلام فقد بعث إلى كافة الخلق على اختلاف أوطانهم وأجناسهم وأزمانهم قال تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » (٣) وقوله « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » (٤) وهو مرسل إلى الجن كما هو مرسل إلى الإنس وعموم رسالته عليه السلام تقتضي أن يؤمن به كل البشر ويطيعوه ويتبعوا ما جاء به من عقيدة وشريعة .

ثالثاً : الكمال والرشد :-

وهذه الخاصية هي نتيجة للخاصيتين السابقتين ، ويقصد بذلك أنها شريعة كاملة ووافية لاحتياج إلى من يكملها أو يزيد فيها، وهي شريعة وعقيدة، تجمع بين الدنيا والآخرة قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (٥)

رابعاً :- إن رسالته عليه السلام محفوظة من عند الله :-

من المعروف أن كل الرسائل والكتب السماوية السابقة لرسالته عليه السلام تعرضت للتحريف والتبديل سواء بالزيادة أو النقصان ، أما شريعته عليه السلام فقد تكفل المولى بحفظها حتى قيام الساعة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٦) نعم لقد حفظ المولى كتابه من كل تحريف أو تبديل فكم حاول البعض أن يغير ويبدل في بعض آياته ولكن الله كشف أمرهم وحفظ دينه بحفظه للقرآن الكريم (٧)

الرسول جميعاً جاءوا بدين واحد ، ويجب اتباع كل ما جاءوا به :-

يدرك المسلم أن جميع الأنبياء والرسل جاءوا بدين واحد منزل من عند الله ، ومن يستعرض دعوات الرسل التي أشار إليها القرآن يجد أن الدين الذي دعوا إليه جميعاً هو الإسلام « إن الدين عند الله الإسلام » (٨) والإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء والرسل ، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه « وأمرت أن أكون من المسلمين » (٩) كما أمر به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام « اذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » (١٠) ويعقوب عليه السلام يوصي أبناءه بالإسلام « فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (١١) وكذلك فعل نبي

(١) سورة نوح ، آية ١ .

(٢) سورة النمل ، آية ٤٥ .

(٣) الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٤) سورة سبأ ، آية ٢٨ .

(٥) سورة النحل ، آية ٨٩ .

(٦) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٧) عدنان زرزور ، دراسات في الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٨) سورة آل عمران ، آية ١٩ .

(٩) سورة يونس ، آية ٧٢ .

(١٠) سورة البقرة ، آية ١٣١ .

(١١) سورة البقرة ، آية ١٣٢ .

الله موسى عليه السلام فدعا قومه إلى الإسلام « وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » (١) وكذلك قال الخواريون لعيسى عليه السلام « آمن بالله واشهد بأننا مسلمون » (٢) من الأدلة السابقة يتضح أن الإسلام هو دين جميع الرسل والأنبياء ولكن يبقى السؤال وهو : -

ما هو الإسلام وكيف يتحقق؟

يُعرّف الإسلام بأنه الطاعة والانقياد والاستسلام لله تعالى ، بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه ، ولذلك فالإسلام في عهد نوح عليه السلام يكون بإتباع ما جاء به ، وكذلك في عهد عيسى عليه السلام ، وهكذا بقية الرسل والأنبياء عليهم السلام .

أما كيف يتحقق الإسلام : - فلذلك عدة التزامات وضوابط ، لعل أهمها الالتزام بما جاء به الأنبياء والرسل من دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ ما سواه ، وقد عرض القرآن هذه القضية في أكثر من موضع ، وعلى لسان أكثر الأنبياء فنوح عليه السلام قال لقومه « يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » (٣) وكذلك قال بقية الأنبياء عليهم السلام .

وظائف الرسل : - (٤)

أرسل الله الرسل عليهم السلام للقيام بوظائف متعددة ومن أهمها ما يلي : -

- البلاغ المبين « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (٥)

- الدعوة إلى الله : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٦)

- التبشير والإنذار « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين وإلا مبشرين ومنذرين » (٧)

- إصلاح النفوس وتزكيتها « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتب والحكمة » (٨)

- إقامة الحججة على الناس « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (٩)

- سياسة الأمة ففي الحديث « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي قام نبي » (١٠)

من كل ما تقدم يتضح وحدة الدين والهدف الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام ، وأن الخروج

عن هذه الوحدة المتلاحمة التي بينهم يعد كفراً ، سواء أكان خروجاً عن الأصل الذي دعوا إليه من

توحيد الله وطاعته ، أم تفريقاً بين الأنبياء عليهم السلام بأن يؤمن بعضهم دون البعض .

(١) سورة يونس ، آية ٨٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٥٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٥٩ .

(٤) محمد التركي ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(٥) سورة المائدة ، آية ٦٧ .

(٦) سورة النحل ، آية ٣٦ .

(٧) سورة الكهف ، آية ٥٦ .

(٨) سورة الجمعة ، آية ٢ .

(٩) سورة النساء ، آية ١٦٥ .

(١٠) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

ومن هنا كان الإيمان بهم جميعاً ركناً من أركان الإيمان الستة ، كما أن التفريق بينهم كالإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر هو كفر بهم جميعاً .

وقد عاب المولى على هؤلاء فعلهم هذا فقال عن قوم نوح « كذبت قوم نوح المرسلين » (١) وقال عن قوم صالح « كذبت ثمود المرسلين » (٢) وكذلك قوم لوط « كذبت قوم لوط المرسلين » (٣) ويستمر الحال مع آخر الأنبياء محمد عليه السلام ، فهام قومهم يكذبونه ويتهمونهم بتهم كثيرة منها السحر والكذب والجنون .

نعم هذا هو حال أغلب الأمم تكذيباً وعناداً وإنكاراً لرسول الله ، وكان هذا سبباً في العقوبات التي أنزلها المولى عليهم . وزيادة في التأكيد على وجوب الإيمان برسول الله جميعاً فقد ربط المولى ذلك بالإيمان به فاعتبر أن الإيمان به لا يكتمل ولا يصح ما لم يؤمن الإنسان برسوله ، ولذلك فقد شهد المولى لمن آمن به ولم يفرق بين رسله ويؤمن بهم جميعاً بأنه مؤمن حقاً قال تعالى « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً » (٤) كما اعتبرهم من الصديقين « والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون » (٥) فهذه الآيات وغيرها تؤكد وجوب الإيمان برسول الله جميعاً ، لأن رسالتهم واحدة ، لا تختلف ولا تتجزأ ، لأنها وحدة واحدة في أصولها وقواعدها ، وكذلك الرسل وحدة واحدة لا يجوز التفريق أو الفصل بينهم لأن موكب الإيمان متصل وتاريخه - في التاريخ البشري - واحد والدعوة إليه واحدة ، وأصحاب الإيمان كلهم - ومن باب أولى حملة رسالته - أصحاب قضية واحدة وإن تباينت أزمانهم وأماكنهم وأجناسهم ولغاتهم .

الموضوع الخامس :- ويتناول سنة الله منذ الأزل وهي التمكين لأوليائه .

الغلبة للمؤمنين :-

القارئ للتاريخ البشري منذ أن خلق الله آدم يجد أن سنة الله لم تتغير ولم تتبدل وهذه السنة هي التمكين في الأرض للمؤمنين ، الذين يتبعون منهجه ويسيروا على هدى من وحيه والهلاك والتدمير يكون من نصيب المخالفين والمعاندين لشرع الله ومنهجه ، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب « سنة الله التي لا تتخلف هي التمكين في الأرض لأوليائه المستقيمين على منهجه ، وهي التدمير على أعدائه المخالفين عن سنته . وقد يطول الأمر - بالقياس إلى عمر الفرد البشري القصير - ولكن السنة لا تتخلف وحين ننظر إلى الماضي نرى هذه السنة واضحة ، بينما قد تختفي معالمها علينا . وحين ننظر إليها في المدى القريب ، وتتضافر الشواهد القرآنية والشواهد التاريخية على تقرير هذه الحقيقة التي تعد قاعدة أساسية من قواعد التغيير الإسلامي للتاريخ . » (٦) واليوم وفي ظل هذا الضعف والهوان الذي تعيشه الأمة المسلمة يتساءل الكثيرون ويقولون ما الحكمة والسر في انقلاب المعادلة بمعنى إن التمكين والغلبة اليوم لم تعد للمسلمين ، وإنما هي لغير المسلمين بشكل عام؟

(١) سورة الشعراء ، آية ١٠٥ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ١٤١ .

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٦٠ .

(٤) سورة النساء ، آية ١٥٢ .

(٥) سورة الحديد ، آية ١٩ .

(٦) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .

هؤلاء قد يكون معهم حق فى هذا التساؤل لأنهم يجهلون السر والحكمة ، ولأنهم أيضاً يرون أن الحق يتراجع والباطل ينتفخ ويكبر ، وحول الرد على هذا التساؤل يقول أحد الباحثين « وما نزعنا - ولا غيرنا من البشر - نلم بحكمة الله على سبيل القطع ، حين لا يرد ذكر الحكمة فى كتاب الله أو فى سنة رسوله عليه السلام على سبيل القطع ، ولم يرد فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام على سبيل القطع ، ولم يرد فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام بيان عن حكمة الاستثناء الوارد فى آية سورة آل عمران « ضريت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » (١) فكل ما نقوله عنه ظن لا يبلغ اليقين ، ومما نظنه فى هذا الشأن أن الله يعاقب البشرية على كفرها بتسليط اليهود عليها وقد كفرت البشرية اليوم ككفرها فى تاريخها كله ، وتبجحت بالكفر كما لم تتبجح به فى تاريخها كلها ، فأنكرت الله جهرة ، ونفت هيمنتته وسيطرته فقال قائلهم « لا إله والحياة مادة » (٢) وقال آخر « الطبيعة تخلق كل شىء ولاحد لقدرتها على الخلق » (٣) . واقتضت حكمته سبحانه أن يذيق البشرية الكافرة المتبجحة بالكفر بأس شر الخلق الذين خلقهم الله ، وهم أولئك اليهود » (٤) .

وقد يتساءل آخرون ويقولون إن المسلمين لم يصلوا بكفرهم وعنادهم إلى الحد الذى وصل إليه الغرب الملحد ، إلا أقلية منهم لا تكاد تذكر؟ وهذا قول صحيح ، ولكن ما يعاب على هؤلاء أنهم يعرفون أسباب النصر ويدركون أسرار التمكين ، ولكنهم تنكبوا لكل ذلك ، وفرطوا فى مقتضيات العقيدة ، وذهبوا يبحثون عن أسباب القوة والنصر هنا وهناك ، تاركين وراءهم الرسالة التى كلفوا بأداءها ، وهى الشهادة على الناس ، وفرطوا فى أمر الله لهم أن يعدوا العدة ، ويأخذوا بأسبابها مهتدين بقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٥)

وعليه ينبغى القول إن المسلمين مطالبون اليوم أكثر من أى وقت مضى بالالتزام بقوله تعالى « إن تنصروا الله ينصركم » ومطلوب منهم أيضاً أن يعوا أن حقيقة التغيير والتمكين مرتبطة بالنفوس ومدى قربها ويعدها عن خالقها عملاً بقوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٦)

فأين نحن اليوم من هذا التغيير وما نسبته فى حياتنا اليوم وما مساحته؟

هذا سؤال يحتاج إلى إجابة منك أخي القارئ .

عقاب الله للأمم المخالفة :-

من يقرأ القرآن بتمعن وتدبر يجد أن الكثير من الآيات قد تعرضت لحال الأمم السابقة وكيف كان موقفها من رسل الله ، وما جاؤا به من الحق والبيان ، وكيف أن أكثرهم قد تعرض للأذى والتكذيب ، ووصل الحال إلى أن بعض الأمم قتلت رسلها كما حصل من اليهود مع بعض أنبيائهم وبالمقابل يدرك

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٢ .

(٢) هذه مقولة الشيوعيين .

(٣) هذه مقولة لدارون ، صاحب نظرية التطور .

(٤) محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٩٩١ ، ط ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

(٦) سورة الرعد ، آية ١١ .

أيضاً أن الله سبحانه لم يترك من عاند منهم وتكبر دون عقوبة أو عذاب ، فقوم نوح عليه السلام لما كذبه أغلب القوم أغرقهم الله ونجّ الباقيين ، وكذلك من كذب من قوم موسى عليه السلام خسف الله بهم البحر ونجّ الباقيين ممن آمن معه .

وكذلك الحال مع قوم شعيب عليه السلام لما كذبه أرسل الله عليهم سحابة أظلمتهم ثم أمطرتهم ناراً « فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يومٍ عظيمٍ » (١)

وهكذا حصل لكل الأقسام التي عاندت وتكبرت هلاك ودمار حتى جاء خاتم الأنبياء عليه السلام وحصل له من قومه من التكذيب والعناد ما حصل لسابقيه ولكن نجد أن سنة الله وعنايته تدخلت لتقتص من هؤلاء المخالفين لشرعه ومنهجه فهزم الله كفار قريش في أكثر من مكان وزمان ، وكان أهمها ما حصل لهم في معركة بدر وفتح مكة ، ففي هاتين المعركتين حصل تفريق بين الحق والباطل ، وبين المؤمنين الصادقين ، والمعاندين المتكبرين ، وكان ذلك بتدخل إلهي مباشر حيث أرسل الله ملائكته تحارب مع أوليائه ضد المخالفين والمعاندين ، وكانت الغلبة والتمكين للمسلمين ، والهلاك والهزيمة لأعدائهم في أغلب المعارك والمواقع ، وما كان من هزيمة إنما هو للتمحيص والاختبار ، وزيادة في مواساة المولى لنبيه محمد عليه السلام لكي يصبر ويتحمل أذى الكفار وكان يقص عليه ما حصل للأنبياء من قبله ، وما حل بأقوامهم من عذاب وعقوبة ، يريد من ذلك أن يطمئن نبيه عليه السلام ويؤكد له أن حال الأنبياء السابقين لم يكن بأحسن حال مما هو عليه الآن ، فكلهم كُذِّبُوا ، وعانوا مع أقوامهم مشاكل كثيرة وفي هذا يقول المولى « كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ، وثمود وقوم لوطٍ وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ، إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب » (٢)

ويبقى أن يُطرح في هذا الموضوع التساؤل الآتي :-

ما فائدة القصص التي وردت في القرآن الكريم عن أحوال الأمم السابقة ؟

من المسلم به أن القرآن الكريم هو كتاب الله الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو منهج حياة ، وما جاء فيه من تشريع أو قصص إنما هو لصالح البشر ، ولتنظيم شؤون حياتهم ، فعندما يقرأ المسلم قصص الأمم السابقة وكيف كان موقفهم من أنبيائهم ، ويعرف ما هي العقوبات التي حلت بهم يأخذ من ذلك العبرة والعظة ، ويدرك أنه معرض لهذا العذاب أو لتلك لعقوبة إذا هو خالف أوامر الله وابتعد عن شرعه ، فمثلاً عندما يقص لنا المولى ما حدث لقوم سبأ الذين سكنوا في منطقتنا منذ آلاف السنين وحصل لهم ما حصل من العذاب والعقوبة كما يحدثنا عن ذلك سبحانه بقوله « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمينٍ وشمالٍ ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له بلدةً طيبةً وربّ غفورٌ » ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكلٍ حمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » (٣)

إذا عرفنا ذلك ندرك سنة الله منذ الأزل وهي التمكين لأوليائه والعقوبة للمخالفين .

(١) سورة الشعراء ، آية ١٨٩ .

(٢) سورة ص ، الآيات من ١٢ - ١٤ .

(٣) سورة سبأ ، الآيات ١٥ - ١٧ .

تحديد الخير والشر :-

يعد موضوع الخير والشر من أكثر الموضوعات التي شغلت الإنسان بحثاً وتفكيراً منذ القدم ، كما تناوله الكثير من الباحثين والمهتمين ، خاصة الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفوس، ويعتقد السفسطائيون أن الخير كله يكمن في إشباع الشهوات الإنسانية دون الالتفات إلى أي قانون يحول أو يمنع تلبية وإشباع الغرائز البشرية .

ويرى سقراط أن الانسان يحب الخير الذي يتجسد في القوانين العادلة المطابقة للعقل والنظام الإلهي . ويرى أفلاطون أن الشر بذاته هو عالم الحس ، كما أن الخير كله يتجسد في عالم المثل والأفكار ويقول « لا تقل أن السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالإطلاق ، وإنما قل الإنسان أسعد حالاً في النظام منه في الإسراف، ولو اتبعنا حساب أصحاب اللذة بشرط أن تضبط الحساب ، لوجدنا أن الحياة الفاضلة هي ألد حياة ... تمتاز بخفة الانفعال وضعف اللذة والألم» (١).

ويرى بعض الفلاسفة أنه لا يوجد بذور للخير أو للشر حيث إن الإنسان يستطيع أن يحصل على ما يريد بأية وسيلة ممكنة لديه ، وأنه لا وجود للقوانين الأخلاقية ويرى آخرون أن ما هو خير في بعض الظروف قد يكون شراً في ظروف أخرى بمعنى أنه لا يوجد فصل تام بين ما هو خير وما هو شر ، ولكن الظروف أو طبيعة الظرف هي التي تحدد ذلك ، وليس نوعية العمل أو السلوك .

هذا عرض موجز لآراء بعض الفلاسفة حول موضوع الخير والشر ويبقى أن نعرف موقف الإسلام من هذا الموضوع العام ، يخبرنا المولى في كتابه العزيز أن الشر نشأ منذ بداية خلق الإنسان على ظهر الأرض ، ويتمثل ذلك في رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام متذرعاً بحجج واهية وغير مقبولة « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٢)

ونظراً لهذا العصيان من إبليس فقد حذر المولى آدم عليه السلام منه ، ودعاه إلى أخذ الحيطة والحذر « فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » (٣)

ومع هذا التحذير إلا أن إبليس استطاع وبطرقه الملتوية وأساليبه المتعدده أن يغوي أبا البشرية وزوجه ، وتسبب في إخراجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض ، واستمر في توعدده وتهديده لغواية أبناء آدم ويقودهم إلى الهلاك والشرك وفي هذا يقول سبحانه « قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » (٤)

كما يحذرنا المولى من اتباع خطوات الشيطان وطرقه وحيله فيقول « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » (٥) وقال « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » (٦)

(١) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٣م ، ط١ ، ص ٩٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٤ .

(٣) سورة طه ، آية ١١٧ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيتان ١٦ - ١٧ .

(٥) سورة فاطر ، آية ٦ .

(٦) سورة البقرة ، آية ١٦٨ .

ويقول « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » (١) ، وحول هذه الآيات ينبغي توضيح حقيقة هامة وهي أنه يجب ألا يفهم من الآيات السابقة أن الشيطان وأعوانه لهم قوة وسلطان وتأثير على كل البشر ، إن هذا التصور غير صحيح وغير سليم لأن قوته وتأثيره لا تكون إلا على الذين استجابوا لدعوته وساروا في طريقه وأقدموا على ارتكاب الذنوب والآثام وتجاوزوا حدود الله وشرعه ، إن هؤلاء هم وحدهم حلفاء إبليس وهم ثمرة جهده وغوايته ، أما من ترفع ، ولم يستجب له فهم المؤمنون الموحدون الذين تكفل المولى بهدایتهم ، وإبعادهم عن شرور إبليس وأعوانه .

وتعتمد حكمة الخير والشر في الإسلام على الجزاء ، والجزاء يعتمد مع العدل على الحرية والجزاء العادل ، يتطلب تمييز مراتب الناس وتعيين أقدارهم لينال كل منهم الجزاء المناسب له طبقاً لقول الحق « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وتمييز هذه المراتب والأقدار يقتضي « الاختبار » أو ما يسميه القرآن « بلاء » « أو فتنة » « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » وقوله سبحانه « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » (٢) .

ولما كان الجزاء في دار غير هذه الدار ، كانت الدنيا هي حلبة السباق ومكان الاختبار والابتلاء ، فكان الحياة والموت ، والشدة والفرج ، الصبر والجزع ، الخير والشر ، وهكذا نجد صفة للكمال يقابلها صفة للنقص لتتمايز الأقدار وتتعين المراتب ، ويحدد كل فرد موقفه من هذا الامتحان والابتلاء وكما يقول أحد الباحثين (٣) « ولا معنى للامتحان إذا لم يكن للمتحن حربة ، بحيث يفعل ما يشاء أو يدع ما يشاء متحماً ما يترتب على الفعل أو الترك من نتائج « وهدينه النجدين » (٤) « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » (٥) وما دامت هناك حربة فلا بد من اجتهاد ومادام هناك اجتهاد فلا بد من خطأ وما دام هناك خطأ فلا بد من توجيهه أو تربيته ولا بد من تأديب ، والتأديب يتضمن الأمل المعبر عنه بالشر ، فالشر كما ترى يخدم غرضين : -

الأول : - تمييز المراتب والأقدار ليقوم الجزاء - في الآخرة - على أساس عادل .

والثاني : - هو التأديب والتربية الذي يعيد المرء - إذا كان عاقلاً - إلى الله كلما ابتعد عنه ويرجع به إلى السلوك الأفضل كلما تنكب جادته يقول تعالى « وبلونهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » فالشر إذن هو الثمن الذي يدفعه الإنسان لهذه الحالة « الإنسانية » التي تفرق بينه وبين غيره من جماد أو حيوان ، ومسؤولية هذا الشر تقع على عاتق الإنسان وحده ، دون غيره « وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير » .

وبصفة عامة يمكن تقسيم الشر إلى قسمين : -

الأول : - وهذا النوع يكون للإنسان دور كبير في تأجيجه ونشره كالحروب ، وحوادث الطرقات التي تحدث نتيجة لسوء الاستخدام لوسائل المواصلات المختلفة وجرائم القتل بمختلف أنواعها ، ويرى

(١) سورة يس ، آية ٦٠ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٢ .

(٣) محمد علي يوسف ، الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د.ت ، ط ١ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤) سورة البلد ، آية ١٠ .

(٥) سورة الإنسان ، آية ٣ .

الإسلام أن هذا النوع يمكن تلافيه والحد منه لو صلحت النفوس وتمسك الناس بالأخلاق والآداب التي دعا إليها الإسلام .

الثاني :- وهذا النوع ليس للإنسان فيه دخل وليس تحت مقدوره كالزلازل والبراكين والأمراض القاتلة ، وللوقاية من هذا الكوارث يرى الإسلام أننا لا بد أن نأخذ بالأسباب المشروعة لتفادي هذا النوع ، والاستفادة من كل الإمكانيات المادية المتاحة ، وقبل ذلك لا بد من الأخذ بالأسباب الروحية والدينية التي تقربنا إلى الله ، وتبعدنا عن الشر المتمثل في الابتعاد عن شرع الله ومنهجه ، والإعراض عن النور السماوي المبين ، واتباع عدو الإنسانية وزعيم الشر الذي تكفل وتعهده بغواية البشرية مستخدماً كافة السبل والحيل لإبعاد الناس عن منهج الله ، وأماً الخير بجميع أنواعه فله مصادره ووسائله ، ويأتي في مقدمة ذلك اتباع الوحي الإلهي ، والنور السماوي الذي بُعث به الرسل عليهم السلام جميعاً وكان أكبر وأدوم خير عرفته البشرية هو الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه السلام ، ففي اتباعه خير كثير ، وهداية عظيمة لمن أراد طريق الخير ، والخير باقٍ في هذه الأمة إلى يوم القيامة مصداقاً لقوله عليه السلام «الخير فيّ وفي أمّتي إلى يوم القيامة» وفي ختام هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى حقيقة هامة وهي أن الله سبحانه لو أراد لجمع كافة البشر على الخير والهدى والتقوى طوعاً أو قسراً ، ولكنه سبحانه وضع للناس طريق الخير ووسائله ومصادره ، وبين لهم كذلك أخطار وعواقب طريق الضلال ومزالقه ومصادره ، ثم أعطى بعد ذلك للإنسان حرية الاختيار والانتقاء « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

الموضوع السادس :- ويتناول المساواة بين الناس جميعاً

أصل البشرية واحد :-

من الأمور المعروفة والمسلمة لدى الكثير من المسلمين وبعض الباحثين المنصفين من غير المسلمين ، أن الإسلام جاء ليعلن للملأ أن هناك وحدة في أصول ثلاثة هي :-
- وحدة النفس البشرية :- فلا انفصال بين الدين والحياة ، أو الدنيا والآخرة ، أو الروح والجسد ، أو الواقع والخيال .

- وحدة الجنس البشري :- فلا فرق بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو الوطن .

- وحدة الدين :- منذ أول الأنبياء نوح عليه السلام حتى آخرهم محمد عليه السلام فجميعهم جاءوا بدين واحد هو الإسلام .

وحول مظاهر هذه الوحدة وردت الكثير من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك :- قال تعالى «يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» (٢) وقوله تعالى « إن أكرمكم عند

(١)نعورة يونس ، آية ٩٩ .

(٢) سورة النساء ، آية ١ .

الله أتقاكم « (١) وقوله « إن الدين عند الله الإسلام » (٢) وقوله « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » (٣) وقوله عليه السلام « لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، كلكم لآدم و آدم من تراب » (٤) ويقول عليه السلام « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان »

يلاحظ من النصوص السابقة وغيرها أن الإنسانية بدأت بالوحدة من حيث الخلق والنشأة ، والدين والملة ، قبل أن تتمايز الأمم وتتعدد في الشرائع والأوطان والألوان « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » (٥).

ومن أجل هذا الاختلاف الذي حصل بين الأمم تعددت الرسائل والرسول والكتب والشرائع المتميزة بتمايز ما اختلفت عليه الأمم والجماعات .

وجاء الإسلام وسكان الجزيرة العربية يتجمعون حول أوامر كثيرة منه أصرة النسب أو الجنس أو القبيلة أو الأرض ، أو أصرة المنافع والمصالح المشتركة فجاء الإسلام ورفض كل هذه الروابط النفعية والمؤقتة وقال « أنه لا لون ولا جنس ولا نسب ولا أرض ولا مصالح ولا منافع هي التي تجمع بين الناس أو تفرق ، إنما هي العقيدة ... إن أصرة المجتمع هي العقيدة لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الإنساني ، فأما إذا غابت هذه الوشيحة فلا أصرة ولا تجمع ولا كيان ، إن الإنسانية يجب أن تتجمع على أكرم خصائصها لا على مثل ما تتجمع عليه البهائم من الكلال والمرعى » (٦)

ويرى الإسلام أن العقيدة هي أقوى الروابط التي يمكن أن تجمع بين أفراد الأمة الواحدة وأنه لا يمكن أن يقوم مقامها رابط آخر ، وإن وجد فهو مؤقت ومرتبط بمصالح مادية ونفعية متى ما انتهت انتهى هذا الرابط ، ولذا فالأمة في نظر الإسلام هي « المجموعة من الناس تربط بينها أصرة العقيدة وهي جنسيتها وإلا فلا أمة لأنه ليست هناك أصرة تجمعها ، والأرض والجنس واللغة والنسب والمصالح المادية القريبة لا تكفي واحد منها ولا تكفي كلها لتكوين أمة إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة » (٧) وعندما يقرر الإسلام أن العقيدة هي الرابطة القوية بين الناس ومادونها فهي روابط مؤقتة وزائلة، فإنه يهدف من ذلك إلى رفض التكبر والتعالي على عباد الله بسبب اللون أو الجنس أو الجاه والقبيلة ، فهذا رسول الله عليه السلام يحذر ويغضب من الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عندما سمعه يقول لصحابي آخر هو بلال رضي الله عنه يا ابن السوداء فقال عليه السلام « إنك امرؤ فيك جاهلية » فأدرك أبو ذر خطورة فعله هذا فوضع خده على الأرض وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه حتى يغفر الله زلته ويكفر عنه ما بدر منه من خُلُق الجاهلية .

(١) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٩ .

(٣) سورة التين ، آية ٤ .

(٤) رواه البزاز في مسنده .

(٥) سورة يونس ، آية ١٩ .

(٦) نادية العمري ، أضواء علي الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

كما رفض عليه السلام تدخل أسامة بن زيد رضي الله عنه في قضية الفتاة التي اتهمت بالسرقة وقال « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (١)

وهذا عمر رضي الله عنه تصرف ابن عمر بن العاص مع ابن القبطي في القصة المعروفة التي حدثت في مصر ، ويقول « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ».

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقف مع يهودي من رعاياه في مجلس للتقاضي دون تكبر أو تعالي . إن المنصف عندما يقارن هذه الوقائع وتلك الممارسات العملية لا يسعه إلا أن يعترف بعظمة الإسلام وأنه لا مقارنة بينه وبين من يدعون زوراً وبهتاناً أنهم مع الإخاء والمساواة والحربة والعدالة كما جاء الإعلان العالمي الذي أعلنته الأمم المتحدة في (١٠/١٢/١٩٤٨م) والذي يمنع نظرياً جميع أنواع التمايز ويعطي الناس جميعاً حقوقاً واحدة ، إن هؤلاء عندما يعلنون ذلك إنما هو للمتاجرة وإلا فالواقع يشهد أن أمريكا وأوربا يمارسون التمييز والتفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو اللغة وبصورة بشعة .

وبناء على ما سبق يمكن القول إن الإسلام ساوى بين الناس في المنشأ والمصير وهدم فكرة النسب المقدس ، والدم النبيل العالي ، ونسب الناس كلهم إلى أصل واحد بل حدد المولى سبحانه البداية الصحيحة لخلق الإنسان ونشأته وكذلك حدد نهايته ومصيره المحتوم في قوله تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » (٢)

ويعترف الإسلام أن الناس متساوون في الشعور والكرامة ، فلا فرق بين غني وفقير ورجل وامرأة وشيخ وشاب فكل ناحية من نواحي الإنسان الوجدانية والاجتماعية والنفسية لها حرمتها وكرامتها « يأبها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن » (٣)

ويساوي الإسلام بين الناس في الحقوق والواجبات ، وهذه المساواة نابعة من نظرتة إلى أصل الناس جميعاً كونهم من أب واحد وأم واحدة وخالقهم ورازقهم واحد ، لذا لا بد أن يكون قانونهم وشريعتهم واحدة يحتكمون إليها جميعاً لا فرق بينهم في ذلك لأي سبب من الأسباب .

وساوى الإسلام أيضاً بين الذكر والأنثى في الكثير من الواجبات والحقوق ولم يفرق بينهم ، إلا في أمور محدودة جداً ، وتظهر هذه المساواة في الأعمال التعبدية كلها ، وفي الجزاء والحساب « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » (٤)

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات من ١٢ - ١٦ .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١١ .

(٤) سورة النساء ، آية ١٢٤ .

وقوله تعالى « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (١) ، كما ساوى بينهم في الأهلية ، وأعطى لكل منهما الحق في التملك وكسب المال قال تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » (٢) ، وتعني هذه الآية في مجملها أن الإسلام لا يحجر على المرأة ولا يمنعها من المشاركة في الأعمال التجارية والاقتصادية ، ويكون لها مالها المستقل تتصرف به كيفما تشاء دون وصاية من أحد . وهكذا نجد أن الإسلام أقر مبدأ المساواة بين الناس بغض النظر عن اعتبارات اللون أو الجنس أو الوطن أو المكان والزمان .

أخي القارئ قارن بين هذه المساواة ، وبين ما يدعيه المدعون اليوم من مساواة وإخاء وحرية ، ولا تنسى وأنت تقارن موقف الغرب وعصبة الأمم من هذه المساواة إذا كان أحد طرفيها من العالم الإسلامي أو الدول النامية ، والآخر من الدول الغنية أو التي تملك القوة المادية والبشرية ؟ ولا تنسى أيضاً بعض القضايا المطروحة على الساحة اليوم كقضية فلسطين مثلاً وغيرها من القضايا .

حقوق الإنسان في الإسلام : - (٣)

قبل الحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام ينبغي أن نتعرف على مضمون الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ (١٠ / ١٢ / ١٩٤٨) وقد حددت الجمعية هذه الحقوق في ثمانية حقوق هي : -

- الحق في حرية الرأي والتعبير .
- الحق في حرية العقيدة والعبادة .
- الحق في حرية العمل .
- الحق في حرية التعليم والثقافة .
- الحق في الحرية المدنية .
- الحق في حرية حماية النفس .
- الحق في حرية حماية المال .
- الحق في حرية حماية العرض .

هذه هي الحقوق التي أقرتها الأمم المتحدة منذ حوالي خمسين عاماً ، ولكن يا ترى ماذا قال الإسلام عن هذه الحقوق منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام .

إليك أخي القارئ عرضاً موجزاً لهذه الحقوق ، وبعد قراءتك لهما ، المطلوب منك عقد مقارنة بينهما ، وتحديد الجديد الذي جاء في قانون الأمم المتحدة كونه صدر مؤخراً .

(١) سورة النحل ، آية ٩٧ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٢ .

(٣) رجع الباحث إلى : -

- عبد الوهاب الديلمي ، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق .

- علي عبدالواحد وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٧٩ ، ط١ ، ص ١٠ .

أقر الإسلام للإنسان التمتع بالحقوق التالية : -

- كفل الإسلام للإنسان الحق في حرية الاعتقاد إذ الأصل أنه « لا إكراه في الدين » (١) ويقول « **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » (٢) ويقول « **قل ء امنوا به أولا تؤمنوا** » (٣) كما أنه سبحانه خص سورة كاملة وهي سورة (الكافرون) ليؤكد من خلالها سبحانه وبشكل واضح وصريح ويعلن أنه « **ولا أنا عابدُ ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين** » (٤).
- أقر الإسلام للإنسان حقه في الدفاع عن كرامته بصرف النظر عن دينه أو عرقه أو موقعه الاجتماعي ، باعتباره من أجل المخلوقات وأفضلها عند الله قال تعالى « **ولقد كرمتنا بني آدم** » (٥)
- أقر الإسلام للناس جميعاً الحق في الاختلاف بمعنى أن التباين في وجهات النظر سواء السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية هو جزء من طبيعة الحياة ونواميسها قال تعالى « **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم** » (٦) وقوله « **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** » (٧)
- كفل الإسلام للإنسان الحق في الحياة وشدد على تحريم القتل واعتبره جريمة كبرى « **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** » ودرء ألهذه الجريمة البشعة فقد غلظ المولى عقوبتها فشرع عقوبة « **القصاص** » حتى لا يتجرأ أحد على قتل أخيه الإنسان ، كذلك حرم الإسلام قتل الأبناء خشية الفقر وحذر من ذلك « **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم** » (٨) كما حرم الإسلام على الإنسان أن يقتل نفسه وهو ما يسمى اليوم « **بالانتحار** » واعتبروا هذا العمل جريمة كبرى قال تعالى « **ولا تقتلوا أنفسكم** » وقال عليه السلام « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** »
- كفل الإسلام للإنسان الحق في العيش في أمن وأمان ، وبحيث لا يكون قلقاً على حاضره ومستقبله ، ولذا حرم دمه وماله وعرضه وهذا واضح في خطبته عليه السلام في حجة الوداع « **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا** »
- أكد الإسلام على وحدة الأصل البشري ، واتصال النسب الإنساني وفي هذا يقول سبحانه « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** » (٩)، وقوله « **وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** » (١٠) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٢٩ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١٠٧ .

(٤) سورة الكافرون ، الآيات ٤ - ٦ .

(٥) سورة الاسراء . الآية ٧٠ .

(٦) سورة الروم ، الآية ٢٢ .

(٧) سورة هود ، الآيتان ١١٨- ١١٩ .

(٨) سورة الإسراء ، آية ٣١ .

(٩) سورة النساء ، آية ١ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية ٩٨ .

ويفهم من هذا المبدأ الأخوة الإنسانية والأصل الواحد ، ولذا فقد اعتبر المولى أنه « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » وفي تفسير هذه الآية يؤكد الحافظ ابن كثير أن المولى أطلقها بحق عموم بني آدم جميعاً « لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس » نعم إنها العدالة السماوية التي لا تفرق بين غني وفقير أو أسود وأبيض أو مسلم وغير مسلم .

- كفل الإسلام للناس الحق في حرية الرأي والتعبير والمشاركة في الحكم وإدارة شؤون البلاد ، وإبداء الرأي والنصح للحاكم ، واعتبر من يسكت عن الحق ويدهن فيه « شيطان أخرس » بشرط ألا يضر هذا الرأي بمصلحة الأمة ، أو يضر بالأفراد كالسخرية بهم أو سبهم وقذفهم ، أما بيان أضرار وفساد المفسدين ، وكشف مخاطرتهم وأضرارهم على البلاد والعباد ، فهذا ليس من الممنوع بل هو من الواجب ويدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- كفل الإسلام للناس حق التعليم ، وكان أول ما نزل من القرآن قوله سبحانه « اقرأ » وهذا يدل على أهمية العلم في الإسلام وقد اعتبر فريضة قال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

- كفل الإسلام للناس الحق في العمل ، فالدولة في الإسلام مطالبة بتوفير العمل لكل قادر عليه حتى يستطيع الإنسان أن يكسب قوته وقوت من يعول ، ومن أجل ذلك حرص عليه السلام على إعفاف أحد المسلمين عندما رآه يسأل الناس فأعطاه مبلغاً من المال ، ووجهه إلى العمل ونهاه عن سؤال الناس .

- كفل الإسلام للناس الحق في حرية التنقل والسفر داخل حدود الإقليم الإسلامي وخارجه ، وحرية الاجتماع والتجمع وتكوين الجمعيات والنوادي والنقابات التي تحقق مصالحهم وترعى شؤونهم .

- كفل الإسلام للأقليات غير المسلمة التي تعيش داخل المجتمع الإسلامي أن تمارس كافة شعائرها ، وأن تعمل في كل المجالات ، حتى إن بعض مفكري النظام السياسي في الإسلام أجازوا أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ في الدولة الإسلامية ، وقد أدى هذا التسامح إلى أن بعضهم أقبلوا على دراسة الإسلام واعتنقوه بدون إكراه (١) .

- وقد أمر الإسلام أن يأخذوا بالعدل وتحترم حقوقهم وحررياتهم ، وإذا دخل أحدهم الإسلام عدواً ، له كافة الحقوق التي للمسلم وعليه كافة الواجبات التي يؤديها المسلم . (٢)

- كفل الإسلام للإنسان الحق في التملك باعتبار ذلك غريزة فطرية ، وقد توسطت الشريعة في هذا الحق فلا هي حرمتها كما كان عليه الحال في النظام الشيوعي ، ولا هي أطلقتها على عنانها كما هو الحال في الرأسمالية وسوف نعرف ذلك بالتفصيل عند الحديث عن النظام الاقتصادي في الإسلام .

- كفل الإسلام للإنسان الحق في أن يقف أمام قضاء نزيه وعادل يدافع عن حقوقه ، أو يحاسب على حقوق الآخرين ، فالقضاء من أهم أهدافه الوقوف مع الحق أينما وجد ولمن كان ، وليس هناك اعتبارات للجاء أو المال أو اللون فكل الناس أمام القضاء سواء لا فرق بينهم ، ويبدو ذلك واضحاً من

(١) الإمام الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٢ .

(٢) محمد سلام مذكور ، معالم الدولة الإسلامية ، ص ١٤٥ ، ج ١ .

خلال العقوبات الدنيوية والأخروية التي أقرتها الشريعة ضد كل ظالم أو خارج من القانون والنظام العام ، والناظر في فلسفة هذا النظام يجد أنه لم يضع قوانين للعامة وقوانين للخاصة ، وقوانين للرجل ، وقوانين للمرأة بل حد حدوداً وجاء بنظم عامة للجميع .

- حرم الإسلام على الإنسان كل الأشياء التي تضر بصحته ، فحرم عليه الخمر والمخدرات بكافة أنواعها ، وكذلك حرم عليه بعض الأطعمة التي تضر بصحته وتسبب له الأمراض والمتاعب الصحية ، وهذا التحريم هو من باب الحرص على صحة الإنسان وسلامته ، واحتراماً لأدميته وحقوقه ، لأن الإنسان بدون الصحة قد لا يستطيع أن يقوم بواجب الخلافة والعمارة المكلف بها في هذه الحياة .
وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن الإسلام راعى حقوق الإنسان من قبل أن يولد وحتى بعد وفاته ، فنبه إلى وجوب اختيار الأم الفاضلة ذات الأخلاق الحميدة التي تربي الأطفال تربية حسنة ، ثم اعتنى به جنيناً في بطن أمه ووضع لذلك التشريعات والنظم ، وبعد ولادته نبه إلى وجوب اختيار الاسم المناسب له ، وختانه ، ثم تتوالى هذه الحقوق لتشمل أحكام الرضاعة وشروطها والنفقة والحماية والتعليم ثم وجوب الحصول على العمل المناسب ، ومنحه كافة الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم اعتنى به شيخاً وأكد على احترامه ورعايته ، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ينبغي تلقيه الشهادة ، وبعد الوفاة يغسل ويكفن ويدفن ولكل ذلك أحكامه وشروطه المنصوص عليها في كتب الفقه المختلفة ، ويستمر الحال حتى بعد وفاته ويكون ذلك بالدعاء له والوفاء بالالتزامات التي كانت عليه قبل وفاته قال عليه السلام « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها ولد صالح يدعو له. »

والإسلام عندما أعطى للإنسان كل هذه الحقوق اعتبره أهم وحدة في الكون ، وأهم مخلوق على الإطلاق ، ولأنه خلق حراً ومتمتعاً بكامل الحق في الاختيار ، ولا ينبغي إجباره أو حمله قسراً على القيام بتصرف معين إلا في حدود مقتضيات النظام العام الذي يقوم عليه بنيان المجتمع ومصالحه كل أفراد ، وهذا يتفق مع قوله سبحانه « ولقد كرّمنا بني آدم. »

الموضوع السابع :- ويتناول الإنسان باعتباره مسئولاً عن جميع تصرفاته ولا يحمل وزر غيره .

الإنسان وحده هو المسئول عن كل تصرفاته :-

تعتبر المسؤولية في الإسلام فرديه ، فكل شخص يتحمل تبعات الأعمال التي يقوم بها سواء كانت خيراً أو شراً ، ولا يمكن أن يعاقب أحد بجريه والديه أو إخوانه أو أي قريب مهما كانت الأحوال . وهذه المسؤولية ناتجة عن كونه مخلوقاً مزوداً بكل الإمكانيات البدنية والعقلية التي تمكنه من البحث والكشف عما يدور حوله في هذا الكون . وعندما زوده المولي بهذه الإمكانيات والطاقت ومنها العقل والقدرة علي التفكير والتدبير والإبداع والاختراع والتعلم والقيام بمختلف المسؤوليات - كان الغرض من ذلك هو إشعاره أنه المخلوق الوحيد المسئول عن كل تصرفاته - عدا الموت والحياة والرزق - وأنه يتحمل هذه المسؤولية والأمانة التي كلف بها وهي عمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة . فهو يؤدي وظيفة هامة اختاره الله لتأديتها من بين سائر المخلوقات ، وهذا تكريم وتشريف له يضاف إلى ما منحه الله من ميزات وخصائص .

ولتأدية هذه المسئولية على أكمل وجه فلا بد للإنسان أن يتعاون مع غيره من أفراد المجتمع ، ومن ثم فإن كل شخص يتحمل نتيجة عمله ، فإن أحسن وأدى واجبه على الوجه المناسب فهو بذلك يرضي ربه ويؤدي واجبه ، وإن أساء في تحمل هذه المسئولية عليه أن يتحمل نتائج عمله هذا ، وإذا أدرك الإنسان حقيقة أنه محاسب على كل أعماله وتصرفاته بالتالي سوف يشعر بثقل الأمانة الملقاة على عاتقه وحجم المسئولية ويفترض فيه أن يلتزم بالأمر الآتي :-

١- ان يعبد ربه وحده لا شريك له . وهذا يقتضى ألا يرتضى حكماً أو منهجاً أو عقيدة غير ما جاء من عند ربه عن طريق رسله عليهم السلام . وخاصة ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم .

٢- عليه أن يحسن في تأدية جميع الأعمال التي يقوم بها . وينبغي ألا يفرق بين الأعمال التي بينه وبين خالقه من صلاة وزكاة وصيام وبقية العبادات وبين ما بينه وبين العباد من معاملات ومصالح مشتركة .

قال عليه أفضل الصلاة والسلام : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه . »
وقال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (١) ، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية أي لا تحمل حاملة ثقلاً آخرى أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها ، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها .
وأصل الوزر الثقل ومنه قوله تعالى : « ووضعنا عنك وزرك » (٢) وهو هنا الذنب ... قلت ويحتمل أن يكون المراد بهذه الآية في الآخرة وكذلك التي قبلها ، فأما في الدنيا فقد يؤخذ فيها بعضهم بجرم بعض لاسيما إذا لم ينه الطائعون العصاة ، فأوجب الله تعالى على لسان نبيه عليه السلام دية الخطأ على العاقلة حتى لا يُبطل (٣) دم الحر المسلم تعظيماً للدماء ، وأجمع أهل العلم على ذلك من غير خلاف بينهم في ذلك .

أما من كان إماماً في الضلالة ودعا إليه واتبع عليها فإنه يحمل وزر من أضله من غير أن ينقص من وزر المضل شيء ، ويمكن القول إن الأمانة التي كُلف بحملها الإنسان ، وأشفقن منها السموات والأرض والجبال وهي حرية الإرادة ، ومسئولية الاختيار ، وما عدا الإنسان لا يتحمل مسؤولية ، ولا يحاسب على نتيجة فعله ، وحول هذا المعنى تقول عائشة عبدالرحمن « وكل الكائنات عدا الإنسان مسيرة بمقتضى سنن كونية تخضع لها وجه التسخير والامتثال ، دون تحمل لتبعية ما تحمل ، فلو أن السماوات قذفت الأرض بالصواعق وأمسكن ماء السحب فأتلقت الأرض والضرع من جذب وظماً ، أو لو أنها جادت بالغيث فأحيت الأرض بعد موتها لما كانت تسأل عن شيء من هذا أو مثله ، ولو أن الجبال تهاوت وتصدعت فقضت على بلدان كانت آمنه مطمئنة لما حوسبت السموات والأرض والجبال على خير أو شر ، ولكن الإنسان وحده هو المسؤول عن عمله ، المحاسب عليه ثواباً وعقاباً لا يحمل أحد عنه تبعة ولا يفون بغير جزاء . » (٤)

(١) سورة الزمر ، آية ٧ .

(٢) سورة الإنشراح ، آية ٢ .

(٣) طل دمه : ذهب هدرأ .

(٤) عائشة عبدالرحمن ، مقال في الإنسان ، دراسة قرآنية ، القاهرة ، ط دار المعارف ، ١٩٦٩م ، ص ٥١ .

وما ينبغي ذكره هنا أن مبدأ المسؤولية جاء في كل الرسالات السماوية وهذا ما يجعل الباحث يطمئن إلى القول أن المفهوم الإسلامي « يجعل المسؤولية شخصية في كل الأديان ، والإنسان فيه لا يسأل إلا عن نتاج أفعاله الشخصية فلا يتحمل آية مسؤولية شمولية ولا يعذب بخطايا غيره ، ولا يجيء محملاً بأية خطيئة موروثية عن أب أو جد » (١) .

وهذا ينفي اعتقاد معتنقي المسيحية الذين يؤمنون بصلب عيسى عليه السلام تكفيراً لذنوب البشر، واعتقادهم أنه قد تحمل المسؤولية نيابة عنهم ويتعارض هذا التصور مع قوله تعالى : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٢) ، وحول معنى هذه الآية يقول ابن كثير (٣) « إخباراً عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ، إن النفوس إنما تجازي بأعمالها إن خيراً فخير أو إن شراً فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد ، وهذا بمن عدالته سبحانه ، قال تعالى : « وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » (٤) وقوله تعالى : « فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » (٥) قال علماء التفسير أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته » .

وخلاصة القول إنه يمكن الوصول إلى النتائج التالية :-

أولاً :- فردية المسؤولية ، بمعنى أن كل فرد مسؤول عن عمله « كل نفس بما كسبت رهينة » (٦) وقوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » (٧) .

ثانياً : أن هناك صلة فردية شخصية بالله وهي التي تمنح الإنسان وجوده المستقل .

ثالثاً : مسؤولية الفرد بمعنى أن الله قد أعطى للإنسان العقل ، وهو المخلوق الوحيد القادر على الاستفادة من عقله ، فالمسؤولية أحد جوانب شخصية الإنسان باعتباره العاقل ، لذا فالإنسان يحاسب على كل تصرفاته.

الحرية والمسؤولية وجهان لعملة واحدة :-

تعد الحرية والمسؤولية من أهم السمات والخصائص التي يتميز بها الإنسان عن باقي الكائنات الحية ، فكون الإنسان حراً يعني أنه مسؤول ، ومسؤوليته هذه نابعة من قدرته على الاختيار والتمييز والتفكير قال تعالى « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها » (٨) قال تعالى « إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً » (٩)

(١) محمد كمال إمام ، هموم المثقفين في العالم الإسلامي ، القاهرة ، دار الهداية ، ١٩٨٦م ، ط ١ ، ص ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٦٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٤) سورة فاطر ، آية ١٨ .

(٥) سورة طه ، آية ١١٢ .

(٦) سورة المدثر ، الآية ٣٨ .

(٧) سورة البقرة ، آية ٤٨ .

(٨) سورة الشمس ، الآيتان ٧ - ٨ .

(٩) سورة الإنسان ، آية ٣ .

والمسؤولية في الإسلام فردية وجماعية ، وهذا يعني أنها لا تنحصر على فرد معين أو جماعة معينة ، وهي لا تنحصر في الزعيم أو الخليفة أو الرئيس ومن يمثلهم في بقية أجهزة الدولة ، بل كل فرد في المجتمع المسلم محاط بمسؤوليات كثيرة ، فهو مسؤول عن نفسه أولاً ، وعن أسرته ومن تحت يده من الناس سواء في المنزل أو الحي أو العمل ثانياً ، وهذا يجعل المسؤولية تتفرع وكل فرد يشعر بموقعه وأهميته داخل المجتمع ، ومن ثم يؤدي المسؤولية الملقاة عليه ، مستشعراً بذلك الرقابة الإلهية التي عليه ، ويشعر بأهمية الجزاء والحساب وضرورة المتابعة والتقويم ، واضعاً في اعتباره قوله عليه السلام : - « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ».

ويرفع الإسلام من شأن الإنسان ويدعوه إلى أن يكون حراً ومسؤولاً في اختيار عقيدته ودينه بعيداً من تأثير والديه ، بالرغم مما لهما عليه من حقوق وواجبات يجب عليه أن يؤديهما نحوهما قال تعالى : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي . » (١)

فهذا الاحترام لحرية العبادة واختيارها يؤكد أن الإنسان يتمتع بحرية واسعة في ظل الإسلام ، وإذا فقدت الحرية منه سقطت عنه أهليته لحمل المسؤولية حتى يسترد هذه الحرية .

والحرية حاجة نفسية وضرورية وهي عنصر هام في تكوين الشخصية ونموها وفي الاعتماد على النفس وفي توجيه أمور الحياة ، وهي أيضاً تضع الفرد القادر على شق طريقه في الحياة بكفاءة وسهولة وأمان مع الاستفادة من الطاقات والإمكانات المتاحة له .

المسؤولية الجماعية والمسؤولية الفردية :-

أولاً المسؤولية الجماعية : يعتبر الإسلام العلاقة بين أفرادها بأنها علاقة ولاية متبادلة يقوم كل فرد بجزء منها قال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (٢) وفي تأكيد آخر لطبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم يؤكد سبحانه أنهم أخوة و الأخوة لها مقتضياتها وواجباتها قال تعالى « إنما المؤمنون إخوة » (٣) ويبين عليه السلام أن المجتمع المسلم له طبيعته الخاصة في علاقته الاجتماعية فقال « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » فمن هنا نرى أن المسؤولية جماعية ، تشمل كل أفراد المجتمع الذي تجمع بينهم علاقات ومصالح يجب أن يحرص الجميع عليها بكل مستوياتها فالمجتمع الخاضع والمنفذ للشريعة الإسلامية يستطيع بكل يسر أن يطلع بمسؤولياته تجاه أفرادها ، وأن يوجد بينهم علاقة معنوية ليكون المجتمع مجتمعاً فاضلاً ، لذلك يجب على المجتمع تربية النفوس على الفضائل ليكون المجتمع الإنساني مجتمعاً متألفاً متحاباً ، هذه هي المسؤولية المعنوية ، إيجاد التلاحم بين أفراد المجتمع ، ثم تصبح المسؤولية المادية أو المحسوسة أكبر بكثير حيث العناية بالأسرة ، التعليم ، الصحة البدنية أو النفسية ... الخ .

(١) سورة لقمان ، آية ١٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٧١ .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

نرى أن كل المبادئ والقوانين الوضعية دعت إلى الاجتماع والاتحاد والتعاون وقالت ما قاله ابن خلدون من أن الإنسان مدني بطبعه ، وهذه النظرة إلى طبع الإنسان المدني جعلت تلك المذاهب تتخذ لها أساليب مختلفة في تقدير وتطبيق هذه القاعدة ، لأن الفردية المطلقة غير موجودة إذ أنها لم تخلق سوى مرة واحدة في أبو الإنسانية آدم عليه السلام .

وقد أيد الإسلام هذه النظرية واعتبرها من مقومات الإسلام ، وحذر من مفارقة الجماعة ، والتنصل من الأسرة أو الأصدقاء أو الجيران ، ودعا إلى تأدية واجب أكبر وهو ما يتعلق بتعاونه مع الدولة . ولتأكيد هذا الأمر ربط الكثير من عباداته وفرائضه بالجماعة ، فالصلاة عندما تؤدي في جماعة يكون أجرها أكبر وأفضل وأعظم ، والصيام المفروض مطلوب من جميع المسلمين في وقت واحد هو شهر رمضان ، وكذلك الحج مكانه وزمانه محدد للجميع .

وكذلك حث الإسلام المسلم على ألا يخرج وحده في السفر ويفضل أن يخرج مع جماعة حتى يأنس ويأمن على نفسه وماله ، وما ذلك إلا تأكيد على أهمية الجماعة في الإسلام .

وقد اختلف الفقهاء في تحديد عدد الجماعة، ولكنهم اتفقوا على تحديد الحد الأدنى بأربعة أفراد (١) والغرض من ذلك هو أن الإسلام يحب أن يرى أفراده أقرباء متعاونين يساند بعضهم بعضا .

وقد حمى الإسلام المجتمع المسلم من الجريمة فشرع النظم والقوانين التي تحمي هذا المجتمع ، والمجتمع الإسلامي مجتمع متضامن بما كفله الدين من عدالة اجتماعية تقوم على أساس الملازمة بين الدوافع الفردية المشروعة وبين المصلحة العامة للجماعة ، فأقام في المجتمع نظاماً اجتماعية واقتصادية تحقق العدالة في أمثل صورها .

ويذكر بعض المؤرخين أن المجتمع الإسلامي في أزهى عصوره كان يكفل لكل مسلم غير قادر على العمل ولا عائل له ، يكفل له حق العيش الكريم والحياة الضرورية والمجتمع الإسلامي مجتمع متعاون قال تعالى « **وتعاونوا على البر والتقوى** » (٢) ومن أهم مظاهر التعاون على الخير التناصح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير تعسف ولا قهر ولا هتك للأعراض وحرمان الناس قال تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » (٣)

والإسلام بمنهجه الاجتماعي هذا يعمل على تكوين الرأي العام الإسلامي المستنير الذي يستنكر بطبعه الفساد ويلحق الشرور وينقى المجتمع منه، والشريعة الإسلامية في مجملها تسعى من أجل المحافظة على ثلاثة أشياء هي : -

(١) حفظ كل ما هو ضروري للناس في حياتهم ، وهي الضروريات الخمس الدين - النفس - المال - العقل - النسل .

(٢) توفير الحاجات الضرورية للناس، لأنها إذا فقدت يلحق الناس أضراراً كثيرة وقد تختل حياتهم .

(١) علي منصور ، نظام التجريم والعقاب مقارناً بالقوانين الوضعية ، المدينة المنورة ، مؤسسة الزهراء ، ج ١ ، ١٩٧٦ ، ط ١ ، ص ٥٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٣) تحقيق ما فيه تحسين حال الأفراد والجماعة ، مما يقتضيه المنظور من حال إلى حال بحسب ظروف الزمان والمكان ، وما تقتضيه المروءة والآداب .

ثانياً : المسؤولية الفردية :

إن الله أعطى العقل للإنسان فهو مميز به عن غيره من سائر المخلوقات وأعطاه كذلك الحرية التي يتصرف من خلالها مع تحمله لمسؤولية تصرفاته وخضوعه للعقاب والثواب طبقاً لما قال به رب العزة من أن المسؤولية مبدأ إلهي عام لا تستقيم الحياة إلا به ، وهو يطبق في الدنيا ونُسألُ عنه في الآخرة ، ويمكن القول إن الإنسان الذي يشعر بحريته ، ينعم باستقرار نفسي « يقبل على تحمل المسؤولية ويشعر حين يعهد إليه بالقيام بدوره في عملية الترقى أن هذا شرف وأمانة في عنقه من واجبه أن يقوم به على خير وجه ليحمل الأمانة ويؤدي رسالته. » (١)

ومن هنا نرى أن المسؤولية والحرية وجهان لعملة واحدة ، أينما توجد الحرية ترتبط بها المسؤولية . وتمتد المسؤولية لتشمل الرجل والمرأة ، فلها من الحقوق ما يقابل ما عليها من الواجبات ، ومن ذلك قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » (٢) وزيادة مسؤولية الرجل المذكورة في قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » (٣).

إنما تقابل الزيادة فيما ألقى إليه من مسؤوليات الإنفاق على المرأة - ولو كان لديها مال - وعلى أولاده ومن يعول شرعاً ، فالسلطة التي أعطيت للرجل إنما أعطيت له مقابل المسؤولية التي حملها ليتمكن من القيام بمسؤولياته على أكمل وجه ، وهذا تطبيق لقاعدة شرعية نصها « السلطة بالمسؤولية » (٤) والمقررة في حديث عليه السلام « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فالمسؤولية في نظر الإسلام جماعية وفردية ، فهي جماعية لأن المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد ، ومتى صلح الفرد وتهذبت قيمه وأخلاقه وقوي جسده وكمل عقله ، كان المجتمع قوياً ومتماسكاً وقادراً على تحقيق أهدافه ومن هذا المنطلق حرص الإسلام على المجتمع وسن له التشريعات والأنظمة التي تعينه على تحقيق بغيته .

وهي فردية لأن الإسلام حمّل كل شخص مسؤولية تصرفاته وأعماله ، فلا يحمل عنه أحد جزء من أعماله الفردية سواء ما يتعلق منها بجانب الخير أو بجانب الشر - وقد سبق الحديث عن ذلك - ومن يتتبع تشريعات الإسلام ، يجد أنها جاءت لتنظيم العلاقة بين الفرد والجماعة ، وبين الفرد وخالقه ، وبين المسلمين وغيرهم من الشعوب والدول والهدف من تلك التشريعات سواء العقائدية أو الاقتصادية أو الاجتماعية هو مصلحة الفرد والجماعة ، بغير فصل بين الاعتقاد والسلوك ، والعلم والعمل ، والدنيا والآخرة .

(١) مصطفى فهمي ، الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٦٣م ، ص ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٢٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٢٨ .

(٤) حسن سالم مقبل ، الحكم الشرعي والقاعدة القانونية ، الأساس والخصائص ، رسالة دكتوراه منشورة ، جامعة عين

وإجمالاً يمكن تحديد العلاقة وطبيعتها والمسؤولية الفردية والجماعية في الإسلام بالنقاط التالية : -
 - يعد كل فرد في المجتمع الإسلامي مسؤولاً مسؤولية فردية ومسؤولية جماعية .
 - يوازن الإسلام بين المسئوليتين الفردية والجماعية ، فلا يرضى أن يطغى جانب على آخر ، وهو بهذه الموازنة يرفض المبادئ التي تقوم عليها الرأسمالية التي تُعلي من شأن الفرد على حساب الجماعة ، وكذا يرفض المبادئ التي كانت تقوم عليها الشيوعية من إعلاء للجماعة وإهمال للفرد ، وجعله آلة للإنتاج وعبداً للدولة .

- يتحمل كل فرد من المجتمع الإسلامي جزءاً من المسؤولية في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه وقوته ، خاصة وأن أحكام الإسلام تعد من أقوى الروابط التي توحد المجتمع ، وتحافظ على كيانه ، ذلك أنها جاءت بإرساء مبدأ المسؤولية التضامنية بين الفرد والمجتمع ، إذ كل منهما مسؤول عن الآخر مسؤولية مباشرة عن رعاية مصالحه ، فكانت مصلحة الفرد في مصلحة أُمَّته ، ومصلحة الأمة في مصلحة أفرادها (١) فالمصلحة متبادلة بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢)

- يتحمل كل فرد في المجتمع الإسلامي جزءاً من المسؤولية في المحافظة على مهابة النظام الاجتماعي في نفوس كل أفراد المجتمع ، ولذلك فالمسلم مطالب بأن يستشعر مسئوليته أمام الله في الآخرة قبل أن يقدم على ما يضر به أو بمجتمعه وهذا الشعور يوفر على الدولة والمجتمع الكثير من الجهود المادية والبشرية التي تقوم بها من أجل فرض سيطرتها بقوة النظام ، لأن المسلم يشعر برقابة ذاتية فيحسن في أداء كل ما يوكل إليه من عمل فيه الصالح العام ، ويتعدى عن كل عمل سيء ، وهذا عكس من لا يشعرون بتلك الرقابة أنهم لا يحسنون إلا متى وجد الرقيب .

صور من العلاقات الاجتماعية في الإسلام :-

سبق القول إن الإسلام جاء ليحقق مصلحة الفرد والجماعة ومن أجل ذلك فقد جاء بتشريعات ونظم تحقق هذه المصلحة ولتوضيح ذلك لابد من ذكر الأمثلة ومنها :-

- ١- شرعت أغلب العبادات لتؤدي بشكل جماعي كالصلاة والصيام والحج .
- ٢ - أقر الإسلام مبدأ الإرث وهو ما يخلفه الميت من مال أو عقار أو غير ذلك ، فيقسم بين الورثة بحسب تشريع الموارث المنصوص عليه في القرآن والسنة .
- ٣- أقر الإسلام مبدأ الزكاة والصدقات ، وهي أموال تؤخذ من الأغنياء في المجتمع وترد إلى الفقراء داخل البلد نفسه ، إلا إذا كان هذا المجتمع مستغنياً فتنقل الزكاة إلى أقرب مكان يحتاج إليها ، والغرض من الزكاة القضاء على الفقر والحاجة بطريقة منظمة ، وكذلك إيجاد نوع من الترابط والأخوة والتعاون بين أفراد المجتمع ، فلا يحقد الفقير على الغني ، ولا يهمل الغني الفقير .
- ٤ - الديات : وهو نوع من أنواع التكافل الاجتماعي ، ففي حالة تنازل أهل الذم تدفع لهم الدية ، خاصة في القتل الخطأ .

(١) حسن سالم ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ .

(٢) الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص ١٢٤ .

فالعاقلة : وهم أقرباء القتال يتحملون جزءاً من ذلك ، وهذا نوع من أنواع الضمان والمساعدة (١) للقاتل وأهل القتل ، يضاف إلى ذلك أن الدولة تتحمل الديه إذا كان القاتل مجهولاً .
والتسوية في الديه بين الناس له أكثر من معنى وهدف لعل أبرزها إشعار الفرد بارتباطه الاجتماعي خاصة الشخص الذي تواجهه مثل هذه الظروف القاسية إلى جانب أن أهل الدم يشعرون أن المجتمع يقف معهم ويدافع عن حقهم .

٥ - التكافل المعنوي (٢) وأساس هذا التكافل قوله تعالى: «**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**» (٣) وهذه الولاية لها صور عديدة في الواقع العملي ومن ذلك :

أ - مبدأ التناصح والتعاون : فمن حق المسلم على أخيه المسلم أن ينصحه ويدله على طريق الخير والصواب سواء كان حاكماً أو محكوماً قال عليه الصلاة والسلام : «**الدين النصيحة**» (٤)

ب - من حق المسلم على أخيه أيضاً أن يعلم المتعلم الجاهل ، ولا يجوز لمن يعلم أن يكتم علمه عن الآخرين وقد حذر عليه السلام من ذلك بقوله «**من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**» (٥)

ج - من الحقوق المعنوية أيضاً حق الجوار ، قال سبحانه «**وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب**» (٦) ويقول عليه السلام «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» (٧) ومن حق الجار على جاره عدم الإساءة إليه بأي شكل من الأشكال ، ويجب السؤال عنه إذا غاب ، ومساعدته في حالة الحاجة .

د - ومن الحقوق المعنوية ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا المبدأ يقوم في حالة انتشار المنكر وسط المجتمع ، فكان لابد من أن تقوم مجموعة من الناس بإصلاح أموره في مختلف مجالات الحياة انطلاقاً من قوله تعالى «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**» (٨) وقوله عليه السلام في الحديث المشهور «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده**» ولاشك إن إهمال هذا المبدأ فيه ضرر على الفرد والمجتمع ، وسيتم التطرق لهذا الموضوع في الوحدة الرابعة من هذا البحث إن شاء الله .

و- ومن الحقوق المعنوية أيضاً حفظ عرض المسلم فلا يجوز أن يعتدي المسلم على عرض الآخرين بغض النظر عن لونهم أو دينهم، كما لا يجوز للمسلم أن يغتاب الآخرين، ويتحدث عن عيوبهم من باب التشهير والاستهزاء خاصة في حالة عدم حضورهم.

(١) جمال الدين محمد محمود ، أصول المجتمع الإسلامي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩٣ م ، ط ٨ ، ص ٦٦٣ .

(٢) ابن قدامة المغني ، ج ٧ ، ص ٦٣٧ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٧١ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) ابن حبان في صحيحه .

(٦) سورة النساء ، آية ٣٦ .

(٧) متفق عليه .

(٨) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

الموضوع الثامن : ويدور حول أفضل مراحل عمر الإنسان وهي مرحلة الشباب .

مرحلة الشباب هي أفضل مراحل الإنسان العمرية : -

يقسم بعض العلماء (١) مراحل الإنسان العمرية إلى ثلاثة مراحل رئيسية هي : -

أ - مرحلة الطفولة ب - مرحلة الشباب ج - مرحلة الشيخوخة

وكل مرحلة من هذه المراحل لها تقسيماتها ، وأدوارها المختلفة والذي يهمننا هنا هو المرحلة الثانية وهي مرحلة الشباب باعتبارها تمثل القوة والنشاط والتكوين الفكري والاجتماعي والجسدي ، وبمقدار ما يعمل ويتربى الشباب في هذه المرحلة تتحدد سنوات حياته المقبلة سلباً أو إيجاباً فالشباب في هذه الفترة تتحدد طموحاته وآماله وقدراته والتي تنبع من قوة وطاقة المرحلة التي يعيشها والتي يكون باعثها الأول تلك التغييرات الفسيولوجية التي « تظهر في تغيرات الجسم ونبرات الصوت والبناء العظمي والعضلي وظهور الخصائص الجنسية للذكور والإناث » (٢) .

هذا بالإضافة إلى شعور الشباب في تلك المرحلة بشخصيته التي بدأت بالاستقلالية ، وما يتبع ذلك من خصائص وعادات مكتسبة من مجتمعه الصغير والكبير ، فيكتمل نموه وتكوينه العقلي وتبدأ قدراته وميوله في الظهور ، وقد اعتنى الإسلام بالشباب ذكوراً وإناً منذ بداية ظهوره ، وتذكر لنا كتب السيرة أن أصحاب الرسول عليه السلام كان أغلبهم من الشباب فمنهم من قاد الجيش وعمره لا يتجاوز العشرين عاماً ، ومنهم من دافع عن الرسول عليه السلام وهم في سن صغيرة ، ومنهم من بارز العدو ووقف في وجوههم وقفة تدل على تغلغل الإيمان في نفوس هؤلاء الشباب .

ومنهم علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، ومصعب بن عمير ، وبلال بن رباح ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً ، كانوا شباباً مدافعين عن الإسلام واقفين ضد المعتدين والمتكبرين ، وقد اهتمت التربية الإسلامية بمرحلة الشباب وأكدت على توجيههم والأخذ بأيديهم إلى الطريق السليم .

ويتضح ذلك من خلال الحقائق التالية : -

- اعتبرت التربية الإسلامية الشاب الذي ينشأ في طاعة الله بين السبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، كما جاء في الحديث المشهور ، وفي هذا ترغيب وتوجيه للشباب لكي ينشأ وفق منهج الله وشرعه ، وفيه أيضاً تأكيد على أهمية مرحلة الشباب باعتبارها مرحلة القوة والنشاط ، وأن الشباب إذا استطاع أن يحمي نفسه في هذه المرحلة المبكرة. فسوف يعيش باقي عمره في سعادة.

- وفي مجال المسؤولية يؤكد عليه السلام أن مرحلة الشباب سوف يسأل عنها كل إنسان حيث قال « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه .» (٣)

(١) أحمد جمال ظاهر، مشكلات الشاب ، دراسة ميدانية للشباب الأردني ، عمان ، دار الأمل ، ١٩٨٥ ، ط ١ ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) وواه الترمذي .

- دعت التربية الإسلامية إلى وجوب الاهتمام بالشباب من خلال دعوتهم إلى العلم والتعلم ، باعتبار أن ذلك يقود الإنسان إلى طريق الخير والصلاح ، وفي القرآن والسنة الكثير من الأدلة والنصوص التي تؤيد ذلك قال تعالى « **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » (١) وقال تعالى « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » (٢) قال عليه الصلاة والسلام « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (٣) ، وورد في القرآن الكريم الكثير من الوصايا والتوجيهات الخاصة بالشباب ، ومن ذلك وصية لقمان لولده يحثه على الإيمان بالله ، وعدم الشرك به وطاعة الوالدين في غير معصية ، ويحثه على الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (٤)

- ورد في القرآن الكريم الكثير من القصص التي تؤكد على اعتصام الشباب وتمسكه بدينه وعدم انصياعه لطريق الشر ومسلكه مهما كان من ذلك ما حصل ليوسف عليه السلام عندما رفض غواية امرأة العزيز التي غضبت وألقته في السجن لعدم استجابته لطلباتها .

ولا شك أن ذكر مثل هذه القصة فيه دعوة للشباب بوجوب التمسك بالأخلاق الفاضلة ، والتحلي بأخلاق من كان قبلهم ، فيجب على الشباب أن يأخذ من هذه القصة وغيرها العظة والعبرة والقُدوة الحسنة .
- أكد الإسلام على وجوب قيام الوالدين بتربية أولادهم تربية سليمة وإظهار القدوة والمثل الأعلى لهم ، ووضع لذلك الضوابط والقواعد ومنها آداب الاستئذان ، وآداب الطعام ، وآداب الطريق ، وغير ذلك من الآداب والأخلاق التي دعا الإسلام إلى وجوب التمسك بها .

وبصفة عامة نجد أن الإسلام قد ركز على مرحلة الشباب باعتبارها أفضل مراحل الإنسان العمرية ، وباعتبارها مرحلة الحيوية والنشاط و هي المرحلة التي حثنا عليه السلام لاستغلالها خاصة في أمور العبادة والطاعة فقال عليه السلام « **اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك** » ، وهذا تأكيد على وجوب استغلال هذه المرحلة في العبادة والطاعة لأن الإنسان إذا تقدم عمره تصيبه الأمراض والأوجاع ، وقد يقصر في العبادة نتيجة لذلك ، فكان من الأحرى والأفضل الاستفادة من هذه المرحلة العمرية الهامة .

الطرق والأساليب التي يجب اتباعها لاستغلال هذه المرحلة :-

من المعروف أن الشباب في العالم الإسلامي يمثلون نسبة كبيرة من عدد السكان ، ويتمتعون بقدرات وطاقات جسدية عالية ، إلى جانب الطاقة الفكرية خاصة في هذا الزمن الذي تعددت فيه مصادر الثقافة وأصبح الشباب يقضي جزءاً كبيراً من عمره في التحصيل العلمي واكتساب العلوم والمعارف، وغنى عن القول إن هذه الأعداد الكبيرة من الشباب بحاجة إلى توجيه وبيان لمعرفة الطرق والأساليب التي ينبغي أن يسلكها لاستغلال هذه المرحلة من أعمارهم ، خاصة وأن الغالبية منهم يجد أمامه وقتاً كبيراً من الفراغ لذا فالواجب على الآباء والأمهات والمربين عموماً أن يوجهوا هؤلاء الشباب إلى الآتي :-

(١) سورة الزمر ، آية ٩ .

(٢) سورة فاطر ، آية ٢٨ .

(٣) رواه البخاري (١٥٣/٦) ومسلم رقم ١٠٠٣٧ .

(٤) راجع سورة لقمان ، الآيات من ١٣ - ١٩ .

سادساً : - على الشباب أن يهتم بالعمل خاصة في الوقت الحاضر الذي تواجه أغلب المجتمعات الإسلامية ظروفاً اقتصادية صعبة ، فهناك الفقر والبطالة ولا يمكن القضاء عليهما إلا من خلال العمل والإنتاج ، وللأسف إننا في العالم الإسلامي نعاني من مشكلات عدة في هذا الجانب ، فهناك دول إسلامية تحتاج إلى عمالة ، ولكنها تستورد عمالة من دول غير إسلامية ، كما أن البعض يرفض العمل في الحرف والمهن المختلفة كالسباكة أو النجارة أو الحدادة ويقبل الكثير من هؤلاء على الأعمال الإدارية والمكتبية ، رغم أن الأولى تدر دخلاً كبيراً .

إن العمل الشريف في نظر الإسلام ليس عيباً أو تقييلاً من قدر العامل ، بل قد يكون هذا العامل البسيط أفضل عند الله من الغني الذي يسرف في ماله ، وينفقه في غير محله ويحصل عليه بطرق غير مشروعة .

هذه بعض التوجيهات التي يمكن للشباب الاستفادة منها في القضاء على وقت فراغه ، وهناك الكثير من الأماكن والأعمال والهوايات التي يمكن الاستفادة منها في قضاء وقت يعود على الفرد والمجتمع بنتائج طيبة وعلى القارئ أن يتتبع ذلك ويختار الطريق الذي يناسبه ويحقق رغبته وميوله بشرط أن يراعي في ذلك دينه وضميره ويوازن بين رغباته وواجباته .

الدور الذي ينبغي أن تقوم به مؤسسات المجتمع لاستغلال هذه المرحلة :-

هناك العديد من المؤسسات التي تقع عليها مسؤولية رعاية الأجيال وتربيتهم وفيما يلي ذكر

لبعضها : - (١)

أولاً : المنزل أو الأسرة وهذه المؤسسة هي المحضن الأول الذي يتلقى فيه الفرد أكثر تعاليمه منه ، كما أنه المكان الذي يقضي فيه أغلب وقته ، وهو المكان الذي يحرص أغلب من فيه على بعضهم البعض ، ولاشك أن هناك مؤثرات كثيرة داخل هذه المؤسسة منها السلبية ومنها الإيجابية ، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة منها ثقافة الوالدين ومستواهم الاجتماعي والاقتصادي ، وهنا ينبغي طرح السؤال التالي : -

ما هو دور المنزل أو الأسرة في توجيه الشباب ؟

إن الأسرة مسؤولة مباشرة في تربية الجيل وليس لها العذر مهما كانت مبرراته وأسبابه . وفيما يلي تحديد لأهم الوظائف والواجبات التي ينبغي أن تقوم بها الأسرة :

- أن تكون الأسرة على دراية كاملة بالإسلام عقيدة وشريعة دنيا وآخرة ومما يؤسف له أن بعض الأسر تظهر فصلاً كبيراً بين الدنيا والدين وبين السلوك والعبادة ، فترى الأبوين يؤديان الفرائض كلها ، لكنهم لا يأمرون أولادهم بذلك ، وتجد أن الأسرة لا تحاسب الابن أو البنت أين ذهب وأين تأخر ولماذا ومع من يذهب . بحجة إعطاء الحرية ، أو الزمن غير الزمن ، وللأسف أن الكثير من الأسر تندم بعد ذلك ، في حالة ضياع الولد أو البنت ، ولكن بعد فوات الآوان .

- لا بد أن تكون الأسرة قدوة للشباب في القول والعمل في السلوك والعبادة .

أولاً : - الاهتمام بجانب العبادات ، فمن المعروف أن الإنسان إذا وصل إلى مرحلة الشباب يصبح مكلفاً بجميع أعمال العبادة ، من صلاة وصيام وحج ، وهذه الأعمال تأخذ جزءاً من وقته وتشغل حيزاً من فراغه ، بل تعطيه جرعات إيمانية تعينه على الحياة ومشاكلها ، فكما نرى الكثير من الشباب ينحرف ويضل لأنه لا يعرف طريق المسجد ، ولا يعرف المصحف ، ولا يؤدي العبادات الأخرى ، ونجد من هؤلاء من أصابه الإحباط والقلق والاضطراب وأصيب البعض بأمراض متعددة ، وقد يقلل البعض من العبادات المفروضة ويقول إنها لا تشغل جزءاً كبيراً من وقته وهنا نقول إن هناك نوافل لمن أراد الاستزادة فمن أراد أن يشغل بعضاً من وقته في الصلاة فعليه بالنوافل والسنن وكذلك الصيام ، هناك صيام التطوع وله أيام مفضلة يستطيع الإنسان أن يغتنمها .

ثانياً : - على الشباب التمسك بالأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية وابتعد عن مواطن الريبة والزلل حتى تطمئن نفسه وتستقر حاله فكم من الشباب انحرف بسبب قربه من تلك المزالق وأماكن اللهو والعبث .

ثالثاً : - على الشباب الإقبال على التعليم بجميع أنواعه ، خاصة وإننا أصبحنا في عصر الانفجار المعرفي ، وهناك من الشباب من يلتحق بالتعليم الجامعي ويختار تخصصاً معيناً ، قد يأخذ أغلب وقته خاصة التخصصات العلمية ومع هذا نقول إن الشاب لا بد أن يلم ببعض أمور دينه من خلال قراءته الخاصة ، و ألا يكتفي بما يحصله في الجامعات والمعاهد ، ومن المؤكد أن التعليم يشغل حيزاً كبيراً من وقت الفراغ الذي يعانيه بعض الشباب .

رابعاً : - على الشباب الالتزام بمنهج الحوار والتفاهم ، وتقبل الرأي والرأي الآخر خاصة أن هناك تبايناً في المواقف والآراء بين الشباب في العالم الإسلامي ، وفي الغالب نجد نمطين من الثقافة تقود الشباب داخل المجتمع الإسلامي هما : النمط الغربي ، والنمط الإسلامي ، وكان هناك نمط ثالث ولكنه أزيل ولم تبق إلا آثاره أعني النمط الإشتراكي الشيوعي .

وللأسف نجد أن هناك تنافراً بين النمطين ، النمط القائم على الثقافة الإسلامية ، والنمط القائم على الثقافة الغربية ، ولا يوجد بينهم تواصل أو حوار وكل فريق يدعي أنه صاحب الحق ، وأدى هذا إلى عدم وجود ثقة بين الطرفين ، وأدى إلى وجود منهجين في التفكير ، وطريقتين في الحياة ونمطين في البلد الواحد ، وهذا الأمر سهل على المستعمرين والغزاة التغلغل في العالم الإسلامي وزرع مزيداً من التفرقة والخصام . (١)

إن الواجب على الشباب نحو هذا الأمر هو أن يتقبل بعضهم بعضاً ويعايش بعضهم بعضاً ، أو يقنع أصحاب الحجة والدليل من ليس معهم ذلك .

خامساً : - على الشباب أن يستغل هذه المرحلة بممارسة الهوايات التي يحبونها من ذلك الرياضة ، بجميع أشكالها وأنواعها حتى تقوى أبدانهم وتنشط أذهانهم ، ومهتدين بتوجيهات الإسلام « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » وقال كذلك « علموا أولادكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم ».

(١) محمد إبراهيم الشطاوي ، التربية الوقائية للشباب ، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي العاشر لقسم أصول التربية ،

– لا بد أن تقدم الأسرة لأبنائها المعلومات الدينية الصحيحة والبعيدة عن الخرافات ، ولا بد أن تلتزم مستواهم الفكري والثقافي . وللأسف أن الكثير من الأسر تفرص على أن يكون ابنها ملماً بكل المواد العلمية ، وباللغة الأجنبية ، لكن ليس عندهم مانع ألا يعرف كيف يتوضأ أو يؤدي الصلاة .

– أن تحاول الأسرة أن تشيع جو الإيمان والروحانية داخل المنزل ومن أهم مظاهر ذلك القيام بالواجبات في وقتها وخاصة الصلاة ، وينبغي أن تؤدي في جماعة مع تعويد الشباب على ذلك .
– ان تراعي الأسرة في تربيتها لأبنائها أن تكون قائمة على أساس الموعدة الحسنة والكلمة الطيبة مدركين لقوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظ الحسنة »

ثانياً : المؤسسة التعليمية سواء كانت مدرسة أو جامعة أو معهد وتعتبر هذه المؤسسة منظمة اجتماعية تربوية متخصصة في توجيه حياة الناشئة والشباب ، ومن أهم واجباتها نحو الشباب أن تقوم بالآتي :-

– تزويد الشباب بكل أنواع العلوم والمعارف وكل حسب تخصصه ومجاله خاصة وأننا نواجه اليوم تحدياً حضارياً أمام الشعوب الأخرى التي نراها تطورت في كل المجالات ، ومنها المجالات العلمية والاقتصادية ، بينما نرى العالم الإسلامي عالة على هؤلاء يستوردون كل صغيرة وكبيرة منهم فواجب الجامعة والمعهد والمعمل هو الوقوف على كل جديد ونقله إلى طلابنا ومناهجنا ، خاصة وأن هناك علوماً يشترك فيها الجميع ، وكل أمة أسهمت فيها بجزء .

– لا بد أن يخطط القائمون على هذه المؤسسة تخطيطاً سليماً لكل البرامج والمناهج التي تقدم ، لأن الملاحظ أن العشوائية والتقليدية هي المسيطرة على كل البرامج والمناهج المقدمة في المؤسسات التعليمية المختلفة ، فالأهداف غائبة والمستوى متدنٍ، وطريقة التدريس تعتمد على الحفظ والتذكر ، والتقييم قاصر على أسئلة لا تعبر في الغالب عن المستوى الحقيقي لكل طالب .

– لا بد أن تعكس هذه المؤسسة صورة المجتمع وواقعه الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، ومما يؤسف له أننا نجد في الوقت الحالي مدارس وجامعات ومعاهد لا تعبر عن واقع المجتمع ولا تساهم في حل مشاكله وتلبية احتياجاته خاصة في تخريج الكوادر والكفاءات التي يحتاجها سوق العمل .

– لا بد أن تستفيد هذه المؤسسة من الأبحاث والدراسات العلمية التي يكون الغرض منها خدمة العملية التعليمية بمختلف أركانها من معلم ومتعلم ووسيلة ومنهج وإدارة وتوجيه ، والملاحظ اليوم أن هناك الكثير من هذه الدراسات والأبحاث ، ولكنها تظل محفوظة في الرفوف ، رغم الجهود المادية والبشرية التي بذلت فيها .

ثالثاً : المسجد وهو المكان الذي يلتقي فيه المسلمون في اليوم والليلة خمس مرات ، وقد كان في الماضي هو المدرسة والجامعة والمعسكر ، فمنه تخرج القضاة والعلماء في أغلب المجالات ، ويلاحظ اليوم أن دوره انحصر كمكان للعبادة فقط ، ولم يعد مكاناً للتعلم والتعليم رغم أهميته كمؤسسة تربوية يرتادها الكثير من الناس رغم اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وهو يقوم بدور كبير في نشر الوعي والثقافة بين الناس ومن خلاله يتكون الرأي العام ، ويتأثر بما فيه ، كما أن المطلوب من القائمين على المساجد أن يتحملوا مسئوليتهم في الدعوة إلى الله ، والإجابة عن كل أسئلتهم من خلال طرح مشاكلهم وهمومهم ومعالجتها بطريقة علمية صحيحة ، كما إن من واجباتها

أن تثبت لدى الناس العقائد الصحيحة وتبعدهم عن البدع والخرافات وتدعوهم إلى الالتزام بالأخلاق والقيم الروحية العليا ، كل هذا ينبغي أن يتم في المساجد من خلال خطب الجمعة والدروس اليومية والأسبوعية وإنشاء المكتبات داخل هذه المساجد والسماح للناس بالاستفادة من الكتب الموجودة فيه ، كذلك لا بد من استضافة العلماء والمفكرين في مختلف المجالات وإتاحة الفرص لهم لمحاورة الناس خاصة الشباب ، لأنهم يحتاجون لمثل هذه المحاضرات واللقاءات والندوات .

رابعاً : وسائل الإعلام : وتشمل وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة وقد حدثت فيها ثورة علمية شاملة ، خاصة بعد دخول الأقمار الصناعية في هذا المجال ، ولم يعد تأثيرها محدوداً على فئة معينة ، بل أصبحت متاحة للغالبية العظمى من الناس ، ويمكن استغلال هذه الوسائل في الكثير من المجالات لو أحسن استخدامها ، فعن طريقها يمكن القضاء على الأمية ، كما يمكن أن يستفيد الأطباء في متابعة أحدث ما توصل إليه زملاؤهم في أماكن أخرى في وقت قصير ، ويمكن الاستفادة منها في إثراء النقاش والحوار الجاد في القضايا المستجدة والساخنة التي تهم الرأي العام .

وبالجمله فهمة المؤسسة الإعلامية جسيمة ومسئوليتها خطيرة ، فعلى القائمين عليها إدراك حجم ذلك ، وعليهم محاولة ترشيد هذه الوسيلة لكي تصب في خدمة البلاد والعباد ، ومما يؤسف له أن الواقع يؤكد أن هذه الوسائل استغلت استغلالاً سيئاً فعلمت الشباب وسائل الجريمة والانحراف والشذوذ والإدمان ورفض القيم والأخلاق ، فكم من شاب تعلم أصول الجريمة عن طريق التلفاز ، وكم من شاب تعلم المخدرات والتدخين من خلال مشاهدته لتلك المسلسلات التي لا تخلو من مشاهد إباحية خاصة بعد تعدد القنوات وانتشارها في المجتمعات ، ومن العجيب أنك ترى في مجتمعنا بيتاً متواضعاً جداً وتجد على سطحه ما يسمى (بالدش) إن وسائل الإعلام قد غيرت الكثير من المفاهيم لدى الشباب اليوم فجعلت من الرشوة هدية ومن الخمرة مشروباً روحياً ، ومن العلاقة المحرمة صداقة ، وأصبح الشباب لا يجد غضاضة في هذه المسميات ، واستفحل الأمر أيضاً عندما استلم أمر هذه المؤسسة أناس تعلموا على أيدٍ ماسونية أو علمانية لا ترى للأخلاق قيمة ولا للدين حرمة .

ونظراً لأهمية هذه الوسيلة، سيتم التطرق لها بشيء من التفصيل في الوحدة الرابعة - إن شاء الله - ما سبق عرض موجز لأهم المؤسسات التربوية ، ودورها في توجيه الشباب ، وهناك أيضاً بعض المؤسسات لم تذكر حتى يرجع القارئ إلى المصادر المختلفة ليستخرج بنفسه بقية هذه المؤسسات .

أسباب ضعف الوازع الديني لدى الشباب اليوم :-

هناك الكثير من المؤثرات التي أدت في مجملها إلى ضعف الوازع الديني لدى الشباب اليوم منها :-
 (١) غياب القدوة الحسنة : تعد القدوة الحسنة وسيلة هامة من وسائل التربية ، وتأثيرها يكون أقوى من الكلمة المكتوبة أو المسموعة فقد يقرأ الشباب الكثير من القصص والكتب عن القيم والفضيلة ، وقد يستمع للخطب والمواعظ التي تدعوه إلى السلوك الحسن ، وقد يكون لذلك أثره ولكنه ضعيف إذا ما قورنت بمشاهدة الشاب لنموذج حي أمام عينيه فإنه غالباً ما يقتنع بأهمية الموضوع ويطبقه ويتحمس له ، وقد أكد المولى عزوجل على أهمية القدوة الحسنة بقوله « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (١) .

وينبغي أن تقدم الأسرة والمؤسسة التعليمية ووسائل التربية الأخرى كل ما يؤيد ويدعم السلوك الحميد لدى الشباب .

٢- تقديم الدين بصورة قاصرة : من الملاحظ أن هناك قوى تتعمد تشويه صورة الدين وتقديمه بطريقة منفرة حتى لا يكون له قبولاً لدى أغلب الناس وخاصة الشباب ، وهذا الاتجاه وجد قبولاً لدى البعض من الناس خاصة ممن ليسوا على ثقافة واسعة في هذا المجال ، ويعتمد هؤلاء على طرح الحقائق والقضايا التي تكون موضع خلاف بين العلماء ، أو يعتمدون على مراجع ومصادر ليست موثوقة ، ويستغلون موقف الإسلام من بعض القضايا كالربا وقضايا أخرى .

وقد لعب الاستعمار وأعوانه دوراً كبيراً في هذا المجال ، كما أن أغلب الحكام والزعماء ساهموا في ذلك من خلال عملائهم ، خاصة عندما تكون السلطة قائمة على المذهبية ، فيعمد هؤلاء إلى تجهيل الناس وعلى إعلان الحرب باسم الدين على كل جديد وكل تقدم في العلم أو الفكر بزعم الخوف على عقيدة الناس ودينهم وهذا ما كان حاصله في بلادنا أيام حكم أسرة آل حميد الدين ، والتي كانت تحكم باسم الدين وفي الواقع أنها كانت في أغلب الأمور تسيء إلى الدين ولا تخدمه .

٣- ضعف التنشئة الدينية : - وهذا السبب يشترك فيه المنزل والمجتمع بكافة مؤسساته ، وفي الغالب أن الطفل أو الشاب يجد قصوراً واضحاً في الإجابة عن الأسئلة التي تدور في ذهنه من الأمثلة على ذلك أين الله ؟ وما الموت ؟ وما الجنة ؟ وما النار ؟

مما يجعله عرضة للعديد من الأفكار والإجابات المغلوطة والناقصة . ثم يأتي قصور في الكم والكيف فيما يقدم لطلبة المراحل التعليمية المختلفة من مواد التربية الإسلامية مما لا يشبع حاجاتهم ولا يلبي رغباتهم أضف إلى ذلك انحسار الحس الديني في أغلب المجتمعات ، وفي قطاع الشباب بوجه خاص ، وهذا الانحسار أدى إلى فصل الشعور الديني عن الحياة ، وظهرت الفردية ، وغاب الانتماء الكبير إلى الأمة ، وإلى فقدان الثقة ثقة الشباب بالكبار ، وثار الشباب على النظم والتقاليد والقيم المتعارف عليها داخل المجتمع وكل هذا أدى بمجموعة من الشباب إلى أن ينظر للحياة نظرة ساخرة بلا غاية أو هدف (١) .

٤ - وسائل الإعلام : - وهذه الوسيلة يمكن أن تكون أداة للثقافة والتعليم ولكن من الملاحظ أن أغلبها استغل بطريقة تدعو إلى الإباحية وإلى تميع الفضيلة والقيم في نفوس الناس وخاصة الشباب ، وتبأرى اليوم المحطات الفضائية في تقديم كل ما يهدم القيم والفضيلة ، وبعضها يشن صراحة هجوماً واضحاً على الإسلام والمسلمين ، ويحاول هؤلاء إلصاق كل نقيصة وكل تهمة على العرب بوجه خاص وعلى المسلمين بوجه عام ، فهم يصورون الإنسان العربي على أنه رجل حاد الطباع يعتمد على المزاجية ويبحث عن شهواته فقط والمتتبع لما تقدمه وسائل الإعلام المعادية يلاحظ ذلك في أفلامهم وكتاباتهم المختلفة .

إن الشباب أنفسهم يدركون حجم المؤامرة، وعليهم أن يحصنوا أنفسهم ضد تلك التيارات الهدامة، وعليهم الاستفادة من هذه الوسائل بالقدر الذي يحقق مصلحتهم ، مراعين في ذلك القيم والمبادئ

والأخلاق التي يحملونها ، لأنهم يعرفون أنهم مستهدفون لما لهم من أهمية في المجتمع فهم نصف الحاضر وكل المستقبل فعليهم أن يكونوا قدوة صالحة في منازلهم أمام أسرهم ، وعليهم واجب ترشيد استخدام الوسائل الإعلامية الموجودة في منازلهم وإخضاعها لرقابتهم خاصة في وجود من لا يفهم أو يعي خطورة هذه الوسائل ، ولا أود الإطالة حول هذه القضية ، ويكفي الإشارة البسيطة لأن الجميع يدرك ما أقصده في هذا الجانب .

٥ - فقدان الصحبة الصالحة : من المعروف أن الفرد لا يعيش معزولاً عن الآخرين فمصالحه وطبيعته تقتضي المخالطة والمعاشرة، ولكن السؤال هو: هل تصاحب كل إنسان بغض النظر عن سلوكه وعن فكره؟ هذا السؤال يحتاج من كل فرد إلى الإجابة عليه بصراحة .

٦- واقع البلدان الإسلامية المؤلم : فهي تعيش في تمزق سياسي واضح فكل دولة تختلف مع جارتها على أبسط الأشياء ، ولعل أبرز مثال قضايا الحدود في طول العالم الإسلامي وعرضه فما من دولتين متجاورتين إلا وهما يتصارعان على الحدود ، كما أن تلك الدول تعيش في اضطراب اقتصادي رغم ما تملكه من ثروات مادية وبشرية .

٧ - انبهار الشباب بالتقدم العلمي : يجب الاعتراف أن العالم يشهد اليوم تقدماً علمياً واسعاً شمل مختلف المجالات ، وكان للغرب اليد الطولى في ذلك وقد أدى هذا إلى انبهار بعض الشباب مما حدا ببعض إلى القول إننا إذا أردنا أن نتقدم كما تقدموا فعلينا أن نترك الدين جانباً ، ولم يعلم هؤلاء أن دينهم لا يمنع هذا التقدم ، بل يحث عليه كيف لا يكون كذلك وفيه الكثير من الأدلة والشواهد التي تحث على العلم وتشجيع العلماء .

إن الشباب بحاجة إلى أن يدقق في هذا الأمر ويحدد موقف دينه من التقدم في جانبه المادي والعلمي .

ويجب أن نسعى جميعاً من أجل اللحاق بركب التقدم الذي يشهده العالم اليوم ، ولا نرتضي بدور المتفرج والمستهلك فقط ، وهذا الأمر يحتاج إلى جهود الدول والأفراد معاً .

هذه بعض العوامل التي يمكن أن يكون لها تأثير على ضعف وازع الشباب الديني ، وهناك عوامل أخرى تركت خوفاً من الإطالة .

نقد بعض السلوكيات لدى الشباب : -

تعد مرحلة الشباب من أخطر مراحل الإنسان العمرية ، وأكثرها أهمية فهي مرحلة لاقتباس الكثير من السلوكيات والعادات والقيم سواء كانت سلبية أم إيجابية ، وفي هذا العصر انتشرت الكثير من هذه السلوكيات السلبية بفعل عوامل عديدة منها ما يتعلق بالبيئة المحيطة بالشباب ، ومنها ما يرجع إلى عوامل خارجية ، وفيما يلي ذكر لبعض هذه السلوكيات ونقدها .

أولاً: التقليد الأعمى للغرب أو المشرق ، (١)

وجاء هذا التقليد نتيجة شعور الغالبية من الناس بالضعف أو التخلف وهؤلاء المقلدون أخذوا الجانب السلبي ممن قلدوهم ، وكان الأخرى والأجدي أن يأخذوا الجانب الإيجابي من علوم ومعارف .

وفي خضم هذا التقليد فقد الكثير من الشباب العربي توازنه وشخصيته ، وأصبح يجري وراء العادات والتقاليد الغربية وطفق يأخذ من هذا وذاك دون تمييز بين النافع والضار ، حتى أصبح الكثير من الشباب لا يرى نفسه وشخصيته إلا إذا حمل على صدره صورة لبعض معالمهم ، ولبس ما يلبسون ، وصف شعره بطريقتهم ، وسار على هدى من سلوكهم وتصرفاتهم . والإسلام كمبدأ عام لا يمنع أن يكون المسلم مهتماً بمظهره ، فيحافظ على نظافة ملابسه وجسمه ، بل إن هذا من صميم الإسلام فقد أمره أن يغسل الأعضاء التي تظهر من جسمه وتكون عرضة للأوساخ في اليوم ما لا يقل عن خمسة عشر مرة (١) ، هذا بالإضافة إلى الاغتسال في أوقات مختلفة ، ولكن مما يؤسف له أن التقدم لدى كثير من الشباب قد أصبح في تقليد الغرب في قشور حضارته ، وأقصى ما يعمل هؤلاء هو استخدام أدوات المائدة الأوربية ، واستخدام أساليبهم في الملابس والمأكول ، ومن علامات التقليد أيضاً هو الإقبال على المدارس الأجنبية التي تعلم الأبناء قيماً وسلوكاً بعيدة عن واقعهم الاجتماعي ، فأصبح هم الكثير من الأسر هو أن يلتحق أبنائها بهذه المدارس . ومن مظاهر التقليد أيضاً تسمية بعض الأسماء بأسمائهم سواء أسماء الأشخاص أو المحلات التجارية ، ولا ندري ما هو وجه التقدم في هذا الأمر .

أيها الشباب : عليكم أن تدركوا خطورة هذه القضية وتعوأ أن التقليد يعبر عن روح الانهزامية والتبعية وقصور في الشخصية ، ويعبر عن عوامل نقص في الإنسان ، وعليكم أن تأخذوا لب هذه الحضارة وتستفيدوا منها في تقدم مجتمعاتكم وشعوبكم ، إن الأمل مقصور عليكم خاصة في هذه الفترة من تاريخ أمتكم التي أضحت لقمة سائغة في يد الأعداء ، وإلا كيف تفسرون تكالب الشرق والغرب علينا ، ودعمهم لدولة عدوانية تقع في وسط العالم الإسلامي ، وكيف أنهم لا يناصرون قضايانا ويحاصروننا في أغلب مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية .
أخي الطالب : المطلوب منك تحديد أمثلة لذلك بالتعاون مع أستاذك .

ثانياً : ظاهرة التدخين :

وتعد هذه الظاهرة منتشرة بين الشباب ويعتقد الكثير أنها دليل على اكتمال الرجولة ، وهذه الظاهرة لها الكثير من المضار الصحية والاقتصادية فهي تسبب الكثير من الأمراض كما أكدت الدراسات مؤخراً ، كما أنها تؤدي إلى الكسل والخمول ، أما أضرارها المادية فواضحة ، فهي تقتطع جزءاً من المال الذي يكون الشاب بحاجة إليه خاصة وأنه يعتبر في الغالب محدود الدخل وتجد هذا الشاب يتفاخر بأنه ينفث أكبر قدر من السجائر ، فعلى هؤلاء الشباب أن يعوا قول المولى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (٢) وقد اعتبر البعض السجائر من باب الخبائث التي حرمها الله .

(١) يكون ذلك في الوضوء للصلاة ، وتكرار ذلك لكل عضو ثلاث مرات .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٥ .

ثالثاً: المخدرات والمسكرات :

وهذه الظاهرة تفتشت في الفترة الأخيرة نتيجة عوامل كثيرة منها الاجتماعية ومنها الاقتصادية ، وانتشرت هذه الظاهرة في الغالب لدى الشباب الذي يعاني من فراغ روحي وتفكك أسري ، وفي الشباب الضائع الذي لا يملك قدوة حسنة ، والذي لا يمتنع من مخالطة الأشرار وأصدقاء السوء وهذه الظاهرة لها الكثير من المخاطر والأضرار وأبرزها ما يلي :-

- أضرار نفسية واجتماعية وأخلاقية ، فوجد المتعاطي لهذه المخدرات يتنازل عن كل القيم والأخلاق والمبادئ مقابل حصوله على وجبته اليومية ، وكم من الآباء والأخوة قدموا أعراضهم للحصول على ذلك .

- أضرار اقتصادية فهذه الأتمة تأخذ جزءاً كبيراً من دخل الأسرة ، وهناك من الشباب من سرق ومن قتل من أجل أن يفي بالتزاماته نحو المخدرات .

- أضرار صحية : وقد ثبت أن هناك علاقة قوية بين تعاطي المخدرات بشكل عام وبين الكثير من الأمراض خاصة أمراض الكبد والأمراض النفسية والعصبية وأمراض الجهاز الهضمي عموماً .

رابعاً : الإستغلال السييء للعلاقة المتاحة بين الجنسين :-

وجاءت هذه العلاقة نتيجة الاختلاط الذي أتيح بين الجنسين في أكثر من مكان وخاصة ما حدث ويحدث على مقاعد الدراسة ، ومن الملاحظ أن القائمين على أمور الإعلام والتربية والتعليم عمقوا من هذا الوضع ، وأصبح من المسلمات وكأن الفصل بين الجنسين يضر بالمصلحة الوطنية ، أو يضر بالأمن والاستقرار داخل المجتمع ، وكان لهذا الأمر الكثير من العواقب والمخاطر التي نعرفها جميعاً . والمطلوب منكم أعزائي الطلبة تحديد بعضها منها .

وفي نهاية هذا الموضوع يمكن القول إنه لا بد من تضيق الفجوة القائمة بين النظرية والتطبيق فلا ينبغي أن يقرأ الشاب عن ماضي أمته ومكانتها ، وعن عقيدتها وسلوكها الشيء الذي يجعله يعتز ويفتخر بذلك ، ثم ينظر من حوله فيجد الواقع والتطبيق يختلف تماماً ، إن هذا هو التناقض بعينه ، وهذا ما يجعل الشاب يبحث عن بدائل أخرى ويتمرد على قيم أمته وعقيدتها .

إننا جميعاً مسؤولون بأن تضيق تلك الفجوة شعوباً وحكومات شباباً وشيوخاً مؤسسات تعليمية ومعلمين ، وجهاء وعقلاء ، الجميع لا بد أن يدرك مسؤوليته وكل يؤدي دوره من موقعه الذي هو فيه .

الموضوع التاسع : ويتناول نظرة الإسلام إلى العقل الإنساني :-

أهمية العقل :-

حظى العقل الإنساني باهتمام أغلب المفكرين والعلماء قديماً وحديثاً ، فهذا هو «أفلاطون ٤٢٧ - ٣٤٧ ق م» (١) ينادي بثنائية الطبيعة الإنسانية ، ويسمو العقل على الجسم لارتباطه بالعالم المثالي - كما يقول أصحاب النظرية المثالية - وامتد اهتمام الغربيين بالعقل حتى قال أحدهم « كل شيء هو العقل ، وأن العقل يؤثر في الجسم ، ويتحكم فيه ويحييه .» (٢)

(١) محمد لبيب النجيجي ، مقدمة في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٧ م ، ط ١ ، ص ٢٠٦ .

(٢) فؤاد أبو حطب ، نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، أبحاث ندوة علم النفس ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، القاهرة

وقد ظهر في الفكر الغربي الكثير من الدراسات والأبحاث حول العقل وأهميته ودوره في حياة الإنسان ، وربما يعود هذا الاهتمام إلى الاعتقاد السائد لديهم أن العقل هو خير كفيل لأن يهدي الإنسان إلى الاستمتاع بحياته إلى أقصى درجة ممكنة ، قبل أن يموت ويفنى ، وهذه النظرية مادية إحادية بحتة ، لأنها تجرد العقل من كل مبدأ ومن كل القيم الدينية والأخلاقية ، وعلى الرغم من اهتمام المجتمعات الغربية بالعقل إلا أنه قد ظهر اتجاهان رئيسيان من الممكن النظر إلى الإنسان من خلالهما وهما : (١)

(١) **الاتجاه المادي للطبيعة الإنسانية** : - ويرى أصحاب هذا الاتجاه « أن الإنسان ليس في حقيقته إلا ظاهرة مادية شديدة التعقيد ، مركبة من المواد الكيميائية التي نشأت بسبب تطور المادة كما يعتقد هؤلاء » أن الظواهر النفسية والحوادث العقلية في الإنسان كالإحساس والوجدان والتذكر والتخيل ليست إلا تفسيرات فسيولوجية معينة وأنها جميعاً ذات أصول مادية.»
وأصحاب هذا الاتجاه نظروا إلى الإنسان نظرة مادية وأسقطوا الظواهر النفسية والأحاسيس والمشاعر والقيم والأخلاق .

(٢) **الاتجاه العقلي للطبيعة الإنسانية** : وأصحاب هذا الاتجاه يرون « أن الإنسان ليس في حقيقته إلا ظاهرة عقلية ، وأن الوجود الجسمي ليس له حقيقة مستقلة ، ولكنه نتاج العقل واعتبر هؤلاء أن كل شيء هو العقل ومن وجهة نظرهم أن العقل والجسم « المادة » ليسا إلا مظاهر مختلفة لشيء واحد .

وهكذا نجد أن هؤلاء يحاولون تقسيم الإنسان إلى أجزاء وأشلاء مع خلو نظرتهم من الإشارة إلى العلاقة بين الله الخالق الموجد ، وبين المخلوق الذي هو جزء بسيط في هذا الكون المليء بالمخلوقات ، ما سبق هو موجز لنظرة الغرب إلى العقل .

وأما ما كان يسمى بالنظام الاشتراكي فقد أهمل مُنظروه الناحية الروحية والعقلية ، واهتموا بالجسد ، وهذا الفصل أدى إلى نفور الكثير من معتنقيه لأنه يتعارض مع الفطر السليمة .

مما سبق يتضح أن المسيحية اهتمت بالجانب الروحي ، والشيعوية اهتمت بالجسد وكلاهما فصل تعسفي لثنائية مرتبطة بالإنسان ، ولا يمكن أن تقوم أحدهما مكان الأخرى .

ولكن يا ترى ، كيف نظر الإسلام إلى العقل الإنساني؟

سبق القول إن الإنسان في الإسلام وحدة متكاملة يتكون من جسد وروح وعقل ، وقد جاء الإسلام بنظامه وتعاليمه ليوازن بين كل هذه الجوانب ، فقد اهتم بالجسم وأعطاه حقه من الرعاية والاهتمام ، وأباح له كل المقومات التي تعينه على البقاء وبصحة جيدة .

كما اهتم بالروح ، وربط الإنسان بخالقه من خلال العبادات التي شرعها وكذلك اهتم بالعقل وفي ذلك وردت الكثير من الآيات والأحاديث التي تمتدح أصحاب العقول السليمة والذين يستخدمونها للتفكير والتدبر ، كما عاب القرآن الكريم الذين لا يستخدمون عقولهم في تدبر القرآن ومعانيه

(١) جابر محمود طلبية ، نحو فلسفة لتربية القلب في ضوء التصور الإسلامي ، رؤية تربوية معاصرة ، بحث قدم إلى

والكون وما فيه ولذا نجد ألفاظ « تعقلون ، يعقلون ، يتدبرون » ، وهكذا نجد أنه في القرآن لم يرد لفظ « العقل » ولكن وردت مشتقاته فورد لفظ « اللب » « القلب » ، فما هو كنه العقل ؟ وهل هو مادة كبقية الأجسام أم لا ؟ وما طبيعته ومهمته ؟ لقد تنبه علماء الإسلام منذ القدم للإجابة عن هذه التساؤلات ومنهم الحارث المحاسبي الذي قال (١) « أن معرفة الكنه صعبة فقال إن العقل يعرف بأثره ونتائجه ويظهر في سلوك الإنسان وتصرفاته ، ونجد أن العقل ورد في القرآن بمعانٍ متعددة منها بمعنى العقل النظري الذي يميز بين الأشياء والذي يستنبط ، والعقل الذي يطبق ما علم أي العقل العملي ، وبمعنى العقل القامع للشهوات ، ومما يدل على وجود العقل النظري قوله تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » (٢) ومما يدل على العقل الذي يطبق ما لم يعلم قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٣)

فهنا المولى عاب على الذين لا يطبقون ما يعلمون بمعنى أنهم لا بد أن يستخدموا عقولهم العملي . ومما يدل على وجوب العقل القامع للشهوات قوله سبحانه « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » (٤) ، وكما يقول المفسرون إن أولى النهى هم أصحاب العقول التي تنهاهم عن المعاصي واتباع الشهوات ،

وحول نفس المعنى يقول الإمام الغزالي « إن العقل يرد على معانٍ مختلفة : منها أنه يدل على الوصف الذي يفارق به الإنسان : سائر البهائم وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات أو غريزة يتهيأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية. ويرد بمعنى العقل المستفيد من التجارب. ويرد بمعنى العقل الذي ينهى قوة الغريزة ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، وإذا كان الإنسان عنده هذه القوة صار عاقلاً ، لأن غاية العقل أن يفعل الإنسان ما ينفعه ويترك ما يضره » (٥) وبهذا يصير العقل في مفهوم الغزالي علماً وقوة إرادة .

وعليه ينبغي أن يستغل العقل ليكون ملكة للتفكير ، ونعمة للتدبر ، مجالاً للتكريم والتفضيل الذي اختص الله بها هذا الإنسان دون سائر المخلوقات قال تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » (٦) .

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية إن الله كرم بني آدم بالنطق والعقل والتميز بين الحسن والقبيح وأن أعظم خصال التكريم العقل . (٧)

(١) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، مقرر على طلبة الجامعة ، الرياض ، د.ت ، ط.١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) سورة الغاشية ، آية ١٧ .

(٣) سورة الصف ، الآيتان ٢ - ٣ .

(٤) سورة النازعات ، الآيتان ٤٠ - ٤١ .

(٥) الإمام الغزالي ، علوم إحياء الدين ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٧٠ .

(٧) محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

العقل الإنساني هو مناط التكليف ، وليس بديلاً عن الوحي أو الشرع : -

ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تنوه بالعقل وتعول عليه في أمور كثيرة باعتبارها مناط التكليف والمسؤولية ، وكان من أهم ما حُمِّل العقل القيام به هو أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف ، ويذكر القرآن العقل في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه قبل القيام بأي عمل ، ويأتي ذكر العقل والإشارة إليه في الحديث عن وظائف أخرى منها أن له وظيفة أخلاقية تمنع الإنسان عن المنكر والمحرم فالعقل بمثابة الرادع والمسيطر على سلوك الإنسان ، فكلما شعر بخطأ رجع إلى عقله وفكر في أمره وعاد إلى رشده وصوابه .

كما أن له خاصية هامة ، وهي خاصية ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور وكذلك تأمله فيما يدركه واستخراج بواطنه وأسراره ، وبناء الأحكام واستخلاص النتائج (١) . وقد اعتبر الإسلام ملكة العقل هي الأساس في كل التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وحج فإذا تعرضت هذه الملكة إلى خلل معين فإن جميع هذه التكاليف تسقط عن الإنسان ولا يتحمل بعد ذلك مسؤولية ولا تكليف لأنه سبحانه إذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب (٢) . ومن رحمته سبحانه أنه لم يكلف الإنسان إلا حسب قدرته وإمكانياته وفي الأمور التي يقوى عليها ، لذا نجد أن جميع التكاليف الشرعية المفروضة هي في مقدور الإنسان ، ولم يكلفه خالقه أكثر من طاقته وقدرته .

وعن العلاقة بين التكاليف الشرعية المفروضة وبين استيعاب العقل الإنساني يقول الإمام علي رضي الله عنه «لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه ، فوجلت منه قلوبهم ، واطمأنت إليه نفوسهم وخشعت له جوارحهم ، ففاقوا الناس بطيب المنزلة وعلو الدرجة عند الناس في الدنيا ، وعند الله في الآخرة.» (٣)

من العرض السابق يتضح لنا أهمية العقل باعتباره مناطاً للتكليف ، وملكة للتفكير والتدبر والعلم والنظر ، وتكريماً للإنسان ، ومع وجود هذه الأهمية يبقى السؤال : هل يمكن للعقل وحده أن يرشد الإنسان إلى طريق الخير والصواب ويبعده عن طريق الخطأ والشر ؟ أم أنه بحاجة إلى قوة أعلم منه وأقدر تدله على ذلك؟

إن الجواب السليم على هذا السؤال هو القول إن الإنسان بحاجة ماسة إلى من يرشده ويوجهه إلى طريق الخير والصواب ، ويبعده عن طريق الخطأ والشر وهذا لا يمكن أن يحدث ويتم إلا من خلال الوحي والأنبياء والكتب والشرع. وعليه يمكن القول إن الوحي والشرع ليسا خياراً فقط ، وليس صحيحاً أنهما يناقضان العقل ، كذلك ليس من المتصور أننا يمكن أن نعلم كل ما ورد من الشرع بالعقل تفصيلاً دون أنبياء ورسول ، وحول هذا المعنى يقول ابن تيمية (٤) « العلم إما أن يعلم بالشرع فقط ، أي بمجرد إخبار الشارع دون أن يهتدي العقل إلى ما أخبره الشارع بحال أو يعلم بالعقل فقط ..

(١) عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت ، ط٠٣ ، ص ٣ - ٤ .

(٢) حسن الحياياري ، التصور الإسلامي للوجود ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٤) المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

- كمرويات الطب والحساب والصناعات - بعض الحقائق في هذه المجالات ذكرها القرآن ولكن لم يذكر كل ما توصلت إليه عقول الناس مع أنه حث عموماً على العلم ، ومن هنا يمكن القول إن العقل ليس عوضاً عن النص أو ما يشبه النص في الأحكام الشرعية بل هو فريضة منصوص عليها مطلوب لذاته لفهم الفرائض الأخرى» ، ومحضور على المسلم أن يستخدم ما يسيء إلى عقله - كالخمر والمخدرات - وكل ما يغيب عن الوعي ، وإذا فعل ذلك فهو محاسب لأنه أزال عن نفسه خاصية العقلاء والمفكرين والعقل نعمة كبرى لأنه ينفع الناس في التفكير في أمور الدين وأصوله المقررة. وبناءً على هذه النعمة فتح باب الاجتهاد والقياس وغيرهما من مصادر التشريع التي يكون للعقل فيها دور كبير يقول العقاد (١) « ومن أباح لنفسه أن يحرم على الناس نعمة العقل والعلم إلى آخر الزمان فقد اجتهد برأيه اجتهاداً أبعد في الدعوى من كل ما يدعيه المجتهد على حق أو على باطل ، فإنه يلغي أوامر الله لعباده ، حيث يتحرى المجتهدون أن يبتغوا الوسيلة إليه ، فهو ينهى الناس برأيه عما أمرهم به الله ، واجتهدوا قادرين أو عاجزين أن يطيعوه» ، ونتيجة لقصور العقل البشري في الوصول إلى بعض الحقائق ، يلجأ البعض من الناس إلى إنكار الكثير من الحقائق الغيبية حتى وإن وردت في الشرع الصحيح بحجة أن ذلك يتعارض مع العقل البشري ، ومن هنا يمكن طرح التساؤل التالي : -

ما العمل إذا حدث تعارض ظاهري بين العقل والنقل وكيف ندرأ هذا التعارض؟

الجواب : يمكن أن ندرأه بثلاثة طرق كما أشار إلى ذلك ابن تيمية :

أولاً : أن ننظر في ثبوت النص فإذا كان النص غير ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يكون هنالك تعارض بين العقل والنقل .

ثانياً : إذا ثبت النص عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب النظر في دلالة النص على حسب قواعد التفسير السليم فإن دلالاته قد لا تعارض ما يوجبه العقل .

ثالثاً : أما إذا كان النص ثابتاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاته واضحة وكان معارضاً لحجة أو أمر عقلي فعلينا في هذه الحالة امتحان الحجة العقلية نفسها ، لأنها قد لا تكون حجة صحيحة ، وكثير ما ظنه الفلاسفة يلزم من النظر العقلي هو ليس كذلك في نفس الأمر ، ولم يستطع أحد من الفلاسفة ولا المفكرين أن يبرهن على تناقض الثابت من النصوص مع العقل فمثلاً اعتقاد الفلاسفة ومنهم ابن سينا وغيره أن رؤية الباري سبحانه مستحيلة في اليوم الآخر - بحجة أن إثبات الرؤيا يعارض العقل - اعتقاد غير صحيح ، وأساس حجة ابن سينا في عدم إمكانية الرؤية هو أن الشيء لا يمكن أن يتصل إلا بجنسه « العين تختلف عن المرئي - الله - » لكن العقول لا تستحيل أن يتصل الشيء بغير جنسه أي أن يتصل الشيء المادي بغير المادي ، وابن سينا - نفسه - كما أشار أبو البركات في كتابه « المعتبر » مع اعتقاده بأن العقل غير مادي وأن الحجم مادي يقر بالاتصال بين الاثنين .

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول « إن العقل البشري جهاز قاصر ولا يستطيع بمفرده أن يهدي الإنسان ، وإنما الهدى يتصل بالوحي ، كما أن العقل البشري ليس كافياً وحده في التعبير بطريق الحق كما أنه - أي العقل - ليس قادراً قدرة كافية على معرفة كل شيء ، وصحيح أن العقل يستطيع أن

ينفذ إلى عالم المحسوس ، ولكنه يعجز عن النفاذ إلى عالم الغيب .» (١)

الدعوة إلى تربية العقل والتحذير من المزالق التي قد يقع فيها :-

من المعروف أن العقل البشري هو الأداة الرئيسية التي تساعد الإنسان على التمييز بين الأشياء وإدراك خصائصها واستنباط فوائدها ، ولذا كان الهدف من التربية العقلية « هو مساعدة الفرد وإعداده للتفكير السليم والقدرة على النظر والتأمل حتى يستطيع أن يحكم على الأشياء حكماً قوامه الصدق والعدل ، ويمكنه أن يفهم البيئة التي تحيط به . كما يمكنه أن يفيد من تجاربه وتجارب الآخرين ، وهذه نقطة هامة تشعر المسلم وتحته على الانفتاح على غيره » (٢)

والإنسان حينما يأتي إلى الدنيا يأتي مجرداً عن المعرفة والعلم والتفكير ورحمة به زوده المولى بالوسائل والاستعدادات والحواس التي يستطيع من خلالها أن يتعلم ويدرك ويحلل ويفسر ويطبق ويحب ويكره ويميز بين الخير والشر والحق والباطل ، يقول سبحانه « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٣)

فالسمع والبصر والفؤاد والعقل هي الأدوات التي يستطيع الإنسان أن يحصل من خلالها على معلوماته ، وهي الوسائل التي تعينه على التأمل والتدبر والتفكير في هذا الكون الواسع ليعرف أسرارها ويكشف ما فيه من منافع وفوائد له وللبشرية جمعاء . وقد عاب المولى سبحانه على أولئك الناس الذين لا يستفيدون من هذه النعم ، واعتبرهم خارجين عن نطاق الجنس البشري ، بل اعتبرهم في عداد الأنعام والبهائم « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٤) ، ونظراً لأهمية التربية العقلية فقد لخصها الإمام الشوكاني فيما يلي : - (٥)

- دعوته إلى تربية الحواس وتنميتها : - فنبه إلى أهمية استخدام الحواس عند تفسيره لقوله تعالى « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » فاستنبط من هذه الآية مدى شدة وصلابة الكافرين في إعراضهم عن قبول الحجة حتى ولو كانت محسوسة ، وهذا ناتج عن تعطيل وظيفة الحواس والتي منها حاسة اللمس في هذه الآية . ومن الجدير بالذكر أن الحواس لا يمكن الاستفادة منها إلا بوجود العقل الذي يفسر العلاقات بين الأشياء المرئية والمسموعة ، ويقوم بتنظيم الاستجابة بين أعضاء الجسم .

(١) أنور الجندي ، الإسلام والدعوات الهدامة « الموسوعة الإسلامية العربية - ٣ - ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،

١٩٨٢م ، ط٢ ، ص ٢٠٧ .

(٢) سيد سابق ، محمد عثمان عدلان ، التربية العقلية في الإسلام ، بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من ١١ - ٦ إلى ١٦/٦/١٤٠٠هـ ، برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجامعة أم القرى ، ص ١ .

(٣) سورة النحل ، آية ٧٨ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٧٩ .

(٥) صالح محمد صغير مقبل ، محمد علي الشوكاني وجهوده التربوية ، رسالة ماجستير منشورة ، بيروت ، دار الجيل ،

١٩٨٩م ، ط ١ ، ص ٢٥٢ .

– دعوته إلى تربية العقل عن طريق القراءة والكتابة : وقد اعتبر الشوكاني أن القراءة والكتابة وسيلة فعالة وهامة في القضاء على الأمية ومعرفة أمور الدين والحلال والحرام ، وأكد أن المولى سبحانه امتدح الذين يعملون عقولهم أثناء قراءتهم أو سماعهم بقوله « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (١)

وقد عدد أيضاً فوائد الكتابة عند تفسيره لأول آية نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام فقال إن القلم نعمة من النعم ولولاه لم يقدّم دين ولم يصلح عيش (٢) .

– دعوته إلى التوسع في تعلم العلوم : – وما قاله في ذلك « العلم لكل فن خير من الجهل به » وقد عاب على علماء الشريعة وعلم الكلام والمنطق انصرافهم وإعراضهم عن دراسة العلوم الأخرى ، واعتبر موقفهم جميعاً شعبة من شعب التقليد وتعطيلاً للعقل، ورأيه هذا يفيد في التوسع في دراسة التخصصات المختلفة حتى يكون هناك كادر متكامل في مختلف التخصصات والمجالات وفيه رد على من يحصر تعلم العلوم بالعلوم الشرعية فقط .

– دعوته إلى دراسة الظواهر الكونية واستخلاص العبر منها : – وتقوم هذه الدعوة على أساس إعمال العقل إلى جانب استخدام الحواس ، وليس الهدف من التأمل والتفكير هو الترف العقلي أو الاستمتاع بالمناظر الخلابة والجميلة بقدر ما هو التوصل إلى عظمة الكون وما فيه من آيات وعبر كلها تدل على أنه واحد في ربوبيته وألوهيته وفي هذا يقول « كل مخلوقاته عبرة للمعتبرين وموعظة للمتفكرين » (٣).

– دعوته إلى التحرر من هالة الأشخاص وآرائهم : – فيعتبر أن آراء الغير قابلة للخطأ والصواب إلا ما كان موافقاً للحق ، وإن قبول الآراء على علاتها دون تمحيصها أو التأكد منها من صفات المقلدين وشأن المتعصبين الذين يلغون إعمال عقولهم ويتقبلون آراء الآخرين دون تحقق منها أو عرضها على ميزان الكتاب والسنة وعلى الإنسان العاقل ألا يغتر بآراء الرجال ويتأثر بها ويسلم بصحتها ، بل عليه أن يعمل عقله ويمعن النظر فيها ولو كان أصحاب الرأي كثيرون ، فالكثرة لا تغني عن الحق شيئاً ، كما أن انسياق الفرد وراء آراء الآخرين – خاصة إذا كانوا لا يحملون فكرة وعقيدة – هو تعطيل للعقل وهدم لشخصيته الإنسان « فالميل إلى الأقوال الباطلة ليس من شأن أهل التحقيق الذين لهم كمال ادراك وقوة وفهم وفضل ودراية وصحة رواية بل ذلك دأب من ليست له بصيرة نافذة ولا معرفة نافعة. » (٤)

– وأخيراً فقد دعا الشوكاني إلى ممارسة المنهج العلمي في التفكير وإلى التفكير الابتكاري . وهذا واضح من خلال دعوته إلى الاجتهاد وترك التقليد ، كما يتضح ذلك من خلال محاربه البدع والخرافات والتبرك بالأولياء والصالحين ، وواجه الكثير من الاضطهاد والعزلة بسبب دعواته تلك ، وقد ألف

(١) سورة الزمر ، الآية ١٨ .

(٢) راجع سورة العلق ، الآيات ١-٤ .

(٣) محمد علي الشوكاني ، أدب الطلب ومنتهى الأدب ، صنعاء ، تحقيق ونشر مركز البحوث والدراسات اليمنية ،

١٩٧٩م ، ط ١ ، ص ١٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

الكثير من الرسائل والكتب (١) حول هذه القضايا التي كانت منتشرة في اليمن وبشكل واسع . وبعد : - فإذا كان كل ما سبق هو عن العقل وأهميته ودوره في فهم الإنسان لواقعه وحياته وعقيدته ، إلى جانب كيفية تربيته والاهتمام به ، فلا بد أن نشير أيضاً وبايجاز إلى بعض المزالق التي قد يقع فيها العقل البشري سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد ، وحول هذه القضية ينبغي أن نعرف الحقائق التالية : -

- أن عقول البشر تتفاوت في فهمها وإدراكها وحكمها على الأشياء وتختلف كذلك في تقدير وقياس الخير والشر ، وقد ظهر ذلك الاختلاف والتفاوت وبشكل واضح في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل التثقيف والتوعية ، وكذلك تعددت فيه المصادر الفكرية والسياسية والعقائدية ، وأصبح كل أصحاب نظرية أو فكرة يجمعون أنصاراً لمؤازرة فكرتهم أو عقيدتهم .

- العقل البشري عرضة لطغيان الشهوات والأهواء والتأثر بالشخصيات والعصبية إلى جانب الحرص على المصلحة الشخصية ، فكل فرد في الغالب يسير خلف الشيء الذي يراه من وجهة نظره محققاً لطموحاته ، ومولبياً لرغباته ، لذا نجد أن الناس تختلف في وجهات النظر حول الكثير من القضايا حتى حول الأمور العادية والبسيطة (٢) فما بالك بالقضايا الجوهرية والأساسية التي تتصل بالعقيدة والدين لذا كان لا بد من وجود مصادر أخرى تعين العقل على فهم بعض القضايا الهامة خاصة ما يتعلق بالدين .

- العقل محدود الإدراك وليس باستطاعته استيعاب كل شيء أو إدراك الحكمة من بعض الأشياء وقد يشطح الإنسان - أحياناً - فيعمل عقله في البحث وراء المخلوقات فيجد أن لكل مخلوق خالق ثم يصل إلى أن الله خالق كل المخلوقات، (٣) وقد يغتر بعض الناس بعقله وذكائه ثم يسأل ويصلف وبجاجة ويقول من خلق الخالق الأعظم - تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً عظيماً - فهذا الإنسان قد يدعى أنه يستعمل عقله ولكنه في الواقع لم يعقله بالحق والإيمان فخرج به عن الغرض الذي خُلق من أجله وهو التفكير في ضوء معايير وأسس محددة ومعروفة لا تخرج إلى مستوى الكفر والإلحاد والجدل غير المفيد وأحياناً يجد الإنسان - بعقله - المبررات التي تجعله ينغمس فيما حرم الله ، فيأكل الحرام ويسرق ويظلم ، ويعمل كل المنكرات ، ويلتمس الأعذار العقلية التي تبيح له من وجهة نظره ممارسة ما حرم الله وهو بهذا يلوي الحقائق لتخدم ما يريد فعله ، وإلا فهو يدرك حجم الخطأ الذي يقع فيه .

(١) مما كتبه في هذا المجال رسالة « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » « والدر النضير في إخلاص كلمة التوحيد » وهما رسالتان مطبوعتان .

(٢) ومن الأمور الطريفة أن الباحث وهو يكتب حول هذا الموضوع قرأ في إحدى الصحف أن هناك حوالي ثلاثة آلاف نظرية ورأي قيل حول تفسير حادث مطلقة ولي العهد البريطاني السيدة ديانا ، ومن أطرف ما قيل في ذلك أن أصحاب الورود والزهور هم الذين تأمروا على قتلها ليحققوا أرباحاً مادية من بيعها للمعزين ، ومن هنا نلاحظ الاختلاف الكبير في وجهات النظر في قضايا واضحة وملموسة وحديثة الوقوع ، فكيف يكون الحال حول القضايا السابقة ، والتي لم نعيشها .

(٣) محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣م ، ط ٥ - ٦ .

وفي التحذير من الوقوع في المزالق والمتاهات التي قد يقع فيها العقل ينبه الإمام أبو بكر الرازي من التهور في استخدام العقل في كل شيء فيقول « إن الباري عزوجل إنما أعطانا العقل وحيانا به لننال ونبلغ فيه المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر نيله وبلوغه وأنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا ، وأجداها علينا فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناهم وأسسناها وذللتناها وصرفناها في الوجوه العائد منافعها علينا وعليها ، وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ونصل إلى بغيتنا ومرادنا .. فإذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته ، فحقه علينا ألا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته » (١)

وفي ختام هذا الموضوع ينبغي أن نشير إلى أنه يجب على الشباب - خاصة المثقف - أن يدركوا حجم الموضوع وأهميته ، وعليهم أن يدركوا أن العقل سلاح ذو حدين يمكن أن يستخدم في مجال الخير ويؤدي نتائج طيبة ويمكن أن يستخدم في مجال الشر ويؤدي نتائج سلبية على الفرد والمجتمع ، وبناء على ذلك يجب أن يُرشد العقل ولا يطلق له العنان ليفعل ما يشاء ويفكر كيفما يشاء، بل يجب أن نعرض كل ما توصلت إليه عقولنا على الشرع وعلى العلماء والمفكرين المخلصين حتى نتبين سلامة ما توصلنا إليه ، وهذه ليست دعوة للتحجر كما يتصور البعض ، بل هما دعوة إلى ترشيد العقل وتصحيح مساره إذا أخطأ ، لأن العقل محدود ، وهو جزء من هذا الإنسان ، والإنسان جزء صغير من هذا الكون الذي له خالق ومدبر يسير أموره كلها.

الموضوع العاشر :- ويتناول حرص الإسلام على صحة الإنسان وسلامته :- (٢)

سبق القول إن من سمات الإسلام أنه جاء شاملاً لكل القضايا ، وجاء بمعالجات متعددة للكثير من قضايا الناس ومشاكلهم ، ومنها ما شرح وعولج بالتفصيل، ومنها ما تطرق إليه وبإيجاز واختصار، أو جاءت حوله إرشادات وعموميات تتطلب من الباحثين والدارسين أن يعملوا أذهانهم وعقولهم في استنباط دلالات تلك النصوص والأحكام ، ومن ضمن ذلك القضايا التي تتعلق بصحة الإنسان وسلامته من الأمراض .

والمفهوم الأساسي في الإسلام هو أن لكل مرض علاج وأن لكل داء دواء انطلاقاً من قوله عليه السلام « ما أنزل الله من داء ، إلا أنزل له شفاء » (٣) وقوله « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء

(١) عبداللطيف محمد العبد ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٩م ، ط٥ ، ص

(٢) نظراً لأهمية هذا الموضوع فقد رأى الباحث أن يضمن في موضوعات هذا البحث ، وإن كان الباحث يؤمن بأهمية التخصص وأن مثل هذا الموضوع ينبغي أن يتناوله مختص ، ولكن حسب الباحث أنه اجتهد واعتمد على مراجع طبية متخصصة ومكتوبة باللغة العربية ، وهذا سهل في معالجة الموضوع ، وما كتب هنا هو مقتبس من المراجع التالية :-

- محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، جده ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ط ٥ .

- خالص حليبي ، الطب محراب الإيمان ، ج ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩م ، ط ٤ .

- فؤاد عبد الوهاب الشعبان ، الأمراض المعدية ، بغداد ، مطبعة الخلود ، ١٩٨٨ ، ط ٥ .

- علي مؤنس ، الطب النبوي ، كتاب اليوم الطبي يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ط ٥ .

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلَهُ مِنْ جَهْلِهِ» (١) ، وفيما يلي نورد بعض الآيات والأحاديث النبوية التي جاءت حول هذا الموضوع وعليها بعض التعليقات المناسبة ، ولمن أراد المزيد عليه بالرجوع إلى المصادر المختلفة حول هذا الموضوع ومنها المصادر المذكورة في نهاية هذه الوحدة قال تعالى « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » (٢) .

فالآية واضحة في بيان أن القرآن شفاء وعلاج للمؤمن عندما يقرأه ويتدبر معانيه وخسارة وهلاك بالنسبة للظالمين وغيرهم من المنافقين والمتأسلمين ، ويؤكد ذلك قوله تعالى « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٣) وقال تعالى « ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٤) ففي هذه الآية توجيه رباني إلى أهمية العسل ودوره في علاج الكثير من الأمراض ، وهذا ما أكدته العلم الحديث اليوم .

وقال ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به » (٥) وقال عليه السلام « الحمى من فيح جهنم فاطفتوها بالماء » (٦) ، وقال عليه السلام « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » (٧) ، وقال عليه السلام « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » (٨) ، قال تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (٩)

وقال عليه السلام « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » ، وقال عليه السلام « لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (١٠) وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للضمرة مرضاة للرب » (١١) ، وقال عليه السلام « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ، وقال عليه السلام « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

(١) في المسند عن ابن مسعود .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٨٢ .

(٣) سورة الرعد ، آية ٢٨ .

(٤) سورة النحل ، آية ٦٩ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ، ص ٤٠٥ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ، ص ٤١٧ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ، ص ٤١٨ .

(٨) رواه البخاري في صحيحه ج ٧ ، ص ٤٠٩ .

(٩) سورة الأعراف ، آية ٣١ .

(١٠) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ، ص ٨٦ .

(١١) رواه البخاري في صحيحه ج ٣ ، ص ٨٦ .

وقال عليه السلام « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » ، قال أنس رضي الله عنه « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، ولم يأكل منه » ، قال عليه السلام « من أصبح معافى في جسده ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » .

من الآيات والأحاديث السابقة يمكن استنتاج ما يلي : -

- بتلاوة القرآن وتدبره يستطيع المسلم أن يجد الطمأنينة والراحة لعقله وقلبه وبالوصول إلى درجة الطمأنينة النفسية يمكن للمسلم أن يتلافى الكثير من الأمراض وخاصة النفسية والعصبية التي انتشرت في الفترة الأخيرة وبشكل واضح نتيجة لعوامل كثيرة ، ولمعالجة مثل هذه الأمراض ينصح الكثير من الأطباء المسلمين باللجوء إلى القرآن .

- إن الإسلام لا يمنع من التداوي وطلب الاستشفاء ، وعلى العلماء والباحثين في مجال الطب وعلومه السعي لاكتشاف كل جديد وتقديمه للمرضى .

- إن العسل وغيره من العناصر الطبيعية فيها العلاج لكثير من الأمراض .

- يحذر الإسلام من الإفراط في تناول الطعام الذي يؤدي إلى السممة الشديدة لأن مضاعفاتها وأضرارها معروفة لدى الجميع .

- دعا الإسلام إلى الاهتمام بالناحية الوراثية وحذر من بعض الأمراض التي قد تنتقل بواسطة زواج الأقارب .

- دعا الإسلام إلى الحرص على النظافة بشكل عام ، فأمر بالغسل في الكثير من الحالات ، كما شرع الوضوء عند كل صلاة .

- حرص الإسلام على نظافة الفم باعتباره من أهم أعضاء الجسم ، فحث على السواك عند كل صلاة .

- حرص الإسلام على المبادرة بالإسعافات الأولية ، وكان عليه السلام إذا أصيب بالحمى صب الماء على نفسه ، كما كان يعالج الجرح المفتوح بالماء ، ثم يملأه برماد معقم - وهذه كانت من الوسائل المتاحة في ذلك الوقت -

- في حالة ظهور الأوبئة والأمراض الخطيرة كان الاحتياط المتبع هو العزل الكامل للمنطقة ومنع الدخول والخروج منها أو إليها .

- حرص الإسلام بشكل عام على أن يكون المسلم متمتعاً ببنية سليمة وجسم سليم ، وحثه على أن يتبع كل الوسائل المشروعة للمحافظة على صحته .

- اعتبر الإسلام الصحة من أجل النعم وأفضلها ، لذلك فكل إنسان من ضمن ما يسأل عنه يوم القيامة نعمة الصحة كما حث عليه السلام المسلم لكي يفتنم نعمة الصحة فيبادر بالأعمال الصالحة « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » .

- دعا الإسلام المسلم إلى إعطاء جسمه حقه من الراحة والاستجمام قال عليه السلام « إن لجسدك عليك حق » وهذه أيضاً دعوة لأصحاب الأعمال للتخفيف عن العاملين وإعطائهم حقه في الإجازات والعطل .

الإسلام حرم كل الأشياء التي تضر بصحة الإنسان :-

جاء الإسلام في وقت كان سكان الجزيرة العربية لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً في المأكل والمشرب والنساء ، ولم يوجد عندهم أي رادع أو مانع من ممارسة كل ما أرادوه ، وجاء الإسلام ليهدب هذا السلوك ويقتنه ويحدده في إطار معين .

فحدد أنواع الطعام والشراب المسموح بتناولها ، كما حدد النساء التي يسمح بالزواج منهن ، ومنع زواج المحارم .

فمثلاً عندما حرم سبحانه أكل الميتة والدم ولحم الخنزير كما جاء في قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » ليس الغرض من هذا التحريم هو الحجر على الناس أو تقييد حريتهم ، وإنما الغرض هو الحرص على صحتهم وسلامتهم ، وهذا ما أكده الأطباء حديثاً حيث قالوا إن العلة في تحريم الميتة يرجع إلى أن موتها قد يكون بسبب مرض أصابها واستقر في أنسجتها ، ويمكن أن ينتقل إلى الإنسان ، وحرم كذلك الدم لأن أي سموم يمكن أن تصل إلى الجسم تمتص من الأمعاء وتذهب للدم الذي ينقلها إلى الكبد للتخلص منها وتفرزها الكليتان، وغالباً ما يكون الدم محملاً بالجراثيم والبكتريا السابحة أو الفيروسات التي يستطيع التخلص منها والقضاء عليها وتنقية الدم مما به فيصير الدم الخارج من الكبد نقياً وتفرز الكلى ما بقي في الدم ليصير أكثر نقاوة .

وحرم الخنزير لأنه يمكن أن ينقل الكثير من الأمراض ومنها الدودة الشريطية ، وقد تستقر في كبد الإنسان أو رئته أو مخه .

كما حدد الإسلام طريقة معينة لذبح الحيوانات المسموح بأكلها ، وتعتمد هذه الطريقة على قطع الأوردة الموجودة في رقبة الحيوان ليخرج الدم منها ، ولتصبح أنسجته خالية من احتقان الدم فيها ، وهذه الطريقة أصح من الطريقة الأخرى التي تعتمد على قتل الحيوان أو خنقه لأن الدم في هاتين الحالتين يبقى محتقناً في أنسجة الحيوان ويصبح الدم مليئاً بالدم المحتقن المتجلط والمليء بالمواد الكيميائية الناتجة عن تفاعلات الجسم وما به من جراثيم .

كما أنه سبحانه حرم الزنا لما فيه من أضرار على الطرفين وبهذا الخصوص يقول سبحانه « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » ففي هذه الآية تحذير من الاتصالات الشاذة والمشبوه ، فقد ثبت أن هذه الأعمال تسبب لمرتكبيها الكثير من الأمراض ، ولعل من أخطرها وأحدثها ما يسميه الأطباء بمرض فقد المناعة « الإيدز » وقد دلت الأبحاث على أن فيروس هذا المرض يوجد في الدم وسوائل الجسم ، خاصة السائل المنوي والإفرازات المهبلية، كما أثبتوا أن انتشاره يتم بالطرق التالية :-

- الإتصال الجنسي سواء كان بشكله الطبيعي أو الشاذ .

- نقل الدم أو مشتقاته من المريض إلى السليم .

- الانتقال بواسطة الرضاعة من المرضع إلى الطفل الرضيع .

- استعمال الحقن الطبيعية « السرنجات » سواء بأخذ عينات دم من المرضى لغرض المختبر أو عن طريق استعمال الحقن لأكثر من شخص واحد وهذه الحالة تتم في الغالب بين مدمني المخدرات لتوفير الوقت والمال .

وثبت أن هذا المرض لا ينتقل بواسطة المصافحة أو المعاشية العادية لأن هذا المرض وغيره من الأمراض الخطيرة تنتشر الآن ويشكل واسع في أمريكا وأوروبا رغم ما تبذله تلك المجتمعات من جهود للقضاء عليه أو التوصل إلى نتائج مشجعة لعلاجها ، ولعل انتشاره في تلك المجتمعات يعود إلى أسباب كثيرة منها : -

- انعدام الجوانب الأخلاقية والقيم الدينية التي تحمي المجتمع وتقيه من هذا المرض صحيح أن تلك المجتمعات متقدمة مادياً وعلمياً ولكنها متخلفة أخلاقياً .

- انتشار الفوضى الاجتماعية خاصة في مجالات إقامة العلاقات الجنسية ، وضعف الوفاء للرابطة الزوجية بين الأزواج ونتيجة لذلك تحصل الخيانة بين الأزواج هذا إلى جانب أن المجتمع نفسه يسلم ويتسامح مع تلك الأعمال بحجة أنها حرية شخصية .

- انتشار تناول المخدرات بأنواعها المختلفة ، خاصة تلك التي تتم عن طريق تناول الحقن بالوريد . كما حرم سبحانه الخمر وكل ما يغيب العقل وحرم كذلك القمار والميسر وذلك من أجل مصلحة الإنسان ، قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ » (١)

وقال عليه السلام « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداؤوا ولا تداؤوا بالمحرم » وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر: يُجعل في الدواء فقال : إنها داء وليست الدواء . هذه بعض الأدلة التي تحرم الخمر والتداوي به ، وقد ثبت اليوم وبالطرق العلمية لماذا حرم الإسلام هذه الآفة ، فهاهم المختصون يؤكدون أن لها تأثيراً واضحاً ومباشراً على صحة الإنسان خاصة جهازه الهضمي وبالأخص الكبد، كما أن له مضاعفات طبية وجسدية ونفسية واجتماعية واقتصادية يعلمها كل ذي عقل، ورغم وضوح مضارها إلا أن البعض يكابر ويقول إن النوعية الرديئة هي التي تسبب الأمراض ، وهذا قول غير صحيح فقد أثبت المختصون أن الخمر بنوعيه الجيد والرديء يسبب الكثير من الأمراض ، فهي تؤثر على المخ والأعصاب وتؤدي إلى التهاب مزمن بالغشاء المخاطي المبطن للمعدة ، كما أنه يؤدي إلى التهاب حاد في البنكرياس والكبد وقد يتسبب في تليف الكبد ومنه إلى سرطان الكبد .

ونظراً لخطورة الخمر ومشتقاته فقد حاولت أمريكا أن تحرمه عام (١٩١٩م) واستمر هذا المنع حوالي (١٤) سنة وفي فترة المنع هذه زادت وراجت تجارته ، وتقول بعض المصادر أنه تم إعداد حوالي (٣٠٠) شخص من المهربين ، كما تم فرض الغرامات والمصادرات ورغم هذا لم يتم القضاء عليه وألغى هذا التشريع .

أخي القارئ : قارن بين رد الفعل الذي حدث لدى المجتمع الأمريكي نتيجة لمنع الخمر ، وبين ما فعله المسلمون عندما نزلت آية تحريم الخمر ؟ ثم بين أسباب الاختلاف في تطبيق القرار لدى المجتمعين المسلم والأمريكي؟

وهكذا نجد أن الإسلام في كل تشريعاته وقوانينه جاء لصالح الإنسانية في الحاضر والمستقبل ، كما أن تشريعاته القصد منها الحفاظ على أخلاق المجتمع وقيمه ، ووضع حدود وضوابط لكل الممارسات التي تتم بداخله ، حتى لا تحدث الفوضى والانحطاط الأخلاقي الذي تعانيه بعض المجتمعات المسلمة وقد يقول قائل إن المجتمع المسلم قد أصيب اليوم بالكثير من الممارسات الخاطئة ، نقول هذا صحيح ، ولكننا نتحدث هنا عما ينبغي أن يكون عليه حال المجتمع المسلم كما أراده له ربه وخالقه .

واجب الدولة في توفير الرعاية الصحية للجميع :-

من واجبات الدولة في الإسلام توفير المأكل والمشرب والمسكن والملبس لغير القادر عليه ، ويلحق بذلك أيضاً توفير الرعاية الصحية المناسبة لأفراد المجتمع المسلم ، حتى نضمن مجتمعاً صحيحاً سليماً من الأمراض قادراً على القيام بتعمير الأرض وأداء واجب الخلافة فيها ومن أجل تحقيق هذا الهدف يجب على الدولة أن تقوم ببعض الواجبات في هذا المجال ومن ذلك :-

- الاهتمام بالبرامج الصحية في مراحل التعليم المختلفة ، والسعي إلى نشر الوعي الصحي لدى الجميع ، مع الحرص على تعويد الجميع على التزام السلوك الصحي السليم .

- إعداد البرامج الصحية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة وفي المدارس والجامعات والمساجد وغيرها من المؤسسات الثقافية والتعليمية ، وعن طريق هذه البرامج يجب التنبيه على بعض الأمراض الخطيرة خاصة التي تنتشر نتيجة لبعض السلوكيات المنحرفة .

- عمل الدورات التدريبية في الأحياء المختلفة لتعليم الناس بعض الإسعافات الأولية .

- توفير الخدمات الضرورية كالنظافة وشبكات الصرف الصحي ، حتى لا تنتقل الأمراض عن طريقها .

- نقل الخبرات والتجارب الموجودة من الخارج وذلك عن طريق إيفاد البعثات التعليمية وإقامة الدورات والمؤتمرات للأطباء والعاملين في الحقل الطبي ، وهذا يعني أننا يجب أن نستفيد من الدول التي سبقتنا في هذا المجال لأن الدول الإسلامية تعاني من قصور في هذا الجانب ، وعلى الدول الإسلامية وخاصة المسؤولين فيها أن يراعوا هذا الجانب ويحاولوا الاستفادة من كل الامكانيات المتاحة حتى يتم لنا الاكتفاء بأطبائنا ومستشفياتنا لكي نخفف من معاناة الناس واضطرابهم إلى السفر للخارج بغية العلاج .

- إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية في الأماكن المختلفة وعدم التركيز على المدن الرئيسية .

- دعم كليات الطب والصيدلة والعلوم وتزويدها بكل جديد من أجهزة وأبحاث وأدوية وخبراء ، والتوسع في إنشاء مراكز الأبحاث والمختبرات لمتابعة الجديد والقيام بإجراء التجارب على كل مفيد .

- استقطاب الكفاءات الطبية العربية والإسلامية المهاجرة في الخارج ، خاصة وأن هناك الآلاف من تلك الكفاءات تعمل في الخارج ولديهم الاستعداد للعودة لأوطانهم ولكنهم لم يجدوا التشجيع والدعم من دولهم ، بل إن بعضهم عاد وحورب وعاد من حيث أتى .

– الرقابة والمتابعة والتقويم من قبل المسؤولين في المجال الطبي لمتابعة سير العمل والتأكد من صحته ، خاصة وأن هناك البعض من ضعاف النفوس قد يحولون هذه الخدمة الإنسانية إلى تجارة وربح فقط .

وأخيراً فالباحث عندما يتحدث عن هذا الموضوع كان الغرض من ذلك هو التنبيه على أنه يجب أن يكون لهذه الأمة كيائها ووجودها وإسهامها الحضاري في مختلف مجالات الحياة، خاصة وأنها كانت قد قطعت شوطاً كبيراً في هذا المجال إلا أنها عادت وتقهقرت نتيجة لعوامل كثيرة هذا من جهة ومن جهة أخرى حرصه على استقلال هذه الأمة والدعوة إلى أن تكتفي ذاتياً بخبراتها وإمكانياتها المتاحة، لأننا جميعاً ندرك ونتفق أن الأعداء لا يريدون لنا خيراً مهما قدموا لنا من مساعدات وخبرات ، وهم يسعون صراحة إلى إعادتنا إلى عصر ما قبل الصناعة (١) ويهدفون إلى إضعافنا وجعلنا مستوردين ومستهلكين لكل منتجاتهم ومنها بالطبع ما يتعلق بالمجال الطبي .

ثالثاً : - مراجع الوحدة

عزيزي المعلم :

يمكنك إرشاد طلابك إلى الرجوع إلى هذه المراجع وغيرها وذلك من أجل التوسع حول موضوعات هذه الوحدة .

- أبو جعفر الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية .
- جامعة صنعاء ، الثقافة الإسلامية .
- عمر التومى الشيباني ، مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي .
- محمد الغزالي ، علل وأدوية .
- محمد قطب ، مفاهيم ينبغي أن تصحح .
- محمد علي يوسف ، الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ،
- موريس بوكاي ما أضل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة .

(١) هذه المقولة لوزير الخارجية الأمريكي السابق جيمس بيكر عندما سئل عن الغرض من حصار العراق وضرره قال بالنص « إن الغرض ليس إضعاف قدرته العسكرية وإنما إعادته إلى عصر ما قبل الصناعة » نعم إنها مقولة تدل على الحقد والحبث المبتوث داخل النفسية الأمريكية خاصة والأوروبية عامة نحو العرب والمسلمين ، وهذا أمر معروف ومسلم لكننا نورده هنا لعل بعض المفتونين يقرأونه ويعقلونه .

محتوى الوحدة الرابعة
وعنوانها : النظام الإسلامي
لبعض جوانب الحياة المختلفة .

أولاً : مقدمة الوحدة :-

تشتمل هذه الوحدة على الكثير من الموضوعات التي تشغل بال الكثير من الناس وخاصة فئة الشباب ، وقد حاول الباحث هنا أن يستعرض أهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبعض قضايا العصر مستعيناً في ذلك بالكثير من المراجع والمصادر الحديثة والقديمة والغرض من ذلك هو الجمع بين الأصالة والمعاصرة مع التأكيد على شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة المختلفة . وقد اشتملت هذه الوحدة على تسعة موضوعات رئيسية والغرض من ذلك هو تحقيق الأهداف التسعة التي وضعت لهذه الوحدة .

ويمكن للمعلم الرجوع إلى دليل المعلم الذي تم وضعه وذلك من أجل الاستعانة به لتدريس محتوى هذه الوحدة ومن أجل السعي إلى إنجاح هذه الوحدة فقد تم اختيار بعض المراجع المناسبة التي يمكن للمعلم أن يستعين بها لإثراء هذا المحتوى ، وتوجيه الطلبة للرجوع إليها من أجل الاستزادة والاطلاع .

ثانياً محتوى الوحدة :-

الموضوع الأول :- ويتناول مقومات النظام الاجتماعي في الإسلام .

جرت العادة لدى الكثير من الباحثين على تقسيم العلوم إلى نوعين هما :-

- العلوم الاجتماعية أو الإنسانية .

- العلوم التجريبية أو البحتة أو المادية .

ويشتمل النوع الأول على أنواع كثيرة من النظم لعل أهمها :-

أ - النظم الدينية :- وتدور هذه النظم حول العقيدة وهي قديمة قدم الإنسان نفسه فكان كل جماعة أو قوم يلجأون إلى نظام ديني معين إذا لم تكن قد وصلتهم رسالة سماوية والبعض حتى وإن وصلتهم لم يقبلوها ولجؤوا إلى طرق أخرى .

ب - النظم الاجتماعية :- وتدور حول الأسرة ونظامها بشكل عام

ج - النظم الاقتصادية :- وهذه النظم موجودة في كل مجتمع وهي ضرورية لتستمر الحياة وبدونها لا يمكن أن تتحقق مصالح الناس .

د - النظم السياسية :- وهي تتمثل في نظام الحكم داخل الدولة بشكل عام ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الباحث لا يتفق مع هذا التقسيم لأنه يعتبر الدين نظام وهذه التسمية عليها ملاحظات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا .

أما النوع الثاني :- فيتضمن علم الهندسة والطب والعلوم العامة كعلم الأحياء والكيمياء وغير ذلك من أنواع العلوم المختلفة ، وما يهمنا هنا العلوم الاجتماعية باعتبار أنها تختلف من مجتمع لآخر .

ويعرف النظام الاجتماعي :-

بأنه « عبارة عن تجميع القواعد الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تتكون من العادات والتقاليد والقيم والصفات الأخلاقية المنتظمة بوعي كوحدة وظيفية. » (١)

كما يعرف بأنه « يتكون من مجموعة الفاعلين الذين تنشأ بينهم علاقة تفاعل اجتماعية في موقف يتخذ مظهراً فيزيقياً أو بيئياً كما أن هؤلاء الفاعلين يجمعهم الميل نحو تحقيق الحد الأقصى من الإشباع وتتحدد الصلات بينهم وفقاً لنسق من الرموز الثقافية المشتركة. » (٢) ورغم الاختلاف القائم بين علماء الاجتماع على تعريف مصطلح النظام الاجتماعي إلا أنهم في النهاية يتفقون على أنه سلوك وأفكار وصلات ومفاهيم واتجاهات وعلاقات وتفاعلات، وقد يكون مصدر كل ذلك وضعياً كما هو الحال بالنسبة لعلم الاجتماع الغربي الذي يعتبر أن النظام الاجتماعي هو من صناعة البشر عبر التاريخ .

أما النظام الاجتماعي في الإسلام فهو عبارة عن « مجموعة من النظم والتشريعات التي شرعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين الفرد والجماعة وبين الرجل والمرأة وما ينشأ عن هذه العلاقة من حقوق وواجبات لكل منهم كما ورد ذلك في القرآن والسنة » (٣) وهذا يعني أن النظام الاجتماعي في الإسلام يوجب لكل من الفرد والجماعة حقوقاً وواجبات حتى يتواءم الجميع في إطار واحد ومن أجل هدف واحد هو قوة المجتمع وتماسكه وتعاونه على الخير ووقوفه ضد الشر ومن هنا تبرز أهمية ذكر بعض المقومات التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في الإسلام وتتمثل في الآتي :-

١- أنه نظام عقائدي منبثق من القرآن والسنة وهما أهم مصادر التشريع عموماً وكونه عقائدي يعني أنه متعبد بفعله ومن يتبعه يثاب ومن يخالفه يؤثم وهذه الخاصية تمنح هذا النظام الثبات والاستمرارية وهذا واضح في أغلب نظم الإسلام الاجتماعية فلم يطرأ على أصولها تغيير منذ بداية تشريعها ومثال ذلك نظام الأسرة وما يتعلق به من زواج وطلاق ونسب ورضاعة وغير ذلك كثير .

٢- أنه نظام متوازن يجمع بين مصلحة الفرد والجماعة ، وإذا حدث أن طغت مصلحة أحدهما على الأخرى فهو ظلم اجتماعي لا يقره الإسلام ، لأن الحياة في نظره تعاون وتكافل لا نزاع وخصام ، وهذا التوازن نابع من طبيعة النظام نفسه الذي ينظر إلى وحدة الروح والجسد في الإنسان وإلى وحدة الماديات والمثل في الحياة ، ووحدة الهدف بين الفرد والجماعة وبين الجماعات المختلفة في الأمة الواحدة ووحدة الغاية بين الإنسانية جمعاء ، ووحدة الهدف بين الأجيال على مختلف العصور (٤).

(١) عبد الحميد لطفي ، علم الاجتماع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٣م ، ط ٥ ، ص ٧٥ .

(٢) محمد علي محمد ، علم اجتماع التنظيم مدخل للتراث والمشكلات ، الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢م ، ص ٢١٥ .

(٣) سميح عاطف الزين ، لمن الحكم لله أم للإنسان للشرع أم للعقل ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٤م ، ط ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٤) توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٥٣٥ .

٣ - أنه نظام يحرر الإنسان من سلطان البشر وتسلط الجبابة وفي هذا المعنى يقول سبحانه « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (١) ففي هذه الآية تحذير من أن يتجه الإنسان بالعبادة لغير الله أو يتخذ ولياً من دون الله ، وهذه لاشك هي قمة التحرر من ظلم البشر لبعضهم البعض خاصة في الفترة الأخيرة التي أصبحت الكثير من الدول تخاف وتهاب الدول الكبرى فتسعى إلى كسب ودها ، والسير على نظامها خوفاً من بطشها وجبروتها وخير مثال ما تفعله أمريكا اليوم من تحدٍ لمشاعر المسلمين من خلال مناصرتها لليهود في فلسطين ومحاربتها لكل ما هو عربي أو إسلامي .

٤ - أنه نظام يحرر الإنسان من الخوف على رزقه أو حياته قال تعالى « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم » (٢) وقال تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » (٣) ففي هاتين الآيتين تأكيد على أنه لا خوف على حياة الإنسان أو رزقه لأن هذه الأشياء بيد الله ولا يمكن للإنسان مهما أوتي من قوة أو جاه أن يمنع الإنسان من الحصول على رزقه ، أو يتدخل في تقديم أو تأخير موته ، ومن هنا يطمئن الإنسان ويأمن على أن الأشياء التي تمس حياته وأنها لا يمكن أن تتأثر بفعل العوامل البشرية مهما كان قوتها ومصدرها .

٥ - إنه نظام يجرد الإنسان من عبودية الأعراف والعادات والتقاليد الفاسدة فكم من المجتمعات تتعارف على أشياء فاسدة لا يقرها الدين أو العرف السليم فكان لا بد من وجود قوة وراذع يحدد ما يجوز وما لا يجوز ، ولذا حرر الإسلام الإنسان من عبودية الأعراف الخاطئة ، والقيم الاجتماعية الجائرة ومنها قيم الحسب والنسب وقيم الآباء والأجداد ورفض مقولة هؤلاء من أنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم هكذا يفعلون وألزمهم باتباع المنهج الرباني الذي ارتضاه لهم سبحانه وتعالى .

٦ - أنه نظام يقوم على أساس المساواة بين جميع الناس ، قال تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً » (٤) ففي هذه الآية رد على خرافة التعالي الكاذب الذي كان يدعيه البعض بقولهم أنهم من نسل الآلهة. ومنهم من قسم الناس إلى طبقات ووصلت الجرأة بالبعض إلى القول أنهم أبناء الله تعالى الله عما يقولون « نحن أبناء الله وأحباؤه » (٥) ورداً على هؤلاء وغيرهم يمكن القول إن الإسلام قد قرر مبدأ المساواة بين الناس في أربع قضايا أساسية وهامة هي : -

أ - المساواة في المنشأ والمصير .

ب - المساواة في الشعور والكرامة .

ج - المساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٦٠ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .

(٤) سورة النساء ، آية ١ .

(٥) سورة المائدة ، آية ١٨ .

د - المساواة بين الذكر والأنثى (١).

وقد سلم الكثير من الباحثين والمهتمين بعلم الاجتماع بوجود الطبقة الاجتماعية أو النظام الطبقي في المجتمعات الأوروبية وتناولوا هذه الظاهرة بالنقد والتشهير واعتبروها من عيوب الحضارة الأوروبية وذلك منذ عصر الثورات التي قامت من أجل القضاء على الامتيازات السياسية والقانونية والدينية والطائفية التي كانت تتمتع بها بعض الطبقات وقضت أيضاً على الرق والإقطاع الزراعي ووسعت من نطاق الحقوق والحريات السياسية والمدنية (٢).

ومن هنا يظهر لنا الفرق واضحاً بين النظام الاجتماعي في الإسلام الذي أكد في الكثير من نصوصه على وحدة الجنس البشري وبين الحضارة الأوروبية التي فرقت بين الناس بسبب اللون والجنس أو العقيدة .

٧ - أنه نظام يؤكد على الترابط الوظيفي بين النظم الاجتماعية داخل المجتمع بمعنى أن النظم ليست مستقلة بعضها عن بعض ولكنها تمثل أجزاء مترابطة : فالنظام الاجتماعي يرتبط بالنظام الاقتصادي والسياسي والتربوي وغير ذلك وهذا الترابط نابع من كون الإسلام وحدة واحدة وإن حصل تقسيم أو تجزئة إنما هو لتسهيل دراسته .

٨ - أنه نظام يتسم بالمرونة فهو ثابت في بعض أجزائه ومتغير في بعضها ، وهذا واضح فهناك الكثير من النظم والقوانين الاجتماعية التي لا يمكن أن يتدخل فيها أحد ويبدلها بالحذف أو الإضافة، كنظام الأسرة والميراث بكل قضاياها، وهناك جوانب متغيرة وهذا يواكب ما يحدث من تطور وتغير في بعض وسائل الحياة نتيجة لمتغيرات الزمان والمكان ومن ذلك قضايا الطعام والشراب ، فمن الملاحظ أن نوعية الطعام وطريقة تناوله تغيرت عما كانت عليه قبل سنوات وهنا الإسلام لا يمنع من هذا التغيير ما دام لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً وكذلك طريقة الملابس ونوعه لم يشترط فيه لون معين أو صنف محدد وإنما الذي حدد هو ستر العورة للرجل والمرأة .

٩ - أنه نظام يكتسب حق العمومية داخل المجتمع ، بمعنى أن هناك الكثير من القضايا والقوانين التي تعارف عليها المجتمع وأصبحت بمثابة القاعدة وما دام ذلك لا يخالف مبادئ الإسلام وأخلاقه فلا مانع أن تستمر هذه النظم وتكتسب صفة العمومية بين أفراد المجتمع .

١٠ - من خلال النظام الاجتماعي في الإسلام يمكن أن تحل الكثير من المشاكل والأمراض الاجتماعية التي تقع اليوم ، فالمشكلات الاجتماعية والأمراض الاجتماعية في جوهرها اختلال في أداء النظم لوظائفها، أو انحراف الفطرة السليمة فلو التزم الجميع بالنظم التي أقرها الإسلام في مختلف مجالات الحياة لخفضت المشاكل الاجتماعية التي تعيشها المجتمعات اليوم (٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ص ٥٤١ .

(٢) أمة الخالق محمد أبو منصر ، الهجرة اليمنية ، جدة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

أهمية العلاقة بين الفرد والمجتمع :-

يعتبر البعض المجتمع في الإسلام مجتمعاً معنوياً أي أن العلاقات الاجتماعية بين أفرادها تبنى على الروابط الأدبية من تواد وتعاون وتراحم .

وهذا ينفي مادية العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع الواحد ، وفي هذا المعنى يقول عليه السلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وحول العلاقة المعنوية وأهميتها بين أفراد المجتمع يقول أحد الباحثين (١) « ولا شك أن العلاقة المعنوية التي تقوم على المودة والرحمة التي يقوم عليها بنيان الجماعات الإنسانية وهي الروابط التي تربط أحاد الناس ببعضهم ، ومثل المجتمع المادي الذي يبنى على الاقتصاد أو الاجتماع . كمثل الأحجار المترابطة التي يجاور بعضها بعضاً من غير ارتباط وثيق بين أجزائها وأنه مهما يكن فيه من تنسيق هندسي لا يمكن أن يكون متلاحماً متصلاً وأنه ينهار لأقل عاصفة تشور ولا يستمر مجتمعاً إلا إذا كان مهندس البناء قوياً عليه يتبع ثغراته أما المجتمع المعنوي فإنه يقوم على أساس من العلاقات الروحية الرابطة بين أجزائه وهو متماسك غير قابل لان تتداعى لبناته لأنه مترابط الأجزاء بما لا يقبل الانقطاع ما دام يغذى بالروح والدين » .

ومن هنا جاءت توجيهات القرآن والسنة لتغذي نفوس الآحاد لتجتمع ونفوس الجماعات لتألف ونفوس الحكام لتستقيم وينطلقوا في كل أعمالهم وأحكامهم من خلال المعاني الإنسانية السامية التي يحملونها مع كل إنسان من غير أي اعتبارات أخرى كالنظر إلى الجنس أو اللون أو القبيلة أو المذهب ، وحرص الإسلام على وحدة الناس من خلال دعوته إلى الوحدة الإنسانية العامة فوحد بينهم من خلال المعبود الواحد والقبلة الواحدة والدين الواحد، وحرص الإسلام على الموازنة بين مصلحة الفرد باعتباره جزءاً من الجماعة وبين الجماعة باعتبارها مجموع الأفراد الذين يمثلون المجتمع وقد تباينت الآراء واختلفت النظريات حول هذه القضية فمنها ما أعلى من شأن الفرد وجعلته محور اهتمامها وقضيتها الأولى ومنها ما أعلى من شأن الجماعة وجعلته محور اهتمامها ، ومن هنا نلاحظ أن هناك تطرفاً واضحاً من الفريقين .

ولكن يا ترى ما هو موقف الإسلام من قضية العلاقة بين الفرد والجماعة؟

الإسلام يوجب لكل منهما حقوقاً ويفرض عليهما تبعات والهدف من ذلك هو صهر الفرد في المجتمع وصهر المجتمع في الفرد وإيجاد نوع من الموازنة بين المصلحتين فكل فرد في المجتمع المسلم مكلف برعاية مصالح الجماعة أينما كان موقعه وعمله وكذلك الجماعة هي مسؤولة عن مصلحة الفرد التي يعجز عن تحقيقها بمفرده ، ويعتبر الإسلام أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تضم مجموعة من الأفراد تربطهم «عوامل بيولوجية» واحدة سواء أكان هؤلاء من جيل واحد كالأخوة أم من أجيال متعاقبة كالأجداد والآباء والأحفاد وفي هذا يقول أحد الباحثين (٢) «إن الأسرة أصغر مجموعة

(١) محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظلال الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٢) جمال الدين محمد محمود ، أصول المجتمع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

منظمة من أفراد « وقد يكون هناك ترابط بين أبناء قبيلة أو أهل قرية أو سكان مدينة، وقد تكون هذه دوائر صغيرة داخل مجتمع تمثله دولة أو تضمه أمة ولكن الأسرة تظهر من بين هذه الوحدات وهي أشدها ترابطاً من أبناء قبيلة وأوثقها اتصالاً وأعظمهما تأثيراً وتأثيراً بين أفرادها لهذا السبب فإن الإصلاح الذي يوجه إلى الأسرة ويبدأ فيها يعود تلقائياً بالنفع والإصلاح على ما هو أوسع منها ، وحب الأسرة لا بد أن يؤدي إلى حب المجتمع «الأوسع منها» وهذا الحب لا بد أن يقوم على أسس إسلامية بعيداً عن أي اعتبارات تفرق بين البشر كالاعتزاز بالجنس أو العقيدة أو الموقع أو غير ذلك من الصفات المكتسبة أو الموروثة والإسلام يقرر في نظريته الاجتماعية التي قررها القرآن أن الناس كلهم من نفس واحدة خلقها الله وهي آدم ثم خلق منها زوجها وهي حواء ثم بث منهما رجالاً ونساءً وقد اهتم الإسلام اهتماماً واضحاً بالأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع فالأسرة بمعناها الواسع الذي يضم الأصول والفروع والحواش ومن تجمعهم صلة الرحم في أوسع نطاقها تجدد في القرابة دافعاً للتعاون وهو دافع طبيعي أحاطه الإسلام بنصوص تضمن استمراره والمحافظة عليه ، ولذا لا غرابه أن تجد أن المولى سبحانه وتعالى ربط بين عبادته وتقواه وبين صلة الأرحام قال تعالى «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» (١) وقوله «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (٢) والإسلام يهدف من صلاح الأسرة صلاح المجتمع كله باعتبارها النواة الأولى للمجتمع الصالح وأن أي تغيير يبدأ من داخل الأسرة باعتبارها المؤسسة التربوية التي يؤخذ منها الفرد الكثير من سلوكه وأخلاقه ، ولمزيد من توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع دعا الإسلام إلى مزيد من التعاون والتعارف بينهم قال سبحانه وتعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» (٣).

ومن هذا المبدأ عمل الرسول عليه السلام عندما دخل المدينة المنورة على نشر وترسيخ هذا المبدأ - مبدأ التعاون والتعارف - وذلك عندما وجد المسلمين من قبائل متعددة والبعض منهم لا يزال يحمل آثار العصبية والقبلية في نفسه، فعمل عليه السلام على ما يسمى في التاريخ الإسلامي «بالمواخاة» وجعل كل رجل أخاً لرجل يشاطره ماله وعيشه من غير أن تزول الملكية بل هو بمقتضى الأخوة الإسلامية يعطي أخاه بطيبة نفسه راضياً ضميره وأيضاً أخاً عليه السلام بين المهاجرين والأنصار وبين المهاجرين مع بعضهم البعض وسرعان ما تفهم الصحابة سر هذا العمل العظيم ، وجعلهم أكثر ترابطاً وتراحماً مع بعضهم البعض ، ولما كان مجتمع المدينة يضم إلى جانب المسلمين بعض القبائل من اليهود عمل الرسول عليه السلام على تأمين هذا المجتمع بكل فئاته فعقد مع اليهود حلفاً أساسه التعاون على فعل الخير وعلى مصلحة مجتمع المدينة ككل وحماية الفضيلة ، وردع المجرمين العابثين بالأمن وهذا يشبه اليوم ما يسمى بالتعايش السلمي ولكن اليهود وكعادتهم لم يلتزموا بهذه المعاهدات (٤) وحرصاً على توطيد العلاقة بين الفرد والمجتمع عمل الإسلام على محو أسباب الفرقة والنزاع بين أفراد

(١) سورة النساء ، آية ١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٧٥ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٤) محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

المجتمع ودعا إلى التسامح العام وأبلغ دليل ما فعله عليه السلام مع قريش بعد دخوله مكة رغم ما فعلته قريش أثناء تبليغ دعوته قبل الهجرة إلى المدينة فقال لهم بعد أن أنتصر عليهم ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام « أقول لكم ما قاله أخي يوسف لأخوته لا تشريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء » وحرص الإسلام على أن يدفع الإنسان الشر والبغضاء التي بينه وبين الآخرين بالحسنى قال سبحانه وتعالى « ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (١) ، وحث الإسلام على الرحمة ، والرحمة في الإسلام ليست هي الشفقة أو الرأفة المحدودة القاصرة على العطف على الصغير أو الفقير ، وإنما الرحمة الإنسانية بمفهومها الواسع والشامل والتي أكد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في الكثير من أقواله ومن ذلك قوله «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ويقول عليه السلام « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » وهكذا نجد أن التعاون والتسامح والتعارف والرحمة من أسباب تقوية العلاقة بين الفرد والمجتمع من جهة ، وبين المجتمع وطوائفه المختلفة من جهة أخرى .

العلاقة بين الرجل والمرأة :-

يعتبر الإسلام أن الحياة الإنسانية لا يمكن أن تقوم وتستمر إلا بوجود الرجل والمرأة ولا ترقى الحياة إلا في ظل التنسيق والمواءمة بينهما ، ولذا نجد أن المولى قد طلب منهما القيام بمهمة واحدة ومن أجلها خلقهم قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٢) فهذه الآية تؤكد أن مهمة الرجل والمرأة عبادة لله وحده ، وقيد السعادة وحصولها بتحقيق كل من الرجل والمرأة لهذه المهمة ، أو التعاسة والشقاء في حالة النكران والإعراض قال تعالى « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣) وقال سبحانه « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » (٤)

من الآيات السابقة نلاحظ أن المولى سبحانه ساوى بين الرجل والمرأة في المجال التعبدية وفي الأجر والثواب في حالة الطاعة والعقوبة والعذاب في حال المعصية، والمساواة في العبودية هي من أعظم دلائل المساواة بين الأفراد جميعاً ، كما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الأهلية فلهما معاً حق التملك والتصرف ولكل منهما ذمة مالية مستقلة تستطيع المرأة بموجبها أن تبيع وتشتري وترث وليس للرجل دخل في مالها قال تعالى « للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبنَ » (٥) ، وبالجملة فالإسلام لا يرضى بانتقاص حقوق المرأة أو ظلمها ، من قبل الرجل ، لأن الرجل لا يتصرف

(١) سورة فصلت ، آية ٣٥ .

(٢) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(٣) سورة طه ، الآيتان ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) سورة النساء ، آية ١٢٤ .

(٥) سورة النساء ، آية ٣٤ .

وفقاً لهواه ورغبته ، بل هو مقيد ومحكوم بشريعة الله ، وما يحدث في المجتمع المسلم اليوم (١) من إهدار لحقوق المرأة ليس من الإسلام وإنما ذلك عادات وتقاليد جاهلية يقوم بها مغرضون أو أصحاب مصالح وأهواء ، ومن هؤلاء من يحرم على المرأة التعليم والعمل ويمنعها من الحصول على ميراثها ويمنع عنها الكثير من الحقوق التي منحها الإسلام ، وهناك صنف آخر يكلفها فوق طاقتها ولا يرحم ضعفها بحجة إيصالها إلى مرتبة الرجل ومساواتها به ، وهناك صنف ثالث يعتبر القوامة المنصوص عليها في القرآن عذراً لضرب المرأة وإهدار حقوقها وكرامتها بحجة أن ذلك من الإسلام ، وهذا واقع لا بد من الاعتراف به ومع هذا الاعتراف إلا أننا ينبغي أن نشير إلى أن الإسلام لا يرضى بكل ذلك ، ولا يقبل هذا الوضع الذي جاء نتيجة لعوامل كثيرة منها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والوضع الطبيعي هو أن النساء شقائق الرجال لهن حقوق وعليهن واجبات كما هو شأن الرجل .

مبدأ توزيع العمل بين الرجل والمرأة :-

يجمع الكثير من الباحثين والمهتمين بعلم الأحياء بأن هناك فروقاً واضحة بين تكوين كل من الرجل والمرأة ويؤكد الباحث الأمريكي « ستيفن غولدبرغ » في كتابه « حتمية النظام الأبوي » (٢) على أن تباين الرجل عن المرأة في المجتمع ليس بسبب ضغوط اجتماعية في واقع الأمر ، بل الفروق الطبيعية الأساسية بين الجنسين هي الأسباب الحقيقية ، وخلص إلى القول إن الرجل والمرأة يختلفان بعضهما عن بعض منذ كونهما أجنة في بطون الأمهات وهما يختلفان حتى في أسلوب استخدامهما لقواهما العقلية ، وهذا التباين ينجم عن نوعية الفروق « البيولوجية » الحياتية وليس بسبب الأحوال الاجتماعية ، كما يؤكد طبيعة الاختلاف بين الرجل والمرأة الباحث (الكسيس كاريل) (٣) الذي قام ببحث هذه القضية في ضوء علم الأحياء بدقة وشمول وكان مما قاله « الفروق التي توجد بين الرجل والمرأة لا ترجع فقط إلى الاختلاف في هيئة الأعضاء التناسلية ووجود الرحم وعوارض في الحمل أو أسلوب التعليم بل هي تعود إلى طبيعة هي أكثر أساسية ، فالتباين بينهما ناتج عن تكوين الأنسجة وعن تشرب النظام الجسماني كله بمواد كيميائية معينة تخرج من البيض ، وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الأساسية بأنصار حركة تحرر المرأة إلى الاعتقاد بضرورة التماثل في التعليم والسلطة والمسؤولية بين الجنسين مع أن الحقيقة هي أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافاً عميقاً ، وينبغي على النساء تنمية قدراتهن انسجاماً مع الإطار الذي وفرته لهن الطبيعة بدون محاولة تقليد الرجال ، وإن مساهمتهم في تقدم الحضارة البشرية أكثر بكثير من الرجال وينبغي ألا يتخلين عن أدوارهن المتميزة » وتأسياً على ما سبق قرر الإسلام مبدأ توزيع العمل بين الرجل والمرأة فحدد للرجل القيام بدائرة النشاط الخارجي ، وقيامه بهذه

(١) وحيد الدين خان ، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي ، القاهرة ، دار الصحوة ، ١٩٩٤م ، ط ١ ، ص ٣٦ .

(٢) نشر هذا الكتاب عام ١٩٧٧ وقد تعرض هذا الكاتب لكثير من النقد والتجريح حتى اطلق عليه البعض «الخنزير الفاشي» « والمرء السادي»

(٣) نقلاً عن وحيد الدين خان ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

المهمة يتفق مع طبيعة الحال وتكوينه لأن ذلك يحتاج إلى جهد ومشقة فمثلاً الأعمال الشاقة هي من مهمة الرجل الخارجية ، ولا تستطيع المرأة القيام بها وبالمقابل حدد للمرأة أعمالاً لا يمكن أن يقوم بها الرجل وهي دائرة النشاط الداخلي والمتمثل بالبيت وإدارته والأسرة وتنظيمها وهذا التوزيع لم يكن بدافع من التمييز بين الجنسين بل هو مراعاة لقدرات كل طرف من الأطراف ولتهيئة المناخ الملائم كي يستخدم كل طرف مواهبه وقدراته على الوجه الأكمل وبدون إحداث أي خلل في نظام الأسرة أو المجتمع ، وبعبارة أخرى يمكن القول إن تقسيم العمل بهذه الطريقة هو من باب الترتيبات الإدارية وليس لأجل تحديد أولوية جنس على الآخر ، ولا ننسى أن الإسلام قد أكد على وجود قواسم مشتركة بين المؤمن والمؤمنة وهي مواصفات مطلوبة من سائر البشر سواء أكانوا رجالاً أم نساءً قال تعالى « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » (١) .

فهذه الآية تمثل قمة المساواة بين الرجل والمرأة ، وتحتوي على كافة المواصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها كل رجل وكل امرأة ليفوز برضى الله عزوجل .

مكانة المرأة في المجتمعات المختلفة :-

قبل أن نتحدث عن المرأة في الإسلام لابد أن يسبق ذلك التعرف على وضعها لدى المجتمعات الأخرى ، وعن وضع المرأة في المجتمعات القديمة تقول دائرة المعارف البريطانية « كان وضع المرأة في « أثينا » قد تدهور لدرجة أنها أصبحت بمثابة أمة تلد أولاد لسيدها وكان يتم حجز الزوجات داخل بيوتهن ولم يكن يحصلن على قدر من التعليم كما لم تكن لهن أية حقوق ولم يكن أزواجهن يعتبرونهن أفضل من أثاث البيت، وتضيف دائرة المعارف البريطانية القول عن وضع المرأة في (روما) القديمة كان الوضع القانوني للمرأة في روما القديمة هو وضع الحكومية الكاملة للرجل، فكانت خاضعة أولاً لسلطة أبيها أو أخيها ثم لسلطة زوجها الذي كان يتمتع بسلطان الأبوة عليها وكان القانون يعتبر المرأة معتوهة » (٢) هذا هو حال المرأة لدى اليونان والرومان ، في بداية الأمر كان الوضع متشدد نحو المرأة ، فلم يسمح لها بممارسة أية وظيفة ولم يعترف لها بحق ولكن بعد أن تمدن اليونان تبذلت المرأة وإنحلت أخلاقها فسمح لها بالزنا والبيغاء وشاعت الفاحشة عندهم . وأما عند الرومان فلم يُلغَ قانون الوصاية على المرأة إلا في قانون - جوستيان - (٣) والذي نص على أن السلطة للأب يجب ألا تتجاوز حدود التأديب .

المرأة عند اليهود :-

يعتبر اليهود المرأة أصل الشرور ومنبع الخطيئة ومصدر الآثام ، وكانت توضع في مرتبة الخدم ، وكانوا يعتبرونها نجسه خاصة أيام حيضها ، وكان للأب الحق في بيعها وهي قاصرة ولا تترث بعد

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٥ .

(٢) نقلاً عن وحيد الدين خان ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣) توفي هذا المفكر عام ٥٦٥ م .

الميت مهما كانت درجة القرابة .

المرأة عند النصارى :-

أهدر رجال الدين من شأن المرأة ووصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا يتساءلون هل المرأة إنسان له روح؟ وهل للمرأة أن تعبد الله كما يعبد الرجل؟ وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ وانتشر عندهم الاعتقاد بأن المرأة ليس لها روح ، وفي عام « ٥٨٦م » قرر مجمع « ينكون » بأن المرأة إنسان به روح دنيئة ، وخالية من الروح الناجية واستثنوا مريم العذراء فقط لأنها أم المسيح عليه السلام وصرح أحد القساوسة بأن المرأة منبع الخطيئة وأصل كل شر ووراء كل إثم ، ومصدر كل قبح، (١) ومما ينبغي توضيحه أن وجهة النظر التي قال بها اليهود والنصارى لا تمثل ما جاء في التوراة والإنجيل غير المحرف لأنهما أعليا من شأن المرأة ولكن نتيجة للتحريف الذي حصل لهما دخلت هذه الأفكار والخرافات حول المرأة وطبيعتها .

المرأة عند العرب قبل الإسلام :-

والحال عند العرب لم يكن بأفضل مما كان عليه الوضع عند الغير فالعرب اتخذوا المرأة للتسلية والمتعة والغزل وإشباع الغرائز. هذا إلى جانب ظهور عادة وأد البنات فكانوا يدفنون البنت حية حتى لا تجلب لهم العار - كما يزعمون - وأما الذين لا يئدون الأنثى كانوا يرون أنها من سقط المتاع وكان الكثير من حقوقها مهذراً فليس لها حق الإرث ، وكان إذا مات زوجها يرثها أخوه أو أحد أقاربه ولم يكن الطلاق محدداً بعدد معين ولم يكن لتعدد الزوجات حد معين. (٢)

المرأة في المجتمعات الغربية الحديثة :-

حرصت المجتمعات الغربية على الفكرة القائمة على « المساواة » بين الرجل والمرأة واعتبرت ذلك عقيدة ومبدأ يجب الالتزام به ، ومن خلال هذه العقيدة أصرروا على أن تقف المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل في كل مواقع العمل والإنتاج ، ويزعم الغربيون بهذا القول أنهم قد أعطوا المرأة حقها من العناية والاهتمام ولكن الوضع العملي يختلف عن هذا تماماً ، صحيح أن المرأة تعمل في المصنع وفي المزرعة وفي المتجر ولكن يا ترى ما الدافع للعمل وما طبيعة العمل؟

تؤكد الكثير من الدراسات أن الدافع للعمل لدى المرأة في الأعمال الشاقة والتي لا تناسب طبيعتها يعود إلى حاجتها المادية ، فالأب غير ملزم هناك أن ينفق عليها بعد بلوغها سن (١٨) سنة كما أن الزوج ليس ملزماً بذلك أيضاً ، إذن هي تعمل من أجل أن تسد رمقها وليس حباً في العمل ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد استغلت المرأة نتيجة لعملها بجوار الرجل وهاهي المحاكم تنظر كل يوم في قضايا تتصل بالتحرش الجنسي وخذش الحياء من قبل الموظفين للموظفات (٣) وقلما نجد موظفة لا تشتكي من تحرشات وإيحاءات زملائها، وأيضاً استغلت المرأة للعمل بأجر أقل ولفترة أطول (٤).

(١) عبدالكريم عبيدات، الإسلام وبناء المجتمع ، الرياض ، من منشورات جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم الثقافة الإسلامية ، د.ت ، ط.٣ ، ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) وأكبر مثال على ذلك هي قضية الرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون مع إحدى الموظفات والقضية مثارة حالياً ومنشورة ومعروفة من خلال وسائل الإعلام المختلفة .

(٤) عبدالكريم عبيدات ، ص ٤٦ .

وبالجملة فالحضارة الغربية لم تخدم المرأة بدعوتها لها بالخروج إلى سوق العمل ومجاراتها الرجل ومزاحمته في الوظائف الشاقة وإنما هي في الواقع كلفتها مالا تطيق وأفقدتها أمومتها وإرادتها وشخصيتها ، وها هي الأخلاق تنهار وأطفال الملاجئ يزدادون بسبب فقدانهم للآباء الشرعيين وخروج الأمهات للعمل وشيوع الزنا والفاحشة ، وهذا تقرير صادر من منظمة الصحة العالمية (١) يفيد أنه يُجرى كل عام « ١٥ » مليون حادثة إجهاض أو قتل جنين وهذا الرقم يمثل فقط العمليات السرية غير المشروعة قانوناً ، أما الدول التي تسمح بهذا فلم تدخل ضمن الإحصائية ومثال ذلك الدول «الاسكندنافية» وبعض الدول الأوروبية لأن هذه الدول تبيح الإجهاض ولا ترى فيه شيئاً .

المرأة في الإسلام : - (٢)

اهتم المجتمع المسلم بالمرأة لأنها نصف المجتمع وباعتبارها أيضاً شقيقة الرجل وقد جاء هذا الاهتمام واضحاً في القرآن والسنة ، فقد عرض القرآن للمرأة في أكثر من عشر سور ، وعرفت أحداهن بسورة النساء الكبرى والثانية سورة النساء الصغرى وهما سورتا النساء والطلاق ويظهر اهتمام الإسلام بالمرأة من خلال التشريعات والمظاهر التالية : -

- تقرير إنسانية المرأة :-

فهي أخت الرجل إذ تنتسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة قال تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٣) ويقول عليه السلام « النساء شقائق الرجال » (٤) وأخوة النسب تقتضي المساواة بين الأخوين فالمرأة مساوية للرجل بالنسبة للأبوين لا تزيد ولا تنقص وهي إنسان أيضاً مثل الرجل : - قال تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً » (٥)

فمن المسلم به هنا أن المرأة في نظر الإسلام كائن إنساني له روح إنسانية من نفس النوع الذي منه روح الرجل فلا فرق بينهما في الأصل والمنشأ .

- أهلية المرأة للتدين والعبادة :-

وهذا يعني أن المرأة والرجل يتفقان في قاعدة العمل والجزاء الأخروي .
فهي أولاً : مخاطبة بجميع التشريعات والتكاليف المطلوبة من الرجل « كل نفس بما كسبت رهينة »

(١) صدر هذا التقرير عام (١٩٦٢م) ورغم قدمه إلا أنه ينبأ عن حالة خطيرة وصلت إليها المجتمعات المنحلة من كل القيم والأخلاق .

(٢) رجع الباحث في هذا الموضوع إلى :

- زين شحاتة ، مرجع سابق .

- عبدالكريم عبيدات ، مرجع سابق .

- عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق .

- وحيد الدين خان ، مرجع سابق .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

(٥) سورة النساء ، آية ١ .

وهي ثانياً : - مجازاة بالخير خيراً وبالإساءة عقاباً « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » (١)

كما توعد المخالفين بقوله « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » (٢) فهنا تجد أن الأجور متساوية كما أن العقوبة متساوية أيضاً .

- التساوي في الأهلية المالية : - شرع الإسلام للمرأة الحق في التملك والبيع والشراء والإرث كما هو الحال بالنسبة للرجل قال تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (٣) كما أن لها الحق الكامل في المهر الذي يدفعه الزوج ولا يجوز أخذه منها . ويحق للرجل التصرف في مالها في حالة سماحها له عن طريق إعطائه وكالة لإدارة أموالها ، ولها أن تتصرف وتنفق كيفما تشاء .

- دعا الإسلام المرأة للتعليم : - وهذه الدعوة عامة للذكر والأنثى وقد وردت الكثير من الأدلة التي تحث على ذلك قال تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٤) وقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » وقال عليه السلام « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (٥) وأيضاً نجد أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها روت لنا الكثير من الأحاديث وكانت مرجعاً هاماً للصحابة ، وهذا عكس المذاهب الأخرى التي كانت تحرم على المرأة قراءة الكتب المقدسة .

- أباح الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد ولا يمكن للرجل أن يفرض - عقيدته على المرأة - وتحدث القرآن عن زوجات بعض الرسل عليهم السلام وأنهن لم يُسلمن ويتبعن عقيدة الأزواج قال تعالى « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » (٦) فهنا المولى يحدد لهما جزاء مخالفتها لمنهج الله ، ولكنه لم يجبرهما على اتباع منهج الأزواج وإنما عاب عليهما البقاء على حالة الكفر .

- إن المولى أصصطفى بعض النساء كما اصطفى بعض الرجال :-

قال تعالى « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (٧)

- أقر الإسلام للمرأة أن تُعطي الأمان والجوار في الحرب أو السلم لغير المسلمين .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٦٨ .

(٣) سورة النساء ، آية ٣٤ .

(٤) سورة الزمر ، آية ٩ .

(٥) رواه البخاري .

(٦) سورة التحريم ، آية ١٠ .

(٧) سورة آل عمران ، آية ٤٢ .

وقد ورد أن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها وهي أخت لعلي رضي الله عنه ، أجارت رجلاً من المشركين فأبى علي رضي الله عنه إلا أن يقتله فأسرعت إلى الرسول عليه السلام فقالت يا رسول الله زعم ابن أبي - تقصد علياً - أنه قاتل رجلاً قد أجرته ، وذكرت الرجل فقال عليه السلام «قد أجرنا من أجرته يا أم هاني» (١) .

- أوجب الإسلام على المرأة الجهاد إذا هجم العدو : وكان النساء يخرجن مع رسول الله عليه السلام في غزواته يقدمن الطعام والماء ويعالجن الجرحى .

- أعطى الإسلام للمرأة الحق في مباشرة العقود المتعلقة بالبيع ، والشراء والتملك وحق التقاضي ولم يزد عليها الرجل شيئاً في هذا المجال .

- وردت الكثير من الأدلة وخاصة من السنة النبوية ، والتي توجب أن تُستأذن المرأة عند تزويجها وطلب من الثيب أن تصرح بذلك واكتفت من البكر بما يدل على رضاها ، فعن خنساء بنت قدام أن أباه زوجها وهي ثيب فأتت الرسول عليه السلام فرد نكاحها (٢) وقوله عليه السلام « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول وكيف إذن؟ قال أن تسكت» (٣)

ووصل الحال إلى أن الإسلام لم يكتف بهذا التكريم فحسب بل جعل الاهتمام بها كأم يفوق الأب بمعنى أنه فضل المرأة - الأم - على الرجل - الأب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل للرسول من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمك» قال ثم من قال : أمك ، قال ثم من قال : أمك قال ثم من ؟ قال أبوك « (٤) .

أما الشبه التي تثار حول موقف الإسلام من المرأة خاصة ما يتعلق بقضية الميراث ، وقول البعض لماذا تراث المرأة نصف ما يرثه الرجل.؟ وقضية الشهادة ، وقضية الحجاب ، وقضية الاختلاط وغير ذلك ، فهي شبه واهية لأنها لا تقوم على أسس علمية ومنهج محايد ، وإنما هي من باب المكابرة والعناد وإلا فالميراث مثلاً سببه واضح وهو أن نفقات الرجل دائماً أكثر من نفقات المرأة لأنه يعول أفراد أسرته من أبناء وأباء وأخوه وزوجه وغيرهم، أما المرأة فليست مسئولة إلا عن الإنفاق على نفسها ، هذا باختصار ما يتعلق بشبهة الميراث ، أما قضية الشهادة فقد جعل سبحانه شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل وبين سبب ذلك وهو النسيان فلو نست إحداهما تذكرها الأخرى بموضوع الشهادة ، والنسيان هنا ينشأ عن عوامل عدة منها قلة اهتمام المرأة بمسألة العقود، وقد يعود ذلك أيضاً لطبيعة المرأة نفسها . وقضية الحجاب المقصود منه الطهر والعفاف ومحاربة الرذيلة ، وإقامة الفضيلة لأن أصحاب الأهواء يريدونها عارضة لجسدها حتى يتمتعوا بالنظر إليها وهذا واضح فهام يختارون أفضل الفتيات للعمل سكرتيرات أو مضيفات في الطيران والفنادق من أجل ماذا،؟ سؤال يحتاج إلى إجابة صريحة ومحايدة .

(١) هذا الحديث متفق عليه في صحيح البخاري وصحيح مسلم .

(٢) أخرجه البخاري وأصحاب السنن .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

وبعد : فهذه بعض مظاهر اهتمام الإسلام بالمرأة وهذه الحقوق لم تصل إليها المرأة في المجتمعات الأخرى ولن تصل مادام القانون البشري هو الذي يحدد ذلك ، فهاهو القانون الفرنسي في مادته « ٢١٧ » ينص على الآتي :-

« المرأة المتزوجة - حتى ولو كان زوجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكيتها زوجها - لا يجوز لها أن تهب ولا تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تمتلك بعرض أو بغير عرض بدون اشتراك زوجها في العقد ، أو موافقته عليه موافقة كتابية » ومع ما أدخل على هذه المادة من قيود وتعديلات فيما بعد إلا أن الكثير من آثارها لا يزال ملازماً لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر (١) ومما يؤسف له أن بعض أبناء المسلمين ممن تربوا في الخارج أو في الداخل على يد أعداء الأمة يحاولون جاهدين إفساد المجتمع من خلال محاولة افساد المرأة المسلمة وذلك من خلال مهاجمة بعض المظاهر الإسلامية التي تلتزم بها المرأة فقال البعض أن الحجاب ظاهرة عفنة وقال قائلهم « الحجاب رمز مذلة المرأة ومصادرة لما وهبتها إياه الطبيعة ، وصورة انقطاعها القسرى عن الحياة الحقيقية الوسيعة والخصبة » (٢) وللأسف أن المجتمع الإسلامي تحارب مظاهره وقيمه من بعض أبنائه أكثر مما تحارب من أعدائه البينة عداوتهم .

وأخيراً فعلى المرأة المسلمة الواعية أن تدرك حجم المؤامرة ، وعليها أن تتمسك بدينها وعقيدتها وتحافظ على ذلك ولا يضيرها ما يقوله الأعداء لأنها تهدف إلى رضا ربها والمحافظة على قيمها وأخلاقها .

الموضوع الثاني :- يتناول موقف الإسلام من علاقة المجتمع المسلم الاقتصادية والسياسية والفكرية مع غيره من المجتمعات والدول .

علاقة الدولة الإسلامية الأولى بغيرها من الدول الموجودة في تلك الفترة

جاء الرسول عليه السلام برسالته إلى البشر وهو يحمل بين يديه نوراً وكتاباً ربانياً ويحمل مهمة التغيير والهداية للبشرية كلها وهذه المهمة لم تكن سهلة لأنها تعني التغيير الجذري في الأفكار والمشاعر والعادات والتقاليد ونظم الحكم والسياسة والاقتصاد ومع ضخامة هذه الرسالة كانت ضخامة التضحيات والمسؤوليات وهنا يمكن أن يبرز التساؤل التالي :-

هل يستطيع فرد لا يملك أي مقومات مادية أن يحول معظم الناس من الضلالة إلى الهداية ومن الظلام إلى النور ومن الكفر والشرك إلى الإيمان إلا أن يكون نموذجاً فريداً للصبر والتضحية؟ نعم قد كان عليه السلام يحمل كل المواصفات التي تؤهله للقيادة والنبوة والتربية والحكم ، ولقد أدار شؤون دولته بحكمة وصبر رغم قلة العدد والعدة واتخذ كل الوسائل والسبل التي تمكنه من نشر دعوته وحكم دولته .

وهنا يهمنا أن نعرف طبيعة علاقة الدولة الناشئة مع جيرانها .

(١) نقلا عن عبدالكريم عبيدات، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٢) هذا ما كتبه عتيق خراج في مجلة الأسبوع العربي ، عدد ٨٣١ ، في ١٢/٥/٧٥ م .

من المعروف أنه عليه السلام تلقى الكثير من صنوف الاضطهاد والمكابرة والعناد خاصة بعد أن جهر بدعوته من قبل كفار قريش وغيرهم من العرب المحيطين وكان لا بد أن يقف من ذلك موقف الصابر المحتمل لكل ذلك وفي نفس الوقت لا بد أن يؤمن مسيرة دعوته ويضع أسساً لدولته فيبحث عن من يقبله ويقف معه ، ومن أجل ذلك عمل عدة تدابير منها : -

أولاً : - أمر مجموعة من الذين آمنوا معه بالهجرة إلى الحبشة ولاشك أن هذه الخطة كان لها أغراض كثيرة لعل منها : -

أ - إيصال الدعوة إلى الحبشة خاصة بعد أن سمع أن ملكهم يمكن أن يتقبل هذه الدعوة .
 ب - المحافظة على الدعوة من خلال هؤلاء النفر حتى إذا ما تعرض هو وأصحابه للأذى في مكة يكون هؤلاء بمثابة من يحافظون على هذه الدعوة ويعملون على نشرها .
 ولاشك أن هذا العمل هو من باب الآخذ بالأسباب وفيه أيضاً ذكاء سياسي واضح لأنه عليه السلام سعى من خلال ذلك إلى فتح علاقة مع أحد الجيران وهو بهذا العمل يأمن شر أحد الجيران ، وكأنه بعث بهؤلاء ليقوموا بما يمكن أن نسميه اليوم بإقامة علاقة دبلوماسية مع دولة من الدول وفتح سفارة فيها من خلال هؤلاء النفر .

ثانياً : - سافر عليه السلام إلى الطائف يعرض نفسه على أهلها وقد تعرض هناك للكثير من الأذى المادي والمعنوي وهذه الرحلة كان فيها الكثير من المعاني رغم أنها لم تحقق نتائج كثيرة إلا أن أهم نتيجة - في نظر الباحث - هو وصول خبر النبوة والذي يحد ذاته يعد مكسباً كبيراً لأنه أثار لدى أهل الطائف الكثير من التساؤلات وربما بعضهم أخذ يفكر جدياً في الإسلام .

ثالثاً : - كان عليه السلام يعرض دعوته على الكثير من العرب القادمين إلى مكة للطواف في البيت، وكان يهدف من ذلك إلى أن هؤلاء سيعودون إلى أوطانهم ويحملون هذه الرسالة إلى غيرهم، وهذا تفكير سليم وواع وهو في نفس الوقت عمل لا يكلف شيئاً وإنما مجرد أن يحدثهم الرسول عليه السلام عن دعوته وهو في مكة لعله يجد منهم استجابة ، ومن هذه المحاولات أثمرت بيعة العقبة الكبرى وكانت الهجرة المباركة .

الهجرة إلى المدينة المنورة : وكانت هذه هي الخطوة الهامة في حياة الرسول عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم ، وجاءت بعد أن أدرك عليه السلام أن الكفار يريدون إطفاء نور الله ويتدابرون من أجل قتله إلا أن الأمر كان تدبره يد القدرة الألهية وصدق الله « **ويعكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » (١)

وخرج عليه السلام وأصحابه إلى المدينة مهاجرين إلى الله بدينهم فأصبح لهم بالهجرة هيكل اجتماعي ووجود دولي « وصارت لهم بها وحدة لها شعارها الخاص ونظامها الخاص وهدفها الخاص وقيادتها الخاصة وصار لهم جوار غير الجوار الأول عقدوا معه معاهدة الأمن وعدم الاعتداء، وبهذا وذاك كملت لهم عناصر الوجود الدولي فيما بينهم بعضهم مع بعض بتشريعاتهم الداخلية، وفيما بينهم وبين غيرهم بتشريعاتهم الخارجية. » (٢)

(١) سورة الانفال ، آية ٣٠ .

(٢) عبدالفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩ م ، ط ١ ، ص ٥٣٤ .

وكان لهذا الكيان الجديد ثقله ووزنه في مجرى الأحداث العالمية المحيطة به فغيرها وبدلها ، بل غير من خريطة العالم فزالتماليك ، وتهاوت عروش ، ودانت دول لدولة الإسلام ، وما كان لمثل هذه التغيرات والتحويلات أن تحدث وينجح فيها الوجود الإسلامي ويحوز قصب السبق في مضمار الدعوة إلى الله وكسب الآخرين وإضافة مجتمع جديد إلى المجتمع الإسلامي ، ما كان ليحدث كل هذا إلا لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة استطاعت بقيادة نبيها عليه السلام أن تمتلك كل مقومات الوجود الدولي سياسية وتشريعية وفكرية وتطبيقية.

ومن هنا بدأت قواعد الدولة تظهر ودعائهما تقوى ومعتنقوها يزدادون ويدافعون عنها بالمال والسلاح، كل هذا بعدما كانوا لا يأمنون على أنفسهم وحياتهم . يقول العلامة أبو السعود في بيان حالتي الأمن والخوف (١) « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بعشر سنين بل أكثر خائفين ، ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسكون كذلك حتى قال رجل منهم : ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ؟ فقال عليه السلام : لا تعبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في المأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة . فأنزل الله عزوجل هذه الآية « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حالة يخافهم كل من عداهم . »

وبعد أن استقر الحال لدولة الإسلام في المدينة كان لا بد من تأمين حدودها وخاصة القريبة والتي يخشى أن تكون مصدراً للقلق ومكاناً للتحرش بالمسلمين فكان لا بد من فتح مكة والذي جاء تتويجاً لهذه الأمانة ، وفتحها سقط أكبر معقل للوثنية فدخل الناس بعدها في دين الله أفواجا، وتحقق بهذا الفتح وجود متكامل وكيان قوي ودولي لأمة الإسلام وإن كان هذا الوجود قد بدأ يظهر وبشكل واضح بعد صلح الحديبية، وحين كان عليه السلام يرأس الملوك والزعماء ليناشدهم ويدعوهم إلى دين الله ، وإتاحة الفرصة امام الإسلام أن ينتشر ويأخذ طريقه إلى شعورهم « ولما كانت الأمة الإسلامية مكلفة بحمل الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة ، كان لزاماً على المسلمين أن يتصلوا بالعالم اتصالاً واعياً لأحواله مدركاً لمشاكله عالمياً بدوافع دوله وشعوبه متابعاً الأعمال والخطط والمناورات السياسية التي تقوم بها هذه الدولة .» (٢)

ومن هنا نصل إلى القول إن منهج الإسلام في تحديد علاقة المجتمع المسلم بغيره يقابل كل عصر بما يناسبه ويتدرج مع أطوار الدعوة فيلزم المؤمنين في كل مرحلة بسلوك خاص تجاه المعتدين إلى أن يستقر الأمر وتطمئن النفوس ويقوى دين الله . ومع هذا فهو يأمر بالصفح والسلم والصبر على الأذى والتعاون مع الآخرين ولذا نجد أن المسلمين لم يأمروا بالقتال إلا بعد أن زاد طغيان وظلم المشركين . . . المستمر
للدولة والدعوة « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .» (٣)

(١) المرجع السابق ص ٥٣٦ .

(٢) سميح عاطف الزين ، السياسة والسياسة الدولية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني العالمي ، ١٩٨٧م ، ط ٣ ، ص ٩٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٩٠ .

وقال سبحانه «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» (١)

لماذا سيطرت القوى الخارجية على الأمة رغم أنها تملك كل أسباب القوة؟

الأمة الإسلامية أمة لا يمكن أن يرتفع شأنها إلا بدينها ، وعلى مر التاريخ لم يعهد لها نصراً وقوة إلا بالإسلام وتعاليمه ، هذا رغم أنها مرة ترفع ويعلو شأنها ومرة أخرى يقل شأنها وهذا يحدث بمقدار قربها أو بعدها عن دينها ، ولكنها لم تشهد انتكاسه أو ضعفاً أسوأ مما هي عليه اليوم من ذل وهوان وتبعية رغم أنها أمة تملك كل مقومات العزة والتمكين ، فمن حيث المال لديها أعلى الثروات من نفط وزراعة ، ومن حيث العدد هي كثيرة وتبلغ مئات الملايين ، ومن حيث العقيدة فهي تمتلك آخر الأديان ودعوته واضحة وتدعو إلى التقدم والعلم ولم تكن في يوم ما سبباً في تأخرهم كيف يكون هذا وقد حوّل العرب من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد .

إذن يا ترى ما الأسباب التي جعلت هذه الدولة ضعيفة ومتأخرة في أغلب المجالات المادية ولا تملك قرارها؟

إن الإجابة عن مثل هذا السؤال تحتاج إلى مقرر مستقل حتى يمكن أن نفي الموضوع حقه ولكن سوف يتم التركيز هنا على بعض هذه الأسباب والتي يمكن أن تقسم إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية (٢).

أولاً: - الأسباب الداخلية :-

(١) البعد عن المنهج الإلهي :-

إن أسباب الارتقاء والتقدم والاستقلال بالنسبة للمسلمين يتمثل في الالتزام بجوهر العقيدة وأى خروج عن هذا المنهج هو خروج إلى عالم التبعية .

(٢) الجهل :-

يجب الاعتراف أن العالم الإسلامي يعيش اليوم في حالة تخلف علمي في مختلف المجالات والسبب واضح وهوانهم لم يبحثوا عن أسباب النهوض والتقدم ولم يأخذوا بالأسباب التي أخذ بها غيرهم من الدول والشعوب.

(٣) ضعف الحماس للعمل :-

وهذا الضعف نتج عنه اليأس والإحباط لدى الكثير من المسلمين وخاصة جيل الشباب الذي يعاني من البطالة والأزمات الاقتصادية إلى جانب أن هذا الضعف وُلد أيضاً الاتكال على الآخرين وجعل المجتمعات المسلمة مجتمعات مستوردة ومستهلكة .

(٢) سورة التوبة ، آية ٣٦ .

(٣) رجع الباحث إلى :-

- توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، مرجع سابق .

- شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، القاهرة ، دار اليسير للطباعة والنشر ، د.ت ، ط.٠

- سميح عاطف الزين ، السياسة والسياسة الدولية ، مرجع سابق .

٤) وهن القلب :-

ونج عن هذا الوهن ضعف في الشخصية المسلمة فخاف معظم الناس على أرزاقهم وحياتهم فهادنوا الكثير من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي هي في الواقع دخيلة على المجتمع ، ومبدأ السقوط من الداخل له آثار سلبية على الأمم وتقدمها ، وكثيراً ما يوجه القرآن النفوس الى ذلك بقوله وإشاراته ودلالاته ومما قاله عن الأمم السابقة « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم » (١)

٥) غياب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

وهذا الغياب أدى إلى الفوضى داخل المجتمع فلم يعد لكثير من القيم والمبادئ أي اعتبارات ولم يعد للإباء والوجهاء هبة واعتبار .

٦) سوء الاستغلال للإمكانيات المتاحة :-

يملك العالم الإسلامي ثروات اقتصادية وبشرية كثيرة ولكنها للأسف مهدرة ولا تستغل بالشكل المطلوب وأكبر مثال على ذلك هو النفط الذي هو المورد الهام يباع للدول الصناعية بسعر قليل ويعاد إلينا بطريقة أخرى وبأسعار عالية وكذلك الزراعة لم تستغل بالشكل المطلوب .

٧) انتشار الفساد والفوضى الإدارية :-

يعاني العالم الإسلامي من انتشار الفساد الإداري وعدم وضع الموظف المناسب في المكان المناسب ، وهذا أدى إلى توظيف الأقارب وأصحاب الوساطات بدلاً من أصحاب الخبرة والكفاءة .

٨) انتشار الأحقاد والعداوة بين المسلمين :-

وجاء هذا نتيجة الخلافات المستمرة التي زرعت داخل البلاد الإسلامية فالمتتبع يجد أن الأعداء خلقوا لهذه الخلافات ما يبررها ، خذ مثلاً مشاكل الحدود بين هذه الدول لن تجد دولتين متجاورتين إلا بينهما خلاف حدودي بل إن بعض الدول تعادي كل الدول المحيطة بها ، وهذا ولد عند مواطني كل دولة حقداً على الدولة الأخرى بسبب هذه الخلافات المصطنعة والوهمية .

٩) الاهتمام بالجزئيات تفكيراً وعملاً بدلاً من الاهتمام بالأهداف العامة والمقاصد العليا للإسلام فقد لجأ الكثير من المسلمين إلى إثارة الخلافات الطائفية والمذهبية البسيطة وعقدوا لها الندوات وألّفوا الكتب ، وشغلوا أنفسهم بقضايا خلافية لا تخدم الأمة وأهدافها العليا ونتج عن ذلك ابتداع في الدين وجمود في الدنيا .

١٠) وجود تنافر وعدم انسجام بين أبناء المسلمين في داخل البلد الواحد وجاء هذا الخلاف نتيجة وجود مدارس فكرية متعددة داخل المجتمع المسلم خاصة بعد الانفتاح على العالم الخارجي وسفر الكثير من الدارسين إلى الخارج فجاء فريق يدعو للعلمانية وفريق يدعو للاشتراكية ، وفريق يدعو إلى التقريب وهكذا تعددت أفكار الأمة وهذا ولد خلافاً شديداً داخل المجتمعات الإسلامية وأثر بالتالي على مجريات الحياة المختلفة .

(١١) فساد أغلب الأغنياء والمسؤولين وهذا أدى إلى تبذير الأموال في غير محلها وجعل الفقراء يشعرون بالإحباط واليأس مما دفع الجميع إلى التسليم بالأمر الواقع، فالكثير من الأغنياء والمسؤولون يزدادون عبثاً وسفهاً بالمال العام والفقير يزداد فقراً وإحباطاً وينتج عن هذا تبدل التفكير والإبداع لدى الطرفين الأول من التخمّة والثاني من الجوع .

هذه بعض المظاهر الداخلية التي أدت إلى التخلف وضعف العالم الإسلامي وبقي هناك الكثير ، ولكن المجال لا يتسع هنا وقد استغلت هذه المظاهر من قبل الكثيرين ، والبعض استغله استغلالاً سيئاً وربطها بالإسلام واعتبر أنه هو السبب في تخلف المسلمين وتأخرهم وهؤلاء أعماهم الحقد والكراهية ، ولو بحثوا عن الحقيقة لوجدوا أن الإسلام يرفض كل هذه المظاهر ويعتبرها مخالفة لقواعده ومبادئه السامية التي تدعوا إلى العلم والتقدم والتطور والأخذ بالأسباب في كل مجالات الحياة ، ويمكن القول « إنه كان هناك قصوراً متعمداً في فهم الإسلام وشمل عدداً من المفاهيم والقضايا كما كان هناك إصراراً واضعاً على إضاعة تراثنا وعقيدتنا والخروج عليها ومخالفتها ، وكان هناك لفت لهذه الأمة عن طريقها المستقيم حتى لا تستيقظ من سباتها العميق ونومها الطويل.» (١)

ثانياً : الأسباب الخارجية التي أدت إلى تخلف المسلمين :-

هناك الكثير من العوامل الخارجية التي أدت إلى ضعف المسلمين وتخلفهم ولعل من أهمها :-

- الاستعمار العسكري :- (٢)

بعد انتهاء الحروب الصليبية ببضعة قرون فكرت أوروبا في بداية القرن السابع عشر العودة إلى القوة العسكرية لتحمي غزوها الفكري وترعاه بقوة السلاح ، ثم لتحقيق أهدافها الاقتصادية ونهب خيرات المسلمين وشهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قمة هذا الغزو فقد تقاسمت فرنسا وبريطانيا العالم الإسلامي ، ولم ينجوا من الاحتلال العسكري إلا الجزيرة العربية (٣) وأفغانستان .

- الغزو الثقافي :-

وجاء تحت مسميات كثيرة منها الاستشراق والتبشير والتبادل الثقافي والتغير الاجتماعي وكان الهدف منه هو القضاء على التراث العلمي والحضاري للأمة الإسلامية ، وجعلها أمة تابعة في الفكر والعقيدة ، وقد استطاع هؤلاء أن يحققوا جزءاً كبيراً من أهدافهم في هذا المجال خاصة عن طريق تلاميذهم من أبناء المسلمين وكان من مظاهر هذا الغزو هو محاربة التعليم الديني واللغة العربية وكل المظاهر التي تمت إلى الإسلام بصلة وكان هذا الأمر واضحاً خاصة في تركيا التي تأثرت تأثراً واضحاً بالغرب.

- إسقاط الخلافة الإسلامية :-

وكان لهذا السقوط مقدمات وأهداف، فأما المقدمات فقد تمثلت في إشاعة الفوضى والعصبية القومية داخل دولة الخلافة وقام بذلك حزب الإتحاد والترقي وأيضاً شاعت القومية العربية في البلاد العربية . (٤)

(١) توفيق الواعي ، المرجع السابق ، ص ٧٨٨ .

(٢) علي جريشة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٩٠م ، ط٣ ، ص ٣٤ .

(٣) وأيضاً لم تنتج كل الجزيرة العربية فقد احتلت بريطانيا جزءاً من اليمن ، ولم تغادره إلا عام ١٩٦٧م .

(٤) القومية العربية قادها ميشيل عفلق «زعيم البعث العربي الاشتراكي» أنطون سعادة «زعيم القوميون السوريين وغيرهم .

وأيضاً من العوامل التي ساعدت على سقوط الخلافة الإسلامية احتلال أجزاء من دولة الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى عندما كانت حليفة لمانيا ، وسبق ذلك إعداد سياسي خارجي في عدة اجتماعات لبحث « المسألة الشرقية » ولتقسيم أسلابه وميراثه (١).

كما تم اختيار الرجل المناسب لذلك وهو « مصطفى كمال أتاتورك » الذي أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية واستبدل ذلك بالدولة العلمانية ، وأما أهم أهداف إسقاط الخلافة فكان القضاء على الإسلام كعقيدة وشريعة وإبقاء المسلمين مذبذبين ويحملون أكثر من فكرة ومبدأ ، وكذلك تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات وإمارات صغيرة لا تقوى على حماية نفسها ناهيك عن قيامها بواجب نشر الدين والدعوة وحمايته إذا تطلب الأمر ذلك .

ويبقى السؤال هنا : من المستفيد من سقوط الخلافة الإسلامية ؟ هذا سؤال يحتاج إلى بحث وإجابة من قبل المهتمين والباحثين .

- التقليد الأعمى لكل ما هو أجنبي :-

وشمل هذا التقليد الفرد والأسرة والمجتمع وجاء نتيجة للإحباط والعجز الذي أصاب المسلمين من مشاهدة حالة الغرب المادية وتقدمهم في المجالات العلمية وبين مشاهدتهم لحال العالم الإسلامي المؤسفة ، وأخطأ هؤلاء بتمردهم على عقيدتهم وجريهم خلف حضارة الغرب دون إدراك ووعي لما تحويه الحضارتان الإسلامية والغربية من مضامين وأهداف .

- نقل القوانين الأوروبية إلى البلاد الإسلامية :-

وجاء هذا النقل نتيجة لشعور الكثير من الحكام المسلمين بالتبعية للغرب أو الشرق وكرروا ما قاله لهم الأعداء أن الشريعة الإسلامية لا تصلح للعصر الحاضر وأن المجتمعات الإسلامية إذا أرادت التقدم عليها نبذ الدين ونقل كل ما هو غربي والاقتصار على جعل الدين مجرد علاقة بين الإنسان وربه ولا صلة له بالحكم والدولة ، وقاسوا هذا الأمر على المسيحية المحرفة التي تفصل بين الدين والدولة، ونتيجة لاستبدال تلك القوانين ظهر في العالم الإسلامي ما يسمى بمصطلح « العلمانية » التي تعني فصل الدين عن الدولة .

- استنزاف خيرات العالم الإسلامي :-

وابتداء الاستغلال الاقتصادي لهذه الخيرات من بداية الاحتلال العسكري وأصبح العالم الإسلامي مجرد مزرعة كبيرة تنتج المواد الخام اللازمة للصناعة الغربية ، ويعاد تصديرها إلينا مرة أخرى ولكن على شكل سلع ومواد أساسية وكمالية وبأسعار مرتفعة .

هذه بعض الأسباب الخارجية التي كان لها دوراً واضحاً في تخلف العالم الإسلامي ولا نقول إنها هي وحدها السبب في ذلك وإنما اجتماع الأسباب الداخلية والأسباب الخارجية هي التي أدت إلى هذه الحالة من الذل والضعف والتبعية ويبقى سؤال ما المخرج من كل ذلك؟

هذا السؤال يحتاج إلى تفكير وإجابة من كل قارئ وبحسب وجهة نظره .

ما الحد المسموح به للاستفادة مما عند الآخرين :-

إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له في ضوء ما يحل وما يحرم فحسبنا آيتان من القرآن الكريم جديرتان أن تكونا دستوراً ومنهجاً جامعاً بهذا الخصوص ، قال تعالى « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حل لهنم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن ولا تمسكوا بعواصم الكوافر وستلوا ما أنفقتم وليستلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » (١)

فالأية الأولى لم تكتفِ بالترغيب بالعدل والإقسط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يشاركوا في قتالهم ولم يساعدوا على إخراج المسلمين من ديارهم - أي أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين المسلمين - بل دعت الآية وحشنتنا على برهم والإحسان إليهم و البر كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه فهو أمر فوق العدل وهي الكلمة التي يعبر بها المسلم عن أوجب الطاعات عليه نحو والديه ولذلك نقول «برالوالدين» ، وجاءت هذه الآية لتزيل ما كان في أذهان المسلمين من تصور يقوم على أن المخالف في الدين لا يستحق البر والإحسان ولا المعاملة في أي مجال من مجالات الحياة ، وإذا كان الإسلام يحث على البر والإحسان والتعامل مع المشركين والوثنيين - وهم مشركو العرب الذين نزلت بشأنهم الآيتان السابقتان - فمن باب أولى أن يسمح ويحث على التعامل مع أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى سواء كانوا في الدولة الإسلامية أو خارجها ، فالقرآن يناديهم به « أهل الكتاب» : وهذه إشارة إلى أنهم يحملون تبعات دين سماوي ولذا بينهم وبين المسلم صلة رحم وقرية تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به جميع الأنبياء عليهم السلام ، والمسلمون مطالبون بالإيمان بجميع الكتب والرسول ولا يكتمل إيمانهم إلا بذلك . (٢)

وبناءً على ذلك فقد سمح لنا الإسلام بالتعامل مع أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم وأباح لنا كذلك الأكل والجلوس معهم قال تعالى « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » وما سبق هو في حق أهل الكتاب عامة ، أما النصارى الذين لا يتكبرون عن دين الله فقد أثنى عليهم **القرآن** واعتبرهم أقرب مودة للذين آمنوا (٣) وهذا الكلام يشمل أهل الكتاب حيث كانوا ومن باب أولى المقيمين في ظل الدولة الإسلامية ويسمون « أهل الذمة » والذمة معناها العهد ، وهم بالتعبير الحديث « مواطنون » أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة فإن

(١) سورة الممتحنة . الآيتان . ٩-١٠ .

(٢) هذا الكلام له أدلة كثيرة في القرآن ومن ذلك الآية ١٣٦ من سورة البقرة .

(٣) هذا الكلام إشارة إلى الآية ٨٢ من سورة المائدة .

الإسلام يتركهم وما يدينون (١) ومما قاله عليه السلام من الوصايا في حق هؤلاء «ومن آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» وقد يتساءل البعض كيف يتم هذا التعامل ويتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين والقرآن يحذرنا وينهانا عن مودتهم واتخاذهم أولياء في مثل قوله «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولاهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ويقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين» (٢) والجواب : إن هذه الآيات ليست على إطلاقها ولا تشمل كل يهودي أو نصراني أو كافر ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوص الأخرى التي شرعت مودة أهل الخير والمعروف من أي دين كانوا والتي أباحت مصاهرة أهل الكتاب واتخاذ زوجة كتابية منهم مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها «وجعل بينكم مودة ورحمة» (٣)

وقوله في النصارى «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى» (٤) ، إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام ومحاربين للمسلمين فلا يحل لمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم - وهو معنى الموالاة - واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته» (٥)

وهذا الجواب صحيح ولكن يلاحظ اليوم أن عداوة النصارى واليهود للمسلمين قد زادت واستفحلت وظهرت بوادرها في كل مكان وعلى كل مجال فهم يحاربون عسكرياً عندما يتاح لهم ذلك، ويحاربون مادياً عندما يتاح لهم ذلك، ويغزون ثقافياً وفكرياً عندما تتاح لهم الفرصة وهم بالجملة يناصرون علينا كل عدو وحاقد، ولم يبقوا أي معروف ورحمة ومودة بيننا وبينهم، فكيف يكون تعاملنا معهم وما الحد المسموح به لذلك، خاصة أنهم يتفوقون علينا في أغلب المجالات المادية التي نحن بحاجة إليها فعلاً؟ والجواب باختصار : أنه يجب علينا أن نستفيد منهم بقدر احتياجاتنا ونأخذ منهم ما لا يتعارض مع عقيدتنا وعلينا جميعاً أن ندرك أننا بحاجة إلى معرفة أسرار صناعة الطائرات والدبابات والحاسب الآلي ولسنا بحاجة إلى معرفة فنون تصفيف الشعر وطريقة الأكل واللبس وغير ذلك من الأمور الثانوية التي نقول إنها ليست حراماً ولكن نقول إن هناك أولويات يجب علينا أن نهتم بها وعلينا جميعاً أن نشعر أننا أمام حرب غير معلنة وتحدي معلن فمتى نكسب الرهان والتحدي ؟ بالطبع لن يكون ذلك قبل أن ندرك أسرار التقدم العلمي والمادي الذي وصلوا إليه ونأخذ به كما أخذوا ونسأل الله أن يكون ذلك قريباً .

ويبقى السؤال الأخير في هذا الموضوع وهو : ما الكيفية التي يجب أن تكون عليها هذه العلاقة؟

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ٥١ - ٥٢ .

(٣) سورة الروم ، آية ٢١ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٨٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

من رحمة الله بعباده أنه لم يلزم المسلمين بطريقة معينة للتعامل مع غيرهم وإنما حدد لذلك قواعد وأصولاً وترك الفروع للمسلمين ليجتهدوا فيها بما يحقق مصلحتهم فلهم الحق في إنشاء المعاهدات وعقد الاتفاقيات مع غيرهم بقصد التحالف الحربي والتعاون المشترك في أي مجال من مجالات الحياة المختلفة ، إذا كان ذلك يحقق مصلحتهم ومصلحة الإسلام لأن الحرب في نظر الإسلام هي علاج مؤقت لبعض الحالات الخاصة ، ولبعض الأوضاع غير المستقرة (١) قال تعالى « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقد عاهد عليه السلام يهود خيبر وبنو النضير حينما وصل المدينة ، كما عقد عليه السلام مع مشركي قريش معاهدة الحديبية سنت ست للهجرة بقصد وقف القتال لفترة محدودة وكان من شروطها عودة المسلمين في هذا العام دون أداء العمرة على أن يرجعوا في العام الثاني لتأدية العمرة وبالجمله فإن أي اتفاق أو إقامة علاقة كالعلاقات الدبلوماسية القائمة اليوم أو معاهدة تعقد بين المسلمين وغيرهم يجب أن تتوافر فيها ثلاثة شروط هي : (٢)

(١) أن لا يكون في الاتفاق أو المعاهدة مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وعليه فكل شرط يبيح حرمة الشخصية الإسلامية أو يفتح باباً للأعداء ينفذون منه للإغارة على المسلمين أو تتضمن بنداً يحمل على الانتقاص من شأن المسلمين أو تفريق كلمتهم فهو غير معتبر شرعاً .

(٢) أن يكون الاتفاق أو المعاهدة قائماً على التراضي بين الطرفين قياساً على عقود المفاوضات المادية فإذا كانت المعاهدة نتيجة ضغوط دولية أو إجبار فلا قيمة حقيقية لها .

(٣) أن يكون الاتفاق أو المعاهدة بين الأهداف واضحة العبارة ولا تحمل التأويل أو التفسير، أما إذا كانت بعض العبارات غامضة أو تحمل التلاعب فلا قيمة لها شرعاً لأنها قائمة على الغش والخداع .

(٤) ألا يخل الاتفاق أو المعاهدة أو العلاقة بأمن الدولة المسلمة وهذا الشرط مهم خاصة في هذا العصر، لأن الدول القوية تملي على الدول الضعيفة شروطاً تخل بأمنها وتضر بمصلحتها العليا وهذا الأمر واضح .

فإذا توفرت هذه الشروط على هذه الكيفية وبهذه الصورة جاز للمسلمين الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات والوفاء بمضمونها وشروطها طبقاً لقوله تعالى «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» (٣) ومن هنا نلاحظ أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم يجب أن تكون قائمة على أساس تحقيق مصلحة المسلمين وتأمين مسيرة الإسلام ورفع الظلم عنهم منطلقين في ذلك من الإيمان بالله وعزة النفس وقوة في العدد والعدة مستفيدين مما قاله ربي بن عامر عندما أرسل إلى رستم قائد الفرس في معركة القادسية عندما سُئل ما السبب الذي جاء بجيش المسلمين وقال له عبارته المشهورة والتي تدل على العزة والكرامة « إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعة ، ص ٤٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧٤ وما بعدها .

(٣) سورة المعارج ، آية ٣٢ .

الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبي قاتلناه حتى نقضى إلى الجنة أو الظفر « (١) ولا يفهم من هذا الكلام أن الإسلام يجبر أحداً على اعتناقه - لان هذا يتناقض مع ما سبق وقلناه - ولكن الموقف من ربي رضي الله عنه كان يستدعي هذه القوة وهذا الطرح ، وإلا فالإسلام يدعو أولاً إلى الإسلام ثم الجزية ثم القتال .

الموضوع الثالث : ويتناول أهم المقومات التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام :-

تعريف النظام الاقتصادي بوجه عام ، والإسلامي بوجه خاص :-
يعد علم الاقتصاد من العلوم الحديثة إذا ما قورنته ببقية العلوم الأخرى فلم تبدأ دراسته إلا بعد أن أصدر المفكر البريطاني آدم سميث كتابه « ثروة الأمم » عام (١٧٧٦م). وإن كانت بعض المصادر تشير إلى أن العالم المسلم ابن خلدون قد سبق هذا المفكر حيث ورد في مقدمته بعض الأفكار والظواهر الاقتصادية التي كانت قائمة في القرن الرابع عشر الميلادي ، لكن كتابته لم تحظ بالاهتمام الذي حظي به بقية المفكرين . (٢)

وسبق ابن خلدون أيضاً بعض العلماء الذين تحدثوا عن الخراج والفيء والزكاة والميراث والجزية وغير ذلك بلغة اقتصادية واضحة ومن هؤلاء القاضي أبو يوسف الذي كتب كتابه المعروف « الخراج » وكان بناء على طلب من الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد تحدث فيه عن البرنامج المالي للدولة من إيرادات ونفقات وبين فيه الكثير من القواعد والأسس الأخلاقية التي يمتاز بها النظام الاقتصادي في الإسلام (٣).

وعلى الرغم من حداثة هذا العلم إلا أنه حظي باهتمام واسع من قبل الكثير من الخبراء ورجال الأعمال والدول وأصبح مؤشراً هاماً على تقدم الشعوب والدول وأرتبط بالكثير من العلوم والمعارف ، ويُعرف الاقتصاد الوضعي بعدة تعريفات منها أنه : « دراسة كيفية تخصيص الموارد الاقتصادية النادرة أو المحدودة ذات الاستعمالات البديلة لإنتاج سلع وخدمات مختلفة بقصد أقصى إشباع لرغبات المجتمع المتعددة » (٤).

(١) محمد فخر الدين ، تاريخ الفتح الإسلامي في عهد الرسول عليه السلام ، وعصر الخلفاء الراشدين ، وبنو أمية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، د.ت ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) اعتمد الباحث في إعداد هذه المحتويات على المقرر القائم بشكل كبير لأن هذا الموضوع حاز على تقدير عالي جيداً لدى كل من الباحث وزميله عند إجراء عملية التحليل التي تمت للمحتوى القائم وهذا يعني أنه يستحق أن يضمن في المنهج المقترح .

(٣) أبو القاسم عمر الطبولي وزميله ، أساسيات الاقتصاد ، مصراته ، ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٨٩م ، ط ٤ ، ص ١١ .

(٤) رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الإسلامي المرتكزات ، التوزيع ، الاستثمار ، النظام المالي ، قطر ، كتاب الأمة من منشورات رئاسة المحاكم الشرعية ، ١٤١٠هـ ، ط x ، ص ١٤٨ .

عناصر الإنتاج :-

وتتلخص هذه العناصر في أربعة مصادر هي :-
 - الموارد البشرية :- ويقصد بها القوى العاملة في المجتمع ، وتعتبر أهم مصدر .
 - الموارد الطبيعية «الأرض» :- وتمثل في الأراضي الزراعية والمعادن والثروات النفطية والمائية وغيرها .

- رأس المال :- ويقصد به المعدات ، والمصانع والمباني والآلات التي يملكها المجتمع ولها دور في عملية الإنتاج .

- التنظيم :- ويقصد به جمع وتنسيق عناصر الإنتاج المختلفة واستخدامها في العملية الإنتاجية .
 والاقتصاد الوضعي يشير إلى أنه توجد مشكلة اقتصادية وتتلخص في أمرين هما :-
 أولاً :- أن الموارد الاقتصادية نادرة أو محدودة حيث إنها لا تتوافر بكميات تكفي لإنتاج كل السلع والخدمات المرغوب فيها .

ثانياً :- أن الرغبات المادية للإنسان غير محدودة أي أن رغبات المستهلكين في الحصول على السلع والخدمات المختلفة هي رغبات غير متناهية .

ويقسم هؤلاء أيضاً الدراسات الاقتصادية إلى قسمين رئيسيين هما :-

القسم الأول :- ويطلق عليه الاقتصاد الجزئي :-

ويتناول دراسة سلوك المستهلك وكيفية اتخاذ قراراته الاستهلاكية وتوازن السوق والعوامل المختلفة التي تؤثر في هذا التوازن .

القسم الثاني :- ويطلق عليه الاقتصاد الكلي :-

ويتناول الاقتصاد القومي في مجموعه ويتمثل في دراسة مستوى الأداء، أو النشاط الاقتصادي في المجتمع، مثل الناتج أو الدخل أو الإنفاق القومي ومستوى التوظيف، أو البطالة والمستوى العام للأسعار والتجارة الخارجية للدولة . (١)

والباحث في مجال الاقتصاد الوضعي يجد أنه قد برز نظامان رئيسيان من الناحية النظرية وهما :-

(١) النظام الرأسمالي :-

وهو من أقدم النظم الاقتصادية المعاصرة ويتميز هذا النظام بحرصه على الملكية الفردية أو الملكية الخاصة لأدوات الإنتاج ، وحرية الشخصية والربح كحافز لسن القوانين أو كمحرك لعملية الإنتاج ، كما يمتاز بحرية اختيار النشاط الاقتصادي للأفراد ، ومهمة الدولة هنا سن القوانين وقبض الضرائب التي تفرضها على كل الأنشطة، ونتج عن هذا النظام الكثير من المساوئ التي أضرت بالفقراء والمعدمين، فزاد الغني غنى والفقير فقراً، بسبب الاحتكار الفردي كما أدى إلى سوء توزيع الثروة، وفتح المجال للكسب دون جهد يبذل ولم يهتم بالجانب الإنساني في الحياة .

(٢) النظام الشيوعي أو الاشتراكي : - (١)

ويقوم على عدة أسس منها : - إلغاء الملكية الخاصة وإحلال الملكية العامة بدلاً منها - الاعتماد على التخطيط - العدالة في التوزيع - عدم الاعتراف بالريح كحافز على الإنتاج وقد تعرض هذا المذهب لكثير من الانتقادات ، وقد سقط النظام بأكمله مؤخراً ولم تعد أية دولة تأخذ بهذا النظام بشكله الكامل .

النظام الاقتصادي في الإسلام : -

الاقتصاد لغة : - القصد أي التوسط والاعتدال ومنه قوله تعالى « واقصد في مشيك » أي إمشي بلا تكبر ولا ذلة هذا هو الاعتدال .

ويقال : اقصد في النفقة: أي صرف بلا إسراف ولا تقصير ومنه قوله عليه السلام « ما عال من اقصد » (٢) أي ما افتقر من لم يسرف ولم يُقتَر .

أما تعريف الاقتصاد الإسلامي من الناحية الاصطلاحية : - فلم يبدأ التفكير فيه إلا مؤخراً عندما انتشرت المذاهب الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية ولازال هذا المصطلح يتنامى ويفسر يوماً بعد يوم ، خاصة بعد أن اتجه الكثير من الكتاب المسلمين للكتابة حول هذا الموضوع وقد عرف بعدة تعريفات منها : -

- « أنه المذهب الاقتصادي الذي تتجسد فيه الطريقة الإسلامية في تنظيم الحياة الاقتصادية » (٣)
 - « هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقاً لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية » (٤)
 - « هو العلم الباحث والمنظم لكل ما يتعلق بموارد الثروة والكسب والإنتاج والاستثمار والادخار والتوفير والانتفاع بالخدمات ونحو ذلك من النشاطات اليومية المالية والمعيشية في ضوء الإسلام » (٥)
 ولا يعني أن هذه التعريفات هي التي أوجدت الاقتصاد الإسلامي لأنه موجود وقديم قدم الإسلام نفسه الذي جاء كدين شامل وكامل لكل نواحي الحياة ، وما جاء به من أصول وقواعد لتنظيم الحياة الاقتصادية وهي صالحة لكل زمان ومكان وتلبي احتياجات العصر وتكفل للناس معيشتهم وإنما هي بحاجة إلى تنظيم وتأهيل حتى يسهل دراستها وتطبيقها في الواقع العملي ، ومن ميزات هذا النظام أنه يتكون من أصول وقواعد لها جانبان هما : -

جانب ثابت : - يتعلق بالمبادئ والأصول الاقتصادية الواردة في القرآن والسنة، مثال ذلك ما يتعلق بالميراث وتوزيعه ، والربا وتحريمه ، فهذه أمور اقتصادية ثابتة لا يمكن لأحد أن يتدخل فيها بالإضافة أو الحذف .

(١) أبو القاسم عمر الطبولي وزميله ، أساسيات الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص ٢٥ - ٣٨ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٩م ، ط١ ، ص ٩ .

(٤) محمد شوقي الفنجري ، مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق تصدر عن رابطة العالم الإسلامي في

مكة ، العدد ٢٧ ، ١٩٨٤م ، ط١ ، ص ١٨ .

(٥) حسن أبو غدة ، النظام الاقتصادي في الإسلام ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، د.ت ، ط١ ، ص ٢ .

جانب متغير : - ويتعلق بالتطبيق ، أي كيفية أعمال الأصول الاقتصادية الإسلامية في مواجهة مشكلات المجتمع المتغيرة ، إلى جانب بعض الجوانب الاقتصادية الحديثة التي يمكن أن تحقق مصلحة الأمة مثال ذلك : - إنشاء البنوك الإسلامية والشركات التي تقوم على قواعد الإسلام وهذا الجانب يحق فيه للمجتهدين والباحثين البحث فيه وتطويره بما يناسب المكان والزمان .

الخصائص التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي :-

يقوم الاقتصاد الإسلامي على الكثير من الخصائص والقواعد التي تميزه عن باقي النظم الاقتصادية الأخرى ومن تلك الخصائص ما يلي :-

- أنه نظام رباني : - وهذا يعني أنه مرتبط بنظام الإسلام العام ، بل هو جزء من هذا النظام ، وكونه ربانياً فهذا يبعده عن الهوى والمزاجية التي تعترى الكثير من الأنظمة البشرية القائمة اليوم ، والتي غالباً ما ترتبط بفترة الحاكم ورغباته ، لذا لا غرابة أن تجد التغيير المستمر في الكثير من الأنظمة والقوانين .

- أنه نظام مرن :- وهذه المرونة واضحة من قبوله للكثير من المبادئ والنظم الاقتصادية الحديثة التي يكون فيها فائدة للأمة ولا تعارض لمبادئ الإسلام العامة .

- يعد المال مال الله والبشر مستخلفون فيه قال تعالى « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » (١) وقوله سبحانه « **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** » وهذا يجعل الفرد يشعر بعظمة المسئولية والأمانة التي يحملها ، فيؤدي حق هذا المال من خلال الزكاة المفروضة ، والصدقات ، والهبات للمساكين والفقراء .

- ضمن هذا الاقتصاد للفرد حد الكفاية له ولمن يعوله ، ولذا اعتبر المولى أن من مواصفات من يكذبون بالدين أنهم لا يرحمون اليتامى ولا يطعمون المحتاجين والمساكين وهذا تهديد ووعيد واضح قال تعالى « **أرأيت الذي يكذب بالدين** فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » (٢) وقوله تعالى « **والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » (٣) وقوله عليه السلام « **من ترك كلاً فليأتني فأنا مولاة** » (٤) ، أي من ترك ذرية ضعيفة فليأتني بصفتي ممثل الدولة ومسؤولاً عنه وإعانتة مالياً .

- أنه اقتصاد يسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع المسلم ، ومن توجيهاته في هذا قوله تعالى « **كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » (٥) بمعنى أنه لا يجوز أن يكون مال الأمة متداولاً بين فئة محدودة في المجتمع من ذوي النفوذ أو الحكام ومعاونيهم ، وقال عليه السلام في الزكاة « **تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم** » (٦) ، وهذا المبدأ يتفق مع ما تسعى إليه بعض الأنظمة تحت مسمى توزيع الثروة وتفتيتها .

(١) سورة الحديد ، آية ٧ .

(٢) سورة الماعون ، الآيات ١ - ٣ .

(٣) سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ - ٢٥ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک .

(٥) سورة الحشر ، آية ٧ .

(٦) أخرجه الشيخان في صحيحهما وهو جزء من حديث طويل عن معاذ بن جبل عندما أرسل إلى اليمن .

- أنه نظام مستقل : - وتعني الاستقلالية أنه لا يرتبط بأي نظام وضعي وقد أخطأ البعض ممن يحاولون ربطه بالنظام الاقتصادي الرأسمالي أو الاشتراكي لكونهم رأوا تشابهاً في بعض الجزئيات .
- أنه نظام فطري : - وهذا يعني أنه لا يناقض فطرة الإنسان ولا يتجاهل مقومات بقائه ومن ذلك أنه أباح له التملك والعمل ، ولكن بشروط منها : - ألا يغلب مصلحته على مصلحة المجتمع ، وأن يكون نشاطه مشروعاً ومباحاً .

- أنه يسعى إلى تحقيق التراحم والتعاون : - وهذا واضح من خلال تشريعاته المختلفة التي تحث في مجملها على التعاون والتراحم واعتبار أن المجتمع يرتبط بمبدأ الأخوة والتكافل ، وهذا واضح من خلال الممارسات العملية في الإسلام، وهذه الممارسة لم تقتصر على المسلمين فيما بينهم، بل شمل ذلك حتى غير المسلمين فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوجه باعتماد مرتب ليهودي وجده يسأل الناس ، وهذا عمر بن عبدالعزيز يقرر لكل فرد غير قادر على العمل ما يكفيه ومن يعول ، وقد بلغ الوضع الاقتصادي في عهده مبلغاً عظيماً حتى أنهم كانوا يبحثون عن من يريد مالاً فلا يجدون .

- أنه نظام يسعى إلى تحقيق تكافؤ الفرص : - فهو يتيح لجميع الأفراد قدراً متساوياً في فرص العمل وحياسة الممتلكات الإنتاجية منها والاستهلاكية، فلا يمنع فئة من عمل وبيعه لفئة أخرى .

- أنه نظام يرفض مبدأ الندرة أو قلة الحاجات التي يقول بها النظام الاقتصادي الوضعي ، ويقول إن العمل والإنتاج وكشف الثروات واستخراجها واستغلالها الاستغلال الأمثل كفيل بالقضاء على ظاهرة الندرة التي يقول بها هؤلاء وما توجد اليوم من ندرة وقلة موارد إنما هو بسبب الاستغلال السيء للموارد البشرية المتاحة ، فمثلاً لو حدث تكامل في العالم الإسلامي بين المال والأرض لاكتفى هذا العالم ذاتياً بل ويحقق طفرة اقتصادية واضحة ، فالمعروف أن بعض الدول تملك الأموال الكثيرة ولكنها تستثمرها خارج العالم الإسلامي، وتوجد دول تملك الأرض الخصبة والأيدي العاملة فلو حدث تكامل بينهما لتغير حال العالم الإسلامي إلى الأفضل ، ولكن غلبت على الكثير منهم الأنانية وكراهية الآخرين والانتقاص من قدرهم ، ومن يتعمق في دراسة قلة أو وفرة الحاجات يجد أن المولى سبحانه قد وازن ذلك موازنة عجيبة ، فمثلاً الهواء والماء يحتاج لهما الناس كثيراً لذا فهي كثيرة ومبثوثة في الكون ، لكن الجواهر والياقوت وغيرها قليلة في الكون ، لأن حاجة الناس لها محدودة لذا فهي قليلة ، ويكذب أصحاب نظرية الندرة النسبية لأن دولهم تحرق مئات الألوف من أطنان القمح والأرز وغيرها من الحاجات بسبب وفرة الإنتاج وحرصاً على عدم هبوط الأسعار فهذا تناقض عجيب أليس كذلك؟

- الاقتصاد الإسلامي يحترم الملكية الخاصة : - وهذا واضح في قوله تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (١) وقد حمى هذه الملكية وفرض التشريعات التي تعاقب كل من يعتدي عليها قال تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » (٢) وقوله عليه السلام « كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٣)

(١) سورة النساء ، آية ٣٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه .

- تحريم كل من الأنشطة الاقتصادية التي تقوم على الاستغلال والاحتكار : - ومن هنا حرم الربا قال تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » (١) وحرم أكل المال بالباطل والخداع قال تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢) وحرم الاحتكار والمغالاة في الأسعار .

- يسعى الاقتصاد الإسلامي إلى إقامة التنمية الاقتصادية الشاملة : -

ووردت بهذا الخصوص الكثير من النصوص قال تعالى « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (٣) أي كلفكم بعمارتها واستخراج خيراتها والسعي فيها ، وحث المسلمين على السعي والانتشار بعد أدائهم للصلاة قال تعالى « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٤) وبلغ من حرصه عليه السلام وحثه على التنمية الاقتصادية أنه قال « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يفرسها فليفرسها فله بذلك أجر » والفسيلة هي الشتلة التي لم تثمر بعد ، وفي هذا حث على العمل رغم إحساس الإنسان أنه لا يستفيد من ذلك لقرب أجله .

- يسعى الاقتصاد الإسلامي إلى ترشيد الاستهلاك والإنفاق : - ومن أجل ذلك حرم التبذير والإسراف قال تعالى « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » (٥) وكما نبه إلى وجوب الحرج على السفية الذي يبذر في ماله أو مال غيره خوفاً عليه من الهلاك، هذه بعض الخصائص التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي والتي ورد فيها بعض النصوص الدالة عليه من الكتاب والسنة وهي تمثل الجانب الثابت من الاقتصاد الإسلامي والتي لا يجوز الاختلاف فيها أو الخروج عنها ، لأن ذلك خروج عن جوهر الإسلام نفسه ويلاحظ على هذه الأصول والخصائص حسبما وردت بنصوص القرآن والسنة أمران أساسيان : -

أولهما : - أنها قليلة جداً عند مقارنتها بما تُرك للعلماء والباحثين للاجتهد فيه .

ثانياً : - أنها عامة تتعلق بالحاجات الأساسية لكل مجتمع .

وعليه يجب على الباحثين والمهتمين في هذا المجال البحث والكشف عن هذه الأصول والخصائص وعرضها وشرحها وبيانها بالصيغة المناسبة مع تغير الزمان والمكان حتى يعي الناس حقيقة دينهم وجوهره وأنه لم يكن مجرد فرائض تؤدي أو كلمات تتلى .

الملكية في الإسلام : -

يبيح الإسلام للإنسان أن يمتلك المال والعقار والأرض ولكن بشرط أن يكون هذا التملك بطريقة مشروعة ومباحة فلا يجوز للمسلم أن يحصل على ذلك عن طريق الربا أو المتاجرة بالأعراض أو التجارة بالمحرمات كالمخدرات والخمور ولحم الخنزير، أو بالمواد الفاسدة والمنتهية صلاحيتها، أو عن طريق ارتكاب الجرائم كالسرقة والرشوة أو القيام بضرب الآخرين أو الاعتداء عليهم مقابل مبلغ معين أو

(١) سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٨٨ .

(٣) سورة هود ، آية ٦١ .

(٤) سورة الجمعة ، آية ١٠ .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٢٧ .

القيام بقطع الطريق واحتجاز رهائن ليساوم بهم بمبالغ مالية معينة ، أو الغش واللعب بالأسعار واحتكار أقوات الناس حتى تنتهي من السوق ويقوم ببيعها بأسعار مرتفعة ، كل هذه طرق محرمة لايرضاها الإسلام ولا يعتبرها مصدراً من مصادر التملك .

وبالمقابل فقد أباح الإسلام للناس طرقاً كثيرة للكسب منها ما يأتي عن طريق الجهد الشخصي كالعمل في مجال التجارة المباحة بجميع أنواعها والعمل في الزراعة والصناعة واستخراج الثروات من باطن الارض وفتح الشركات والمصانع بشكل فردي أو جماعي وغير ذلك من الأعمال الكثيرة، ومنها ما يأتي من غير جهد شخصي كالميراث والوصية والهبة والعطية والنفقة التي تفرض للزوجة والأولاد، والملكية الخاصة حق لجميع الناس فهي للرجل والمرأة والطفل والشيخ ، ومطلوب المحافظة عليها وحمايتها من أي عدوان أو تمييز، خاصة فيما يتعلق بملكية بعض اليتامى والأطفال الذين قد تستغل حقوقهم من قبل ضعاف النفوس، ولا يعني أن الإسلام قد شرع التملك دون أن يقيد ويحدده بحدود بل إنه قد أوجب على صاحب المال الكثير من الواجبات والالتزامات حتى لا يحتكر هذا المال لوحده . لأن هذا ينافي خصائص الاقتصاد الإسلامي التي سبق الإشارة إليها - وهذا يعني أن على الفرد واجبات كثيرة منها النفقة على الزوجة والآباء والأبناء ، وعليه أيضاً إعطاء الفقراء والمساكين ما يسد حاجتهم عن طريق الزكاة والصدقات وبناء المستشفيات والمدارس وإصلاح الطرق وحفر الآبار وبناء المساجد، وغير ذلك من أعمال البر والخير التي يجب على رأس المال المسلم أن يقوم بها ليغطي بها احتياجات مجتمعه ويسد عوزهم، ومن هنا نلاحظ أن الإسلام يحترم الملكية الخاصة ويعتبرها حقاً فطرياً للإنسان ، وأنها جاءت نتيجة للعمل وثمره للتنافس في مجالات عدة وهذا الاعتراف يساير الفطرة الإسلامية ، ويرضي الميول الاصيلة في النفس البشرية، وهذا الاعتراف يحقق العدالة في الجهد والجزاء ، وهو باعترافه بالملكية الخاصة ويتحديد شروطها يخالف المذهب الرأسمالي الذي أباح الملكية الخاصة دون قيود واعتبرها حقاً مقدس لايجوز لأحد التدخل فيها ، ومن هنا ظهر الأثرياء في المجتمعات الغربية نتيجة لتجارتهم في المحرمات والممنوعات ، وكما أباح الإسلام الملكية الخاصة فقد أباح أيضاً الملكية العامة أو ما يمكن تسميته بملكية الدولة : - وهي ملكية عامة لكل المسلمين الموجودين منهم والذين سيأتون من بعد وهي الأموال التي ترد إلى خزينة الدولة عن طريق الزكاة والغنائم ومبيعات النفط والغاز والذهب والمعادن الأخرى وما يفرض على غير المسلمين من رسوم وغير ذلك من مصادر الدخل التي يجب أن تذهب إلى مصلحة الناس جميعاً وقد يظهر مردودها عن طريق المرتبات التي تمنح للموظفين والمحتاجين بصفة عامة ، وقد تظهر أيضاً عن طريق ما يسمى بالبنية التحتية وهي المشاريع الخدمية الكبيرة كالطرق ومشاريع المياه والكهرباء وقد تظهر أيضاً عن طريق أصول ثابتة كالمصانع والشركات العامة والأراضي التي لا يملكها أحد ، كل ذلك يمكن أن يطلق عليه ملكية عامة وهو باعترافه بالملكية العامة يخالف المذهب الشيوعي الذي أباحها مطلقاً وجعل الفرد عبداً عند الدولة ولا يحق له أن يمتلك أية وسيلة من وسائل الإنتاج إلا فيما ندر .

ومن هنا نصل إلى أن الإسلام أقر الملكية الخاصة والملكية العامة وبشكل متوازن بحيث يكمل كل منهما الآخر ، وكلاهما كأصل وليس استثناء وكلاهما ليس مطلقاً بل مقيداً بالصالح العام وهي في كلتا الحالتين أصلاً ملكية لله سبحانه وتعالى فالإسلام يقرر أساساً أن «الملك» لله وحده ، وأن المال

مال الله وأنه أمانة في يد الإنسان لاستثماره ومن ثم فهو أمين عليه ، وبالتالي فهو مكلف برعاية الأمانة وأداء حقه نحو الله والناس ، وعندما يحس الإنسان بهذا الشعور لاشك أن نظرتة للمال تختلف ، وهذا خلاف ما إذا كان يستثمره وهو شاعر بأنه السيد والمالك المتصدق والوحيد فهناك فارق كبير في الحالتين خاصة عندما ينفق الإنسان منه، ففي الحالة الأولى يشعر أنه يؤدي واجباً بهذا الإنفاق نحو الله ونحو إخوانه فلا يمن ولا يشعرهم بالذل ، وفي الثانية يشهد بأنه صاحب فضل فيما أعطى ويمن على الآخرين ويشعرهم بأنه القادر على العطاء أو المنع (١).

أهمية الزكاة والميراث في النظام الاقتصادي الإسلامي :-

سبق القول إن الإسلام يبيح للناس حق التملك وبالطرق المشروعة إلى جانب قيام هؤلاء الملاك بواجبهم نحو الفقراء والمحتاجين، وذلك عن طريق الزكاة والصدقات وهذه الزكاة ليست منة منهم أو فضلاً، بل هي مقررة من عند المولى سبحانه وقد أُعتبرت الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة ، وكثيراً ما ترتبط الزكاة بالصلاة في القرآن والسنة وفي هذا دلالة على قوة الاتصال بينهما وأن إسلام المرء لا يتم إلا بهما (٢) .

وقد جعل المولى سبحانه الزكاة مع التوبة من الشرك وإقامة الصلاة عنوان الدخول في الدين الإسلامي واستحقاق أخوة المسلمين والانتماء إلى المجتمع الإسلامي فقال سبحانه « **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** » (٤) وبهذا « **فلا يتحقق لكافر الدخول في جماعة المسلمين ، وتثبت له أخوتهم الدينية التي تجعله فرداً منهم له مالهم وعليه ما عليهم وتربطه بهم رباطاً ، لا تنفصم عراه إلا بالتوبة عن الشرك وتوابعه ، وإقامة الصلاة التي هي الرابطة الدينية والاجتماعية بين المسلمين وإيتاء الزكاة التي هي الرابطة المالية الاجتماعية بينهم** » (٥).

ونظراً لأهمية الزكاة شرع الإسلام قتال ما نعيها ولذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومعه الصحابة جميعاً مانعي الزكاة وقال قوله المشهور « **والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لئن منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم عليه** » (٦) وقال ابن حزم « **حكم مانع الزكاة إنما هو أن تأخذ منه أحب أم كره فإن مانع دونها فهو محارب فإن كذب بها فهو مرتد ، فإن غيبها ولم يمانع دونها فهو آت منكر فوجب تأديبه أو ضربه حتي يحضرها أو يموت قتيلاً لله تعالى إلى لعنة الله** » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من رأى منكماً**

(١) محمد عبدالمعنى الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٦م ، ط٢ ، ص ١٩٩ .

(٢) راجع سورة المؤمنون الآيات ٤-١ ، وسورة النمل الآيتان ٢-٣ ، سورة التوبة الآية ٧١ ، سورة الحج الآيتان ٤٠ - ٤١ ، وسورة البقرة الآية ١٧٧ وغير ذلك من النصوص الواردة بهذا الخصوص .

(٣) سورة التوبة ، آية ٥ .

(٤) سورة التوبة ، آية ١١ .

(٥) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م ، ط٠ ، ص ٦٩ .

(٦) رواه الشيخان في صحيحهما .

منكراً فليغيره بيده إن استطاع « وهذا منكر ففرض على من استطاع أن يغيره » (١) ، ويؤكد الإمام الكاساني أن الزكاة واجبة من عدة وجوه منها : -

أولاً : - أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، وإقذار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله عليه من العبادات المفروضة .

الثاني : - أن الزكاة تطهر نفس المزكى من أنجاس الذنوب ، وتركي أخلاقه يتخلق الجود والكرم ، وترك الشح والظن .

الثالث : - أن الله قد أنعم على الأغنياء وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية وخصهم بها فيتنعمون ويتمتعون بلذيد العيش ، وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعاً ، وأداء الزكاة إلى الفقراء من باب شكر النعمة فكان فرضاً (٢) .

مقدار الزكاة :-

تجب الزكاة في حالة توافر بعض الشروط منها : -

- أن يبلغ المال المزكى نصاباً كاملاً ، وكل نوع له مقدار محدد يمكن الرجوع إليها في كتب الفقه .

- أن يمضي عام على توافر المال المزكى عنه .

- أن يكون الشيء المزكى عنه زائداً عن حاجة المزكى .

وتجب الزكاة في الأموال « النقدية » والعقارات والأراضي والمنتجات الزراعية والحيوانية وبنسبة

تصل إلى (٢٥٪) قال عليه السلام « فيما سقت السماء العشر وفيما سقي بألة نصف العشر » (٣)

وأيضاً هناك زكاة الفطر التي تخرج بعد الانتهاء من صيام رمضان وتخرج عن كل فرد في الأسرة

والغرض منها تطهير للصائم لما قد يبدر منه من تقصير ، إلى جانب كونها إغناء للفقراء في يوم

العيد وما بعده ، وهي أيضاً تدرب المسلم على الإنفاق والبذل في كل وقت وحين .

كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر؟ (٤)

يعتبر الإسلام الفقر مشكلة ينتج عنها الكثير من السلبيات منها : -

- أنه خطر على العقيدة : - خاصة الفقر المدقع ، الذي بجانبه ثراء فاحش وبالأخص إذا كان الفقير

هو الساعي الكادح ، والمترف هو المتبطل القاعد ، وهنا قد يشك الفقير في عدالة التوزيع الإلهي

للرزق .

- أنه خطر على الأخلاق والسلوك : - وهنا قد يلجأ الفقير إلى الكذب والرشوة وقد تلجأ المرأة إلى

بيع عرضها لتسد رمقها وحاجتها .

(١) ابن حزم ، المحلى ج ١١ ، ص ٣١٣ .

(٢) نقلاً عن يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٣) الحديث متفق عليه على اختلاف في ألفاظه .

(٤) رجع الباحث إلى : -

- يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق .

- عبدالسميع المصري ، مقومات الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق .

— أنه خطر على الفكر الإنساني : فالفقير الذي لا يجد ضروريات الحياة لن يستطيع أن يبدع ويخترع ويفكر في أمور الدنيا، وقد ورد عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أن جاريته أخبرته يوماً وهو في مجلسه يبحث ويفكر في بعض المسائل أن الدقيق قد نفذ فقال لها : « قاتلك الله ، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه » وروى أيضاً عن أبي حنيفة أنه قال « لا تستشر من ليس في بيته دقيق » .

— أنه خطر على الأسرة : - فهو خطر على استمرارها وتماسكها ونتيجة لعدم استطاعة رب الأسرة الوفاء بالالتزامات المالية قد تلجأ المرأة إلى تركه ، أو يلجأ هو من نفسه إلى ذلك .

— أنه خطر على المجتمع : - وبسببه تنتشر الجرائم المختلفة كالسرقة والقتل وقطع الطريق وغير ذلك من المشاكل الكثيرة التي ظهرت في الفترة الأخيرة وكان الفقر أحد أسبابها .
وهنا ينبغي أن نطرح التساؤل التالي : -

كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر؟

الإسلام ابتداء لا يقر الفقر ولا يؤيده ، ولم ترد آية أو حديث تدل على ذلك وما ورد بخصوص الزهد فهو لا يعني الفقر لأن الزهد يقتضي ملك شيء والزهد فيه ، ويكفي أن نذكر أن المولى امتن على رسوله عليه السلام بالغنى في قوله « ووجدك عائلاً فأغنى » (١) ، وقال عليه السلام « نعم المال الصالح للمرء الصالح » (٢)

وبناء على ذلك فقد قرر الإسلام علاج ظاهرة الفقر والحد منها من خلال الآتي : -

(١) دعا القادرين على العمل إلى البحث عن العمل الشريف بغض النظر عن نوعه ، وهناك الكثير من الأدلة التي تحبب في العمل وتؤكد أن المولى قد ضمن لعباده الرزق وما عليهم إلا السعي والبذل قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » (٣) وقال سبحانه « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (٤) ، وقال عليه السلام « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده » (٥) . ويرفض الإسلام أن يدع البعض العمل بحجة أنه عمل وضيع لا يناسب وضعهم الاجتماعي كما يرفض تركه بسبب الاعتماد على الزكاة والصدقات أو بحجة الانشغال بالعبادة فهذه أعذار غير مقبولة ، وإنما المطلوب من كل إنسان السعي والعمل من أجل عمارة الأرض ، واستخراج خيراتها ولكي يغني الإنسان نفسه ومن يعول .

(٢) وبناءً على الحل السابق لا بد أيضاً أن تقوم الدولة ورجال المال والأعمال في كل بلد بفتح قنوات كثيرة لكي تعمل الأيدي العاملة في المصانع والشركات والمزارع، وما يؤسف له أن تلجأ بعض الدول الإسلامية إلى استيراد عمال من خارج الوطن الإسلامي، بينما أبناء المسلمين يعانون من البطالة وقلة العمل مع توافر الخبرة والرغبة في العمل .

(١) سورة الضحى ، آية ٨ .

(٢) قال المحافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح .

(٣) سورة هود ، آية ٦ .

(٤) سورة الملك ، آية ١٥ .

(٥) رواه البخاري .

(٣) على القادرين والأغنياء من الأقارب كفالة الفقراء من أقاربهم وأهلهم • وقد وردت الكثير من النصوص الدالة على التراحم والتواصل بين الأغنياء والفقراء منها قوله تعالى « **وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا** » (١) وقوله سبحانه « **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** » (٢)

وقد أجمع الفقهاء على أن الزوج يلزم بالنفقة على زوجته وأولاده ويلزم الولد بالنفقة على والديه، واختلفوا بعد ذلك في بقية فروع الأقارب وإن كانوا جميعاً يؤكدون على أن النفقة هي نوع من أنواع التكافل الاجتماعي التي تؤدي إلى نشر المودة والإخاء بين الناس ومن باب أولى بين الأقارب بعضهم البعض، وقد اشترط الفقهاء لوجوب النفقة على القريب شرطين رئيسيين هما : -

(١) أن يكون القريب فقيراً وليس لديه عمل يتكسب منه .

(٢) أن يكون للمنفق فضل مال ينفق منه عليهم زائد عن نفقة نفسه قال عليه السلام « **ابدأ بنفسك** »

ثم بمن تعول،» (٣)

(٤) **الزكاة** : - وقد سبق الحديث عنها ونضيف هنا أن الزكاة لو أخرجت بشكلها الصحيح والمقرر شرعاً لأغنت وكفت فقراء العالم الإسلامي بل وأغنتهم ، ومن يتتبع وضع أغنياء المسلمين يجد أنهم يملكون ثروات طائلة ولكن البعض منهم لا يؤدي حق الله منها إما بخلاً أو جهلاً ، ومما يؤسف له أن البعض يتبرع بها إلى حدائق الحيوانات (٤)، في الغرب أو إلى الجمعيات هناك بينما العالم الإسلامي يتلىء بالفقراء ، إن واجب الدول هنا أن تنظم إخراج الزكاة ولها الحق في أن تجبر البعض على إخراجها حتى تسد رمق المعوزين والمحتاجين وتحقق نوعاً من التكافل بين أبناء المجتمع الواحد، وتدرك سر الحكمة الإلهية في تشريع الزكاة وأنها لم تفرض إلا لغرض الحاجة إليها لإشباع رغبات الفقراء والمحتاجين .

ومن هنا يمكن القول إن الزكاة هي أول ضمان اجتماعي في العالم الذي لم يعرف هذه المظاهر إلا في سنة (١٩٤١م) حين اجتمعت كلمة انجلترا والولايات المتحدة في ميثاق الاطلنطي على وجوب تحقيق الضمان الاجتماعي للأفراد. (٥)

(٥) **كفالة الخزانة الإسلامية بمختلف مواردها** : -

سبق القول إن الدولة يحق لها أن تملك ملكية عامة وتسمى أملاك الدولة أو الأموال العامة وعلى الدولة هنا واجب استغلال وتنمية هذه الأموال بما ينفع الناس من مردودات هذه الأملاك وخاصة الفقراء والمساكين ويكون هذا عندما تقل الزكاة ويكثر الفقراء فعلى الدولة هنا أن تقوم بواجبها نحو هؤلاء، وفي هذا يقول محمد بن الحسن الشيباني « **فعلى الإمام أن يتقي الله في صرف الأموال إلى المصارف فلا يدع فقيراً إلا أعطاه حقه من الصدقات حتى يغنيه وعياله** » (٦) وتأكيداً لذلك قال عليه السلام

(١) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح .

(٤) إشارة إلى أن أحد الأمراء دفع ملايين الدولارات إلى حدائق الحيوانات في بريطانيا والولايات المتحدة .

(٥) صادق مهدي ، الضمان الاجتماعي ، القاهرة ، د.ت ، ط٠١ ، ص ١٢٦.

(٦) نقلاً عن يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر ، مرجع سابق ، ص ١٠٩.

« أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً - بفتح الضاد - أي أولاداً صغاراً ضائعين إذ لا مال لهم [فإلي وعليّ » (١) وهذا عمر رضي الله عنه يقرر لكل عاجز ومحتاج من بيت مال المسلمين ما يكفيهم وقد قرر للوليد مائة درهم وإذا كبر زاده ، كما قرر للقيط ووليه مبلغاً يكفيهما ، كما فرض لليهودي الأعمى والمجذوم المسيحي وكل من أقعده العجز عن العمل أو لم يجد عملاً. (٢)

(٦) الإرث : - يسعى الإسلام إلى إغناء المسلمين وإسعادهم في الدنيا والآخرة كما يحرص على استمرار الروابط والأواصر بين أفرادها حتى بعد وفاتهم ومن ذلك أنه شرع الموارث بين الأقارب ، فإذا مات غني ورثه قريبه الفقير ، ولاشك أن الوارث الفقير سيظل يذكر هذا الفضل عليه وقد يعمل بعض الأعمال التي تعود على الميت بالأجر والثواب كبناء مسجد أو مدرسة أو غيرها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالإرث هو أيضاً مصدر من مصادر توزيع وتفتيت الثروة حتى لا تكون محصورة في أيدي فئة قليلة ومحدودة ومن هنا اهتم سبحانه بهذه الفريضة وقسمها من عنده ووزعها بطريقة عادلة فوضع لكل فرد مقداراً محدوداً لا يجوز لأحد أن يتدخل فيه بالزيادة أو النقصان ، فحدد للرجل مقداراً محدداً وللمرأة مقداراً محدداً أيضاً ، ومما يؤسف له أن توجد بعض الممارسات الخاطئة في مجتمعنا ومن ذلك حرمان المرأة من حقها الشرعي في الميراث وبحجج واهية ليس لها مستند شرعي أو قانوني ولذا لزم على من تغطى حقها في هذا الجانب اللجوء إلى الجهات القضائية حتى توجب لها حقها الشرعي في الميراث .

(٧) هناك مصادر أخرى بعضها واجبة وبعضها رغب فيها الشارع وهي تؤدي إلى إغناء الفقراء والمساكين ومنها : -

- الكفارات : - بمختلف أنواعها فلو حلف شخص يميناً ولم يف به فعليه كفارة وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم وأيضاً هناك كفارات للظهار والجماع نهار رمضان .

- الصدقات : - وتكون خارج نطاق الزكاة وقد حث عليها المولى في آيات كثيرة ورغب فيها رسوله عليه السلام ، قال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » (٣) وقال تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم » ، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. » (٤) وقال تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٥) وقال تعالى « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (٦) .

(١) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٢) عبدالسميع المصري ، مقومات الاقتصاد الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٩٠م ، ط ٤ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٤٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآيتان ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٧٤ .

(٦) سورة المنافقون ، آية ١٠ .

- الوصية : - ويكون قدرها أقل من الثلث لقوله عليه السلام « الثلث والثلث كثير » وفيها فائدة لأن الموصي قد يرى أن أحد أقاربه فقير ولكنه لن يرث منه شيئاً فيوصي له بشيء من ماله حتى يعينه على الحياة .

- حق للجار : - وقد أوصى سبحانه برعايته وتعهده كما أوصى بذلك رسوله عليه السلام وتزداد هذه الوصية أهمية إذا كان الجار فقيراً .

- توزيع جزء من أضحية العيد : - عيد الأضحى - وفي ذلك رحمة بالفقير .

- كذلك أوجب الإسلام على الشيخ غير القادر على الصيام والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ممن يعجزون عن الصيام إطعام مساكين عن كل يوم لا يقدرين على صيامه قال تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » (١)

- الهدي : - وهو ما يهد به الحاج أو المعتمر إلى الفقراء من إبل وبقرة وغنم ، كفارة لارتكابه محظوراً من محظورات الإحرام .

- حق الزرع عند الحصاد : - وهذا خارج عن نطق الزكاة ويعود إلى ضمير المسلم وحاجة الفقراء من حوله « وآتوا حقه يوم حصاده » (٢) وقد أجمع الكثير من الصحابة والتابعين على ذلك .

هذه بعض المصادر التي شرعها الإسلام وأوجبها من أجل إغناء الفقراء والمساكين وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي، قبل أن تفكر الدول الرأسمالية أو الشيوعية في حل هذه المشكلة بأربعة عشر قرناً تقريباً .

وبهذه التشريعات يقضي الإسلام على الحقد الطبقي والأمراض الاجتماعية التي قد تنتشر نتيجة للغناء الفاحش، أو الفقر المدقع، ومن أجل ذلك زرع في نفوس الناس الرحمة والشفقة والتعاون وحب بعضهم البعض وحذر من البخل والشح قال تعالى « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٣) وعالج هذه الظاهرة الخطيرة بالترغيب والترهيب حتى وصل إلى الدرجة التي يطلب فيها من الأنفس الشحيحة أن تجود بما تحب فيقول تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٤)

وهو بذلك يصل إلى غاية البذل والعطاء والكرم الذي يرفع من أنانية الإنسان ويقيم التوازن الاجتماعي في مجتمع متعاون سليم (٥).

ووصل الأمر إلى الاهتمام بالحيوانات قبل أن تقرر جمعيات الرفق بالحيوان ذلك، فها هو عليه السلام يؤكد أن امرأة دخلت النار بسبب الهرة التي ربطتها حتى ماتت « فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. »

فماذا يستطيع أن يقول دعاة حقوق الإنسان وحقوق الحيوان بعد ذلك؟

(١) سورة البقرة ، آية ١٨٤ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٤١ .

(٣) سورة الحشر ، آية ٩ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٩٢ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤٣ .

الموضوع الرابع : ويتناول أهمية القيم في الاقتصاد الإسلامي : -

القيم الاقتصادية مرتبطة بالقيم الأخلاقية ولا يجوز الفصل بينهما في كل المعاملات .
جاء الإسلام كدين متكامل يجمع بين الدنيا والدين ويربط بين العلم والعمل والأخلاق والعبادة، والقول والعقل وربط الحياة كلها بالأخلاق والقيم فلا انفصال بين الأخلاق والسياسة ولا بين السياسة والاقتصاد ولا بين الاجتماع والأخلاق .

وما يهمننا هنا هو الحديث عن العلاقة بين جوانب الاقتصاد المختلفة من إنتاج واستهلاك وتوزيع ونفقات وإيرادات وبين جوانب الأخلاق والقيم في الإسلام ، هذا في الوقت الذي يعتبر الكلام عن الأخلاق والقيم في الاقتصاد الوضعي خروجاً عن المألوف ، وذلك أن علم الاقتصاد الوضعي قد تقرر فصله عن الأخلاق منذ القرن التاسع عشر ، ويعتقد الاقتصاديون أنهم بهذا الفصل قد نقلوا البحث الاقتصادي من اعتبار المعايير الشخصية إلى اعتبار المعايير الموضوعية وأنهم أحلوا قوى السوق التي هي في نظرهم قوى موضوعية محل معيار العدل.

ويخالف الاقتصاد الإسلامي هذه النظرة فهو يأخذ بالمعايير الموضوعية ، والمعايير الشخصية والنوع الأخير يعكس العنصر الأخلاقي والقيم ويسميه البعض « أخلاق النظام المالي الإسلامي » (١) .
ونظراً لأهمية هذا الموضوع ولاثبات أنه أصيل وقديم في الاقتصاد الإسلامي فقد اقترح أحد المهتمين (٢) أن يُعتمد في هذا الموضوع علي كتاب قديم ويستخرج ما فيه من قيم وأخلاق اقتصادية واقترح لذلك كتاب الخراج لأبي يوسف (٣) واستحسن الباحث ذلك ولجأ إلى اقتباس بعض القيم والأخلاق الواردة في هذا الكتاب لعلها تقنع البعض ممن يزعمون أنه ليس للمسلمين رصيلاً في هذا المجال، والواقع أن الأسس الأخلاقية والقيم التي ذكرت في هذا الكتاب كثيرة ونختصر منها ما يلي : -
أولاً : - في مجال الإيرادات اشترط له عدة شروط منها : -

- أن يكون المال الذي يرد إلى بيت المال طيباً وحلالاً ويعني هذا أن يكون أساس الإلزام أساساً شرعياً صحيحاً فهو لا يقبل أن يكون مورد هذا المال من حرام ، فهذا عمر رضي الله عنه كان عندما يصل مال العراق يخرج إليه عشرة من أهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة ، يشهدون أربع شهادات بالله أنه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد(٤).

- العدل في إنفاق هذه الإيرادات ونقل أبو يوسف قول عمر رضي الله عنه « والله الذي لا إله إلا هو ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو أمنعه وما أحد أحق به من أحد.» (٥)

(١) رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٣ .

(٣) أبو يوسف هو يعقوب إبراهيم عاش في فترة (١١٣ - ١٨٢) وكان عالماً في أكثر المجالات وكتابه هذا سماه « الخراج » وكتبه بناء على طلب من الخليفة هارون الرشيد وقد بين فيه الكثير من القضايا المالية ، ويعتبر كتابه هذا سبق كبير في مجال المال والاقتصاد بشكل عام .

(٤) انظر ص ١٢٤ من كتاب الخراج المنشور من قبل محب الدين الخطيب ، القاهرة ، د.ت ، ط ٥.

(٥) انظر ص ٥٠ من كتاب الخراج.

– أصل المساواة أو عدم المساواة عند الإنفاق وذكر فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فالأول كان يقسم بين الناس بالسوية نظراً لقلّة الموارد وانخفاض مستوى المعيشة ، أما الثاني فقد رأى التفاوت في العطاء نظراً لأن الأوضاع الاقتصادية كانت تسمح بذلك ، وهذه القيم الثلاث سماها بطيب الموارد وعدل الإنفاق (١) .

ثانياً : - صفات من يتولى أمر إيرادات الدولة وهنا اشترط عدة شروط منها : -

– قال لهارون الرشيد : - إن الرسول عليه السلام لم يستعمل أقاربه في تحصيل الإيرادات أي لم يعينهم في هذا المنصب ، رغم أنهم أهل فقه وأهل كفاية وعلم ، وهذا الشرط هام جداً خاصة في عصرنا هذا الذي يعتبر فيه بعض الحكام أن مال المسلمين هو ماله ومال حاشيته (٢) .

– أن يكون فقيهاً وعالمًا مشاوراً لأهل الرأي ، عفيفاً لا يطلع منه الناس على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم ومما قاله « وأن تكون جبايته للخراج كما يرسم له، وترك الابتداع فيما يعاملهم فيه والمساواة بينهم في مجلسه ، ووجهه حتى يكون القريب والبعيد والشريف والوضيع عنده في الحق سواء » (٣) .

– اشترط على هارون الرشيد أيضاً أن يقوم بواجب الرقابة وقال له « أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال ومن عملوا في البلاد وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظف على أهله الخراج واستقر (٤) .

ثالثاً : - مراعاة الطاقة عند فرض الإلزام المالي : -

وتتحقق هذه القيمة في النظام المالي الإسلامي بمجموعة من العناصر ومنها : -

– أنه يأخذ بفكرة النصاب : - وهي تعني أن الإلزام المالي لا يجيء إذا كان المال الواقع عليه الالتزام قد بلغ حداً معيناً، وهذا يعني أن الإلزام المالي في الإسلام لا يترتب إلا في حالة الاستطاعة .

– أنه يراعي اليسر والطاقة في حالة كل مكلف أو ملزم يقول عليه السلام « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه، وكان عمر رضي الله عنه يسأل المكلفين أيطبقون ما فرض عليهم أم لا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله أن يراعي الطاقة عند فرض الإلزام المالي (٥) .

– طلب من هارون الرشيد أن يجلس لرعيته ويسمع منهم المقترحات والآراء حول سلوك الذين يتولون تحصيل الإيرادات ، ليعرف ملاحظات الرعية في ذلك (٦) .

رابعاً : - آداب تحصيل الإيرادات : -

وهنا على المحصل أن يلتزم بمجموعة من القيم السلوكية منها ما يلي : -

(١) انظر ص ٤٥ - ٤٦ من كتاب الخراج

(٢) أنظر ص ١٢٤ من كتاب الخراج المنشور من قبل محب الدين الخطيب ، القاهرة ، د.ت ، ط.٥ .

(٣) انظر ص ١٢٤ من كتاب الخراج .

(٤) انظر ص ١٢٤ من كتاب الخراج .

(٥) انظر كتاب الخراج ، ٩٢ .

(٦) انظر كتاب الخراج ، ص ١٢١ .

– منع التفتيش للجباية ، وهذا ما نقله إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أمرني ألا أفتش أحداً (١) .

– منع الالتزام ، وهو الأسلوب الذي شاع في العصور المتأخرة وقد عبر عنه أبو يوسف بمصطلح «التقبيل» وهو أن يلتزم أحد الأشخاص أحياناً مضرة بمهور المكلفين وهذا الالتزام أدى إلى الكثير من المشاكل بين الناس وبين الملتزمين (٢) .

– ثم بين بعض السلوكيات التي ينبغي أن تكون عليها العلاقة بين متولي أمر تحصيل الإيرادات وبين من ولي عليهم ثم ذكر الشروط التي ألزم بها عمر رضي الله عنه من كان يقوم بهذه المهمة، ومنها ألا يلبس رقيقاً، ولا يأكل نقياً، ولا يغلق باباً دون حوائج الناس ولا يتخذ حاجباً وكان إذا علم أن عامله لا يدخل عليه الضعيف ولا يعود المريض نزعه (٣) .

هذه بعض القيم والأخلاقيات التي نص عليها علماءنا منذ مئات السنين ومن يتمعن بقراءتها يجد أنها لو طبقت اليوم في واقع المسلمين لحلت الكثير من المشاكل والأزمات الاقتصادية التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم رغم كثرة الموارد المادية ووفرة الكفاءات البشرية .

ومما سبق يتضح أن النظام الاقتصادي أو السياسة المالية في الإسلام هو جزء لا يتجزأ من العقيدة ، وأنه ينطلق منها ويرتبط بها « وأن الحركة الاقتصادية ابتداءً من نية الإنسان (تشكيل الفكرة والعزم على الفعل) أو كسبه العملي وممارساته المختلفة خاضعة لفكرة الثواب والعقاب ، إلى جانب تحذيره من بعض المخاطر الاقتصادية التي تقود إليها الممارسات المحظورة شرعاً ، ولعل هذا يشكل مفترق طرق ابتداءً بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاديات الأخرى التي لا تعترف بالجانب القيمي للعملية الاقتصادية ولا تقيم لها وزناً ، فالحركة الاقتصادية والكسب المالي ، إذا لم يضبط بقيم أخلاقية كسباً وإنفاقاً ينتهي بصاحبه إلى الطغيان والأثرة ، والدمار الاجتماعي .. والمال في الإسلام وسيلة لتحقيق غاية ورسالة ... فإذا تجردت الحركة الاقتصادية عن ضابطها الخلقي وهدفها وانقلبت الوسيلة إلى غاية انتهت الأمر بالإنسان إلى أزمات نفسية واجتماعية واقتصادية تجعل المعيشة ضنكاً وتحوله إلى عبد للمال ، وخادم له بدل أن يكون المال في خدمة الإنسان(٤) .

ما حرم في الإسلام من أنشطة اقتصادية ومالية هي في صالح الإنسان :-

حرص الإسلام على أن يبيع للناس ما ينفعهم ويحقق مصالحهم الدينية والدنيوية كما حرم عليهم كل ما يضر بهم صحياً واقتصادياً واجتماعياً ، ومن يتتبع كل المحرمات في الإسلام يجد أن لها أضراراً قد تكون ظاهرة واضحة لنا ، وقد لا نعلمها في الوقت الحاضر ، ولكن سيأتي اليوم الذي يكتشف فيه الناس سر هذا التحريم كما حصل في الكثير من الأشياء التي كان من سبقونا يجهلون السر في تحريمها فلما جاء العلم وأثبت أضرارها عرف الناس ذلك وهنا سوف نذكر بعض الأشياء التي

(١) انظر كتاب الخراج ، ص ١٣٠ .

(٢) انظر كتاب الخراج ، ص ١١٤ .

(٣) انظر كتاب الخراج ، ص ١٢٦ .

(٤) رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الإسلامي المرتكزات ، التوزيع ، الاستثمار ، النظام المالي ، مرجع سابق ، ص ١٠-١١ .

حرمها الإسلام أو دعا إلى ترسيدها في بعض المجالات الاقتصادية وبين أن سبب ذلك هو تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع ومن ذلك الأعمال والأنشطة التالية : -

- تحريم الربا : - حرم الإسلام الربا نظراً لأضراره الكثيرة والتي اعترف بها حتى غير المسلمين فهاهو (اللورد كينز) وهو من ألمع الاقتصاديين الرأسماليين المعاصرين في كتابه « النظرية العامة » يقول « إن ارتفاع سعر الفائدة يعوق الإنتاج لأنه يغري صاحب المال بالادخار للحصول على عائد مضمون دون تعريض أمواله للمخاطرة في حالة الاستثمار في المشروعات الصناعية أو التجارية» (١) فالربا ضرر على الفرد والمجتمع والدولة .

إن الربا يحول الفرد إلى شخص ينعدم فيه الضمير والأخلاق سواء في حالة صاحب الربا « المرابي » أو المقترض ، فالأول يسعى إلى تحميل المقترض أكبر قدر من الفائدة بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى ، بينما الثاني في حالة ما إذا أخذ المال للعمل به في التجارة يحاول أن يحصل من المستهلكين على أكبر قدر من الأرباح حتى يستطيع أن يرد ما عليه من التزامات نحو المرابي وبهذا يحدث ارتفاع للأسعار وتعطيل للتنمية ونحن نقرأ ونشاهد الكثير من حالات الإفلاس التي تحصل لبعض التجار نتيجة دخولهم مع البنوك في مشاكل مالية نتيجة لعدم وفائهم بالالتزامات المالية وسداد ما عليهم ، إلى جانب أن الربا يجعل الدول الغنية تستفيد من الدول الفقيرة نتيجة لتراكم الديون عليها أو ما يسمى « بخدمة الدين » .

هذه بعض مضار الربا بإيجاز ، فهل تستطيع أخي القارئ أن تضيف بعضاً من المضار الأخرى ثم تبين السر في تحريم الإسلام للربا؟

- حرم الإسلام البيع والشراء في مجال المسكرات والمخدرات : -

والجميع يدرك مضار هذه الآفات ومخاطرها على الفرد والمجتمع لذا حرم الإسلام التعامل أو التجارة بهذه الأشياء ، وقد بلغ من تحذيره أنه لعن في الخمر عشرة منهم حاملها والمحمولة إليه وبائعها وهكذا كما جاء في الحديث الشريف ، وكان البعض في السابق يجهل سر هذا التحريم ، ولكن بعد التطور الطبي اتضح أن للخمر مضاراً كثيرة وكذلك المخدرات حرمها الله لمخاطرها الكثيرة ، وهاهي الدول اليوم تدرك سر هذا التحريم فسعت إلى محاربتها بشتى الصور ، فهل أدركنا السر في عدم السماح بالتعامل مع هذه المحرمات بيعاً وشراءً .

- حرم الإسلام الإسراف والتبذير في الإنفاق والاستهلاك ، ودعا إلى الترشيد والتوسط في المأكل والمشرب والملبس والمركب وهناك نصوص كثيرة تدل على ذلك .

وهذا التحريم قصد به مصلحة الإنسان والمحافظة على ماله ، لأنه وإن كان غنياً ومقتدراً إلا أنه لا يدري ما يحدث له بعد ذلك وكم من الشواهد والحالات التي نعرفها جميعاً تؤكد هذا فنجد أن البعض افتقر واستدان نتيجة لأنه يميل إلى الإسراف والبذخ الزائد ليقال عنه غني أو كريم .

- حرم الإسلام الرشوة : - قال عليه السلام « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما » ونذكر جميعاً خطورة هذه الآفة على الفرد والمجتمع وكيف أن الحقوق تضيع ، والفساد يزداد إذا دخلت الرشوة مجتمعاً ما .

- حرم الإسلام أكل مال اليتيم : - وجاء هذا التحريم ليحفظ حق اليتيم، لأن وليه قد يكون ظالماً فيأخذ هذا المال ويستهلكه بطريقة أو بأخرى فإذا كبر اليتيم لم يجد شيئاً وربما أدى به ذلك إلى الانحراف لأنه لم يجد المال الذي يكفيه للحياة .

- حذر الإسلام من التعامل مع السفية والمجنون والصغير في الأمور المالية : لأن هؤلاء قد لا يدركون خطورة ما يفعلون وقد يستغلهم بعض ضعاف النفوس ، فيزورون توكيلات تثبت أن لهم الحق في البيع والشراء نيابة عنهم خاصة إذا كان هؤلاء ممن ورثوا مالاً، لذا يعتبر الإسلام أن تصرفاتهم باطلة ، وأباح الحجر على السفية حتى لا يهلك ماله وهنا نلاحظ حرص الإسلام على مصلحة الإنسان ومراعاته لأحواله المختلفة وأنه قد شرع ما فيه مصلحته في الدنيا والآخرة .

هل تتوافق الأنشطة الاقتصادية القائمة في العالم الإسلامي مع النظام الاقتصادي في الإسلام : -

نظراً للظروف التي مر بها العالم الإسلامي من استعمار وتخلف وضعف نجد أن ذلك أثر على الكثير من مجريات أحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلجأ إلى استيراد القوانين والأنظمة من الخارج ، منها ما كان نتيجة لعوامل ضغط خارجية ، ومنها ما كان نتيجة الجهل بنظم وتشريعات الإسلام الذي ينتسبون إليه ، وكان من ضمن ذلك النظم والقوانين الاقتصادية فتم إنشاء البنوك الربوية ، وتم الإقراض أو الاقتراض بالربا المهم أن كل الأحوال الاقتصادية جرت بالطريقة التي تتم في دول غير إسلامية فأصبح لا فرق بينهما. ولكن في الفترة الأخيرة بدأت بعض الأمور تتغير وحرص الكثيرون على تأصيل اقتصاد خاص بالأمة وتجمعت لذلك بعض الجهود فتم إنشاء بعض البنوك التي تتعامل بالطريقة الشرعية إلى جانب وجود أقسام للاقتصاد الإسلامي في بعض الجامعات الإسلامية ، وظهر العديد من المهتمين والباحثين في هذا المجال وكان من نتائج ذلك أن دعا البعض إلى أن الأنشطة الاقتصادية في العالم الإسلامي لا بد أن تنبع من واقع الأمة وعقيدتها سواء في مجال الإيرادات أو النفقات والإنتاج والاستهلاك فما مدى الاستجابة لهذه الدعوة ؟ هذا ماسوف نحاول أن نعرفه من خلال السطور التالية .

الواقع أنه لم تستجب أية دولة من أجل العمل على أن يكون اقتصادها يسير وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية والذين استجابوا هم مجموعة من رجال المال والأعمال فأنشأوا بعض الشركات والمصانع بطريقة تتفق في معظمها مع مبادئ الإسلام وبعضها مستمر وبعضها فشل أو أجهض لأسباب كثيرة ، كما تم إنشاء بعض البنوك الإسلامية وعلى الرغم من أن أوضاع العالم الإسلامي تحتاج إلى معالجة خاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي إلا أننا نجد أن هناك إسرافاً وتبذيراً في المال العام في هذه الدول أكثر بكثير مما يحدث في الدول الغنية التي يوجد فيها حسابات دقيقة لما يُصرف ولما يُنق و يُدخر خاصة ونحن دول بحاجة إلى المال والاعتدال في إنفاقه وإذا كان الاعتدال والاقتصاد مطلوباً على المستوى الفردي والأسري فهو مطلوب كذلك من باب أولى في النفقات الحكومية ابتداءً من المسؤول الأول في الدولة ، حتى أصغر موظف فيها ، بل إن هؤلاء ينبغي أن يكونوا قدوة ومثالاً يقتدى به في مجال التعفف عن المال العام والتقليل من مظاهر البذخ والسرف التي يقومون بها، مقتدين بذلك بسيرته عليه السلام هو وأصحابه ، فقد كان أول من يجوع وآخر من يشبع ، قال أبو هريرة رضي الله عنه « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من

خبز الشعير « (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه. » (٢)

ورفض عليه السلام أن يتخذ فراشاً وطيباً وكان ينام على الحصير حتى أثر على جنبه وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده ، وكما يقول أحد الباحثين « إننا لا نريد من رؤسائنا وأمرائنا أن يكونوا مثل أولئك الأكابر ، ولكن نريد منهم أن يتقوا الله في المال العام ولا يحابوا به الأقارب والأصهار والموالين وأبواق النفاق ، ولا ينفقونه على السيارات الفارهة والمكاتب الفاخرة والاستقبالات الباهرة ، والولائم الدسمة ، والأسفار المكلفة ، والاحتفالات المبالغية وغيرها مما يبتلع الملايين ولا مسوغ له ويضيف إن كثيراً من الملوك والرؤساء والأمراء في ديارنا يحسبون أن مال الدولة ملك لهم ومن حقهم أن يتصرفوا فيه كما يشاءون وقلما يوجد من يحاسبهم ، وهناك جهات ينفق فيها المال بغير حساب وبدون تقييد ولا يكاد يسألهم أحد مثل الإعلام ، والرياضة وأمن الحاكم ونظامه وجماعته على حين يقتر كل التقتير ويضيق أشد الضيق على جهات أخرى مثل التعليم والصحة والمواصلات والخدمات الأساسية لجمهور الناس على نحو ما قيل تقتير هنا وإسراف هناك. » (٣)

إن مهمة الدولة في المجال الاقتصادي هو الموازنة بين المصالح بعضها ببعض وتقديم الضروري منها على الحاجي ، وتقديم الحاجي على التحسيني وتقديم ما يخدم مصلحة الغالبية على ما يخدم فئة محدودة ، وتقديم مصلحة الفقراء والمساكين على مصلحة الأغنياء والمقتدرين .

إن الدولة مطالبة بمحاربة الإسراف والتبذير على كل مستوى وصعيد خاصة إذا كان ذلك من المال العام وميزانية الدولة وهي مطالبة بالحرص على ذلك لأنه ملك للجميع. ويروى أن أبا جعفر المنصور رأى يوماً قنديلاً معلقاً مضاء في النهار في سرب بداره معتم قليلاً ، فأمر بأن يطفأ ولا يوقد إلا في وقت الحاجة من الليل أو آخر النهار لأن الزيت - كما قال - يذهب ضياعاً ولا وجه للتضييع في شيء وإن قل. » (٤)

إن ذكر مثل هذه القصة ليست للتسلية والضحك وقد يقول قائل كيف تتكلم عن الاقتصاد في القنديل بينما تسرق ثروات الأوطان بكاملها وتُهْرَب إلى الخارج، والشعوب تعاني من الفقر والفاقة ، نقول إن الزهد في البسيط دليل على الزهد في الكثير وما ذكر هنا إنما هو لكي يأخذ هؤلاء العبرة والعظة من سيرة هؤلاء وأنهم كانوا يقتصدون في الأمور الصغيرة والبسيطة التي نعتقد الآن أنها لا قيمة لها، وعلى هؤلاء ألا يغتروا بصحتهم ومالهم وجاههم فكل ذلك زائل ومنتهى ولن يبقى إلا العمل الصالح والذكر الطيب فكم من الملوك والرؤساء ذهبوا ولعنات الشعوب تلاحقهم في قبورهم صباحاً ومساءً، وكم من الناس ذهبوا وثناء الناس مستمر عليهم .

(١) رواه البخاري والترمذي .

(٢) رواه البيهقي .

(٣) يوسف القرضاوي ، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٩٥م ، ط ١ ، ص ٢٥٣

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

ومن هنا نصل إلى أنه لا بد من ثورة على الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي ، لأن الأوضاع الحالية لا تمت إلى الأصول الحضارية لهذه الأمة بصلة ، رغم أنها قد تأصلت وضربت بجذورها أعماق الأرض كما يقول بعض المهتمين « إن اقتلاع المفاهيم الاقتصادية الدخيلة على العالم الإسلامي يحتاج منا إلى إيمان راسخ جازم بأن ديننا الإسلامي به من الحلول للمشاكل الاقتصادية ما هو كفيلاً بالقضاء على تلك المشاكل ومواجهتها وعلاجها بطريقة منهجية أفضل مما وضعتها العقول البشرية والأنظمة الوضعية ، وإلا فلن نستطيع أن نواجه المشاكل الاقتصادية وعلاجها إذا آمنا ببعض الكتاب وكفرنا ببعض الآخر » (١) .

الموضوع الخامس : - ويتناول موقف الإسلام من بعض القضايا الاقتصادية المعاصرة : -

التأمين والاستثمار وموقف الإسلام منها : -

عند دراسة موضوع التأمين (٢) يجب أن يفرق القارئ بين أمرين هما : -
أولاً : - التأمين كفكرة أو نظرية .

ثانياً : - التأمين كوسيلة عملية لتحقيقه .

فهو كفكرة أو نظرية اتفاق تعاوني منظم بين عدد من الناس الذين يتعرضون دائماً للمخاطر فإذا تعرض أحدهم لذلك ساعده الجميع وتعاونوا معه ، وهو بهذه الصورة وبغض النظر عن الوسيلة العملية التي تحققه يتفق مع مقاصد الشريعة ، بل أنه قد سبق إلى تأمين المجتمع من مثل هذه المخاطر وغيرها عن طريق الزكاة والتي شرعت من أجل الفقراء والأطفال والأرامل والشيخوخ والمرضى وغيرهم، بل إنها تجاوزت ذلك فساعدت ابن السبيل الذي انقطع عن بلده ومثله السائح واللاجيء الذي انقطعت عنه موارد المال .

أما الأمر الثاني وهو التأمين كوسيلة فإننا نجد أنفسنا أمام ثلاثة أنواع من التأمين : -

الأول : - التأمين الحكومي الذي تقوم به الدولة في صورة نظام المعاشات والتقاعد والتأمينات الاجتماعية بالهدف منه تأمين مستقبل الموظفين والعمال هوفي الغالب أن الدولة لا تهدف من خلاله إلى الكسب والربح وهذا النوع جائز لأنه داخل في نطاق مسؤولية الدولة عن رعاياها ويدخل ضمن التكافل الاجتماعي .

الثاني : - التأمين التعاوني : ويقال له تأمين تبادلي وغالباً ما يتم بين زملاء المهنة الواحدة ويكون عبر جمعيات تشكل وتنتخب من قبل العاملين أنفسهم ويدفع كل شخص مبلغاً معيناً في الشهر ، ومن ثم يصرف منه على من يواجه مشكلة معينة كالمرض والوفاة وهذا جائز شرعاً لأنه تعاون وتضامن

(١) صديق ناصر عثمان ، محمد عثمان رابوي ، فصل المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي المقارن ، دبي ، مطبعة بن دسمان ، ندوة الثقافة والعلوم ، د.ت ، ط.٣ ، ص.٦ .

(٢) رجع الباحث في قضية التأمين إلى : -

- حامد محمد إسماعيل ، الثقافة الإسلامية لطلاب جامعة صنعاء ، مرجع سابق .

- عبدالسميع المصري ، مقومات الاقتصادي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٩٠م ، ط.٤ ،

بين الأفراد وقد حث الإسلام على ذلك قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وهو خال من المعاوضة ، وتنتفي فيه مفسدة الجهالة والغبن والغدر ، وعليه فالجمعية التي تباشر هذا النوع من التأمين التعاوني لا تهدف من ورائه إلى الربح أو الكسب وإنما الهدف هو التعاون والتراحم .

الثالث : - التأمين التجاري أو بقسط ثابت وهو الذي تقوم به شركات التأمين وأساسه عقد التأمين الذي يبرم بين الشركة وبين مستأمن معين وبمقتضى هذا العقد تتعهد الشركة بدفع مبلغ من المال وهو المعروف بمبلغ التأمين لهذا المستأمن عند حدوث الضرر، وذلك في مقابل التزام المستأمن بدفع قسط التأمين على فترات زمنية معينة ، وتحاول شركات التأمين وبطرق مختلفة أن تجعل مجموع هذه الأقساط أكبر مما تتوقع دفعه من تعويضات وإنفاقه من مصروفات حتى يتاح لها في هذا الفرق الكبير ما تنشده من الربح الذي توزعه على الشركاء المساهمين .

وقد بدأ هذا النوع من التأمين في أواخر القرون الوسطى حيث بدأت التجارة البحرية بين إيطاليا وبين المدن المجاورة لها فكان بعض رجال الأعمال يقرضون أصحاب السفن أموالاً تساوي قيمة السفينة وحمولتها في مقابل فوائد باهضة ، فإذا غرقت السفينة ضاع على المقرض المبلغ وإذا سلمت السفينة أخذ المقرض ماله مع الفوائد المستحقة عليه ، ومن ثم بدأ يظهر التأمين على الحياة أو التأمين لما بعد الموت وفي بداية القرن السابع عشر الميلادي ظهر التأمين ضد الحريق ومن بعده التأمين ضد مخاطر السفر والتأمين على الأموال والأشخاص وزاد الإقبال على هذا النوع من التأمين بسبب تعدد المخاطر والمصاعب التي تواجه الناس في حياتهم .

وهذا النوع من التأمين التجاري محرم شرعاً ويعد عقده باطلاً لعدة أدلة منها : -

- عقد التأمين من عقود الغرر المنهي عنها ، ويفسر الغرر بأنه ما يحتمل حصوله وعدم حصوله أو أنه لا يدري أيتم أم لا ؟ هذا إلى جانب أن المستأمن يجهل وقت العقد مقدار العوض الذي ستدفعه الشركة ، وبالمثل فالشركة تجهل كذلك عند التعاقد مقدار العوض الذي ستحصل عليه من المستأمن ، كما يتمثل الغرر في أن المستأمن لا يدري عند التعاقد إن كان سيحصل على مبلغ التأمين الذي بذل في مقابلته عوضاً أم لا .

- عقد التأمين يعتمد على القمار والمراهنة ، وكلاهما محرم شرعاً .

- عقد التأمين بهذه الصورة يتضمن الربا وهو محرم .

- في هذا النوع من العقود استغلال فاحش فالشركة التي تعمل هذا المجال تأخذ الكثير ولا تعطي إلا القليل، وهذا واضح فشركات التأمين تعتبر اليوم من أكبر الشركات امتلاكاً لرأس المال ويبقى السؤال ما هو البديل عن التأمين التجاري؟

البديل هو التأمين التعاوني أو التبادلي فعلى الدول الإسلامية أن تشجع هذا النوع وتدعمه ، نظراً لحاجة الناس إليه لمواجهة الكثير من المخاطر التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية في مجال العمل أو السفر أو غير ذلك .

الاستثمار : -

من المعروف أن العالم الإسلامي يمتلك ثروات كبيرة في مختلف المجالات الزراعية والمعدنية والصناعية والتجارية ، وهو بحاجة إلى استغلالها من خلال الأموال المتاحة لدى الأفراد والحكومات ،

بدل أن تستثمر في الخارج ويستفيد منها غير المسلمين، والإسلام يشجع الاستثمار وتنمية المال ، وبعد الغني خليفة ونائباً عن مالك المال الأصلي - وهو الله سبحانه وتعالى - مسؤول أن يتصرف فيه تمشيراً وإنفاقاً ، وفقاً لأمر صاحب المال وتوجيهاته فلا يجوز له أن يهمله أو يضيعه أو يبخل به ويمسكه فلا ينميه ويزيده من خلال تشغيله في أكثر من مصدر يستفيد منه هو أولاً ويفيد المجتمع ثانياً من خلال تشغيل الأيدي العاملة ، والتخفيف من البطالة، وكذلك من خلال العائدات التي ستعود على المجتمع من خلال تحريك هذا المال وعليه فالإسلام يشجع الاستثمار وفقاً للتصور الآتي :-

- يبيح الإسلام للمسلمين الاستثمار في كل المجالات التي لم تحرم بنص شرعي، مع العلم أن ما حرم أشياء قليلة جداً، وهي مضرّة على الفرد والمجتمع كالتجارة في الخمر والمخدرات وتصنيعهما .

- فتح الإسلام للناس مصادر كثيرة للاستثمار من ذلك أحياء الأرض الموات قال عليه السلام « ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين .» والاحتجار هو وضع اليد على الأرض الميتة لمحاولة إحيائها بزراعتها وتعميرها ، وهذا الباب يفيد الكثير من الشباب الذين لا يملكون رأس مال ثابت فعلى الدولة أن تعينهم على الاستفادة من هذه الأرض وتقدم لهم القروض الميسرة ليعملوا وينتجوا في المجالات المختلفة .

- أباح الإسلام للناس الاستثمار من خلال الشركات الكبرى التي تقوم على رأس مال كبير ويساهم فيها عدد كبير من التجار وغيرهم ويكون لكل فرد أسهم محدودة وتوزع الأرباح بحسب رأس مال كل فرد .

- لا بد أن يعطي الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع ، الأولوية لأن البعض ورغبة في الربح السريع قد يلجأ إلى الاستثمار في المجالات التي لا تفيد الأمة ولا تغطي حاجتها الضرورية، فهنا على ولي الأمر إذا رأى أن الجميع يتجه هذا الاتجاه عليه أن يتدخل لإعادة تنظيم وترتيب عملية الاستثمار بما يخدم مصلحة الأمة ، ويحقق الاكتفاء الذاتي ، ويكون ذلك عبر التخطيط السليم وتحديد الأولويات .

- يعتبر الإسلام أن المسؤولية في الاستثمار مسؤولية جماعية :- وهذا يعني أن على ولي الأمر والعقلاء في المجتمع منع السفهاء والأطفال من التصرف بأموالهم بطريقة تؤدي إلى هلاكه أو فقدانه ، ويستلزم هذا أيضاً من ولي أمر اليتيم أو السفية أن يحرك هذا المال طبقاً لقوله عليه السلام « ألا من ولي يتيماً فليتجر بماله حتى لا تأكله الصدقة .» ومفهوم هذا الحديث أنه لا بد من استثمار مال اليتيم حتى لا تنتهي بسبب الزكاة التي تخرج منه كل عام .

- لا بد أن يكون أحد أهداف الاستثمار التنمية بمفهومها الواسع :- وهناك الكثير من الأدلة على ذلك منها الحديث المشهور « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته .» وحول التنمية وعمارة الأرض يقول الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه « وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج .» (١) من النصين السابقين نستنتج أن ولي الأمر معنى برعيته وتديبر أحوالهم المعيشية، ولن يحدث هذا ما لم يكن هناك استثمار وتنمية وتعمير الأرض قال الماوردي :- إن من مسؤولية الحاكم : عمارة البلدان ، باعتماد مصالحها ، وتهذيب سبلها ومسالكتها (٢) .

(١) رفعت السيد العوض في الاقتصاد الإسلامي المرتكزات ، التوزيع ، الاستثمار ، النظام المالي، مرجع سابق، ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

– على الدولة أن تلتزم بتوفير الحماية الأمنية لكل المستثمرين وتشجيعهم من خلال سن القوانين والتشريعات التي تجعلهم يقبلون على الاستثمار ، ومما يؤسف له أن الكثير من رجال المال والأعمال يهربون من العالم الإسلامي ويستثمرون أموالهم في الخارج لأنهم يجدون التشجيع والدعم هناك أكثر مما يجدونه في أوطانهم .

– على الدولة أن تلتزم بتوفير كل الخدمات للمستثمرين من طرق ووسائل اتصالات ، وأراضٍ لإقامة مشروعاتهم وكل ما يلزم لذلك .

– على الدولة تشجيع الاستثمار من خلال إشرافها على بعض الشركات والمساهمة فيها، أو تقوم بفتح شركات ومصانع كبرى وتدعو الناس للمساهمة فيها حتى يطمئن الناس بوجود الدولة في المصانع والشركات التي يساهمون فيها .

الضرائب والجمارك :-

يسعى الإسلام من خلال تشريعاته الاقتصادية إلى إغناء المجتمع الإسلامي بكل فئاته وأفراده ، ومن أجل ذلك شرع الكثير من الالتزامات والواجبات على الأغنياء من أجل أن يوفرُوا للفقراء احتياجاتهم ومطالبهم ولكن لأسباب مختلفة قد لا يفي هؤلاء الأغنياء بالتزاماتهم وأيضاً قد لا تكفي الأموال التي تؤخذ منهم لسد احتياجات هؤلاء الفقراء ومن هنا يضطر ولي الأمر إلى فرض التزامات أخرى على الأغنياء حتى يوفر لحزينة الدولة أموالاً إضافية تغطي التزاماته نحو الفقراء ومن ذلك الضرائب والجمارك وهو ما عرف في صدر الإسلام « بعُشور التجارة » وهي ضريبة أول من شرعها في الإسلام هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استشار الصحابة وأجمعوا على موافقته ويقول عنها أحد الباحثين (١) إنها تشبه الضريبة الجمركية المعروفة اليوم ، وكانت تحصل على ما يدخل البلاد من عروض التجارة بحد أدنى للبضائع الواردة مائتي درهم أو عشرين مثقالاً من الذهب يعفي ما دونها ، كما كانت تتدرج من (٢٥٪ إلى ١٠٪) حسب أنواع البلاد القادمة منها التجارة أو فترة إقامة التاجر كما لم تكن تتكرر ، بمعنى أن صاحب التجارة إذا عاد بها لم يؤخذ منه شيء .

وتذكر المصادر التاريخية أن زياد بن حديد كتب مرة إلى عمر رضي الله عنه في أناس من أهل الحرب يدخلون أرض الإسلام فيقيمون فرد عليه يقول « إن أقاموا ستة شهور فخذ منهم العشر ، وإن أقاموا سنة فخذ منهم نصف العشر » وكان ابن خلدون قد تكلم حول « الضرائب » ولكنه لم يورد هذا اللفظ بل كان يستخدم لفظ « الجباية » وفيها يقول « فسيستحدث صاحب الدولة أنواعاً من الجباية يضربها على المبيعات ، ويفرض لها قدرًا معلومًا على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع في أموال المدينة » (٢) وهذا القول فيه إشارة إلى ما يسمى اليوم « بالضرائب غير المباشرة ».

حيث إن المنتج هنا لا بد أن يضيف قدر هذه الضرائب المستحدثة على أثمان مبيعاته وبذلك ينقلها إلى عبء المستهلك الذي يدفعها في صورة غلاء في الأسعار وفي هذا يقول « والمكوس تعود على البياعات بالغلاء لأن السوق والتجار كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم ما ينفقونه » (٣) .

(١) عبدالمصعب المصري ، مقومات الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون الفصل الثالث موضوع « الجباية وسبب قلتها وكثرتها » .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون الفصل الثالث موضوع « الضرائب المكوس » .

ومن يقرأ المقدمة يجد أن ابن خلدون تحدث عن مفهوم الضرائب وبشكل موسع ويسبق أيضاً ما توصل إليه الخبراء في هذا المجال في العصور المتأخرة .

وقد كانت قواعد هذه الضريبة تنظمها المصلحة العامة تماماً كما يفعل اليوم في التعاريف الجمركية ، كما كان يراعي فيها معاملة المثل مع مختلف الدول .

متى تفرض الضرائب : - (١)

يرى كثير من الفقهاء أنه يحق لولي الأمر فرض ما يراه من التزامات مالية إضافية على الأغنياء في بعض الحالات منها : -

- أن يكون الهدف من الضرائب هو محو الفقر وإزالته وإغناء المحتاجين ويكون في حالة عدم كفاية الزكاة، فهنا على ولي الأمر أن يستخدم سلطته في ذلك ويأخذ من الأغنياء بقدر معلوم وفي حدود الحاجة ولا يضر بمصلحتهم الخاصة وقد قال عليه السلام « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » وقد طبق هذا ثاني الخلفاء الراشدين في عام المجاعة ، كما أن ولاية البلدان المختلفة أرسلوا له مساعدات لمواجهة هذا الحدث الطارئ وفي حالة الحروب والحاجة إلى تقوية الجيش والدفاع عن الأمة ووجه المصلحة أن ولي الأمر إذا لم يعمل ذلك تعرضت البلاد للمخاطر والفتن وربما يستولي عليها الأعداء، وقد عمل ذلك السلطان (بيبرس) عندما دافع عن الشام من غزو التتار فاستفتى العلماء في جواز أخذ شيء من أموال الناس لتسديد نفقات الجيش فأفتوه بذلك بشرط أن يبدأ بنفسه ويرد كل ما عند خدمه وأعوانه وأقاربه من حُلِي وأموال ونفس الفتوى قال بها العز بن عبدالسلام للملك (قطز) عندما خرج للقتال مع (صلاح الدين) ضد الصليبيين فقال « جاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة ويقتصد كل جندي على مركوبه وسلاحه ويتساوا هم والعامة».

- يرى الإمام مالك أنه يجب على المسلمين فداء أسراهم ، وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا قد يستلزم فرض التزامات على الأغنياء .

- يرى الإمام ابن حزم أن الواجب الإسلامي لا يتم إلا بتحقيق وسائل الحياة الكريمة للطبقة الفقيرة وبذل ما يحتاج إليه هذا الهدف الإنساني وعليه فقد أفتى « بأنه إذا مات رجل جوعاً في بلد أعتبر أهله قتلًا وأخذت منهم الدية».

- أن تكون الضرائب من فائض المال : - وهذا يعني ألا يستغل ولي الأمر صلاحيته في تكليف الناس ما لا يطيقون أو يقدرون عليه من أعباء والتزامات .

- أن تكون هناك حاجة ماسة لذلك من أجل بناء بعض المرافق الضرورية والخدمات العامة التي تهم جمهور الناس وخاصة الطبقات الفقيرة .

- أن يكون القائمون على هذا الأمر من المشهود لهم بالنزاهة والأمانة ومن المؤسف أن التوظيف في مجال الضرائب والجمارك وكل المصالح الإيرادية أصبح اليوم مجالاً للتنافس والوساطات، لأن فيها رشاوى ونهب للمال العام، ومن أراد العمل هناك عليه بالسعي وتقديم الرشاوى والوساطات من أجل أن يقبل في هذا العمل، وهذه آفة مشاهدة وملموسة في أغلب الوطن الإسلامي .

هذه بعض الشروط التي يرى البعض أنها ضرورية لفرض أي أعباء مالية إضافية على الناس وبعض هذه الشروط قد يتفق معها البعض وقد يختلف معها البعض الآخر وآخرون قد يضيفون شروطاً أخرى ، المهم أن على الباحثين والعلماء أن يوضحوا للناس حقيقة مثل هذه القضايا التي قد تشغل بالهم دون أن يجدوا لها حلاً أو جواباً .

ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية لم تأخذ بالتعليمات الإسلامية التي جاءت في هذا المجال وإنما لجأت إلى استيراد أنظمتها الاقتصادية من الخارج دون أن تدخل عليها التعديلات التي تناسب عقيدتها، ويقره شرعها وما استوردت نظام البنوك القائم على الربا وفيما يلي عرض موجز لطبيعة هذه البنوك .

البنوك الربوية والبنوك الإسلامية :-

قبل الحديث عن هذه البنوك لابد من إعطاء فكرة حول الربا .

تعريفه : الربا هو زيادة أحد البدلين المتجانسين من غير أن يقابل هذه الزيادة عوض قال تعالى

« وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (١)

حكمه :- الربا محرم في جميع الأديان السماوية - اليهودية - المسيحية - والإسلام وقد جاء الإسلام والعالم كله يتعامل بالربا فحرمه أشد تحريم ولكنه حرم بالتدرج وعلى مراحل حتى جاءت المرحلة الأخيرة والحاسمة وهي التي تحمل معها التحريم القاطع قال تعالى « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفارٍ أثيمٍ ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون » (٢) كذلك حرمت السنة وقد جاء في الحديث « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » (٣)

(١) سورة البقرة ، آية ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات ٢٧٥ - ٢٨١ .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب البيوع باب لعن الله أكل الربا وموكله ، ج ١ ، ص ٦٩٧ .

أقسامه : - يقسم الربا إلى قسمين هما : -

- ربا النسيئة : - وهو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل ، وهذا محرم كما يتضح من النصوص السابقة وصورته : - أن يقترض شخص من شخص آخر مثلاً مبلغ ألف ريال على أن يعيده بعد شهر ألف ومائة ريال .

- ربا الفضل : - وهو بيع الذهب بالذهب والطعام بالطعام دون أن يكون قد طرأ عليهما تغير ، أما لو تغير شكل الذهب، كأن حوله بفعل الصناعة إلى شكل آخر فقد أجاز ابن القيم بيع الحلية من الذهب والفضة بنقود ذهب أو فضة تزيد على وزن الحلية وذلك مقابل ما في الحلية من الصنعة ، كبيع صاع من القمح بصاع وربع ، أما النقود إذا اختلفت نوعية العملة فلا شيء فيها ، فمثلاً ما يتم اليوم من عملية صرف العملة ليس من هذا الباب. وهذا النوع من الربا يدخل ضمن ربا النسيئة وقد حرم الإسلام الربا لأسباب كثيرة منها : -

- المحافظة على الأموال حتى لا تؤكل من قبل البعض بالباطل .

- القضاء على التضخم الناجم عن التعامل بالفائدة في كل المجالات والأنشطة الاقتصادية ، ومثال ذلك المصنع الذي أقيم على القروض سوف يرفع السعر من أجل أن يغطي فوائد القرض فإذا جاء شخص وأراد بناء مساكن للناس وأخذ جزءاً من المال قرضاً بفوائد وذهب إلى المصنع لشراء بعض أدوات البناء فهنا نلاحظ أن التكلفة سترتفع على المشتري .

- القضاء على الشراء الفاحش لدى بعض فئات الشعب على حساب البعض الآخر ، وخاصة أصحاب رؤوس الأموال نتيجة حصولهم على الفوائد الربوية .

- القضاء على البطالة التي قد يلجأ إليها البعض نتيجة لاكتفائهم بما يحصلون عليه من دخول من الأموال التي يضعونها في البنوك . (١)

- تحريم الربا يؤدي إلى مزيد من التعاون والتكاتف بين أبناء المجتمع الواحد ويحس كل فرد بمشكلة أخيه فلو وجده محتاج للمال يقرضه دون أن ينتظر منه زيادة ، ولو وجد الربا لما أقرضه .

- التخفيف من بعض الأمراض الاجتماعية التي قد تنشأ لدى الفقراء نتيجة إحساسهم أن الأغنياء يحصلون على المال دون جهد أو تعب يذكر ولذا تقول الاشتراكية « إن فائدة رأس المال اغتصاب لعرق الفقير » . (٢)

- يعد الربا كسباً غير طبيعي لأنه يأتي دون جهد وتعب ومن المفترض أن المال يأتي من خلال الجهد والتعب .

- شيوع الربا في البنوك الربوية أدى إلى إحجام قطاعات كبيرة من الناس سواء كانوا مدخرين أو مستثمرين، عن التعامل مع هذه البنوك لأسباب دينية، والبعض يتعامل معها بحذر شديد الأمر الذي أدى إلى قصور نماء العوائد المصرفية وإفساح المجال لشيوع ظاهرة الاكتناز والاستهلاك الترفي والمظهري .

(١) عبدالودود الربيعي ، حول قانون المصارف الإسلامية ، بحث منشور في مجلة الثوابت ، صنعاء ، ص ١٣٨ .

(٢) عبدالسميع المصري ، مقومات الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

– وقد ترتب على الأمر السابق ضعف القاعدة الإنتاجية وعدم مسايرة الإنتاج للارتفاع المستمر في الطلب على السلع والخدمات .

– التعامل بالربا يؤدي إلى إحجام الناس عن العمل في مجالات التنمية المختلفة ، فصاحب رأس المال يقول بدلاً من الجهد والمخاطرة في المشاركة في العملية الإنتاجية يلجأ إلى وضع ماله في البنك ويأخذ عليها مبلغاً معيناً ، وفي هذا تعطيل للتنمية .

– إنتشار الربا يؤدي إلى إحجام البنوك والمصارف عن المشاركة في عملية التنمية من خلال المشاركة في المشروعات الإنتاجية والاجتماعية التي تسعى إليها البلدان لأنها تفضل أن تقرض الأموال التي لديها إلى الأفراد مقابل أخذها فوائد عليهم .

– الربا يؤدي إلى السيطرة والاستعباد من قبل القوى على الضعيف خاصة بين الدول ، ونحن نرى كيف أن الدول الأجنبية تفرض شروطها وتقلي رغباتها على المسلمين عن طريق تهديدتهم بالديون التي عليهم فمن أطاعهم خفت عنه الديون أو أعفي ومن عصاهم ضوعفت عليه الفوائد وحوصر اقتصادياً وسياسياً .

هذه بعض أضرار الربا الظاهرة وعلى الرغم من وضوحها إلا أن العالم الإسلامي يستورد كل ما يتعلق بأمور الاقتصاد والتنمية من الغرب أو الشرق، ولم يحاول أن يعدل أو يضيف ما يناسب عقيدته وهذا الاستيراد أما عن جهل بأحكام الإسلام وتشريعاته ونظمه، أو أنه نتيجة لضغوط خارجية ، ورغم ذلك فقد حدثت بعض المحاولات من قبل بعض الأفراد لايجاد نواة لاقتصاد إسلامي يقوم في الغالب على أسس إسلامية وبدأت التجربة في مصر في بداية الستينات من هذا القرن ثم عممت الآن في أكثر الدول الإسلامية،^(١) ولقت هذا البنوك إقبالاً واضحاً من الجمهور ومن الدول التي تبنت الفكرة إلى جانب مصر والسودان ، باكستان ، إيران ، الإمارات ، الأردن ، الكويت ، البحرين ، قطر ، واليمن،^(٢) وقد حازت مسألة البنوك الإسلامية على اهتمام واسع من قبل بعض المفكرين الإسلاميين ودافع عنها البعض وبحماس شديد خاصة وأنها تعرضت لهجوم شديد من قبل بعض القوى المناوئة للفكرة من أساسها والتي سمحت لبنوك أجنبية ورأس مال أجنبي للعمل داخل البلاد الإسلامية بينما لا تريد أن تسمح للبنوك الإسلامية بذلك،^(٣) وتضع أمامها العقبات والعراقيل وتنشر الدعايات المضللة حول نجاحها وقد يتصور البعض إن البنك الإسلامي يلغي كل المعاملات التي تقوم بها البنوك الأخرى ، وأنه لن يتفاعل مع الأوضاع الاقتصادية والتغيرات العالمية التي تواجه المجتمعات ، وهذا تصور خاطئ لأن البنوك الإسلامية يمكن أن تقوم بكل الأعمال التي تقوم بها البنوك الأخرى، والفارق فقط أنها تعمل في ظل ما أحله الإسلام وأباحه، وفي هذا المعنى يقول أحد المختصين «أود أن أؤكد أن

(١) محمد علي السقاف ، قانون المصارف الإسلامية ، اليمن البداية الفريدة في التجربة المتأخرة ، بحث منشور في مجلة

الثوابت ، صنعاء ، العدد ٦ ، ١٩٩٦م ، ص ٨٨ .

(٢) في اليمن افتتحت عام ١٩٩٧م ثلاث بنوك إسلامية وصدر لها قانون نوقش في مجلس النواب وصادق عليه رئيس الجمهورية وقد جاء افتتاح هذه البنوك بدعم من بعض رجال الأعمال في اليمن وساهمت فيها بعض البنوك الإسلامية القائمة في بعض الدول الإسلامية .

(٣) عبدالسلام علي المخلافي ، المصرف الإسلامي الحالة اليمنية ، مجلة الثوابت ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

الأساس الاقتصادي لقيام البنوك الإسلامية هو نفس الأساس الاقتصادي لقيام البنوك الحديثة، ألا هو الوساطة المالية المتمثلة في جمع المعلومات من الأسواق النقدية وبيعها للأفراد الذين يتوفر لديهم فائض في السيولة والذين لديهم عجز أو تحويل الأصول المالية من صورة إلى أخرى، بغرض تحقيق الربح ، وهذا يعني أنه لا بد من قيام نظام بنكي في أي اقتصاد حديث سواء كان هذا الاقتصاد في مجتمع إسلامي أو غير إسلامي،» (١)

ورغم أن البنوك والمصارف الإسلامية لم تلق الدعم والتأييد الذي تحظى به البنوك الأخرى، إلا أنها حققت نجاحاً ملموساً في مختلف المجالات وخاصة نجاحها في جذب حجم أكبر من الودائع ، فعلى سبيل المثال استأثر بيت المال الكويتي بحوالي خمس إجمالي الودائع في الأسواق الكويتية وأصبح يحتل المرتبة الرابعة في ترتيب البنوك التجارية في الكويت وبالمثل استطاع البنك الإسلامي البحريني أن يحقق نجاحاً كبيراً واستقطب حوالي ١٦٪ من إجمالي الودائع في الأسواق البحرينية بالرغم من حادثة نشأته كما بلغ حجم الودائع في بنك فيصل حوالي ١٧٪ من حجم الودائع في الأسواق المصرية (٢).

ونسأل الله أن يوفق أيضاً البنوك الإسلامية في اليمن وتخطو نفس خطوات البنوك السابقة لها . ويؤكد الكثير من الباحثين أنه من المتوقع أن تنجح هذه البنوك في تجربتها نظراً لوجود الكثير من المؤشرات، وأهمها قلة الودائع في البنوك التجارية، (٣) كبر حجم الأسواق اليمنية، واتساع النشاط التجاري، وكثرة المؤسسات الصغيرة.

تعريف البنوك التجارية :-

يمكن تعريف البنوك التجارية :- والبعض يسميها بنوك الودائع بأنها «عبارة عن مؤسسات ائتمانية غير متخصصة تضطلع أساساً بتلقي ودائع الأفراد القابلة للسحب لدى الطلب، أو بعد أجل قصير والتعامل بصفة أساسية في الائتمان قصير الاجل.» (٤)

ومع التطور الذي حصل في المجال الاقتصادي كان لا بد أيضاً أن تتطور الخدمات التي تقدمها البنوك ولا تكتفي بمجرد تلقي الودائع الجارية من الأفراد والمشروعات وخصم الكمبيالات وتقديم القروض القصيرة الأجل ، وبالفعل واكبت التطورات واصبحت تزود المستثمرين ورجال الأعمال والهيئات العامة بالائتمان الطويل الأجل اللازم لتمويل رؤوس الأموال الثابتة أو توسيعها وشراء السندات الحكومية وغير الحكومية والمشاركة في بعض المشروعات الصناعية وبالجملة فهي مؤسسات ائتمانية غير متخصصة ، بمعنى أن نشاطه لا يقتصر على فرع معين من فروع النشاط الاقتصادي كما هو الحال بالنسبة للبنوك الزراعية والصناعية والعقارية التي تعرف بأنها بنوك متخصصة (٥).

(١) سيف العسلي ، مساهمة البنوك الإسلامية في الاقتصاد اليمني ، بحث منشور في مجلة الثوابت ، صنعاء ، العدد

٦ / سنة ٩٦ . ص ٨٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٤) محمد زكي شافعي ، مقدمة في النقود والبنوك ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠م ، ط ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٥) محي الدين الغريب ، اقتصاديات النقود والبنوك ، القاهرة ، دار الهناء للطباعة ، ١٩٨٠م ، ط ١ ، ص ٢٩ .

الأهداف التي تقوم عليها البنوك الإسلامية : - (١)

تعمل البنوك والمصارف الإسلامية لتحقيق الأهداف التالية وبما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية : -

- توسيع نطاق التعاون المصرفي عن طريق تقديم الخدمات المصرفية، مع الاهتمام بإدخال الخدمات الهادفة لإحياء صور التكافل الاجتماعي المنظم على أسس المنفعة المشتركة .

- تطوير وسائل جذب الأموال والمدخرات واستثمارها الاستثمار الأمثل .

- تمويل ومزاولة أنشطة التجارة الداخلية والخارجية والمساهمة في مشروعات التنمية الزراعية،

والصناعية والاستخراجية والعمرانية والسياحية والسكانية وغيرها من مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

- الاهتمام بصغار الحرفيين ، وصغار المستثمرين ، وأصحاب الأعمال والصناعات الصغيرة

ومعاونتهم في توفير التمويل اللازم لمشروعاتهم .

- أن يكون للمصرف الإسلامي الحق في تأسيس المحافظ والصناديق الاستثمارية وإصدار الصكوك

والقروض وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

- القيام بأعمال الوكيل والأمين وتعين الوكلاء .

اختصاصات البنوك والمصارف الإسلامية : -

سبق القول إن البنوك الإسلامية تستطيع أن تقوم بكافة المعاملات وأعمال التمويل والاستثمار

اللازم لتحقيق أغراضها وفقاً للقوانين النافذة وبما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ويشمل

ذلك الكثير من الأعمال والتي تتمثل أبرزها فيما يلي : -

- القيام بجميع أعمال التمويل والاستثمار في مختلف المشاريع والأنشطة، من خلال التمويل

بالمشاركة والمضاربة وبيع المرابحة وغيرها من الصيغ التي لا تخالف أحكام الإسلام .

- إبرام العقود والاتفاقيات مع الأفراد والشركات والمؤسسات والهيئات في الداخل والخارج .

- تأسيس الشركات في مختلف المجالات والمساهمة في الشركات القائمة .

- المساهمة في رأس مال أي مصرف في الداخل أو الخارج وفقاً لأحكام الإسلام .

- تملك الأصول الثابتة والمنقولة اللازمة لتنفيذ مشاريع الاستثمار الداخلة في اغراضها أو بغرض

تأجيرها .

- القيام بكافة الخدمات المصرفية والأعمال بما لا يعارض أحكام الإسلام (٢) .

وهكذا نلاحظ مما سبق أنه لا داعي من الخوف والقلق الذي يُصوّره البعض ويتصوره من أن البنوك

الإسلامية إذا قامت سوف تعطل النشاط الاقتصادي، وتشل حركته بحجة أنها تحرم الكثير من الممارسات

(١) هذه الأهداف التي نص عليها قانون المصارف اليمنية وقد اختارها الباحث لأنها تجمع خلاصة الأهداف التي قامت

عليها البنوك الإسلامية عموماً وكون هذا القانون هو أحدث قانون يصدر بهذا الخصوص ولأن التجربة اليمنية

استفادت من كل التجارب السابقة .

(١) مشروع قانون المصارف الإسلامية ، الفصل الثاني ، الأهداف والاختصاصات منشورة في مجلة الثوابت صنعاء ،

العدد ٦ ، ١٩٩٦ م ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

والأعمال الاقتصادية، ومن يقرأ الأهداف والاختصاصات السابقة يجد أن المساحة واسعة والمجال مفتوح أمام من يرغب في ممارسة النشاط الاقتصادي، وفقاً لأحكام دينه وعقيدته، وأن ما حرم شيء قليل لا يؤثر في العملية الاقتصادية للبلدان التي تسير على هذا النهج ومن هنا نلاحظ أن تخوفاً هؤلاء وقلقهم في غير محله وليس له مبرر .

الاستفادة من التجارب الاقتصادية التي عند الغير :-

لا يمنع الإسلام المسلمين من الاستفادة من التجارب والخطط التي ينتجها الآخرون ولكن مع الأخذ بالاعتبار، أن لكل بلد ظروفه العقائدية والسياسية والاجتماعية وأن الاستفادة لا بد أن تكون مشروطة بملاءمة ما يؤخذ للأوضاع القائمة في البلد الآخر ففي الحالة الاقتصادية مثلاً لا يصح أن ننقل التجربة الرأسمالية إلى الدولة الإسلامية بكافة أنماطها وأشكالها، وإنما لو أردنا علينا أن نغربل هذه التجربة ونأخذ منها الجانب الحسن والناجح ونترك الجوانب التي تخالف عقيدتنا ومصالحنا، وفي هذا يقول أحد الباحثين « إن استبعادنا الأخذ بنماذج التنمية الاقتصادية المعمول بها في دول الغرب « الرأسمالي » أو دول الشرق « الشيوعي » يقوم على مبدأ أساسي أكدته التجارب التاريخية، وهو أن حلول مشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي لا يمكن أن تصنع في الخارج ، فالتخلف ظاهرة اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، لا بد أن تجد علاجها في واقع البلد المتخلف ذاته ، ومن هنا كانت الأصالة الفكرية شرط ضروري ولازم لإطلاق عجلة التنمية ، فصيافة نماذج تنمية جديدة بعيداً عن المؤشرات الأيديولوجية المستوردة ، تعتبر في يقننا الواجب الأول الذي يقع على عاتق كل مسؤول عن التنمية في البلد المتخلف، وهنا تفرّض النظرة الإسلامية سلطانها على اعتبار إن الإسلام تراث فاعل تمتد رؤياه الفلسفية إلى أعماق الواقع الاجتماعي والاقتصادي، «(١)

وعليه فالباحث يقترح أن يقوم الخبراء والمختصون في هذا المجال بصياغة رؤية إسلامية متكاملة في مجال الاقتصاد والتنمية تقوم على أساس من التخطيط والاستقلال والمرونة والموازنة بين الحاجات والإمكانيات، لتستوعب كل متطلبات العصر والتغيرات المادية والاقتصادية، وتكون بمثابة الدستور والحكم الذي يرجع إليه كل من يمارس نشاط اقتصادي وفي أي مجال من المجالات، وبهذا نستغني عن التوجه نحو الغرب تارة ، ونحو الشرق تارة أخرى، وهذا لا يعني أننا نعتزل عن العالم ونقاطع التعامل معهم، إن هذا التصور غير صحيح وأن ما أقصده هو أن يكون لنا رؤية كما لهم رؤية وأن يكون لنا تصور كما لهم تصور، ومن ثم لا مانع إذا رأينا عندهم ما يناسب وضعنا ويتفق مع عقيدتنا أن نأخذ به ونستفيد منه، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وإنما العيب أن نظل عالة على غيرنا في كل مجالات الحياة .

(١) محمد عبد المنعم الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق . ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الموضوع السادس : - ويتناول النظام السياسي في الإسلام .
المقومات التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام : -

قبل الحديث عن المقومات التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام لا بد أن نأخذ فكرة موجزة عن تعريف النظام السياسي والسياسة عند بعض القدماء وأركان الدولة .

السياسة عند اليونان : - (١)

عرفت اللغة اليونانية بعض الكلمات التي تدل على السياسة وحاول البعض كتابتها باللغة اللاتينية وتحديد معناها ومن ذلك (eplis) : وهي تعني المدينة أو اجتماع المواطنين الذين يكونون المدينة أو الدولة (epolitieia) وتتضمن معاني عدة منها الدولة ، الدستور ، النظام السياسي ، حقوق المواطنة وغلب على هذه السياسة الفكر المثالي المجرد على حساب الحركة ، لذا فشل في إيجاد الحلول لمشاكل الحياة ، وفشل في إقامة الدولة وكان البحث عن محور السعادة وهو محور المفاهيم السياسية ، وخير من يمثل هذا النموذج أفلاطون في كتابه «الجمهورية».

السياسة عند الرومان : - (٢)

ظهر في اللغة اللاتينية اصطلاح (Respublica) وهو يعني « الشؤون العامة » ويقصد بها كل ما يتعلق بالمواطنين في الدولة أي أنها تعني الشؤون السياسية وغلب عليهم طابع الحركة وتعني القوة ، والقوة تعني نشر النفوذ ، ليتمكن مجتمع من السيادة والسيطرة على المجتمعات الأخرى ، ولذا دخل هؤلاء في سلسلة من الحروب مع الفرس أولاً ثم المسلمين ثانياً .

تعريف السياسة عند العرب : - (٣)

تعريف السياسة لغة : « القيام على الشيء بما يصلحه : والسياسة : فعل السائس يقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراحتها ، والوالي يسوس رعيته» .

السياسة عند الفرس : -

وتقوم على أساس اختفاء حقوق المحكوم أزاء الحاكم ، والحاكم إله سياسي والمحكوم لا وجود له لذا انتهى هذا النموذج إلى الانغلاقية والفشل في صنع دولة قوية وذات نفوذ .

النظام السياسي في العصور الوسطى : -

وهو نموذج معقد بحسب طبيعته وعلاقته المدنية ، ويؤخذ عليه سمة « التعصب الديني » المطلق ورفض كل تصور مخالف ، والطرده من الكنيسة لكل من لا ترضى عنه ، كما يؤخذ عليه الاستفزاز لكل المخالفين ، ونتج عن ذلك الحروب الصليبية ، ومحاربة اليهود .

(١) إبراهيم أحمد شلبي ، علم السياسة ، دراسة في قواعده الأصولية وضوابطه النظرية ، بيروت ، الدار الجامعية ، د.ت ط ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٥ .

(٣) محمد بن علي المعروف بجمال الدين بن منظور ، لسان العرب المحيط ، بيروت ، دار لسان العرب ، المجلد الثاني ، ط ، ص ٢٣٩ .

السياسة عند الدولة القومية :-

والسمة البارزة في هذه السياسة هي سيادة الفرد وجعل حقوق المواطن تحتل المركز الأول والأخير للوجود السياسي ، وأنه لا وسيط بين المواطن والدولة ، وقد حاصر هذا النموذج الكنيسة في أضيق دائرة وهي دائرة العبادة ، ومن أهدافه التوسع الاستعماري والانتشار في كافة القارات ونهب خيرات الشعوب والتحكم في دول العالم (١).

تعريف السياسة :- (٢)

وجدت عشرات التعاريف الحديثة للسياسة منها :-

- السياسة :- معرفة كل ما يتعلق بفن حكم دولة وإدارة علاقاتها الخارجية .

- السياسة :- كل ما يتعلق بالشؤون العامة بحكومة دولة وبالعلاقات المتقابلة لمختلف الدول .

- السياسة :- علم حكم الدولة أو علم السلطة .

- السياسة :- تعني نظام الحكم ، وكيفية اختيار الحاكم وحقوقه وواجباته ، وحقوق وواجبات

المحكوم ، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والعلاقة بين الدول في حالة السلم والحرب .

تعريف السياسة في الإسلام :- (٣)

استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والأجل ، وتدبير أمورهم .

مقومات النظام السياسي في الإسلام :-

النظام السياسي في الإسلام نظام فريد يختلف عن بقية النظم السياسية الأخرى ، وإن تشابه معها في بعض الأمور إلا أن له خصائص ومقومات تجعله نظاماً مستقلاً عن غيره وإن كان البعض يجهل أن الإسلام قد تناول هذا الجانب، وعليه فالنظام السياسي في الإسلام يقوم على مقومات كثيرة أهمها :-

(١) إن التشريع لله وحده :- يدرك المسلم أن الله سبحانه هو المشرع لعباده وأنه لا يجوز للحاكم أن يسن تشريعات أو قوانين تخالف أوامر ونواهيه وقد حذر سبحانه من عدم الامتثال لحكمه وشرعه فقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» وما يؤسف له أن الأمة الإسلامية قد ابتليت بأفة الاستيراد وأعجبها هذا النمط فاستوردت كل شيء من الخارج حتى نظمها وقوانينها ، ووجد هذا العمل الكثير من الدعاية والدعم من قبل الغرب أو الشرق وهدفهم من ذلك هو تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم تشفيماً وحقداً من ناحية ، وزعزعة للدين من أصوله من ناحية أخرى ولم يكتف الأعداء بذلك ، بل عملوا على إقامة الحواجز والموانع التي تمنع العودة إلى الحكم بالشريعة الإسلامية وذلك من خلال مناهج التعليم ووسائل الإعلام وإفساد المجتمعات ، وخاصة طبقة الحكام وأقاربهم وأكدوا لهم أن الإسلام عدوهم وشرعه لوطبق سوف يخرجهم من الحكم (٤) .

(١) سيد نعمان عبدالرزاق، النظام السياسي في الإسلام، الرياض، جامعة الملك سعود، كلية التربية ، د.ت، ط٠ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦ .

(٣) محمد أمين بن عمر أفندي ، المشهور بابن عابدين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين

ج٤ ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٦م ، ط ٢ ، ص ١٥ .

(٤) محمد قطب ، رؤية إسلامية لإحوال العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

(٢) إن الحاكم ومعاونيه منفذون للأحكام الشرعية : - وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد أن مهمة الجهاز الحكومي هو تنفيذ الأحكام والدفاع عنها قال تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً صبيحاً. » (١) وقال « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. » (٢) وهذا لا يعني أن الإسلام يمنع من استحداث أنظمة وقوانين جديدة استجذت في حياة الناس ومنها أنظمة المرور، والوظائف العامة وإجراءات السفر، والتعاون والتبادل مع الدول الأخرى ، وقضايا الجنسية والمعاهدات والاتفاقيات وغير ذلك ، والإسلام لا يحرم ذلك وإنما يأصله ويجعل الضابط لذلك عدم المخالفة لأوامر الشريعة، والغرض من ذلك أيضاً ضبط أعمال الحكام حتى لا يفرضوا أحكاماً وقوانين تتسبب في ظلم الناس وتجعلهم خدم للحكام وأعدائهم ، والغرض أيضاً من ذلك حتى يتساوى الناس في الأحكام لأن الموضوع لو ترك لتقدير الحكام ربما يحدث نوع من المفاضلة والتمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين . (٣)

(٣) الشورى والعدل : - يقوم نظام الحكم في الإسلام على مبدأ الشورى والعدل وهناك الكثير من النصوص الدالة على ذلك . (٤)

(٤) إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مباشرة ، لاتعرف الوسيط ولا يفصل بين الاثنين أية فواصل إدارية أو أمنية أو اجتماعية لأن الحاكم في الإسلام مسؤول عن كل رعيته ، وبالتالي لا يحق له أن يفصل نفسه عن الرعية، وقد استشعر عمر رضي الله عنه عظم هذا الأمر وقال قولته المشهورة « والله لو عثرت بغلة في العراق لسأل عنها عمر لما لم يسو لها الطريق. » وفي هذا القول دلالة أن الحاكم كان يراقب الله في كل أعماله ، وكان هو وبقية الخلفاء يتفقدون أحوال الرعية مقتدين بذلك بفعل مثليهم رسول الله عليه السلام ، ونتيجة لحسن العلاقة حدث الحب والتعاون والطاعة بين الحاكم والمحكوم .

(٥) العلاقة بين الحاكم والمحكوم تنبع من العلاقة الدينية فكلمة التزم الحاكم بشرع الله كلما زاد حب الناس له وطاعتهم لأوامره.

(٦) لا بد أن تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم قائمة على البساطة : - وهذا واضح فلم يعرف الإسلام التجريد المثالي، الذي عرفه النموذج اليوناني، ولا التركيب النظامي الذي عرفه النموذجان الروماني والكاثوليكي، ولا الاستيعاب المطلق الذي سيطر على النموذج القومي، (٥) ولم يعرف الإسلام الأبهة والبذخ الزائد الذي يتبعه حكام اليوم الذين ينفقون الملايين على تأمين أنفسهم من رعيته، وعلى المجاملات ، والولائم والسفر ، والعلاج والكساء والغذاء وكل أمور الحياة ، لقد وصل الأمر إلى درجة السفه ، فلماذا كل هذا . إن الجهود في بعض الدول تصب في أغلبها من أجل

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٦ .

(٢) سورة الجاثية ، آية ١٨ .

(٣) سميح عاطف الزين ، السياسة والسياسة الدولية ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٤) نظراً لأهمية هذين المبدأين سيتم تناولهما بشيء من التفصيل في الموضوع التالي لهذا .

(٥) سيد نعمان عبدالرزاق ، النظام السياسي في الإسلام، مرجع سابق ، ص ١٣ .

الحفاظ على الحاكم وحاشيته وبينما تترك أمور الناس دون حل ، وقضاياهم تهمل أين هؤلاء مما قاله أحد الرسل عندما جاء للبحث عن عمر بن الخطاب لتسليمه رسالة من أحد ملوك الإفرنج جاء يسأل أين قصر الخليفة ، فقيل له أذهب إلى ذلك المكان ستجده نائم تحت الشجرة فاستغرب هذا الرسول ، وقال قوله المعروف « حكمت فعدلت فأمنت فنمت » .

(٧) يجمع النموذج الإسلامي بين الفكرة والحركة ، وبتقييم توازناً بين الحاكم والمحكوم ويفرض أيضاً سيادة الدولة وهيبة النظام ، وفي نفس الوقت لا يتجاهل أن السيادة بحاجة إلى القوة ، وأن القوة تحمي الشريعة ، وإن كانت لا تصنعها وهو يستشعر ذلك من قوله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (١) والقوة هنا تختلف طبيعتها من عصر إلى عصر فلا بد ونحن في هذا العصر أن تمتلك الدولة كل أسباب القوة والنصر التي تمكنها من الدفاع عن عقيدتها وحدودها ، ومن المؤسف اليوم ونحن نعيش في ظل هذا التمزق الإسلامي القول إن الاسلحة والجيش يوجهان للحرب بين الدول الإسلامية مع بعضها البعض . أخي القارئ انظر من حولك وتأمل ماذا جرى ويجري في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي وعلى ماذا ؟

(٨) الحكم في الإسلام لا يورث (٢) ، وللحاكم مؤهلات لا بد من توافرها منها : العلم والكفاءة والأمانة وسلامة الحواس ، وتوريث الحكم قديماً يأناس لا يحسنون إدارة الدولة ولا يقدرون عواقب الأمور ، أو مترفين لا يسعون إلا لشهواتهم ومكاسبهم ، ولاشك أن الأمر عندما أسدي إلى غير أهله أصيب الوطن الإسلامي بنكبات كثيرة ، انظر من يحكمنا اليوم وفي طول الوطن الإسلامي وعرضه هل هم أكفأ الناس وأخيرهم أم ماذا ؟ وقد حذر عليه السلام أبا ذر من الإمارة عندما سأله ذلك ، قال له « يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة وأنا يوم القيامة خزني وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » (٣)

ورفض عمر أن يرشح ابنه للخلافة وقال « بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم واحد عن أمة محمد عليه السلام » .

(٩) أهل الحل والعقد (٤) في الإسلام هم الذين يوكل إليهم أمر اختيار الحاكم ومن ثم على عامة الشعب الموافقة وإقرار الاختيار ، وأهل الحل والعقد لا بد أن يكونوا مؤهلين لذلك ، ولديهم القدرة على التمييز بين من يصلح لهذا الأمر ، ومن لا يصلح ، ويرى الباحث أن أهل الحل والعقد يمكن أن يكتفي عنهم بالمجالس النيابية اليوم ، ولكن بشرط أن يكونوا مختارين بنزاهة وأمانة وأن يمثلوا كافة أفراد الشعب ويمثلوا أيضاً أغلب التخصصات وأن يكونوا ممن يملكون الشجاعة ولا يخافون في الحق لومة لائم ، وأن يكون مشهوداً لهم بالصلاح والتقوى وسلامة الذمة المالية والنزاهة الخلقية والسلوكية وغير ذلك من الشروط التي لا بد من توافرها فيمن يقوم بمهمة أهل الحل والعقد ولا يعني هذا أننا

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

(٢) محمد يوسف موسى ، نظام الحكم في الإسلام ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، د.ت ، ط٠ ، ص ٢١٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه .

(٤) محمد المسير ، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

نطلب أن يكونوا ملائكة ولكن نقول أننا نسعى إلى أن يكونوا صفوة المجتمع وخيرتهم لأنهم هم الذين سيختارون للأمة من يقودها ويرعى مصالحها .

(١٠) الحكم في الإسلام لا يعطى لمن يطلبه ويسعى إليه ويبدل لذلك الرشاوي والعطايا، ويستخدم كل الأساليب حتى يصل بالبعض إلى القيام بأمر لا نريد ذكرها هنا احتراماً لمقام العلم . وأرجو أن يكون قد وصل إلى أذهانكم المقصود ونحن هنا لا نفتري ولا نتجنى ولكن الواقع يشهد بهذه المأساة وفي التحذير من هذا قال عليه السلام « إنا والله لا نتولي على هذا العمل أحداً سألته ولا أحداً حرص عليه » (١)

(١١) أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أنه لا بد للدولة من حاكم يتولى تدبير أمورها ، وأنه لا يجوز أن تبقى الأمة دون حاكم يقوم على شؤونها .

(١٢) اعتنى الفكر السياسي في الإسلام بمنهجية الحوار بين الناس وأصل له أدبيات وقيماً حرصاً منه على الألفة والاحترام المتبادل « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » (٢) ، وقوله « وجادلهم بالتي هي أحسن » (٣) .

(١٣) ويؤكد الإسلام على مبدأ السلم في حالة جنوح العدو لذلك « وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٤) وفي نفس الوقت يقرر الإسلام مبدأ الدفاع عن النفس والعرض والمال . (٥) العدل والثورى في النظام السياسي الإسلامي :-

العدل بين الناس أفراداً وجماعات ، دولاً وشعوباً ليس منة أو أمراً مزاجياً لشخص الحاكم أو الزعيم ، إن إقامة العدل بين الناس في الإسلام يعد واجباً من أقدس الواجبات وأهمها ، وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل قال الرازي « أجمعت الأمة على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل » (٦) وقد بنى هذا العالم كلامه على أدلة كثيرة منها قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » (٧) والأمر هنا يقتضي الوجوب وقوله سبحانه « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٨) وإذا لم يقام العدل يظهر نقيضه وهو الظلم وهو محرم في الإسلام قال تعالى « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » (٩) وقال سبحانه « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » (١٠) وقال عليه السلام « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر » (١١) وها هو

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .

(٣) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٦١ .

(٥) حامد أحمد الرفاعي ، الإسلام والنظام العالمي الجديد ، مكة ، رابطة العالم الإسلامي ، كتاب شهري ، العدد ١٤٦ ، ١٤١٥ هـ ، ص ٨٥

(٦) انظر الفخر الرازي ، تفسير الرازي ، ج ١٠ ، ص ١٤١ .

(٧) سورة النحل ، آية ٩٠ .

(٨) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٩) سورة الصافات ، آية ٢٢ .

(١٠) سورة إبراهيم ، آية ٤٢ .

(١١) رواه أبو يعلى الموصلي ، انظر منهاج الصالحين ، ص ٤٤٤ .

الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقف مع يهودي أمام القاضي شريح ابن هاني ليتحاكما في قضية الدرع الذي فقده الخليفة في معركة صفين ، وها هو القاضي يُجرى إجراءات التقاضي دون أن يميز بينهما، ويطلب البينة من المدعي واليمين على من أنكر (١).

من كل الأدلة السابقة يتضح لنا أهمية العدل وأنه أمر رباني لا يجوز التراجع عنه أو إغفاله مهما كانت الأسباب والدوافع ، وهذا يقودنا إلى القول إن ما يحدث اليوم في أغلب دول العالم الإسلامي من ظلم وضياع للحقوق وإهدار للكرامات ليس من الإسلام في شيء ، وأن ما يحدث من ممارسات خاطئة ترجع إلى جهل الحكام والزعماء بتعاليم الإسلام الذي جاء ليرفع الظلم وقيم العدل بين الناس . ومن أجل ذلك يرى بعض العلماء أنه لا بد من إعادة النظر في الكثير من القوانين والأنظمة القائمة في كثير من دول العالم الإسلامي وجعلها تتلائم وتتناسب مع الشريعة الإسلامية التي أفسحت المجال ويسرت السبل امام كل فرد ليطالب ويدافع عن حقه بأيسر الطرق وأسرعها دون أن يتحمل أي نفقات مالية ، ومن ذلك يرى البعض إلغاء الرسوم والمصاريف التي تطلبها بعض الجهات من أجل التقاضي ، كذلك يجب إعادة النظر في ترتيب أوضاع المحامين وتحديد أجورهم وأعمالهم لأن البعض منهم يستغل الموكل ويكلفه أكثر مما سيحصل عليه ، كذلك ينبغي أن لا يجبر الشخص على توكيل محامي ويترك له الخيار (٢) . كذلك ينبغي تسريع إجراءات التقاضي والبت في القضايا محل النزاع حتى لا يشعر الناس بضياع حقوقهم ومن ثم يلجأون إلى طرق وأساليب أخرى ، خاصة في مجتمعنا الذي يلجأ فيه البعض إلى قوة القبيلة أو قوة السلاح ليأخذ حقه ، وكم من القضايا الجسيمة نعرفها جميعاً حدثت في بلادنا بسبب غياب العدالة أو تأخرها أو ميلها عن طريقها الصحيح لأسباب كثيرة . إن ما نرجوه هو أن يكون للقضاء هيئته وللدولة قوتها وللمواطن كرامته ، وللحق أنصاره وللشريعة مكانتها، فإذا توافر ذلك عمّ العدل والأمان والاستقرار المجتمع بأسره .

المشورى :-

تعريف المشورى ، تعرف بعدة تعريفات منها :-

- اجتماع الناس وتشاورهم بطرح جملة آراء في مسألة ما ، لكي يهتدوا إلى القرار الصواب (٣) .
- طلب المشورة أو تبادل الآراء واستعراض وجهات النظر التي يبديها المشاورون في قضية ما، أو ما ترجح صوابه حتى يتوصل للرأي الأصوب (٤) .

أدلة المشورى :-

المشورى في الإسلام لها أدلة في القرآن والسنة وفعل الصحابة قال تعالى « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » (٥) ونظراً لأهمية المشورى فقد سميت سورة كاملة في القرآن باسم سورة « المشورى »

(١) محمد عبدالقادر أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام ، عمان ، دار الفرقان ، ١٩٨٦م ، ط١ ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٣) محمد عبدالمجيد الخالدي ، قواعد نظام الحكم في الإسلام ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٠م ، ط١ ، ص ١٤٢ .

(٤) صديق عبدالعظيم أبو الحسن ، المشورى في الإسلام والديمقراطية المعاصرة ، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات

الإسلامية ، الكويت ، العدد ٢٢ ، ١٩٩٤م ، ص ٤٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

وفيها يقول سبحانه «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» (١).

فهنا الشورى توسطت إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله وهذا دليل على أهميتها.

أما السنة فورد فيها الكثير من النصوص الدالة على ذلك الى جانب الممارسة العملية قال أبو هريرة رضي الله عنه « ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم » وقد شاور عليه السلام أصحابه في موقعة بدر حول مدى صلاحية المكان الذي جلسوا فيه ، واستشارهم في قضية الأسرى وغير ذلك .

وأما الصحابة فقد مارسوا الشورى بعد وفاته عليه السلام من خلال اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة رسول الله عليه السلام ، كما مارسوها في جل أعمالهم ، فكان كل الخلفاء يمارسون ذلك عملياً ولم يتخذوا قراراً إلا بعد المشاورة وأخذ الرأي .

حكم الشورى : - العلماء هنا على رأيين : -

الرأي الأول : - إن الامر بالشورى للوجوب : قال بهذا الرأي جماعة من العلماء قديماً وحديثاً وقد نقل القرطبي في تفسيره عن ابن عطية قوله « إنه لا خلاف في وجوب الشورى ، وإنها من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام وأنه لا خلاف في وجوب عزل من لا يستشر أهل العلم والدين. » (٢)

الرأي الثاني : - إن الأمر بالشورى للندب : - وقال به كثير من العلماء منهم قتادة ، وابن اسحاق والشافعي قال هؤلاء أن الأمر ورد للإعلام ببركة المشاورة وفضلها .

ويميل الباحث إلى الرأي القائل إن الشورى واجبة لأن الأمر في قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » أمر مطلق من الله لرسوله عليه السلام بمشاورة أصحابه ، والأمر المطلق يدل على الوجوب ما لم تكن هناك قرينة تصرفه إلى أحد المعاني الأخرى ، والأمر الوارد في الآية السابقة ليس فيه ما يصرفه عن الوجوب إلى الندب ولا غيره (٣). وهو صادر للرسول عليه السلام وهو معصوم عن الخطأ ويتلقى الوحي والتوجيه من ربه فمن باب أولى أن يكون غيره من الحكام والزعماء أحوج إلى المشاورة وأخذ رأي الآخرين .

أهمية الشورى : -

الشورى من المبادئ الهامة التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام ولها الكثير من النتائج الإيجابية التي تعود على الحاكم والمحكوم ومنها : -

- تعميق الصلة بين الحاكم والمحكوم ، فالأول يشعر أنه قريب من أحوال الناس ومشاكلهم والثاني يشعر أنه غير مهمش وأن له دور في الحياة السياسية .

- إنها تؤدي إلى تجنيب الحاكم الكثير من المشاكل التي قد تقع نتيجة لقلته خبرته، أو عدم معرفته لأمر معين فاذا استشار أهل الخبرة والكفاءة دلوه على الصواب، خاصة في هذا العصر الذي يأتي المحافظ أو المدير من منطقة بعيدة وهو لا يعرف ظروف وأحوال المنطقة التي يعمل فيها فكان لابد أن

(١) سورة الشورى ، آية ٣٨ .

(٢) تفسير القرطبي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) صديق عبدالعظيم أبو الحسن ، الشورى الإسلامية والديمقراطية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٥٣

يلجأ إلى مشاوررة أصحاب الرأي والخبرة في هذا البلد الذي يحكمه حتى يتجنب الأخطاء ويقلل منها أثناء ممارسة العمل .

- إن التزام الحاكم بمبدأ الشورى دليل على التزامه بمبدأ سيادة الشريعة والقانون لأن الشورى تعتبر إحدى صفات الإنسان المسلم الأساسية، لأنها وردت في القرآن بين ركنين هامين من أركان الإسلام هما الصلاة والزكاة .

- إن التزام الحاكم بمبدأ الشورى يجنب الحاكم الاستبداد الذي قد يلجأ إليه البعض نتيجة لتفردهم بأرائهم وقراراتهم فكم من القرارات فشلت بسبب التفرد بالرأي أو الاعتماد على مستشارين غير أمناء .

من هم أهل الشورى : - (١)

من نعم الله سبحانه أنه أمرنا بالكثير من الأوامر التي فيها صلاحنا في الدنيا والآخرة ولم يلزمنا بصيغة معينة أو محددة لتطبيق هذا الأمر، وهذا ما يتضح في قضية الشورى التي نلاحظ أن أمر تحديد أهل الشورى ترك للظروف المكانية والزمانية ، واليوم ونحن أمام الكثير من التحديات والمشاكل والمستجدات كان لا بد أن يقوم المختصون والباحثون في المجال السياسي بتحديد طبيعة الشورى وطريقة ممارستها، ومن هم أهلها، ومن هذا المنطلق ذهب الكثير إلى القول إن الشورى يمكن أن تمارس اليوم من خلال المجالس النيابية التي تنتخب من قبل الناس ولكن بشرط أن يتوافر في أعضائها ما يلي : -

- العلم : - ويقصد به العلم بمعناه الواسع والشامل فلا يعني أن يكون أعضاء المجلس كلهم علماء في الشريعة فقط أو في الاقتصاد فحسب ، إن العلم يقتضي الإمام من كل مجال بطرف .

- الأمانة : - وهذا يعني أن المستشار أمين ، فعليه أن لا يجامل الحاكم ويتقرب إليه من خلال إعطائه معلومات قاصرة أو كاذبة بهدف الحصول على مكافأة أو منصب .

- العدالة : - وهي تعني التحلي بكل الصفات الحسنة والخصال الحميدة .

- أن يكون صاحب رأي وحكمة : - وهذا يعني أن يكون هادئ الطباع لا يتأثر بالمواقف الأتية أو يجامل الأصدقاء أو يكون ممن يحملون آراء وأفكار تروج لسياسة أجنبية بمعنى أن يكون ذا رأي مستقل لا يتأثر بالعوامل الخارجية .

الفرق بين الشورى والديمقراطية :- (٢)

قبل الحديث عن الفرق بينهما لا بد أن نعرف وبايجاز مفهوم مصطلح الديمقراطية .

الديمقراطية : democraey « تعني حكم الشعب بالشعب »

وهي كلمة مجموعة من كلمتين « demos » ومعناها الشعب « Kratos » ومعناها السلطة : - أي سلطة الشعب وأصلها كلمة يونانية ، وهي فكرة قديمة وعبر عنها أفلاطون بقوله « مصدر السيادة هو الإرادة المتحدة للمدينة - أي الشعب - » وقد ظهرت الديمقراطية إلى الوجود كمنهج لنظام الحكم في مدن أثينا واسبرطة في نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، ولذا يعتبر البعض أن أثينا زعيمة الحضارة والديمقراطية في العالم الإغريقي القديم ، ثم تبلورت هذه الفكرة في إطار قانوني ملزم وكان ذلك

(١) عاصم أحمد عجيلة ، الفكر السياسي في الإسلام ، الثقافة الإسلامية ، جامعة صنعاء ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) صديق عبدالعظيم أبو الحسن ، الشورى الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

عبر « إعلان الحقوق » الفرنسي الصادر عام (١٧٨٩م) حيث جاء في المادة الثالثة منه « الأمة مصدر السيادة ومستودعها ، وكل هيئة وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها ثم ثبت ذلك في الدستور الفرنسي الصادر عام (١٧٩١م) فنص على أن « السيادة ملك للأمة ولا تقبل التجزئة ولا التنازل عنها ، ولا التملك بالتقادم » .

ومن فرنسا انطلقت الفكرة إلى أغلب دول العالم ومنها الكثير من الدول الإسلامية وهي تقوم على ثلاثة أركان أساسية هي : -

(١) السيادة الشعبية أو حكم الأغلبية .

(٢) الفصل بين السلطات الثلاث - التشريعية ، القضائية ، التنفيذية .

(٣) احترام حقوق المحكومين وحرياتهم .

وبناءً على ما سبق يمكن أن نقارن بين الشورى والديمقراطية في الأمور التالية : -

أولاً : - الأمور المتفق عليها : - تتفق الشورى مع الديمقراطية في بعض الأمور منها : -

- يناقش أهل الشورى والديمقراطية المسائل الهامة التي تهم المجتمع لكن في الشورى هناك بعض

أمور ثابتة لا يجوز مناقشتها وهو ما ورد بنص قطعي ، بينما الديمقراطية تناقش كل شيء .

- الإسلام لا يمنع أن تتم الشورى من خلال المجالس النيابة التي هي نتاج للديمقراطية .

- لا بد أن يكون أهل الشورى وأهل الديمقراطية هم صفوة المجتمع وأكثرهم قدرة على تحقيق مصالح

الأمة.

- يشترط كلا النظامين بعض الشروط لعضويتهم ، وإن كانت شروط أهل الشورى أكثر وأدق .

- تعتمد الديمقراطية على الأغلبية لتحقيق أهدافها ، وتعترف أيضاً بالمعارضة وتعطيها حقها من

الاهتمام وكذلك مبدأ الأغلبية مقرر في النظام الإسلامي كما أن حق الأقلية في المناقشة والمعارضة

مكفول ببساطة وتلقائية وليس في ذلك تحفظ ولا حرج .

ثانياً : - أوجه الاختلاف بين الديمقراطية والشورى : (١)

الديمقراطية	الشورى
<p>- الديمقراطية انطلقت من قانون وضعي قام به مجموعة من البشر ونحن نعرف أن البشر معرضون للخطأ والصواب .</p> <p>- متغيرة دائماً بتغير الأفراد والأحوال وهذا ملاحظ فنجد أن الدساتير والقوانين تتغير في أغلب الدول وباستمرار فكلما جاء حاكم غير دستور من سبقه .</p> <p>- وهنا يقال إن الأمة هي مصدر السلطات مطلقاً وليس لدين أو خلق أي تدخل في ذلك .</p> <p>- الحريات هنا مطلقة وغير مقيدة حتى إنها وصلت إلى حد إباحة الدعارة والشذوذ وتنظيمها وإصدار التشريعات واللوائح المنظمة لذلك وأعطت للمراهق الحق في الخروج عن طاعة أسرته واللجوء إلى القضاء في حالة اختلافه معهم .</p> <p>- لا يشترط ذلك وإنما هم يشترطون سن معينة أو القدرة على القراءة والكتابة وبعض الشروط العادية .</p> <p>- الديمقراطية عنصرية وقومية ضيقة ومحدودة ويكفي إن الدول التي تدعي الديمقراطية تمارس إذلال الآخرين واستعمارهم ومحاصرتهم ، انظر ما يجري اليوم من أفعال من قبل الولايات المتحدة ضد الدول وخاصة الإسلامية ، العراق ، ليبيا ، فلسطين .</p>	<p>- الشورى تنطلق من عقيدة ربانية وهي أمر إلهي من المولى فليست منة أو هبة من حاكم أو زعيم .</p> <p>- الشورى فيها جزء ثابت لا يقبل الزيادة وفيها جزء يقبل التغيير والتعديل حسب مصلحة الناس .</p> <p>- وبناء على العنصر السابق يقال إن الأمة مصدر السلطات في حدود الشريعة الإسلامية فمرجعية سياده والسلطة فيها لله .</p> <p>- الحقوق والحريات في الإسلام واجبات اجتماعية ودينية لأنها مرتبطة بتحقيق المقاصد الشرعية ويتوازن يحقق مصلحة الفرد والجماعة دون طغيان مصلحة جانب على جانب وأيضاً هي مقيدة وموصوفة في الإسلام بضوابط من الشريعة نفسها .</p> <p>- يشترط في المستشار أن يكون تقياً وعدلاً وأميناً وذا رأي وحكمة .</p> <p>- إنها شورى حقيقية وقامس لصالح الناس جميعاً فهنا الناس محل اهتمام أهل الشورى لتحقيق مصالحهم بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى .</p>

وهذه المقارنة أوردتها الباحثة لعل البعض يقتنع أن دينه يشتمل على كل نواحي الحياة ومن ذلك النواحي السياسية التي يعتقد البعض أن الإسلام يفتقر إليها، وهذا الاعتقاد ناتج عن جهل بأسس الإسلام ومبادئه ، ولولا ذلك لما أوردنا هذه المقارنة لأنها في رأي الباحثة مقارنة ظالمة لأننا نربط نظام سماوي عادل بنظام وضعي من صنع البشر .

ونختم الحديث حول الشورى بالقول إن المجالات التي ينبغي أن يُستشار فيها كثيرة ولا يعني ما ذكر سابقاً من أن الشورى لا تجب فيما نزل فيه نص قطعي الدلالة ، إن الشورى تكون محدودة أو قاصرة على شيء معين لأن الأمور الواردة فيها نص قطعي قليلة جداً ، وما ترك لاجتهاد البشر وتحقيق مصالحهم أكثر بكثير وما على المجتهدين وأهل الشورى، إلا البحث والتنقيب عن كل القضايا التي تهم الأمة وهي بلا شك كثيرة وتحتاج إلى دراسة وبحث من قبلهم ومن قبل غيرهم من العلماء والمختصين .

ومن هنا نخلص إلى أن الشورى إذا كانت واجبة على الرسول المؤيد بالوحي الإلهي فهي على غيره أولى وأوجب ولكن ما طبيعة هذه الشورى؟ وكيف تتحقق؟ ومن الذي يحققها؟ ومن هم أهلها؟ وكيف تكون الشورى بين الحاكم والمحكوم؟ كل هذا تركته النصوص ولم تفصل فيه لأن لكل زمان أسلوبه ولكل حالة ظروفها وطبيعتها ، ولكل بيئة حكمها ، ومن هنا فلو فرض الإسلام شكل معين للشورى وألزم المسلمين بها لكان في ذلك تعسير وتضييق والله يريد لعباده اليسر .

المهم في هذا الجانب أن لا يفرض على الناس حاكمًا يختاروه ولم يستشاروا فيه ، وأن لا يستبد رئيس بالأمر دون مرءوسيه ، ولا يعتبر نفسه إلهًا يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد (١).

حقوق كل من الحاكم والمحكوم في النظام السياسي الإسلامي :-

من المعروف أن المسؤوليات والولايات العامة في الإسلام أمانة محضة ، وليست ميزة شخصية للحاكم ، فمن يتولى أمر المسلمين يعتبر حارساً أميناً على شئونهم وعليه أن يبذل جهده لتحقيق مصلحة من اختاروه ، وقد كان عليه السلام أول من أسس الدولة الإسلامية في المدينة ، وتوافر لها عناصر الدولة التي يقول بها أصحاب الفكر السياسي الحديث وهي :- (٢)

- الشعب :- وهم المواطنون الذين يقطنون في المدينة المنورة وخارجها من المسلمين وغير المسلمين .
- الإقليم :- وقد توافر هذا الركن وبعد انتشار الإسلام اتسع الإقليم فشمّل إلى جانب المدينة المنورة الجزيرة كلها وامتد إلى العراق والشام ومصر .

- السلطة الحاكمة وتعني وجود حاكم يدبر شئون البلاد ، وقد تمثل الحاكم في شخصه عليه السلام فقد كان رسولاً وحاكماً وقائداً وقاضياً وبضيف البعض ركناً رابعاً خاصاً بالدولة الإسلامية وهو ما يمكن تسميته « الكيان الروحي » ويقصد به هيمنة المبادئ الإسلامية وتطبيق أحكام الشريعة، ولذا كان لا بد أن يقوم الحاكم في ظل الإسلام بمهام كثيرة ومسئوليات متعددة وقد ذكرها الإمام الماوردي (٣) وحصرها في عدة واجبات هي :-

(١) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(٢) عاصم عجيلة ، ثقافة جامعة صنعاء ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مرجع سابق ، ص ١٥ - ١٧ .

- الحفاظ على أصول الإسلام وحمايته من البدع والخرافات .
- نشر العدل بين الناس .
- حفظ الأمن .
- إقامة الحدود .
- إقامة العقوبات المقررة في الشريعة .
- تحصين الثغور .
- حماية الدولة الإسلامية بكل الوسائل الممكنة والمتاحة .
- الجهاد لنشر الإسلام .
- جباية الموارد المالية للدولة .
- صرف الرواتب والمكافآت لمستحقيها .
- تولية ذو الكفاءة والأمانة في شتى مناصب الدولة .
- الإشراف العام بنفسه على شؤون الدولة بحيث لا يعتمد على تفويض غيره .

الشروط المتفق عليها لاختيار الحاكم وولي الأمر : - (١)

- هنالك الكثير من الشروط الواجب توافرها في الحاكم ، وبعضها محل خلاف بين العلماء وهي : -
- الإسلام : وقد أجمع الفقهاء على هذا الشرط واستدلوا بعدة أدلة منها قوله تعالى « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** » (٢) قال العلماء وأولي الأمر منكم يقصد به الأمراء منكم يا معشر المسلمين .
- البلوغ : وهو شرط التكليف عموماً ، فلا يكلف الصغير بشيء من الأحكام إلا بعد بلوغه ومن باب أولى لا يحمل مسؤولية الدولة .
- العقل : - وهو شرط التكليف أيضاً ولا يجوز أن يتولى الأمر مجنون ، ولا يكفي العقل وحده هنا بل لابد أن يكون الحاكم ذكياً فطناً قادراً على التفكير ، هذا والله أعلم أن مقصد العلماء من اشتراطهم للعقل رجاحة العقل لأنه من غير المتصور أن يُعيّن حاكم مجنون .
- الحرية : - فلا يصح أن يكون الحاكم عبداً .
- الذكورة : - اتفق العلماء على أن رئاسة الدولة تقتصر على الرجال دون الأناث .
- العدالة : - ولا يعني أن يكون الحاكم هنا معصوم من الأخطاء في أقواله وأفعاله، وإنما المسألة هنا نسبية بمعنى أنه يفترض أن يكون الحاكم من خيرة الناس وإن كان البعض من الشيعة يرى أن الحاكم يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة حتى الموت عمداً وسهواً، وهذا أمر غير متحقق في الوقت الحاضر لأن العصمة للرسول فقط .
- الكفاءة : - قال ابن خلدون « أن يكون جريئاً في إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفاً باحوال الدهاء، قوياً على معنأة السياسة وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح ».

(١) محمد عبدالقادر أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ - ١٩٠ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ .

- العلم : - وقد اختلف العلماء في مقدار العلم وطبيعته، ولكن المطلوب هنا مقدار من العلم يجعل الحاكم قادراً على تصريف أمور الدولة والتعاون مع الآخرين بقدر من الوعي والفهم .
- أن لا يطلب الإمارة : - لأن طلبها يعني تزكية النفس ، ولأن الرسول عليه السلام يقول « وأنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سألته ولا أحداً حرص عليه » .
- المواطنة : - أن يكون الخليفة من سكان الدولة الإسلامية المستقرين فيها، والذين يعاشون أهلها ويعرفون أوضاعها ومشاكلها.
- سلامة الحواس والأعضاء : - وهذا مختلف فيه فابن حزم يرى أنه لا مانع أن يكون الإمام في خلقه عيب كالأعمى والأصم .
- النسب القرشي : - وقد اختلف العلماء حول هذا الشرط على فريقين :
- **الفريق الأول** : - وهم جمهور السنة والشيعة وبعض المعتزلة وهذا الفريق يرى أنه لا بد أن يكون الإمام من قریش، واستدلوا بأدلة كثيرة منها « الأئمة من قریش » .
- **الفريق الثاني** : - وهم لا يشترطون أن يكون الإمام قرشياً، ويجوز أن تكون الإمامة في غير قریش، واستدل هؤلاء بأدلة كثيرة منها قوله عليه السلام « إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » (١) .
- المهم أن كل فريق له أدلة ولكن في العصر هذا يصعب توافر هذا الشرط، وهذا يعني أنه لا مانع أن يتولى الأمر رجل من غير قریش .
- حقوق الحاكم على رعيته : - كما أن للرعية حقوقاً على الحاكم ، فهناك أيضاً حقوق للحاكم على رعيته منها : -
- إن له ما يكفيه من مال المسلمين من غير سرف ولا تبذير مقابل جهده وانقطاعه عن العمل لصالح المسلمين .
- حق السمع والطاعة : - على الرعية أن تسمع وتطيع الحاكم في أوامره ونواهيته وبشرط ألا يأمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له عليهم .
- النصر : - في حالة تعرض الحاكم للأذى أو التمرد من قبل جماعة خارجة عن النظام أو تهديد خارجي من الأعداء فهنا يجب على الرعية أن تنصر الحاكم وتقف معه ضد هذا العدوان .
- النصيحة : - ومن حق الإمام على الأمة أن تنصحه وتأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، كما قال عليه السلام « الدين النصيحة ثلاث » (٢)

طرق اختيار الحاكم : (٣) يعطي النظام السياسي الإسلامي الناس الحق في اختيار الحاكم الذي يرونه مناسباً وأميناً على مصالحهم وأحوالهم ، ولا يوجد حق مقدر لفئة أو طبقة معينة أو أسرة أو قبيلة لتتولى أمر الحكم في أي زمان ومكان، وعلى ضوء ذلك لم يعتمد الإسلام طريقة معينة لاختيار

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٤٢ .

رئيس الدولة ويلزم الأمة بها ، ولا يجوز بعد ذلك للأمة أن تخالف هذا الرأي وكل ما جاء في هذا الخصوص من ذكر لبعض الشروط هو من باب الاجتهاد، والمهم في هذا أن يتوفر في الشخص المختار العدالة والأمانة والكفاءة ، ولا يهم بعد ذلك الأسلوب وطريقة الاختيار، وقد ترك ذلك للمسلمين ليختاروا الطريق المناسب لترشيح الحاكم ، وقد فارق الرسول صلى الله عليه وسلم الدنيا ولم يرشح أحداً بعينه، وإن كان البعض يستنتج ترشيح أبو بكر لأنه أمره بالصلاة بالناس إماماً أثناء مرضه ، وعموماً لو كان هناك نص صريح منه عليه السلام ما حدث خلاف بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة بين الأنصار والمهاجرين ، وكان البعض من الأنصار اقترح ترشيح سعد بن عبادة رضي الله عنه والبعض قال من المهاجرين أمير ومن الأنصار أمير، ولكن بعد نقاش واسع استقر الرأي على ترشيح أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أما بالنسبة لعمر رضي الله عنه فقد عهد إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة من بعده بعد أن استشار الصحابة فأجمعوا على حسن الاختيار ، ولما أحس عمر رضي الله عنه بدنو أجله بعد طعنه سَمَّى ستة من الصحابة ، ثم وقع الاختيار على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومن هنا نجد أن الإسلام لم يحدد طريقة معينة لاختيار الحاكم وأن فعل الرسول عليه السلام وأصحابه يدل على سعة الإسلام واستيعابه لكل المتغيرات والتحويلات، وأنه لا يفرض على الناس شيء معين في الأمور القابلة للتغير والتعديل ومنها الأمور السياسية .

حقوق الرعية على الحاكم :-

- حق الحياة :- فلا يجوز للحاكم أو من ينوب عنه الاعتداء على شخص بالضرب أو القتل ، إلا في حالة ارتكابه جرم فيقدم لمحاكمة عادلة قال عليه السلام « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الشيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »، وهذا يقتضي أن على الدولة أن تحمي أفرادها من أي اعتداء داخلي أو خارجي وتبذل لذلك كل الأسباب المادية والمعنوية .

- الحرية الشخصية :- الفرد في الدولة الإسلامية له الحرية الكاملة في التنقل والسفر والتملك واختيار السكن واختيار العمل ، المهم أن لا يخرج عن إطار الشريعة فلا يتاجر بالمحرمات أو يتيح الفرصة للمنكرات ويساعد على نشرها أو يتآمر ضد بلده .

- الحقوق السياسية : كل فرد من الرعية له الحق في نقد الحكومة وفي تولي المناصب مادام مؤهلاً وقادراً على ذلك، وله الحق في الترشيح للمجالس الرئاسية أو النيابية أو أي عمل آخر.

- حرية الاعتقاد قال تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »، (١) والكافر المقيم في الدولة الإسلامية لا يرغم على اعتناق الإسلام، ولكن عليه أن يلتزم بأخلاقيات الدولة وقوانينها ونظمها مادام مقيماً فيها .

- عصمة المال :- مال الفرد في الإسلام معصوم كعصمة دمه قال عليه السلام « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »، ومن هنا كان على الدولة الإسلامية أن تحمي أصحاب الأموال وتأمين لهم مشاريعهم وتجارتهم من السرقة أو الابتزاز، الذي قد يلجأ إليه بعض الموظفين بالدولة متذرعين لذلك بحجج واهية ، وهذا من الأمور الهامة التي ينبغي أن توليه الدولة جل اهتمامها خاصة في

الفترة الأخيرة التي لجأ فيها البعض إلى ابتزاز المستثمرين والتجار بحجة الضرائب والعمولات أو الحماية وغير ذلك وهناك حقوق أخرى كثيرة كحق الأمن وحق المشاركة السياسية وحق التملك وحق العمل (١).

عزل الحاكم :-

يتصور البعض أن النظام السياسي الإسلامي يسمح باستمرار الحاكم في منصبه رغم فقدانه الأهلية لهذا المنصب، وهذا تصور خاطئ لأن الإسلام لا يسمح بذلك ، بل إنه يعطي الحق لأهل الحل والعقد أن يعزلوا الحاكم في حالة احساسهم أنه غير قادر على إدارة شؤون البلاد ، كأن يفقد الشروط السابقة ذكرها ، ويفقدانها يفقد أهلية الحكم ومن ذلك زوال العقل ، أو وقوعه أسير في يد العدو ، أو فسق الإمام أو كفره ، أو فقدانه لبعض الحواس فعلى الأمة إذا رأت أن الحاكم قد فقد شيئاً مما سبق فلا مانع من عزله بالطريقة المناسبة للزمان والمكان .

المراحل التي مر بها النظام السياسي في اليمن :- عرف اليمن منذ وقت مبكر مفهوم أركان الدولة المتمثل في الشعب - والإقليم - والسلطة وقد وجدت دول مركزية قوية في اليمن ، وقامت حضارات متعاقبة ، لازال آثارها شاهداً حتى اليوم ، ومن الدول التي كان لها أثر واضح دولة معين في الشمال، وسبأ في الجنوب، وقتبان في جهات عدن، وحمير بين سبأ والبحر الأحمر، وكنده في حضرموت (٢) . ويكاد يجمع الباحثون في التاريخ السياسي اليمني على أن الدول اليمنية القديمة كانت « قبلية » النشأة والتكوين فقد كانت القبيلة القوية تتزعم وتتحالف مع القبائل الأخرى مكونة ما يسمى بـ « دولة القبيلة الغالبة » أو دولة « العصبية الغالبة » وقد اتسمت الحياة السياسية في اليمن القديم غالباً بما يلي :-

- لا مركزية الحكم :- كنتيجة لوضع اليمن الجغرافي وتركيبته الاجتماعية .
- وجود مشاركة سياسية واسعة عبر المجالس النيابية وكانت تمثل معظم القبائل ، وكان المجلس النيابي يسمى « بالزأود » (٣) أو « المسود » .
- في بعض الأحيان كانت الحياة السياسية تتسم بعدم الاستقرار (٤) ويذكر المؤرخون أنه بعد انهيار الدولة الحميرية القديمة على يد أبرهة الحبشي في حملته الشهيرة على اليمن ، وتهدم سد مأرب في فترة لاحقة دخلت البلاد حلقة مظلمة في تاريخها، فبعد أن كانت الحضارة المعينية والسبئية هي السائدة تحولت اليمن بعد ذلك الى مكان للتنافس بين البيزنطيين والفرس (٥) ومن هنا لم تعد هناك دولة مركزية واحدة ، وإنما أصبح هناك دويلات وإمارات مجزأة ومتصارعة دائماً واستمر الحال كذلك حتى جاءت الدولة الإسلامية واستجاب أهل اليمن لدعوة الرسول عليه السلام ، وساهموا في نشر الدعوة الإسلامية إلى أجزاء متفرقة من العالم ، وقد أكد أحد المؤرخين اليمنيين أن الإسلام وحد اليمن

(١) عبدالمجيد عبده سيف المخلافي ، نظم سياسية مقارنة غربية وإسلامية ، صنعاء ، دار الشوكاني للطباعة والنشر ،

١٩٩٧م ، ط ١ ، ص ١٢٢ - ١٢٥ .

(٢) محمد يحيى الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، ج ١ ، بيروت ، شركة دار التنوير ، ١٩٨٦م ، ط ٤

(٣) كلمة يمنية قديمة تعني مجلس القبيلة .

(٤) محمد محسن الظاهري ، الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦م ، ط ١ ، ص ٧٢ .

(٥) عبدالمملك سعيد ، العوامل المؤثرة في القرار اليمني ، صنعاء ، دار الأندلس ، ١٩٩٢م ، ط ١ ، ص ٦ .

في عهد الرسول عليه السلام وعهد الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم (١)، وعهد الدولة الأموية ، وكذا جزء من عهد الدولة العباسية حتى خلافة المأمون في أوائل القرن الثالث الهجري ثم بدأت التمردات اليمنية ومناهضة الحاكم تأخذ طريقها إلى اليمن ، وظهرت فيها دويلات كثيرة وعرف اليمن « الدويلات المتزامنة » المتعاقبة حيث زادت على اثنتي عشرة دولة كان أطولها وأكثرها بقاءً هي دولة « الأئمة الزيديين » التي مثلت استثناء في التاريخ السياسي اليمني كما يقول أحد الباحثين ، لأنها تميزت بالديمومة والاستمرار لما يقرب من إحدى عشر قرناً من الزمن . (٢) وبعد الإمام « الهادي » المؤسس الأول للأمامة في اليمن حيث قدم إليها من المدينة المنورة عام « ٢٨٠هـ - ٨٩٣م » بدعوة من بعض قبائل خولان اليمنية لحل نزعات حدثت بينها ، واستمر الحكم في أسرته حتى قيام الثورة اليمنية عام (١٩٦٢م) التي أطاحت بالنظام الملكي الإمامي وجاءت بنظام جمهوري ، والذي أدى بدوره إلى مساعدة الجزء الثاني من الوطن على الاستقلال وهو ما كان يسمى « بالشرط الجنوبي » الذي كان تحت الاستعمار البريطاني لفترة طويلة ، وبعد عناء طويل نال الاستقلال عام (١٩٦٧م) وظل اليمن مجزأً إلى شطرين بعد خروج الأئمة والاستعمار لمدة تقارب « ٢٣ » عاماً وأراد الله أن يحقق لهذا الوطن وحدته ويعيد له لحمته فكان إعلان الوحدة في ٢٢ مايو (١٩٩٠م) ، ومن فضل الله أنه تم الاتفاق على أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع ونظام الحكم في البلد كما جاء في

دستوره

الموضوع السابع :- ويتناول المقومات الأساسية للإعلام والإعلان في التصور الإسلامي ومتطلباته في الإنتاج الإعلامي والإعلاني .

أهم المقومات التي ينبغي أن يقوم عليها الإعلام والإعلان :-

يؤكد الكثير من الباحثين أن الإعلام قديم قدم الإنسان نفسه ، وما من بيئة أو مجتمع إلا ومارسوا الإعلام بطريقتهم وبحسب الإمكانيات المتاحة لديهم، ففي العصر الفرعوني كان الإعلام يركز على تبجيل الحكام والإشادة بهم، وذلك عبر بناء تماثيل وعمل النقوش والرسوم التي تمجدهم . وعرف اليونان أهمية الإعلام وذلك عن طريق التأثير على الناس من خلال الخطابة والمناقشات التي خلفوها، وكان الاسكندر الأكبر يؤمن بأهمية ذلك لذا كان يسعى إلى أن يرافقه في زيارته مجموعة من الكتاب والمفكرين والشعراء والخطباء ، كذلك تنبه العرب إلى أهمية الإعلام واشتهروا بسوق عكاظ الذي يجتمع فيه أبلغ العرب وأفصحهم ، وكانت القبائل تتنافس من أجل أن تنال قصائدهم شرف الفوز حتى تعلق على الكعبة ضمن المعلقات المشهورة (٣).

مكانة الإعلام في الإسلام :-

مورس الإعلام من قبل النبي عليه السلام منذ بداية دعوته وهذا هو منهج النبوة منذ بدايتها فما من نبي إلا ومارس مع قومه طرقاً كثيرة وأساليب متعددة لدعوتهم إلى دين الله والالتزام به ، ولذا نجد الكثير من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك ومنها :-

(١) محمد يحيى الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٢) محمد محسن الظاهري ، الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٣) محي الدين عبدالحليم ، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الرياض ، مكتبة دار

قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١) وقال تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢) وقال « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ما كثرين فيه أبدأ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، ما لهم به من علم ولا لأبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً، إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً، » (٣) وقال سبحانه « إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري إذهبوا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » (٤) وقال سبحانه « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٥) وقال سبحانه « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » (٦) وقال تعالى « يا أيها المدثر قم فانذر » (٧)

وفيما يلي بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح البخاري وهي في معظمها له علاقة بالإعلام. قال عليه السلام « الدين النصيحة » (٨) وقال عليه السلام « رُبَّ مبلغ أوعى من سامع » (٩) وعندما بعث النبي عليه السلام معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له : أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ، فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » (١٠) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (١١) .

وهكذا نجد الكثير من الآيات والأحاديث التي يتبين من خلالها أهمية الدعوة وأنها نوع من أنواع الإعلام والتبليغ، وكما يقول أحد الباحثين «إن الدعوة هي عمل إعلامي بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى ، في أذهان أساتذته وخبراء الإعلام والاتصال بالجماهير ذلك أن الدعوة ما هي إلا عمل إعلامي، يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان ويعمل على الكشف عن الحقيقة.» (١٢) وعلى الباحثين في مجال الإعلام وخاصة المسلمين أن يقفوا طويلاً عند كل خطوة خطاها عليه السلام لنشر دعوته رغم

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٢) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٣) سورة الكهف ، الآيات من ١-٧ .

(٤) سورة طه ، الآيات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) سورة فصلت ، آية ٢٦ .

(٦) سورة الفتح ، آية ٨ .

(٧) سورة المدثر ، الآيتان ١-٢ .

(٨) صحيح البخاري ج ١ ص ١٩ .

(٩) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٣ .

(١٠) صحيح البخاري ج ٢ ص ١١١ - ١١٢ .

(١١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢ .

(١٢) محي الدين عبدالحليم ، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

قلة الإمكانيات وقصر المدة، فقد حقق ما لم يحققه المصلحون في عشرات السنين، وما كان ليحدث هذا لولا أنه عليه السلام نهج النهج الدعوي والإعلامي الذي يخاطب كل العقول، وهما هي دائرة المعارف البريطانية تشهد بذلك وتقول (١) « لقد أنجز الرسول في عشرين عاماً من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى، على الرغم من السلطة الزمنية التي تساعد جهودهم ، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء ، وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى.»

وبناءً على ما سبق يمكن أن نحدد أهم المقومات والخصائص التي يقوم عليها الإعلام في الإسلام : - (٢)
 (١) الإعلام الإسلامي إعلام عقائدي : - وهذا يعني أن من مهام وسائل الإعلام في الدول الإسلامية القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته الخاتمة وعلى القائمين على وسائل الإعلام أن يدركوا أنهم أمام مواجهة شاملة لكثير من التحديات والصعوبات، لعل من أهمها الإعلام الصهيوني الذي يموله اليهود وينتشر في أكثر من مكان، وعبر أكثر من وسيلة، وقد استطاع هؤلاء أن ينفثوا سمومهم إلى الدول الأوروبية بل إنهم قد غزوا حتى عقل الإنسان المسلم، عبر وسائل الإعلام في الوطن العربي والإسلامي، وذلك من خلال برامجهم المثيرة ، وأخبارهم الكثيرة حتى أن الكثير من الناس لا يصدقون إلا ما قالته إذاعة لندن أو غيرها من الإذاعات الأجنبية .

(٢) إنه حق لكل مسلم ومسلمة : - وهذا واضح من خلال قوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.» وهذا يعني أن الاشتغال بالإعلام هو حق لكل مسلم ومسلمة ، فمن واجبات المجتمع أن يخبر الفرد بكل ماله من حقوق وما عليه من واجبات، كذلك من واجب الفرد أن يُعلم مجتمعه بما يعرفه من حقائق وعلوم ومعارف، إلى جانب أن على الجميع واجب التبليغ عن أية أضرار أو مشاكل قد تحدث داخل المجتمع من قبل البعض ولا يعتبر هذا من باب النسيئة، أو النفاق وإنما هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٣) إنه فرض كفاية : - وفي هذا المعنى يقول سبحانه « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر

من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.» (٣)
 وإن كان البعض لا يرى أن يكون التبليغ والإعلام فرض كفاية ، وذهب هؤلاء إلى القول أن الإعلام في الإسلام يكون فرض عين وفرض كفاية معاً وفي هذا يقول إبراهيم إمام (٤) « إن التكليف عام للمسلمين بحيث يقوم كل مسلم بكفايته وما أتاه الله من علم وموهبة فلا يخلي الإنسان نفسه من تبعة الدعوة والقيام بالإعلام عن الدين ، فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه ، بيد أن على الأمة واجبين :

(١) حافظ محمود ، الإعلام العربي والإعلام الصهيوني ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد

البحوث والدراسات العربية . ١٩٧٣م ، ط١ ، ص ٥١ .

(٢) محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الرياض ، دار الرفاعي ، ١٩٨٣م

ط١ ، ص ٢٥٧-٢٦٣ ،

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

(٤) إبراهيم إمام ، الإعلام الإسلامي ، المرحلة الشفهية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٠م ، ص ٢١ - ٢٢ .

أولهما : - أن يقوم كل واحد بعينه بما يستطيع من دعوة إلى الحق وهداية إلى الدين .
ثانيهما : أن يتخصص فريق من رجال الإعلام المتخصصين في شؤون الدين والدعوة والإتصال بالناس للقيام بواجبات الإرشاد والتبليغ والحث والاقناع ، وبشرط أن يتم كل ذلك على علم وبصيرة بكتاب الله وسنة نبيه المطهرة . وعلى هذا فكل فرد في المجتمع له دور في تبليغ الدعوة وذلك بحسب قدرته وطاقته وعلمه وفي نفس الوقت لا بد من وجود المتخصصين في مجال الإعلام ، والدعوة كما هو الحال عليه في بقية التخصصات التي يحتاجها المجتمع .

(٤) إنه إعلام عام علني : - وهذه العلنية نابعة من كون الرسالة الإسلامية جاءت لكل البشر وليس فيه سرية أو نصف سرية، كما هو الحال داخل الأحزاب والمنظمات التي تتكتم على الكثير من الأسرار والقضايا، ولا يطلع على ذلك إلا أعضاء اللجان المركزية أو القياديين البارزين، كما أن الإعلام في الإسلام يتصف بالعلن خلافاً لما عليه الأديان والعقائد السابقة أو الحالية التي تحرص على الكتمان والسرية وتأخذ عهود ومواثيق على أعضائها بعدم إفشاء أفكارهم أو مبادئهم، بل إن المولى حذر من يكتتم الحق والعلم « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» (١) ، كما اشترط الإسلام العلانية في تنفيذ بعض الحدود والعقوبات، وهذا يشبه شرط النشر لبعض القضايا في الجريدة الرسمية في أيامنا هذه كتطبيق حكم الإعدام أو السجن أو الغرامة ، والهدف من ذلك إبلاغ الناس وأخبارهم حتى يكونوا على علم ودراية وليأخذوا من ذلك العبرة والعظة قال تعالى « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢).

(٥) إنه إعلام بلا إكراه : - ويحاول البعض أن يلصق بالإسلام تهماً ليست فيه ومنها أنه انتشر بالقوة والإكراه ، والرد على هؤلاء ببساطة نقول : كم كان عدد المسلمين في كل معركة ، وكم كان عدد الأعداء وما هو عتادهم وعدتهم ، ومن القبائل والقوى التي كانت تحميهم ، ويهابهم الآخرون فيلجئون إلى الإسلام خوفاً من ذلك، هذه بعض الأسئلة إذا أجيب عليها بحياد ونزاهة يتبين منها أن الإسلام لم ينشر بقوة السلاح ، وإنما دخل القلوب والعقول باقتناع ورغبة وأن دعوته لاقت القبول والاستحسان من الجميع فدخلوا فيه بلا إكراه قال تعالى « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.»

(٦) يقوم الإعلام الإسلامي على جميع الوسائل المشروعة والمفيدة ، والتي تسهم في تبليغ الدعوة ونشر الإسلام وبيانه للناس وزيادة وعي وثقافة الجمهور في مختلف المجالات ، مستخدماً لذلك كل الوسائل المتاحة في كل مكان وزمان .

(٧) من مهام الإعلام الإسلامي أنه يحث ويزرع في الناس الخير ، ويدربهم عليه فالدعوة إلى الخير والصلاح وتعويدهم على الفضيلة هي من مهامه ، وذلك من خلال إعداد البرامج المناسبة لذلك .

أهم المقومات التي ينبغي أن يقوم عليها الإعلان في الإعلام الإسلامي :-
 في ظل السباق المحموم بين الشركات والمصانع على كسب أكبر قدر من الجمهور المستهلك، لجأت إلى وسائل الإعلام المختلفة لتنقل للمستهلك مزايا صناعاتهم وبضاعتهم هذا من جهة، ومن جهة ثانية

(١) سورة البقرة ، آية ١٥٩ .

(٢) سورة النور ، آية ٢ .

قبلت تلك الوسائل أن يكون هذا التواصل والإتصال عن طريقها مقابل مبالغ مالية كبيرة تحصل عليها لتغطية نفقاتها الكثيرة، ومن هنا ظهر سوق رائج للجميع هو الإعلان عبر وسائل الإعلام والذي يعرف بأنه « النشر بالوسائل المختلفة لإلغاف نظر الجمهور إلى سلعة معينة، أو إلى عمل من الأعمال عن طريق جذب الانتباه وإثارة الاهتمام أو خلق الرغبة وإقناع الفرد، ثم حثه على العمل » (١).

ومما ينبغي ذكره هنا أن هذا التنافس قد خرج عن إطاره المحدد ، ولم يعد الغرض تجاري أو مادي بحت بل تحول ليصبح غزو ثقافي وفكري وعقائدي وإلا فما العلاقة أن تظهر امرأة شبه عارية تروج للبلاط أو مكائن الحلاقة للرجال أو مياه غازية مثلاً ، إنها سلع ليس لها علاقة مباشرة باحتياجات المرأة الخاصة بها كامرأة ، ترى ما الدافع ؟ ومن الخطورة التي تمثلها مؤسسات الدعاية والإعلان هو إصرارها وتأثيرها على أن تنشر إعلاناتها بالطريقة التي تراها هي ، وليس بالطريقة التي تراها وسائل الإعلام الرسمية حتى لو تعارض ذلك مع الصالح العام .

ويتوجه الإعلان عادة إلى الغرائز والانفعالات ، ولما يتجه إلى فكر الإنسان وعقله وغالباً ما يركز الإعلان على تخويف الناس من الضرر الناتج عن عدم استخدامهم لسلعة ما، مما يجعل الجمهور في حيرة ، ويلجأ البعض لشراءها (٢) بدافع الخوف من عدم استعمالها، خاصة ما يتعلق بالإعلانات التي تهتم صحة الإنسان .

ويرى كثير من الإعلاميين والمهتمين أن الإعلان أسراف لا مبرر له (٣) واستندوا إلى : -
- إن الإعلانات تستخدم أساليب غير أخلاقية في كثير من الأحيان فتستغل الغريزة الجنسية بشكل واضح ، وهذا يؤثر على جمهور المشاهدين ، خاصة إذا أدركنا أن لهذه الإعلانات جمهور واسع معظمهم من الأطفال والشباب .

- أنه يُصرف على الإعلانات مبالغ باهظة لو استثمرت تلك الأموال من قبل المعلنين أنفسهم في بناء مدارس، أو مستشفيات، أو مساجد، أو توزيعها على الفقراء، لكسب هؤلاء الحسنيين بمعنى أنهم روجوا لتجارتهم وبضاعتهم من خلال قيامهم بأعمال الخير، وكذلك عملوا مصلحة تفيد الآخرين .

- رغم أن الإعلان يدر دخلاً كبيراً على أجهزة الإعلام إلا أنه يؤثر في سياستها واتجاهاتها وفي الغالب أن المعلن هو الذي يفرض طبيعة المادة المعلنة ووقت بثها ومدتها .

- إن الإعلان يشغل حيزاً من وقت وسائل الإعلام خاصة الرسمية، وهي ملك للجميع وكان بالإمكان استغلال ذلك الوقت في بث ونشر مواد أخرى تفيد الجمهور .

هذه بعض الأضرار الناتجة عن الإعلان لذا كان من الضروري ترشيد ذلك وتقنينه حتى لا يتعارض مع أخلاقيات المجتمع وقيمه ، لذا لا بد أن يلتزم القائمون بهذه العملية بالتالي : -

(١) أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات الإعلام ج ١ ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،

١٩٨٥م ، ط ١ ، ص ١٢ .

(٢) محي الدين عبدالحليم ، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

- لابد من الالتزام بعقيدة وأخلاقيات الأمة : - وهذا يعني أن موجه الإعلان عليه أن يراقب الله عندما يحدد طبيعة الإعلان الذي يريده وأن لا يكون غرضه الوحيد هو الإثارة ولفت انتباه الجمهور والكسب المادي فقط .

- على أجهزة الدولة المختلفة وبالذات الجهات ذات العلاقة بالشباب والإعلام، أن تكون عيناً ساهرة على مصلحة الأمة عموماً والشباب بوجه خاص، وذلك من خلال فرض الرقابة على الإعلانات ورفض أي إعلان ينافي الأخلاق والقيم مهما كانت إغراءاته المادية .

- يجب الاستفادة من الإعلانات في توضيح وظيفة الهيئات والمؤسسات العامة داخل الدولة، وبيان ما تقدمه من خدمات للجمهور حتى يعلم الجميع بذلك .

- ينبغي أن تكون الإعلانات مساعدة في تنمية الذوق الجمالي للجمهور ، وذلك من خلال إبراز المناظر الجمالية في الأعمال المراد الإعلان عنها فعند الإعلان عن معرض للأعمال التشكيلية ينبغي إبراز أفضل اللوحات التي تثير انتباه الجمهور حتى يقبل على الحضور .

- ينبغي أن يتخصص مجموعة من الإعلاميين والمهتمين في مجال الإعلان ويدرسوه كعلم، حتى يستطيعوا أن يبدعوا في هذا المجال، ويتنافسوا في أعمالهم ما يبث في وسائل الإعلام المختلفة، خاصة الأجنبية منها ، ولا بد أن يجمع هؤلاء بين دراسة بعض العلوم الشرعية وبين دراسة العلوم الإعلامية ، حتى تكون العقيدة والأخلاق أمام أعينهم عند اشتغالهم بفن الإعلان .

لأننا في عصر يتطلب ذلك ، ولن نغالي ونقول يجب أن نقف موقف المتفرج من هذا الأمر، وإذا حدث هذا سوف يجد هذا المجال فراغاً كبيراً تدخل من خلاله القنوات الأخرى، خاصة في هذا العصر الذي انتشرت فيه الأقمار الصناعية وجاءت من خلالها المحطات الفضائية وأصبح الإنسان يشاهد مئات من المحطات على جهاز التلفاز .

والإعلام في الإسلام يستخدم أكثر من وسيلة وأكثر من مجال للقيام بواجب إيصال الرسالة إلى من يراد إيصالها لهم، وهذا واضح من خلال أفعال الرسول عليه السلام فلم يحصر نفسه في الوسائل التقليدية التي كانت موجودة قبل البعثة في الجزيرة العربية ، ولكنه أوجد وسائل إعلامية أخرى انفردت بها الرسالة النبوية منها ما يمكن أن نسميه « بالإعلام السري » والذي ظهر واضحاً من خلال الدعوة السرية والتي كانت تعتمد على الإتصال الشخصي بين الرسول عليه السلام وبعض الذين أسلموا مبكراً من قريش، ومنهم أبو بكر وعلي وخديجة رضي الله عنهم جميعاً ، وبعد أن أمر الله نبيه بالجهر بالدعوة زادت أهمية الإعلام وكان من الضروري أن تتطور الوسائل الإعلامية وكان من ضمن ذلك الخطبة النبوية ، والرسائل التي كان يرسلها عليه السلام إلى الملوك والأمراء المتربعين على حكم المناطق المجاورة للجزيرة العربية ، وكذلك لقاءاته الشخصية مع أفراد القبائل التي كانت تفتد إلى مكة طوال العام ، لزيارة البيت وزيارته للطائف وما حصل له هناك ، كذلك أمره لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ودعوة أهلها للإسلام، وبغير ذلك من الوسائل التي كان عليه السلام يستخدمها لتبليغ رسالته إلى الناس جميعاً ، ومن هنا تعددت التعريفات لمفهوم الإعلام في الإسلام ومنها (١) « أنه بيان الحق

وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل، وتقييده بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول إلى الحق وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهدية وإبعادهم عن الباطل، أو إقامة الحججة عليهم.» ويذكر آخر أن «الإعلام الإسلامي في ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص وهو الإعلام الديني.» (١)

وهذا التعريف يفترض أن الإسلام مطبق في حياة المجتمع تطبيقاً شاملاً، وهو يفترض أن الإعلام بمختلف وسائله وأهدافه وبرامجه يطبق هذا المنهج في القلم والمسرح والمجلة والإعلان وفيه أيضاً أنه لا بد بعد ذلك من وجود إعلام متخصص في المجال الديني .

أهم القضايا التي ينبغي أن يركز عليها الإعلام لخدمة قضايا الأمة :- (٢)
يعيش العالم اليوم تطوراً مشهوداً في مختلف مجالات الحياة، ومن ضمن الوسائل التي شهدت تطوراً سريعاً وواسعاً وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية، وأصبح لهذه الوسائل جمهورها الواسع .

وفي ظل هذا التطور السريع لهذه الوسائل يتساءل العقلاء والمنصفون عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به وسائل الإعلام في العالم العربي خاصة وفي العالم الإسلامي بشكل عام .
إن الإجابة عن هذا السؤال تطول ولكن حسبنا أن نذكر وبإيجاز بعضاً من ذلك :-

- على جميع أجهزة الإعلام أن تساهم وبشكل واضح في نشر الوعي الديني والثقافي لدى جمهور المتلقين عن طريق العرض السليم والشرح الوافي لقضايا الدين الرئيسية، والتركيز على الجوهر والمضمون والأساس لأعلى الصور والمظاهر البسيطة .
- على جميع أجهزة الإعلام أن تساهم وبشكل رئيسي في إبراز القدوة الحسنة والمثل الأعلى ، ومما يؤسف له أن هذه الوسائل قد غيرت الكثير من المفاهيم لدى الناس فأصبحت الخمور مشروبات روحية، والرشوة هدية ، والعلاقات المشبوهة صداقة بريئة .

- لا بد أن تساهم وسائل الإعلام في محاربة كل الظواهر المرضية الموجودة داخل المجتمع خاصة مظاهر الرشوة ، والتطرف في أي اتجاه ، والبذخ الاقتصادي لدى أوساط بعض الطبقات الغنية والحاكمة ومحاربة بعض العادات السيئة المنتشرة في المجتمع اليمني، ومنها تناول القات والثأر، وغير ذلك، وكذلك التصدي للانحرافات والممارسات الخاطئة بكل جرأة وشجاعة ووفق الأساليب الحضارية، وبعيداً عن العنف والاتهامات والأساليب التي تثير الاستفزاز والعدوان .

- العمل على إبراز سماحة الإسلام وعالميته وقدرته على مواكبة روح العصر وتحقيق السلام والتعارف والتعايش بين الناس وضمانه لحقوق الإنسان في أرقى صورها ومعاداته للتمييز العنصري والتعصب ، والتأكيد على أن الإسلام يحترم ويقر كل الأديان السماوية السابقة .

(١) محمد سيد محمد ، المسئولية الإعلامية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) رجع الباحث في ذلك إلى سلسلة من المقالات نشرت في جريدة الحياة الصادرة في لندن وكانت بقلم عرفان نظام الدين

، وهي صادرة بالتواريخ التالية : ٩.٨ ، ١٠ ، مايو ٩٧ م .

- التصدي للغزو الثقافي الأجنبي ، ولا سيما في عصر القنوات الفضائية وثورة الإتصالات التي دخلت كل بيت خاصة من خلال جهاز التلفاز ، والغرض من هذا التصدي هو حماية الأجيال الصاعدة من إغراءات هذا الغزو ودعواته المفتوحة للانحراف والإباحية والجنس والعنف والمخدرات .

- لا بد من السعي إلى تطوير البرامج الدينية وتبسيطها، وعرضها بطريقة مشوقة، وهنا لا بد من الابتكار والتجديد في مخاطبة المشاهدين والمستمعين والقراء، ولا سيما جيل الشباب الذي يحتاج إلى إثارة وتشويق حتى يقبل على هذه البرامج .

- التركيز على الإنسان بوصفه الأساس والثروة والقوة المحركة في كل عمل، ومن أجل ذلك لا بد من تقديم كل ما يعزز إيمانه ودوره الفاعل، ونوازع الخير فيه ومساعدته في تأدية دوره الفعال في بناء المجتمع .

- وفي مجال التركيز على الإنسان لا بد من إبراز أهمية دور كل فرد ولا سيما المرأة التي هي نصف المجتمع، باعتبارها أمّاً وزوجة وأختاً وابنة ، خاصة وأن هذه القضية تثار كثيراً من دوائر متعددة تتهم الإسلام بأنه يظلم المرأة ولا يعطيها حقها من الاهتمام والرعاية .

- لا بد من التركيز على ثقافة الطفل ، والملاحظ أن هذه الثقافة شبه غائبة وإن وجدت فهي مترجمة وتروج لشخصيات غريبة عن المجتمع وعقيدته وقيمه ، بل قد تزرع في الأطفال نوازع الشر والعنف والانحراف خاصة في ظل غياب الرقابة الأسرية فالكثير منهم يسمحون لأبنائهم بمشاهدة أفلام ومسلسلات لا تناسب سنهم .

- من أجل نشر الثقافة الإسلامية وتعليمها للأحرين ، لا بد من توجيه برامج خاصة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وخاصة أبناء الجاليات العربية المقيمين بالخارج والذين كادوا أن يفقدوا هويتهم ولغتهم بسبب طول فترة الاغتراب ، كذلك لا بد أن توجه تلك اللغة إلى الشعوب الأخرى حتى يكون هناك قبول للإسلام والمسلمين .

- كذلك من مهام وسائل الإعلام في العالم الإسلامي تصحيح المفاهيم التي لصقت بالدين الإسلامي والمصطلحات الغربية التي يحاول الأعداء ربطها بالإسلام فالأعداء يطلقون على أي عمل إرهابي أو متطرف صفة « الإسلامي » ويجعلونها لازمة في كل اخبارهم وتعليقاتهم ، وما يؤسف له أن الإعلام العربي يردد ذلك نقلاً عن الوكالات الأجنبية فيقول : - إن الإسلاميين قتلوا أو خطفوا أو دمروا وهذا خطأ فادح لا يجوز المضي فيه أو نقله لأنه يرسخ في الأذهان أن كل ما هو إسلامي إرهابي، ومجرم غرضه هلاك الناس وتدميرهم، وهذا خطأ واضح يدركه كل من يعرف حتى أبجديات الإسلام، وهذا الربط يشوه صورة الإسلام والعرب بالدرجة الأولى، وحقان الوقت لتغيير هذه النظرة، مع التأكيد على أن من يفعل ذلك لا يحمل من قيم الإسلام شيئاً، لأن الإسلام يحرم قتل النفس بغير حق، ويعتبر أن من قتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس جميعاً ، وينطبق الأمر أيضاً على بعض المصطلحات التي تطلق هنا وهناك « كالأصولية ، والتطرف ، والأرهاب » فلا بد من التصدي لذلك وبيان أن الإسلام يرفض كل ما يؤدي إلى الإضرار بالآخرين .

- ومن الوظائف التي ينبغي أن تقوم بها وسائل الإعلام الوظيفة الاخبارية، ويعتبر الكثيرون أن الخبر هو العمود الفقري في الخدمة الإعلامية، وأصبحت وسائل الإعلام تتنافس في نقل الاخبار بسرعة

ومما يلاحظ أن وسائل الإعلام العربي تردد دائماً ما تنقله الوكالات الأجنبية .

- ومن وظائف الإعلام أيضاً وظيفة التنمية : - فوسائل الإعلام تستطيع حشد الجماهير وحثهم على زيادة الإنتاج والتأكيد على أن تلك الزيادة تسهم في زيادة دخولهم ، وكذلك زيادة الدخل القومي للبلد ويأتي ذلك عن طريق تخصيص البرامج والدورات التدريبية التي تمكن العامل من إجادة كل الوسائل المتطورة لتحسين عملية الإنتاج حتى وهو في منزله أو مصنعه من خلال مشاهدته لتلك البرامج .

- الوظيفة التربوية : تظهر أهمية هذه الوظيفة من خلال ما يمكن أن يقوم به « التلفزيون والراديو » من بث للبرامج التعليمية لمختلف المراحل إلى جانب تعليم الأميين وقد وصل الحال ببعض الجامعات والمعاهد في بعض الدول أنها استطاعت أن تربط الطالب بالأستاذ وبالجامعة من خلال الأجهزة الإعلامية المختلفة .

- وظيفة الشورى أو ما يسمى « بالديمقراطية » ويلاحظ اليوم أن أغلب وسائل الإعلام وفي معظم الدول قد أتاحت للناس المشاركة وإبداء الرأي والكتابة والحديث عبر أكثر من وسيلة وتقديم الاقتراحات والشكاوي للجهات المعنية ، ولكن للأسف إن أغلب الدول العربية لم تستغل هذه المنابر لخدمة قضايا الأمة ، إنما هي في الغالب موجهة تنقل ما يريده المسؤول فقط .

- الوظيفة الترفيهية : - وهذه الوظيفة أصبحت هي الغالبة اليوم والمنتشرة في أغلب أجهزة الإعلام، ولم يعد للجد والفائدة إلا القليل من الوقت، ومن يتتبع ما يعرض في تلك الأجهزة يجد أن أغلب الوقت مخصص للترفيه ، وبطريقة مبتذلة تدعو في الغالب إلى الرذيلة وتحرض عليها بقوة، خاصة ما يعرض في القنوات الأجنبية .

- وأخيراً يأتي دور القائمين على هذه الأجهزة والمشاركين فيها، من كتاب ومخرجين وممثلين ومشرفين ومعدنين، فعلي هؤلاء تقع المسؤولية الكبرى وعليهم بمراجعة ضمائرهم وقيمهم، عند الشروع في أي عمل أو كتابة نص أو مقال، وعليهم بتأدية دورهم الإيجابي والتوجيهي من خلال أمرين هما : -

١- الأول : - الامتناع عن تضمين أعمالهم أي مظهر من مظاهر الانحراف أو العنف، أو الإساءة للدين والأخلاق والقيم والعادات الموجودة داخل المجتمع .

٢- الثاني : استخدام أسلوب التوجيه سواً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك من خلال التأكيد على أهمية التمسك بالقيم والأخلاق، ونشر الخير والفضيلة من خلال ما يكتب أو يعرض .

ويعد : - هذه بعض المهام والمسئوليات التي ينبغي أن تقوم بها أجهزة الإعلام المختلفة داخل المجتمع الإسلامي ، ومما يؤسف له أن وسائلنا أصبحت اليوم مجرد أداة في يد الكثير من العابثين والمتلاعبين بالأخلاق والقيم والمرتبطين بدوائر خارجية همهم الأول هو نشر الفوضى والإباحية ، إلى جانب الكسب المادي السريع، والذي يكون في الغالب على حساب أمن وسلامة وقيم وأخلاق الآخرين ، ومن يتابع أغلب الجرائم التي تقع في مختلف الدول يجد أن أغلب من يرتكبها يصرح أنه استفاد في تنفيذ جرمته مما يعرض في تلك الأجهزة من برامج تحث على العنف وتشجعه . فهل من ترشيد لهذه الوسائل ؟ إنها مسألة تستحق النقاش من الجميع .

لابد في وسائل الإعلام من الجمع بين الجد المفيد والترفيه البرئ مع مراعاة قيم الأمة .

من يتابع البرامج التي تعرض في وسائل الإعلام، خاصة في الأجهزة المرئية يجد أن أغلب ما يعرض فيها لا يرتبط بقضايا الأمة ومشاكلها وهمومها الكثيرة، وقد استطاع أحد المهتمين أن يحصر ما يقدم من أفلام ومسلسلات وقال إنها لا تخرج عن القضايا التالية : - (١)

- أفلام مخدرات وعنف وجريمة تبين كيف استطاع شاب أن ينتقل وبسرعة فائقة من حالة الفقر المدقع إلى الثراء السريع، حيث يغرق في شهواته ومغامراته، في كل شيء وفي الغالب يعتبر هذا الثراء جاء عن طريق المخدرات أو الاشتغال بالأموال المشبوهة .

- أفلام ومسلسلات تتناول العلاقات المشبوهة والمشاهد الرخيصة والخيانات الزوجية .
- أفلام وبرامج تمتلئ بالشتائم والالفاظ البذيئة ، والترويج لعدم الاحترام بين الآباء والأبناء وبين الصغير والكبير بشكل عام، واسقاط بعض المفاهيم الإسلامية التي تحث على احترام الكبير والعطف على الصغير .

- أفلام ومسلسلات تتناول المؤامرات المتواصلة بين أفراد الأسرة الواحدة، من أجل المال فتصور الأخ وهو يتآمر على قتل أخيه والعم يتآمر ضد ابن أخيه، وهكذا تحاول هذه البرامج تجميع الروابط الأسرية وتزرع بدلاً عنها بذور الشك في نفوس الشباب والأطفال .

- أفلام وبرامج ومسلسلات تروج للحقد الاجتماعي والطبقي، وتظهر الغني وكأنه مجرم حصل على المال من خلال الرشاوي والعمولات والمخدرات ، وتظهر الفقير بأنه شخص منتقم يردد العبارات التي تحرض على الفتنة والحقد .

ما سبق عرض موجز لغالب ما يعرض في وسائل الإعلام العربي ، وهذه البرامج كما يلاحظ تعرض على أنها للترفيه والتسلية، وهنا ينبغي أن نسأل ما المساحة المخصصة إذن لبقية القضايا العلمية والثقافية والتربوية والتنموية والسياسية والدينية وغير ذلك من القضايا التي تشغل الأمة؟ وقد يقول البعض إن محاسبة وسائل الإعلام والدعوة إلى ترشيدها لا تصدر إلا من أناس متخلفين لا يفهمون الحياة ومتغيراتها والإعلام وتطوره والحرية ومفهومها، ونقول لهؤلاء إن من يدعو لذلك ليس من باب التزمّت والانغلاق وإنما ذلك للتحذير من « قبلة موقوتة » خطرنا وأضح ومفعولها مدمر وقوي يسقط الملايين من الشباب والمراهقين، ويدخلهم عالم الفساد والجريمة دون أن يشعر أحد بذلك، خاصة في ظل السباق المتواصل من أجل الكسب المادي السريع ولو كان على حساب المبادئ والقيم والأخلاق وعن طريق الإثارة والفتن والإغراء والإغواء .

(١) عرفان . نظام الدين ، جريدة الحياة ، سلسلة موضوعات عن الإعلام في الإسلام ، منشورة في جريدة الحياة الصادرة

نعم إنه في ظل هذا الابتذال سوف يتهم كل من يدعو إلى الفضيلة وإلى الأخلاق الحميدة بأنه متخلف وينتمي إلى العصر البدائي أو الحجري ، وحرصاً على مصلحة الأمة وشبابها وحفاظاً على أخلاقها وقيمها سعى البعض إلى التحذير من اقتناء بعض وسائل الإعلام خاصة « الفيديو، الدش » وقال البعض بتحريمها لما فيها من أضرار ومفاسد وأن طابع الابتذال والتهتك غلب فيها على طابع الجذ والترفيه البرئ (١) .

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن الإعلام الغربي لا يعترف بالقيم أو الأخلاق فهو يسعى إلى تدمير البقية الباقية من أخلاق المسلمين وقيمهم ، لذا نجد أن برامجه تضر بقيمتنا من ناحيتين : -
الأولى : - أنهم يعرضون صورة المسلم مشوهة وتعكس صور البداوة والتخلف، هذا إلى جانب أنهم يمثلون شخصية الرسول عليه السلام بطريقة لاتليق به ويدعوته .

الثانية : - أنهم يسعون إلى بث الأفلام التي تحرض على الجريمة والقتل والفساد الأخلاقي، وهذا النوع من الأفلام يجد الكثير من الإقبال خاصة من فئات الشباب .

وأمام هذه الهجمة الإعلامية الشرسة من قبل الغرب الحاقدي ينبغي أيضاً أن لا ننسى التطور السريع والمتلاحق في مجال وسائل الإعلام المختلفة، ومن هنا لا بد أن يظهر دور الإعلام الإسلامي ، ولا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي ونعتذر بأعذار واهية كقول البعض برفض استخدام هذه الوسائل وتحريم بعضها ، أو قول البعض بقلّة الإمكانات والخبرات ، إن هذا الكلام - من وجهة نظر الباحث - غير مقبول ومرفوض لأنه يجعل الأمة تقف موقف العاجز المتفجر الذي يرى الغريق في الماء ولا يساعده وهذه سلبية يرفضها الإسلام ، والمطلوب أن تخوض الأمة هذا الميدان وتقدم له الدعم المادي والبشري اللازم حتى تنتج برامج راقية على مستوى رفيع تظهر وجه الإسلام المشرق ودور الحضارة الإسلامية والانجازات التي حققتها في مجالات الحياة المختلفة ، إلى جانب إبراز حياة الشخصيات الإسلامية الرائدة في مجالات العلوم المختلفة والتي كان لها الفضل في كشف العديد من الحقائق العلمية والنظريات التي ساعدت ووفرت على حضارة اليوم الكثير من الوقت والجهد، ويكون ذلك بلغات مختلفة وتعميمها، ومحاولة اختراق الأسواق الأجنبية وأجهزة الإعلام في تلك الدول ، هذا إلى جانب تعميم ونشر الكتاب والقصة والصحيفة التي يمكن أن تظهر من خلالها دورنا كأمة لها كياناتها وحضارتها وعقيدتها ، وقد يستصعب البعض ذلك ، نظراً لما يرونه من تطور إعلامي غربي واضح ويرون ضعف إعلامي عربي واضح وهذه النظرة حالياً صحيحة ، ولكن التسليم بها غير صحيح وغير منطقي واعتبار ذلك حقيقة لا يمكن تغييرها يؤدي إلى إضعاف الأمة وجمودها وتجميع شخصيتها وجعلها أمة مستوردة ومستهلكة فقط، وكل هذا لا يتفق مع روح الإسلام الصحيح وجوهره النقي الذي يؤكد على وجوب الاستفادة من الحضارة النافعة والمفيدة ويعتبرها ضرورة للتطور والتقدم، وفي هذا يقول أحد الباحثين (٢) « إن الإسلام يعانق الحضارة النافعة ، ويؤاخي المدنية الراشدة ، ويواكب التطور المفيد ولاشك أن هذه الوسائل الإعلامية من تلفزيون ومذياع وطباعة ونشر ومسرح وتمثيل

(١) عبدالله ناصح علوان ، حكم الإسلام في وسائل الإعلام ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م ، ط ٠ .

(١) المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

ومجلات وصحف وكتب علمية وفكرية هي من ثمرات هذه الحضارة التي أبدعها عقل الإنسان وأنتجها عباقرة البشر فالإسلام يقف منها موقف الموجه والراشد والمصلح المتبصر الواعي ، فيأمر من يقومون على أمرها ويشرفون على إدارتها أن يستخدموها في نشر العلم وتثبيت العقيدة ، وتدعيم الأخلاق ، وتوجيه الأمة فيما يصلحها في دنياها « وأخيراً فالمطلوب من وسائل الإعلام بشكل عام التركيز على الجانب المشرق والمضيء من تاريخ الأمة ، وينبغي أن لا تركز هذه الوسائل على لحظات الضعف والهوان التي أصابت الأمة على مر تاريخها فأصابتها بالكثير من النكسات والأزمات والاختلافات بين أبنائها ، و مما يؤسف له أن عدد الأعمال الإعلامية العربية الجيدة التي حققت الهدف السامي لا يتجاوز أصابع اليدين والباقي إما مترجم من أعمال أجنبية ، أو كتبه وأعدده أناس يحملون في فكرهم صوراً مبتورة وقاصرة عن الإسلام، لذا جاءت معظم الأعمال التاريخية التي يفترض أنها تخدم الإسلام مشوهة له أكثر مما هي خادمة له، فنجد أنها تركز على نزوات الحكام وشهواتهم ، وخلافات الأمراء وحيلهم مع بعضهم البعض، وبشكل عام نجد التركيز ينصب على أجزاء مبتورة في التاريخ الإسلامي ، وأيضاً نجد من وسائل الإعلام التركيز على لحظات الضعف والهوان التي تصيب الفرد فنجد الكثير منها يركز على جوانب الشر فقط ولحظات الضعف البشري وتنتج لها القصص والأفلام والمسلسلات، بحيث يظهر هذا الإنسان وكأنه خلق للشر فقط، وليس فيه جوانب خير مطلقاً، لذا فهي تصوره أنه يحب المال حباً جماً ، وفي سبيله يقتل ويبيع الممنوعات ويعادي أهله وأصحابه ، وتصوره شهواني ومدمن على الخمر والمخدرات والقمار، ويميل إلى العبث والفوضى ، ونحن لا ننكر أن هذه الأمور موجودة لدى البعض من الناس ، ومع هذا أيضاً فكل إنسان فيه جوانب خير كثيرة وإنما تحتاج إلى توجيه ورعاية، ولا شك أن تقديم تلك الأعمال بالصورة السلبية السابقة يفقد الشباب الكثير من الطموح والأمل وتجعلهم ينظرون للغني أنه فاسد ولص ومحترف اجرام ، وينظرون للفقير أنه حاقد ومتربص ولا يمكن أن يتحسن وضعه المادي والاجتماعي ، وكل هذا يولد لدى الشباب اليأس والاحباط .

وبعد : فالكثير من الحريصين على مصلحة الأمة وقيمها وأخلاقها ينتظرون من الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام القيام بثورة عامة في مجال الإعلام مستفيدين من كل معطياته وانجازاته ، وبما لا يخالف عقيدتهم وقيمهم ، باعتبار أن الإعلام هو سيف العصر ، ولا يمكن لأي أمة أو مجتمع أن يتجاهل هذه الوسائل، وهذه الدعوة تتفق مع الأهداف التي يقوم عليها العمل الإعلامي في بعض الدول الإسلامية ومنها بالطبع اليمن والتي تنص السياسة الإعلامية فيها، (١) على تعميق الإيمان بالله وبالعقيدة الإسلامية الغراء والتمسك بالشرعية السمحاء والاستهداء بالقيم والمثل الإسلامية والوطنية والعربية في كافة الأعمال والمواقف والعلاقات والاهتمام بثقافة دينية ووطنية تجعل المواطن أكثر تحضراً والتزاماً ومحافظة على القيم الحميدة والسلوك الحسن ، ومن الأهداف أيضاً تعميق الالتزام في مواقع السلوك والفعل والتعامل بقيم الإخاء والمحبة والمساواة والعدل والتعاون والتكافل والتسامح والتضامن والأمن والسلام والاستقرار والحث على عمل البر والخير وخدمة الغير والفضيلة ومكارم الأخلاق .

(١) الجمهورية اليمنية ، وزارة الإعلام ، السياسة الإعلامية للجمهورية اليمنية ، صنعاء ، مطابع التوجيه المعنوي للقوات

ومن هذه الأهداف يتضح مكانة الدين والقيم والأخلاق في السياسة العامة لخطط وزارة الإعلام ، والذي نحتاج إليه فعلاً هو نقل هذه الأهداف من حيز الكلام النظري إلى واقع التطبيق العملي بمعنى لانكتفي بالقول دون العمل لأن هذا من العيوب التي نهانا الله عنها .
قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبرمقياً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (١)

الموضوع الثامن : - ويتناول النظام القضائي في الإسلام تعريف القضاء : -

احتاج الإنسان إلى القضاء منذ القدم لحل الخلافات والمنازعات التي تطرأ بين أفراد المجتمع وقد عرف العرب نظام القضاء قبل الإسلام وكان لهم قضاة معروفون يحكمون بينهم وبحسب الأعراف والقرائن المتوافرة ، وكانوا يطلقون على القضاة مصطلح « حكومة » وكان لكل قبيلة حكم يحتكمون إليه ، وكانت قبيلة قريش هي السابقة في هذا المجال ، فقد أوجدت نظام قضائي للفصل بين الناس نظراً لكثرة الخصومات التي تقع نتيجة لكثرة الحجاج والمعتمرين الذين يقصدون مكة (٢) وبعد أن جاء الإسلام وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تولى ولاية القضاء بنفسه بأمر من الله تعالى ، فكما كان مأموراً بالدعوة إلى الدين كان في نفس الوقت مأموراً بالحكم بين الناس والفصل بينهم فجمع السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وكان هذا في بداية وصوله إلى المدينة ، أما بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية أرسل عليه السلام بالولاية إلى الأقاليم المختلفة وعهد اليهم بأمر القضاء ومن ضمن من قام بهذه المهمة معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد أرسله الرسول عليه السلام إلى اليمن (٣) ليُعَلِّم الناس الإسلام ويقضي بينهم وقد سأله عليه السلام كيف سيقضي بين الناس قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد في كتاب الله ، قال فبسنة نبيه ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ، قال اجتهد رأي ولا آلو ، فضرب رسول الله عليه وسلم صدره بيده وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله . كما بعث عليه السلام علياً رضي الله عنه إلى نجران وهمدان ليُعَلِّم الناس الإسلام (٤) ويقضي بينهم ومن توجيهاته عليه السلام أنه قال له « إذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول . » وكذلك فعل الخلفاء الراشدون في خلافتهم فقد كانوا يحكمون بين الناس ويعينون القضاة والولاة في الأقاليم ليتولوا أمر الناس ويحلوا مشاكلهم وقد عُرف القضاء بعدة تعريفات منها : -
- يعرفه ابن خلدون أنه « رد الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية ، المتلقاة من الكتاب والسنة . » (٥)

(١) سورة الصف ، الآيتان ٢-٣ .

(٢) سيد نعمان عبدالرزاق ، النظام السياسي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٣) أُرسِل معاذ رضي الله عنه إلى منطقة الجند وهي قريبة من مدينة تعز ، وقد أسس فيها مسجد لازال حتى اليوم يعرف باسمه .

(٤) أحمد يحيى المرتضى ، شرح الأزهار ، صنعاء ، مكتبة غمضان ، ١٩٨٢م ، ط ١ ، ص ٣٠٩ .

(٥) انظر سيد نعمان عبدالرزاق ، النظام السياسي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

– ويقول ابن قدامة « ولأن فيه أمراً بالمعروف ونصرة المظلوم ، وأداء الحق إلى مستحقه ، ورداً للظالم عن ظلمه ، واصلاحاً بين الناس ، وتخليصاً لبعضهم من بعض وذلك من أبواب القرب ، ولذلك تولاه النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله فكانوا يحكمون أمهم ، ويعث علياً رضي الله عنه إلى اليمن قاضياً ، وبعث معاذاً رضي الله عنه قاضياً ». (١) ويعتبر القضاء من فروض الكفاية نظراً لحاجة الناس لذلك ، وإذا عيّن القاضي في منصبه ما عليه إلا الالتزام بذلك ، ويصبح بالنسبة له فرض عين حتى يُقال أو يستقيل ، ونظراً لخطورة القضاء كان الكثير من العلماء والفقهاء يرفضون تولّيه ، لأن فيه أمانة ومسئولية ولا يعني هذا أن يتهرب الجميع منه وإنما من يرى أنه غير قادر على ذلك عليه أن يتجنب القضاء ، ومن وجد في نفسه الكفاءة فلا مانع أن يعمل في هذا المجال .

مميزات النظام القضائي والتشريعي في الإسلام : -

جاءت الشريعة الإسلامية لتقيم العدل بين الناس وتحقق مصالحهم قال تعالى « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. » (٢) وقد أمر سبحانه بالعدل في كتابه العزيز وحث على ذلك رسوله عليه السلام ، قال تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » وقوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٣) ولكن كيف يكون الحكم أو القضاء . ؟ أيكون القضاء عاماً أم مخصصاً . ؟ أيكون على درجة أم درجتين . ؟ أيكون القضاء واحداً أم مجموعة . ؟ أيكون القضاء ضمن وزارة تنظمه أم يكون من مسؤولية الحاكم فقط . ؟ هذه الأسئلة وغيرها تُركت ولم تأت النصوص تُلزم بها ، وإنما تركت لظروف كل زمان ومكان ، وكما يقول أحد الباحثين « إن الشارع الحكيم لم يُرد أن يجعل نصوصه « لوائح » تنظيماً تفصيلية ، وإنما أرادها منارات هادية لمن أراد السير ، لهذا اهتم بالنص على المبادئ والأهداف ، ولكن لم يُعن بالنص على الوسيلة والأسلوب إلا في أحوال خاصة ، لحكم وأسباب كثيرة ، منها إتاحة الفرصة لعقول البشر للتفكير والابداع ، وفتح الطريق لاجتهاد الإنسان المسلم ، لكي يختار الوسيلة المناسبة والصورة الملائمة لحاله وزمانه وأوضاعه ، دون قيد أو حرج ، كما نرى ذلك في تطور نظام القضاء ونظام الحسبة ونظام الحكم في تاريخ المسلمين. » (٤) ولأن الحياة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتسم بالبساطة واليسر بعيدة عن التعقيدات والتناقضات ، وكان الناس أصفى قلوباً ، وأنظف سلوكاً ، وأبعد همماً من أن تأكل حياتهم الخصومات ، ولهذا لم يخصص صلى الله عليه وسلم أحداً للقضاء ، بل كان يقضي بنفسه بين المتخاصمين في أي مكان ، وهدفه من ذلك إقامة العدل والحق الذي جاء به الوحي من السماء ، دون أن يكون قصده تغليب طبقة على أخرى أو جماعة على جماعة ، وهذا عكس ما تسعى إليه القوانين الوضعية التي تدعي المساواة والإخاء والحرية ، ولكنها في الواقع تسن قوانين وأنظمة تُفضّل فيها طبقة على أخرى. وهذه هي طبيعة الأنظمة الصادرة من الأرض فهي عُرضة للتقلبات القائمة بين الغالبين والمغلوبين في الأمة الواحدة ، لذا فالغربيون « الواقعيون » يقولون إن القوانين تضعها الطبقة الأقوى.

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

(٤) يوسف القرظاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ، ط ١ ، ص ١٦٠ .

لحماية مصالحها أما النظام في الإسلام فلم تضعه هيئة تشريعية على الأرض وإنما هو صادر من السماء ورب السماء ليس له مصلحة في تغليب طبقة على أخرى أو فرد على أفراد لأنهم جميعاً عباده ، ومن ميزات الشريعة الإسلامية أنها نظام يطبق على الجميع لصالح الجميع ، ولا يجامل أحداً على حساب أحد : الحاكم والمحكوم ، الغني والفقير ، الشريف والعبد ، كلهم أمام القانون سواء ، وليس هذا كلام يقال دون دليل ، وإنما هو واقع تاريخي مشهور قال تعالى « ولا يجرمنك شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى . » ويقول عليه السلام « إنما أفسد من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها . » وها هو عمر رضي الله عنه يجلد ابنه بسبب شربه للخمر ، لا يمينه ذلك أنه ولده ، ولا أنه شريف من قريش . (١) وإذا كان الوضع لم يستمر على هذه النتيجة لعوامل كثيرة وجاءت ظروف أفسدت تطبيقه ، فكل نظام عرضة لمثل ذلك ، ولا يحسب ذلك على الإسلام على أية حاله فنحن نتحدث عنه من حيث هو مبادئ نظرية أولاً ، ثم من حيث هو مبادئ قابلة للتطبيق العملي ، وفي كلتا الحالتين نجد جميع الشواهد في صف ما نذهب إليه من أنه نظام متفرد ومتميز لا يوجد له مثيل في أي نظام في الأرض .

ومن ميزات النظام القضائي في الإسلام أنه يواكب كل التطورات ، فها هو عمر بن عبدالعزيز لم يجد حرجاً أو مانعاً من أن يستحدث نظاماً جديداً سماه « النظر في المظالم » وتطور هذا القضاء حتى أصبح لقاضي المظالم سلطات واختصاصات يختلف بها عن القاضي العادي ويمكن أن يقال إن قضاء المظالم يشبه اليوم « محكمة الاستئناف العليا » ويسمى عند البعض بـ « مجلس الدولة » ولهذا يذكر بعض الباحثين « نظام المظالم » تحت عنوان « درجات المحاكم » .

وهكذا نجد أن النظام القضائي في الإسلام يأخذ أشكالاً متعددة وصوراً مختلفة لم ترد في القرآن والسنة، وهذا دليل على أن المسلمين لا يعتبرون ذلك أمراً محدثاً في الدين ، أو بدعة يحاسب عليها الفرد . ومن هذا المنطلق وهذه السعة لاستيعاب كل المستجدات يقول أحد الباحثين : « ولهذا نقول باطمئنان : إن الشريعة لا يضيق صدرها بأي نظام عصري للتقاضي ، من شأنه أن يحقق العدل ويوفر الثقة والطمأنينة لدى المتنازعين كأن يكون القضاء جماعياً في بعض أحواله أو أن يكون متخصصاً ، بعضه مدني وبعضه جزائي الخ . وأن يكون على درجات : ابتدائي ، واستئناف ، ونقض ، فإن الله لم يتعبدنا بصورة معينة لذلك ومن ذلك ما استحدث في عصرنا بواسطة التقدم العلمي من وسائل الكشف عن المجرمين من تحليل البصمات أو الأصوات ومقابلة الخطوط ونحوها ، فالشريعة ترحب بالاستفادة منه لإقامة العدل في الأرض » (٢)

شروط اختيار القاضي ودوره في حماية العرض والنفس والمال :-

يعتبر القضاء في الإسلام مسئولية وأمانة ولا يمكن أن يقوم به أي فرد دون أن يكون لديه الاستعداد لذلك ونظراً لعظم هذه المهمة فقد أشترط لها الفقهاء الكثير من الشروط ومنهم من أوصلها

(١) محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٩م ، ط ١٠ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

إلى خمسة عشر شرطاً ومنهم من اكتفى بأقل من ذلك ويقول ابن قدامة « ولا يولي قاضي حتى يكون بالغاً ، عاقلاً ، مسلماً ، حراً و عالماً ، فقيهاً ، ورعاً» (١) واختار الباحث بعضاً منها : -

- الإسلام : - فلا يتصور أن يقضي قاضي غير مسلم بين المسلمين لأنه يجهل أحكام الشريعة ، والمسلمون مطالبون بتحكيمها في كل شئون حياتهم ، لذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز قضاء غير المسلم مطلقاً في بلاد الإسلام، لكن الأحناف أجازوا للقاضي غير المسلم أن يقضي في بلاد الإسلام بين أبناء ملته ومن هم علي دينه .

- أن يكون رجلاً مكلفاً حراً : - هذا الشرط مختلف فيه فالجمهور يرون أنه لا بد أن يكون القاضي رجلاً ، بينما ذهب الأحناف إلى جواز أن تلي المرأة القضاء خارج حدود الجنائيات والقصاص والحدود .

وذهب (٢) ابن جرير الطبري إلى صحة تولي المرأة القضاء قياساً إلى صحة فتواها في الأحكام .

- العدالة : - يقصد بها أن يكون المرشح لهذا المنصب قائماً بالفرائض والأركان متوقياً الكبائر من

الآثام ، ولا يصر على الصغائر وأن يكون صادق اللهجة ، ظاهر الأمانة ، بعيداً عن الريبة ، مأموناً

وقت الرضا والغضب ، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه ، لا يجاهر بمعصية ، ولا يجور في الحكم.(٣)

: وأجاز الأحناف نفاذ حكم القاضي الفاسق بشرط أن يكون موافقاً لأحكام الشريعة.(٤)

- أن يكون من أهل الاجتهاد : - وينقل هذا ابن قدامة عن الإمامين مالك والشافعي ، وبعض

الأحناف والحنابلة ، لكن الراجح عند الأحناف هو جواز أن يتولى المقلد لأحد المذاهب القضاء لأن شرط

« العدالة و الاجتهاد » من شروط الكمال ، وليس من شروط الصحة.(٥)

- السلامة من العيوب : - اختلف في نوعية العيوب ، فالشافعية يرون أنه لا مانع أن يتولى

الأعمى القضاء ، ويرى غيرهم عدم جواز ذلك والبعض يرى أن فاقد السمع والنطق لا يجوز له أن

يتولى هذه المهمة ، والباحث يرى أنه لا مانع أن يتولى الكفيف مهمة القضاء، أما فاقد السمع والنطق

فلا يصح له ذلك لأنه لا يستطيع أن يدرك الأصوات والكلام وبالتالي قد يُستغفل من قبل البعض .

خاصة وأن القضاء يحتاج إلى سرعة بديهة وذكاء، حتى يستطيع القاضي أن يميز بين الحق والباطل .

ويرى الباحث أن يورد هنا كلاماً يراه مناسباً،(٦) لأحد العلماء حول الشروط الواجب توافرها في

القاضي « لا أعلم بين العلماء ممن سلف خلافاً ، أن أحق الناس أن يقضي بين المسلمين من بان فضله

وصدقه وعلمه وورعه ، قارئاً لكتاب الله ، عالماً بأكثر أحكامه ، عارفاً بسنن رسول الله ، حافظاً

لاكثرها وكذلك لإقوال الصحابة ، عالماً بالوفاق والخلاف ، وأقوال فقهاء التابعين يعرف الصحيح من

السقيم يتبع في النوازل الكتاب ، فإن لم يجد فالسنن فإن لم يجد عمل بما اتفق عليه الصحابة ، فإن

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج ٩ ، ص ٣٩ .

(٢) سيد عبدالرزاق ، النظام السياسي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

(٣) محمد عبدالقادر أبو فارس ، القضاء في الإسلام ، عمان ، مطبعة الأوقاف ، د.ت ، ط ، ص ٣٧ .

(٤) الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

(٥) سيد عبدالرزاق ، النظام السياسي ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٦) هذا العالم هو أبو علي الكرايسي صاحب الإمام الشافعي وأورد كلامه هذا الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح

الباري ، ج ١٣ ، ص ١٤٦ .

اختلفوا فما وجده أشبه بالقرآن ثم بالسنة ، ثم بفتوى أكابر الصحابة عمل به ، كثير المذاكرة مع أهل العلم والمشاورة مع فضل وورع ، حافظاً للسان ووطنه وفرجه فهماً لكلام الخصوم ثم لا بد أن يكون عاقلاً ، مائلاً عن الهوى ، هذا وإن كنا نعلم أنه ليس على وجه الأرض أحد يجمع كل هذه الصفات ولكن يجب أن يطلب من أهل الزمان أكملهم وأفضلهم » .

وهنا نلاحظ دقة ما قاله هذا العالم ، خاصة جملته الأخيرة « أن يطلب ... » ففيها مساحة واسعة للاختيار والبحث عن الأفضل ، خاصة في هذا العصر الذي ندر فيه توافر هذه الشروط فيمن يؤدي هذه الوظيفة .

ونظراً لأننا نعاني في مجتمعنا الكثير من المشاكل وفي مختلف المجالات وتمتلي المحاكم بالآلاف القضايا، البعض من أصحاب هذه القضايا يحاولون السطو على حقوق الآخرين إما بالتزوير أو الحيل أو الرشاوي ، وبعضهم أصحاب حق لا يحصلون على حقوقهم بسبب إجراءات التقاضي وتطويلها، والتلاعب من قبل بعض من يعملون في الجهاز القضائي ، ومن هنا يجب على الدولة والمجتمع أن يقفا مع هذا الجهاز، وقفة مصارحة ومكاشفة لدراسة أسباب المشاكل ومحاولة حلها وتوفير الحاجات الضرورية للعاملين في هذا الجهاز ومن ثم محاسبة المقصرين ، وهذا الاهتمام نابع من كون هذا الجهاز يتولى أهم القضايا وأخطرها وهي قضايا العرض والمال والنفس، فكيف يطمئن الفرد على ماله أو عرضه أو نفسه في ظل تقاعس القضاء أو غيابه ، إن أخطر ما تصاب به المجتمعات هو ضياع حرمة هذه الضروريات، فكيف ستصبح الأخلاق إذا تعرضت الأعراض للهتك والاعتداء ، لاشك أن الأخلاق ستفسد والجريمة ستزيد ، والعنف يتطور ، والخطف يسهل ، وهكذا بقية الأمور ، ولكن متى وجد العقاب الرادع والجزاء الأمثل، لاشك أن مثل هذه الأمور ستقل وتخاصر في مهدها ، ومن هنا كان لا بد أن تهتم الدولة بجهاز القضاء، وتعدد للعاملين فيه الدورات والمؤتمرات والندوات وتطلعهم على كل جديد في مجالهم، إلى جانب توفير الحاجات الضرورية لهم ومنها حمايتهم وتكريمهم واحترامهم، والابقاء على هيبتهم ووقارهم .

متى يمنع القاضي من النظر في قضية ما : -

نحن نعرف أن القاضي بشر ، والبشر يتأثرون بالكثير من الظروف والعوامل لذا فهو ليس معصوم فالعصمة للرسول فقط ، وعلى القاضي إذا رأى أنه قد يتعاطف في بعض القضايا عليه أن يطلب من السلطة القضائية إعفائه من تولي الفصل في هذه القضية ، وإذا لم يتنح وكان هناك مبرراً لتنحيه - كقربته للمتهم أو عداوة مع الخصم - فلو أصر على الاستمرار في القضية وأصدر فيها حكماً فإنه يكون باطلاً عند الجمهور ولا ينفذ حكمه هذا .

النظام القضائي والتشريعي يستوعب كل قضايا العصر فلا داعي للاستيراد :-

سبق القول إن الإسلام دين متكامل جاء ليجمع بين الدين والدنيا ، والعلم والعمل ، والفكر والسلوك ، وقلنا أيضاً إنه في أغلب تشريعاته وأحكامه أتى بعموميات وقواعد وترك التفاصيل وطريقة التنفيذ لاجتهاد الأمة، وللتغيرات التي تحدث في كل زمان ومكان وما جاء من أحكام قطعية قليل جداً إذا قورنت ببقية التشريعات والأحكام التي تركت لاجتهاد الأمة وهذا يتفق تماماً مع النظرة الإسلامية التي ترى أن الحياة ينبغي أن لا تقف عند الحد الأدنى من التنظيم التي تكفلها القوانين والتشريعات، والتي تصبح الحياة من دونها مستحيلة لأن «الحياة في نظر الإسلام لا ينبغي أن تقف عند هذا الحد الأدنى ، ففي البشرية رغبة دائمة في التطور والتقدم وفي اقتحام ميادين جديدة في المعرفة والوصول إلى مدارج جديدة من السمو والارتفاع ، ولا يتحقق للبشرية أن تتقدم وترتفع إذا هي ظلت عند هذا الحد الأدنى لا تتعداه.» (١)

ومن هذا المنطلق فقد تركزت للبشرية مساحة واسعة للانطلاق والتحرك للبحث عن كل ما يصلح شأنهم وحياتهم ، وقد واجهت الشريعة الإسلامية الكثير من التهم والشبه من قبل المستشرقين والبعض من أبناء المسلمين ممن جهلوا حقيقتها فكتبوا عنها بروح التعصب وعقلية المتحامل ، وقالوا إن الشريعة الإسلامية شريعة جامدة صارمة غير قابلة للتطور ومواجهة ما يستجد من أحداث الزمان والمكان وبروح التطور والعصر ، وحجتهم في هذا أنها تعتمد على الوحي ومصدرها الأول « النصوص الدينية » وهي نصوص ثابتة ، ولا يملك المسلم إزاءها إلا السمع والطاعة ومقتضى الإيمان هو التسليم بكل ما جاءت به من أوامر ونواهي وفقاً لقوله تعالى « **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » (٢) وقوله « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** » (٣) ، كما يقول أحد الباحثين عن هذه المقدمة التي ذكروها من حيث إنها شريعة ربانية دينية صحيحة في نفسها ، ولكن النتيجة التي بنيت عليها غير صحيحة إما دُفع إليها « الوهم أو الجهل أو التحامل ويستحيل أن يوحى إليه العليم الحكيم ، البر الرحيم ، لخاتم رسله بشريعة عامة خالدة تخرجهم في دينهم أو تضيق عليهم في دنياهم ، أو تعجز عن مواجهة الجديد من أحوالهم وأوضاعهم وقد وصفها منزلها بالكمال وأراد بها الرحمة واليسر ونفي عنها الحرج والعسر ولقد كانت هذه الشريعة أساس التشريع والقضاء والفتوى في العالم الإسلامي كله قريباً من ثلاثة عشر قرناً ، ودخلت فيها مختلف البيئات وحُكمت فيها شتى الأجناس ، والتقت فيها عدد من الحضارات فما ضاق ذرعها بجديد ولا قعدت عن الوفاء بمطلب ، بل كان عندها لكل مشكلة علاج ، ولكل حادثة حديث ولم تكن النصوص الدينية - التي هي أساس هذه الشريعة - قيدياً على حركة الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، بل منارات تهتدي بها ، ومصابيح تسير على ضوئها ، وحوافز تدفع بها في طريق الخير والصالح ، وحوافز تحول بينها وبين الشر.» (٤)

(١) محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٢) سورة النور ، آية ٥١ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٣٦ .

(٤) يوسف القرضاوي ، عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦٠٥ .

وعلى هؤلاء أن يدركوا أيضاً أن الثبات إنما جاء في بعض القضايا المحدودة، وكان ثباتها ضرورة حتمية لصالح البشرية ولو لم تتسم بالثبات لحدث خلل في المجتمع وحدثت الفوضى ولنتأمل معاً عقوبة القتل العمد التي تنص على « القصاص » وكذلك عقوبة السرقة والتي تنص على قطع يد السارق، ألا تصلح هاتان العقوبتان لكل زمان ومكان لردع المجرمين الذين يقلقون حياة الناس ويعرضونهم للموت في كل ساعة وحين ، وهاهي الدول التي كانت تحرم عقوبة الإعدام ترجع لها مرة أخرى، لأنها وجدت فيها عقوبة رادعة تحقق أمن المجتمع وتحفظ له كيانه ، خاصة في هذا العصر الذي تطورت فيه الجريمة وأصبح لها مختصون وخبراء ومقاولون تحت الطلب يقتلون ويسرقون ويخطفون ويغتصبون الخ . وإذا كانت هذه التهم وغيرها يقولها بعض المستشرقين والمستغربين فهذا غير مستغرب منهم لأنهم أعداء وعداوتهم معروفة، ولكن من المؤسف أن يرد كل هذا الكلام من بعض أبناء المسلمين ممن تأثروا بالشرق والغرب، وأصيبوا بصدمة حضارية وقالوا إن التقدم والتطور هو بترك الشريعة ونظمها وتشريعاتها وقوانينها ، وإذا كان لا بد من بقائها فينبغي أن لا تخرج عن أسوار المسجد، وليس لها علاقة بالحكم أو السياسة وظنوا جهلاً أن أوروبا لم تتقدم إلا حينما شرعت لنفسها نظم وقوانين وتشريعات من خارج أسوار الكنيسة ، نعم هؤلاء معهم الحق في فعلهم هذا لأن دينهم قد حُرّف وجاء بعده ديناً يلغيه، ولكن ما بال المسلمين يفعلون ذلك ويذهبون لاستيراد القوانين والأنظمة من الغرب أو الشرق كأنهم يستوردون سيارة أو ملابس ولم يفرقوا بين ما يمكن استيراده وما لا يمكن ، وأن القوانين والنظم من النوع الثاني ، وأيضاً ما بال هؤلاء لا يسعون إلى استيراد ما ينفع الأمة .

وأخيراً عليهم أن يدركوا أن الشريعة « بمصادرها ونصوصها وقواعدها لم تقف يوماً من الأيام مكتوفة اليدين أو مغلولة الرجلين أمام وقائع الحياة المتغيرة منذ عهد الصحابة ومن بعدهم وأنها ظلت القانون المقدس المعمول به في بلاد المسلمين حوالي ثلاثة عشر قرناً من الزمان ، إلى أن جاء الاستعمار الغربي الذي استبدل بها تشريعاته الوضعية ، وإنما استطاعت الشريعة الإسلامية أن تفي بحاجات كل المجتمعات التي حكمتها، وأن تعالج كافة المشكلات في كافة البيئات التي حلت بها ، بأعدل الحلول وأصلحها لأنها بجوار ما اشتملت عليه من متانة الأصول التي قامت على مخاطبة العقل ، والسمو بالفطرة ومراعاة الواقع والموازنة بين الحقوق والواجبات وبين الروح والمادة ، وبين الدنيا والآخرة وإقامة القسط بين الناس جميعاً وجلب المصالح والخيرات، ودرء المفسد والشور بقدر الامكان ، قد أودعها الله مرونة عجيبة جعلتها تتسع لمواجهة كل طارئ، ومعالجة كل جديد بغير عنق ولا إرهاب» . (١)

الموضوع التاسع : - ويتناول موقف الإسلام من بعض القضايا المستجدة. (٢)

وها نحن نصل إلى آخر موضوع من الموضوعات المقترحة لتدريسها لطلبة جامعة صنعاء في الثقافة الإسلامية وهذا الموضوع سيتم تناوله مفرداته بشكل مترابط نظراً لتداخل مفرداته ، ومن خلال هذا الحديث سيتضح للقارئ أن هذا الحديث قد تناول جميع مفردات هذا الموضوع سواء بطريقة مباشرة أو

(١) المرجع السابق ، ص ٩ - ١٠ .

(٢) سوف يعتمد الباحث على المقرر القائم وبشكل رئيسي ، لأن هذا الموضوع حاز على تقدير « جيد جداً » في تحليل

المحتوى الذي قام به الباحث وزميله ، والغرض من هذا التأكيد على الجوانب الإيجابية في المحتوى القائم وابقائها .

غير مباشرة ، وابتداءً ينبغي القول إن الإسلام جاء لصالح البشرية ، وأتى بكل الأنظمة والقوانين والتشريعات التي فيها خير الإنسان وسعادته وتناسب فطرته فلم يمنع شيء إلا وفيه ضرر سواء على الفرد أو المجتمع ، ولم يبح شيئاً إلا وفيه نفع لهم سواء على المدى القريب أو البعيد ، ومن ذلك أنه أباح للناس الاستفادة من كل ما جاء به الطب من وسائل العلاج والتداوي ، ولم يحرم إلا أشياء ثبت ضررها ، أو سيثبت ذلك مستقبلاً من خلال الأبحاث والاكتشافات الجديدة خاصة في مجال الطب والعلوم .

وقد يتصور البعض خطأً أن هناك تعارض بين ما توصل إليه علماء الطب وبين الإيمان وهذا تصور غير صحيح، لأنه مبني على فكر خارجي جاءنا نحن المسلمين من الغرب الذي فصل حياته عن دينه وأوجد فجوة عميقة بين العلم والإيمان، ووصل الأمر إلى درجة الصراع والتناظر بينهما ، فإذا كان الأمر كذلك في الغرب، فالشرق المسلم يختلف تماماً وليس هناك صراع قائم أو مزعوم بين العلم والإيمان . وليس هناك فجوة بينهما، (١) ومن نعم الله على الإنسان أنه أباح له فعل الأسباب التي تعينه على الحفاظ على نفسه وصحته وتعينه على العيش عيشة كريمة ، بعيدة عن الأمراض والمتاعب التي تشهدها البشرية اليوم ، ومن هذا المنطلق سوف يتم الحديث هنا بإيجاز عن بعض القضايا المستجدة التي ظهرت في الفترة الأخيرة وأثارت الكثير من التساؤلات عن مدى جلتها أو حرمتها ، وقد تصدّر لهذه القضايا وغيرها الكثير من العلماء والباحثين المختصين في أكثر من لقاء ومؤتمر واجتماع، وفيما يلي بعضاً من هذه القضايا (٢) التي حرمتها الشريعة أو أباحتها :-

١- الإجهاض :- ويعني إسقاط الحمل بعد حدوثه ، وكثرة هذه القضية خاصة في المجتمعات التي لا تقيم للأخلاق والقيم وزناً ، ونتيجة لذلك تقوم العلاقة المحرمة بين الرجل والمرأة ، وقد يحدث نتيجة لذلك الحمل الذي لا يرغب فيه الطرفان فيلجأ إلى إنزال الجنين قبل ولادته ، وقد قرر الفقهاء أن الإجهاض محرم شرعاً أكان ذلك قبل نفخ الروح فيه أو بعده ، أما قبل نفخ الروح فيه فإن في الجنين حياة من نوع ما توجد فيه قبل أن يُنفخ فيه الروح ، والتعرض للحمل في هذه الفترة فيه اعتداء على خلق الله بغير موجب، وأما بعد نفخ الروح فيه فالتعرض له بالإجهاض والإسقاط يكون قتلاً للنفس بغير حق ، والمنهي عنه بقوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم إن قتلهم كان خطأ كبيراً » ففي هاتين الآيتين تحريم واضح لقتل الأولاد خشية الفقر ، وهذا الأمر متصور فيه أن يكون المولود جاء عن طريق علاقة شرعية وهي الزواج ، أما في حالة الزنا فالجرم أعظم وأشد لأنه جمع بين منهيين هما الزنا والإجهاض ، وإذا تقرر أن الإجهاض حرام شرعاً قبل نفخ الروح أو بعده فقد قرر الفقهاء أن عقوبة ذلك تختلف نتيجة لاختلاف طبيعة الجرم نفسه قال الإمام الغزالي « وليس منع الحمل كالإجهاض والوآد ، لأن الإجهاض والوآد جنائية على موجود حاصل والوجود له مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة

(١) موريس بوكاي ، ما أصل الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) حول هذه القضايا وغيرها اجتمع المجمع الفقهي الإسلامي ، لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مرتين وكان ذلك في دورته الأولى عام ١٣٩٨هـ والدورة الثانية عام ١٤٠٥هـ للمزيد انظر قرارات المجمع الصادرة عن الدورتين السابقتين.

في الرحم وتختلط ببويضة المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت علقة فمضغة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حياً.»

ثانياً : التلقيح الصناعي وصورته :-

أن تؤخذ المادة التناسلية من رجل قادر على الإنجاب والإخصاب وتوضع في رحم امرأة متزوجة من شخص غير قادر على الإنجاب والإخصاب، فتحمل المرأة وتلد ولدًا ينسب إلى زوجها زوراً وبهتاناً. وأجمع العلماء على أن التلقيح بهذه الصورة يعد جريمة أخلاقية واجتماعية لها الكثير من الأضرار منها :-
إن فيه اختلاط الأنساب ، وشيوع الفوضى الاجتماعية حيث ينسب الابن إلى غير أبيه الحقيقي، واعتبر العلماء إن هذا التلقيح يلتقي مع الزنا في إطار واحد ونتيجتهما واحدة ، فكل منهما وضع ماء رجل أجنبي في رحم ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط شرعي بزوجة شرعية .

ثالثاً : بنوك الأجنة :-

والغرض من هذه البنوك حفظ بويضات ملقحة في حالة تجمد، كي يتم استعمالها بعد ذلك عند الإصابة بالعقم والأجنة المجمدة في بنوك الدم، إذا كانت من ماء الأب وبويضة الأم وتتخذ لعلاج حالة مرضية معينة ، إذا ثبت إمكانها طبيياً ، وتحت إشراف أطباء موثوق بهم ، فيرى العلماء أنه لا مانع شرعاً عند الضرورة ، ووفق ضوابط ومعايير تضمن عدم اختلاطها بأجنة مجمدة أخرى أو بويضات ملقحة ليست للزوجين .

رابعاً : زرع الأعضاء :-

يتعرض الإنسان لبعض الأمراض الخطيرة التي قد تفقده حياته، إذا لم يتم تدخل طبي وإنساني من شخص آخر يساعد على بقاءه إذا أراد له الله، وهذا التدخل قد يحتاج إلى زرع عضو يساعد على استمرارية حياة المريض ، ومن نعم الله على الإنسان أنه يستطيع العيش حتى لو فقد بعض أجزاء من جسمه سواء عن طريق المرض أو التبرع، ومن ذلك أنه يستطيع العيش بكلية واحدة، أو بجزء من الكبد. وقد ناقش العلماء قضية زرع الأعضاء فمنهم من منعه بحجة أن هذه الأعضاء ليست ملكاً للإنسان ، بل هي عنده أمانة ووداعة فليس له الحق في التصرف فيها ، ومنهم من أباح ذلك طبقاً للقاعدة الشرعية « الضرورات تبيح المحظورات » « وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله » واشتروا لذلك شروط لا بد من توافرها في حالة نقل أي عضو من أعضاء الإنسان إلى إنسان آخر ومنها :-

- أن تكون عملية زرع الأعضاء هي الوسيلة الوحيدة المتعينة لعلاج المريض، مع التأكد من سلامتها أو غلبة الظن بنجاحها ، لأنها ضرورة ، والضرورة نقدرها بقدرها .
- ألا يضر أخذ العضو من المتبرع ولا يلحق به أذى ببدنه أو حياته ، لأنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ولأن الأخذ ليس أولى من المأخوذ منه في الحق في الحياة .
- أن يوافق الشخص المتبرع ، ويؤخذ منه طوعاً لا كرهاً ، لأنه متبرع والتبرع نوع من الإحسان والعون .
- أن يتحقق نجاح كلٍّ من عمليتي النزع والزرع ، أو يغلب الظن في ذلك .
- أن يكون ذلك على سبيل التبرع لا البيع ، لأنه لا يجوز للإنسان أن يبيع ما لا يملك وهو بالطبع لا يملك حياته وصحته وجوارحه وأعضائه .

- في حالة نزع عضو من إنسان ميت لإنقاذ إنسان حي مضطر إليه، فلا مانع منه شرعاً بشرط أن يكون المنزوع منه قد أذن بذلك حال حياته أو أذن وليه بعد وفاته .

خامساً : أطفال الأنايبب وصورة ذلك :-

أن يتم أخذ البذرتين الذكورية والأنثوية من زوجين وتلقيحهما خارج الرحم في أنبوب اختبار، ثم تزرع البويضة الملقحة في رحم الزوجة صاحبة البويضة لتمر بمراحل وأطوار الجنين في رحم الأم ، حتى إذا بلغ الجنين تسعة أشهر خرج إلى الحياة شأن كل مولود . والإسلام يضع تحفظاً على هذا الأسلوب نظراً لعدم خلوه من موجبات الشك وما يحيط به من ظروف وملابسات كأحتمال اختلاط النطف أو البويضات الملقحة في أوعية الاختبار ، ويرى البعض أنه يمكن أن يتم اللجوء إلى هذا الأسلوب عند الضرورة القصوى والضرورة هنا تقدر بقدرها ، ولا بد من اتخاذ الحيطة البالغة والشديدة التي تنفي احتمال اختلاط اللقاحات مع لقاحات أخرى .

سادساً : قضية النسل :-

لا خلاف أن الإسلام يدعو إلى كثرة النسل بصفة عامة ، ويدعو إلى الكثرة القوية التي تُؤمن مسيرة الأمة ، وتحمي حدودها وعقيدتها ، وقد أشار المولى إلى أن من أهداف الزواج البنين قال تعالى «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة.» كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بكم الأمم يوم القيامة.» وأجمع المسلمون عبر عصورهم المختلفة على وجوب تشجيع النسل الذي يؤدي إلى قوة المسلمين ، بيد أنه في بعض الحالات يجوز لبعض الأفراد أن يتخذوا من الوسائل المشروعة ما يوقف الحمل مؤقتاً وعلى فترات متباعدة في ظل ظروف تقتضي ذلك، وهذا هو ما يعرف بتنظيم النسل وهو، إتخاذ الوسائل المشروعة التي تمنع الحمل لفترة محدودة من الزمن ولا تقطعه ، وبهذا المعنى يختلف تنظيم النسل، عن تحديده الذي هو وقف النسل عند حد معين. وتنظيم النسل من وجهة نظر الكثير من الفقهاء لا مانع منه شرعاً طالما يتم هذا التنظيم على المستوى الفردي وفي ظل ظروف معينة، واستند هؤلاء العلماء على بعض الأدلة من ذلك ، ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نعزل على عهد رسول الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي رواية أخرى: كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فلم ينهنا.» ومعروف أن العزل هو إبعاد مادة الرجل عن رحم المرأة وهو يعتبر إحدى الوسائل التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم لمنع الحمل .

ويقاس على ذلك بعض الوسائل التي ظهرت حديثاً، أما منع الحمل بطريقة التعقيم وإجراء عملية جراحية فهو محرم شرعاً ، لأن في ذلك وقف دائم للإنجاب وقد حدد العلماء بعض الأسباب التي تدعو إلى تنظيم النسل وارجاء الحمل مؤقتاً لفترات مختلفة ومنها :-

- أن يكون عند الزوجة استعداد قوي للحمل المتوالي ، مما يضعفها أو يسبب لها المرض لأن الإسلام يحرص على صحة الناس .

- أن يكون هناك مرض معدي عند الزوجين أو أحدهما ، ويخشى من انتقال هذا المرض إلى الذرية عن طريق الوراثة، خاصة وأن الطب قد أثبت بعض الأمراض يمكن أن تنتقل عن طريق الوراثة .

- أن يكون عند الزوجة مرض يزداد بكثرة الحمل وتواليه ، أو يتأخر شفاؤها منه أو يكون سبباً في

تعسر ولادتها ، والقاعدة الشرعية في ذلك تقول « درء المفسد مقدم على جلب المصالح ». -
الخوف من الوقوع في الضيق النفسي أو المادي، فقد تضطر الظروف المعيشية والاقتصادية والاجتماعية المرأة للخروج للعمل من أجل أن توفر لنفسها لقمة العيش الشريفة ، أو تساعد زوجها على ذلك وهنا يصعب عليها أن تحمل وبشكل متوالي .

وقد ذكر جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فقال له : - يا رسول الله إن لي جارية هي خادمتنا وتسقينا من البئر وأنا أطوف عليها، وأكره أن تحمل فقال النبي عليه السلام « أعزل إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها. » - ويرى الباحث - أن بعض الأسر وخاصة الفقيرة جداً كأسر الأخدام والأسر التي تعيش تحت خط الفقر يجب عليها أن تنظم ، لأن الإسلام لا يرضى أن يكون الأطفال عرضة للتشرد والتسول والجوع فكم في شوارعنا من هذه النوعيات التي أصبحت مصدراً للجريمة والانحراف، وما كان ليحدث هذا لو روعي أمر التنظيم والإسلام يحتاج إلى الكثرة القوية الصحيحة ، ولا يحتاج إلى الكثرة الضعيفة والمريضة التي تتسول قوتها ، وملا بسها ولا تستطيع أن تزيل أميتها من خلال التعليم .

وهنا لا بد أن تقوم الجمعيات والمؤسسات الخيرية وأئمة المساجد والفئة المتعلمة في المجتمع بدورها في التنبية على مثل هذه الأمور وتوعية الجماهير والوصول إليهم أينما كانوا، وعلى الدولة أيضاً أن تلتزم بتوفير الحد الأدنى من العيش الكريم لهؤلاء الأفراد الذين جاءوا إلى الدنيا ولا ذنب لهم في ذلك، فمن واجبنا جميعاً أن نأخذ بأيديهم إلى ما فيه صالحهم وصالح دينهم ومجتمعهم. وعلى ضوء ما تقدم فإن تنظيم النسل ووفقاً للدواعي والمبررات الشرعية السابقة لا مانع منه شرعاً إذا كانت الوسيلة إلى ذلك غير محرمة ، وتم برضا الزوجين .

سابعاً : نقل الدم وبشراؤه :-

الأصل أن تناول الدم محرم لقوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير. » ولكن المولى استثنى جواز ذلك عند الضرورة ومن حالات الضرورة عملية نقل الدم إلى المصابين بالحوادث الطارئة أو المرضى المزمنين الذين يحتاجون إلى الدم بشكل مستمر حتى يحافظوا على حياتهم ، وكل هذا منطلق من القواعد الشرعية التي تنص على أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن المشقة تجلب التيسير، أما بيع الدم مقابل أجر مادي فقد أباحه بعض العلماء طبقاً للقواعد الشرعية السابقة، ومنعه آخرون بحجة أن الدم في الأصل محرم، والله عزوجل إذا حرم شيئاً حرم ثمنه ولكن إذا لم يجد المحتاج للدم ذلك إلا مقابل أجر فلا مانع من ذلك، ولا مانع أن يحصل هؤلاء المتبرعون على جوائز تشجيعية أو مكافآت مالية من الدولة، أو الجمعيات الخيرية، تشجيعاً لهم وتحفيزاً للآخرين على القيام بالتبرع بالدم للمحتاجين والفقراء .

ثامناً : تشريح جثث الموتى :-

يحرص الإسلام على تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الجرائم ، وتعددت أساليبها وتطورت ، حتى إن الجرائم ترتكب ولا يعلم مرتكبيها لأن المجرمين يتفننون في إخفاء آثار الجريمة ومعالمها ، ونظراً لذلك أباح الشرع الحكيم تشريح جثث الموتى للتعرف على سبب الوفاة وطبيعتها ، أو لغرض التعليم ، فقد يموت الميت ولا يعلم سبب الوفاة فيضطر المختصون إلى تشريح الجثة، لمعرفة أسباب الوفاة إذا كانت طبيعية، أو بفعل فاعل، وقد يكون تشريح الميت وسيلة إلى

معرفة نوع المرض الذي مات به ، الأمر الذي يعين الجهات المختصة في الدولة على اتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من هذا المرض ، وأيضاً الأمة بحاجة إلى تعلم العلوم النافعة، ومنها علوم الطب وهذه العلوم لا بد فيها من التطبيق والدراسة العملية وهذا يعني الحاجة إلى التشريع ، وقد يقول قائل إن تشريع الميت فيه إهانة ومساس بحرمته وكرامته ، وقد كرم الإنسان حياً وميتاً ، فمصلحة الميت في عدم تشريحه وهي معارضة لمصلحة المجتمع في مشروعية التشريع ، بيد أن القاعدة الشرعية تقتضي بأنه إذا تعارضت مصلحتان قدمت أقواهما ، وكذا إذا تعارضت المصلحة الخاصة مع المصلحة العامة قدمت المصلحة العامة .

وبناءً على ذلك فإن تشريع الميت فيه خدمة للمصلحة العامة وهذه المصلحة مقدمة على مصلحة الميت وحفظ كرامته .

الاستنساخ :-

ويقصد به هنا ما حدث مؤخراً في اسكتلندا من خلال الجينات البشرية المستنسخة والتي أدت في النهاية إلى ظهور ما اسمه « النعجة دوللو »، وهنا لا أحد ينكر أن علماء الغرب قد بذلوا جهوداً مضنية وشاقة ، ومن خلال مجهوداتهم هذه توصلوا إلى علوم ومعارف كثيرة ، خدمت البشرية في شتى مجالات الحياة ، ولكن البعض من هؤلاء العلماء تناسوا أنفسهم ، ومحدودية قدراتهم وإمكاناتهم وظنوا أنهم قد امتلكوا كل شيء حتى « صناعة الإنسان أو الحيوان »، وتوقعوا أنهم قادرين على إيجاد البديل لخلق الله وظهرت النعجة « دوللو » التي زعم العلماء أنهم صنعوها ، ولا أحد يدرك كيف تم ذلك ، وكمن الوقت والجهد وإعدام حيوانات واجراء تجارب من أجل الوصول إلى هذا العمل أو الإنجاز في نظرهم .

وقد آثارت هذه النعجة الكثير من التساؤلات وولدت لدى البعض الشعور بنشوة الانتصار ، وولدت لدى البعض خيبة أمل وصدمة حضارية ، ولكن العقلاء وحدهم وقفوا وقفة تأمل وبحث ودراسة لهذه القضية التي آثارت جدلاً واسعاً بين العلماء في مختلف التخصصات، وكانوا كالعادة فريقين مؤيد ومعارض ، وعموماً فمثل هذه الأعمال لا تخيف العقلاء لأنهم يعلمون أن صناعة الإنسان والحيوان أمور لا يقدر عليها إلا خالق الكون وموجده من العدم ، وإن كان البعض من البشر يسعى إلى الشهرة والظهور حتى لو كان على حساب العلم وحقائقه والقيم والأخلاق، وكانت (دوللو) أول نعجة مستنسخة من خلية بالغة ، نسخة طبق الأصل للنعجة التي أخذت منها الخلية ، إلا أنها كانت نسخة وحيدة ، وكان العلماء الاسكتلنديون قد حصلوا على هذه النعجة عبر أخذ خلية من جنين نعجة عمرها سبعة أيام وإلى هذه الخلية قاموا بإدخال رمز وراثي تم إعداده ليحبر عن «العامل ٩ » وهو بروتين يتيح تجلط الدم لعلاج مرض النزف عند الإنسان ، ثم قاموا بإدخال هذه الخلية إلى بويضة ملقحة حرصوها لتبدأ الانقسام ، وقاموا على أثر ذلك بزرع النماذج التي حصلوا عليها في أرحام نعجات ، وبعد أشهر ولدت ثلاث نعاج تحمل خلاياها « العامل ٩ » إلا أن واحدة منها توفيت في ما بعد، ويعتمد هؤلاء العلماء على « مصنعي البروتين البشري بولي ومولي » وبعد دوللو التي اعتبرت ولادتها أهم إنجاز علمي لهذا العام يأمل العلماء من خلال مصنعي « البروتين البشري بولي ومولي » تحقيق إنجازات طبية لم يكن تصورها ممكناً. (١)

ثالثاً: المراجع

- بعض المراجع والمصادر الخاصة بهذه الوحدة : -
- أبو يوسف يعقوب إبراهيم ومعروف كتابه بكتاب « الخراج » .
- توفيق الواعي ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية .
- رفعت السيد العوضي ، في الاقتصاد الإسلامي .
- كتاب الثقافة الإسلامية المقرر على طلبة جامعة صنعاء .
- محمد يحيى الحداد ، تاريخ اليمن السياسي .
- يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الإسلام .

عزيزي المعلم : يمكنك إرشاد طلابك إلى هذه المراجع وغيرها من أجل التوسع حول موضوعات هذه الوحدة .

الملحق رقم (٤) ويتضمن الصورة النهائية للاختبار التحصيلي تعليمات الاختبار .

أخي الطالب / أختي الطالبة :

خية طيبة وبعد: -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرجو منكم قراءة التعليمات والملاحظات التالية قبل البدء في الإجابة : -

أولاً : - وضع الاسم اختياري .

ثانياً : - لا علاقة لهذا الاختبار بالمادة المقررة عليكم من الجامعة بشكل رسمي ،

والدرجات التي تحصلون عليها ليس لها أي تأثير على درجاتكم الحقيقية في نفس المادة .

ثالثاً : - يهدف هذا الاختبار إلى معرفة الخلفية الثقافية التي تحملونها فقط .

رابعاً : - يهدف هذا الاختبار إلى تحسين المقرر الذي تدرسونه حالياً كمتطلب جامعي

والغرض من ذلك الفائدة والتطوير لمن سيأتي بعدكم .

خامساً : - الأسئلة المطروحة عليكم هي أسئلة موضوعية ، وقبل أن تجيبوا عنها

الرجاء منكم التكرم بقراءة التعليمات الإجابة الموضحة في بداية الصفحة رقم (٣) .

سادساً : - لاتعتمدوا على التخمين ، أرجو التفكير جيداً قبل الإجابة ، كما أرجو عدم

التردد في الإجابة .

سابعاً : - الوقت أمامك محدد ، فإذا لم تعرف إجابة سؤال ما انتقل إلى الذي يليه .

ثامناً : - يمكنك استخدام قلم الرصاص حتى تتمكن من تعديل الإجابة إذا رغبت .

تاسعاً : - أرجو عدم الاستعانة بالآخرين من أجل مساعدتك ، وإذا رغبت في

الاستفسار عليك بطلب ذلك من الباحث .

عاشراً : الرجاء منكم التعامل مع هذا الاختبار بصدق وأمانة .

مع تمنياتي لكم بالتوفيق .

الباحث

أسئلة الاختبار :- أخي الطالب / أختي الطالبة : في الصفحات التالية [٥٠] سؤالاً ،
لكل سؤال أربع إجابات ، وستجد من بينها إجابة واحدة صحيحة .
حدد هذه الإجابة ، ثم ضع أمامها علامة (×) وإليك مثال :
- يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام على أساس : -
أ - اجتماعي
ب - عقيدي
ج - فلسفي
د - أ + ب (×)
تلاحظ هنا أن الفقرة (د) هي الإجابة المطلوبة .

ابدأ الإجابة : -

- ١- الثقافة تشتمل على :
أ - الجزء المادي من حياة الناس .
ب - الجزء العقائدي من حياة الناس .
ج - الجزء الأخلاقي من حياة الناس .
د - جميع ما سبق .

- ٢- من صفات المثقف :
أ - احترام آراء الآخرين .
ب - اهتمامه بمجال تخصصه فقط .
ج - لا يتدخل بقضايا المجتمع ومشكلاته -
د - يتسم بالسرعة .

- ٣ - تتميز الآداب والأخلاق الإسلامية بأنها :
أ - تشمل حياة المسلم كلها .
ب - تقوم على أساس مادي .
ج - تقوم على أساس عقيدي .
د - ليس شيئاً مما ذكر .

- ٤ - من عيوب الثقافة غير الإسلامية أنها :
أ - ثقافة من وضع البشر .
ب - ثقافة روحية فقط .
ج - ثقافة غير قابلة للتبديل والتغيير .
د - أنها تتسم بالتسامح وتقبل الآخرين .

- ٥ - من خصائص الثقافة الإسلامية :
أ - أنها ربانية في مصدرها وغاياتها .
ب - أنها تتقبل الآخرين .
ج - تدعو إلى اعتزال الدنيا والاهتمام بالآخرة .
د - أ + ب .

- ٦- المطلوب من المسلم أن يحكم الشريعة الإسلامية في كل حياته لأنها :
أ - خاتمة الرسالات .
ب - متعبد بها وكل مسلم مطالب بتحكيمها في حياته .
ج - ثقافة متوازنة .
د - تتسم بالدقة والتحليل .

٧- الإحسان في العمل يعني :

- أ - شعور الفرد برقابة داخلية أثناء أدائه لأي عمل .
 ب - العمل بأقصى جهد .
 ج - شعور الفرد برقابة خارجية أثناء أدائه لأي عمل .
 د - العمل وفقاً لمبدأ المسؤولية .

٨ - عندما جاء الإسلام :

- أ - أقر كل العادات والسلوكيات المنتشرة عند العرب .
 ب - حرم كل السلوكيات والعادات المنتشرة عند العرب .
 ج - أقر بعض العادات والسلوكيات المنتشرة عند العرب .
 د - ليس شيئاً مما ذكر .

٩ - شرعت الحدود في الإسلام من أجل :

- أ - إقامة العدل بين الناس .
 ب - نشر الأمن والاستقرار .
 ج - أ + ب .
 د - معاونة السلطة الحاكمة .

١٠- الماسونية هي :

- أ - محفل يهودي .
 ب - نادي اجتماعي وثقافي .
 ج - جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين .
 د - مكان مقدس عند النصارى .

١١- من زعماء النظام الشيوعي :

- أ - كارل ماركس .
 ب - أنجلز .
 ج - لينين .
 د - جميع ما سبق .

١٢ - تسعى العلمانية إلى :

- أ - توحيد الأديان .
 ب - فصل الدين عن الدولة .
 ج - نشر الثقافة والعلم .
 د - استعمار الشعوب .

١٣ - من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر :

- أ - الإيمان بالجنة والنار .
 ب - الإيمان بالجزاء والحساب .
 ج - أ + ب .
 د - الإيمان بتوحيد الألوهية .

١٤ - إذا أراد المسلمون التقدم عليهم :

- أ - فصل الدين عن الحياة العامة .
 ب - تعلم جميع العلوم النافعة .
 ج - استيراد كل ما أنتجه الغرب أو الشرق .
 د - جميع ما سبق .

- ١٥ - ينقسم القرآن الكريم بحسب نزوله إلى :
- أ - مكّي قبل الهجرة .
ب - مدني .
ج - مكّي ومدني .
د - مكّي بعد الهجرة .

- ١٦ - يقصد بعلم الاستشراق :
- أ - دراسة المسلمين لأحوال الغرب .
ب - دراسة الغرب لأحوال المسلمين .
ج - دراسة الثقافة الإسلامية من قبل مجموعة من الباحثين غير المسلمين .
د - دراسة المسلمين لأحوال بعضهم البعض .

- ١٧ - من سمات العقيدة الصحيحة أنها :
- أ - تدفع الناس للعدل والعطاء .
ب - تسعى إلى إقامة العدل بين الناس .
ج - تتسم بالدوام والاستمرارية .
د - جميع ما سبق .

- ١٨ - يقصد بتوحيد « المعرفة والإثبات » :
- أ - توحيد الربوبية .
ب - توحيد الألوهية .
ج - توحيد الأسماء والصفات .
د - توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

- ١٩ - من مقتضيات توحيد الألوهية :
- أ - إخلاص العبادة لله وحده .
ب - الاعتراف بأن الله خالق كل شيء .
ج - التسليم بكل أسماء الله وصفاته التي وردت في القرآن والسنة .
د - الإيمان بجميع أركان الإيمان .

- ٢٠ - يُعتبر القرآن الكريم :
- أ - خاتم الكتب السماوية .
ب - ناسخاً لما قبله .
ج - مغايراً لما جاء في الكتب السماوية السابقة .
د - أ + ب .

- ٢١ - من مقتضيات توحيد الربوبية : -
- أ - إخلاص العبادة لله .
ب - التوكل على الله .
ج - إخلاص المحبة لله .
د - الاعتقاد الجازم بأن الله خالق كل شيء .

- ٢٢ - من ضمن إعجاز القرآن الكريم « الإعجاز البياني » ويقصد به :
- أ - الفصاحة والبلاغة .
ب - الإخبار عن المغيبات .
ج - الإخبار عن الأمم السابقة .
د - الإخبار عن بعض المعجزات .

- ٢٣ - قال تعالى « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » يُستدل بهذه الآية على :
- أ - إعجاز القرآن في المجال العلمي .
 ب - إعجاز القرآن في مجال الإخبار عن الغيب .
 ج - إعجاز القرآن في المجال التشريعي .
 د - إعجاز القرآن في المجال اللغوي .

- ٢٤ - يرى بعض العلماء أنه لا يجوز ربط النظريات العلمية ببعض آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك لأن :
- أ - النظريات تتبدل ولا تستقر على حال .
 ب - القرآن كتاب دين فقط .
 ج - أ + ب .
 د - الرسول عليه الصلاة والسلام حذر من ذلك .

- ٢٥ - قال تعالى « بلى قادرين على أن نسوي بنانه » يستدل بهذه الآية في مجال :
- أ - علم الوراثة .
 ب - الإعجاز العلمي للقرآن الكريم .
 ج - الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم .
 د - الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

- ٢٦ - نزل القرآن على الرسول عليه السلام منجماً ويقصد بذلك أنه :
- أ - نزل دفعة واحدة .
 ب - نزل مفزقاً .
 ج - نزل محفوظاً .
 د - نزل بلغة العرب .

- ٢٧ - جُمع القرآن الكريم في عهد الصحابة في فترتين وكانت في عهد :
- أ - أبي بكر وعلي رضي الله عنهما .
 ب - عثمان وعمر رضي الله عنهما .
 ج - عمر وعلي رضي الله عنهما .
 د - أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما .

- ٢٨ - تنقسم مصادر التشريع في الإسلام إلى قسمين : -
- أ - القرآن والسنة .
 ب - مصادر سماوية ومصادر بشرية .
 ج - مصادر أصلية ومصادر فرعية .
 د - ليس شيئاً مما ذكر .

- ٢٩ - تشتمل المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي على : -
- أ - القرآن والسنة وأقوال الصحابة .
 ب - القرآن والسنة .
 ج - القرآن وحده .
 د - القرآن والسنة والاجتهاد .

- ٣٠ - سورة الإخلاص يمكن أن يستدل بها على : -
- أ - جميع أنواع التوحيد .
 ب - نزول القرآن منجماً ومفزقاً .
 ج - جميع أركان الإسلام .
 د - توحيد الربوبية .

- ٣١ - القرآن الذي نزل في المدينة المنورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان التركيز يتم فيه على : -
 أ - جانب العقيدة .
 ب - جانب التشريع ،
 ج - جانب التشريع والمستجدات التي طرأت في المجتمع المسلم ، د - الجهاد وقاتل الأعداء .

- ٣٢ - الأحاديث التي يجب على المسلم أن يعمل بها في مجال العبادات هي : -
 أ - أحاديث صحيحة وأحاديث مردودة .
 ب - أحاديث صحيحة وأحاديث ضعيفة .
 ج - أحاديث صحيحة وأحاديث حسنة .
 د - أحاديث صحيحة وأحاديث موضوعة .

- ٣٣ - أقر الاجتهاد في عهد : -
 أ - الصحابة رضي الله عنهم .
 ب - الرسول عليه السلام .
 ج - التابعين رضي الله عنهم .
 د - في العصور المتأخرة .

- ٣٤ - يتميز الإسلام بأن له جوانب متغيرة وجوانب ثابتة فالجانب المتغير هو : -
 أ - الجانب العقدي .
 ب - الجانب الاجتماعي .
 ج - الجانب الاقتصادي ،
 د - الجانب الفكري والثقافي .

- ٣٥ - من أهم أهداف استعمار الغرب للعالم الإسلامي : -
 أ - نشر الثقافة والعلم .
 ب - استخراج الثروات ،
 ج - القضاء على الإسلام .
 د - أ + ب .

- ٣٦ - وقعت معاهدة «سايكس بيكو عام ١٩١٦» بين فرنسا وإنجلترا وحلفائهما وكان الغرض منها : -
 أ - تقاسم السيطرة على العالم الإسلامي .
 ب - استعمار الجزء العربي في قارة أفريقيا .
 ج - إعلان الحرب العالمية الأولى .
 د - فك ارتباط العالم الإسلامي بهذه الدول .

- ٣٧ - من أهداف الاستشراق : -
 أ - التشكيك في صحة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .
 ب - نشر العلمانية .
 ج - نشر الإخاء والتسامح بين الناس .
 د - نشر العلم والثقافة في العالم أجمع .

- ٣٨ - يقصد بمصطلح التنصير : -
 أ - التأكيد على وجوب التزام النصارى بدينهم .
 ب - إدخال اليهود في النصرانية ،
 ج - أ + ب .
 د - إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النصرانية .

- ٣٩ - من معتقدات اليهود : -
 أ - أنهم شعب الله المختار .
 ب - أن اليهودية خاصة بهم .
 ج - أنه يجوز غش غير اليهودي .
 د - جميع ما سبق .

- ٤٠ - من مظاهر إيمان الفرد باليوم الآخر : -
 أ - الالتزام بتطبيق قواعد الأخلاق وأحكام التشريع .
 ب - الإدراك المطلق للعدل الإلهي .
 ج - أ + ب .
 د - الإيمان بجميع الرسل والأنبياء .

- ٤١ - الغرض من إرسال الرسل : -
 أ - لإقامة الحججة على الناس .
 ب - بسبب انحراف الناس عن دين الله .
 ج - بسبب تباعد فترات الرسل .
 د - عدم استيعاب الناس لدعوة رسلهم .

- ٤٢ - قال تعالى « رسلاً مبشرين ومنذرين » يستدل بهذه الآية على : -
 أ - وحدة الديانات السماوية .
 ب - أن منهج الرسل وأسلوبهم في الدعوة واحد .
 ج - أن الغاية التي أرسلهم الله بها واحدة .
 د - ليس شيئاً مما ذكر .

- ٤٣ - الغرض من تقنين أحكام الشريعة هو : -
 أ - الزيادة في بعض الأحكام الصحيحة .
 ب - النقصان في بعض الأحكام الصحيحة .
 ج - التيسير والتبسيط لذوي الاختصاصات من حكام وغيرهم .
 د - أ + ب .

- ٤٤ - من مقتضيات العبادة :
 أ - العمل بكل ما صح عن الله وعن رسوله عليه السلام .
 ب - الإيمان بأركان الإسلام الخمسة .
 ج - تحكيم شرع الله في كل مناحي الحياة .
 د - جميع ما سبق .

- ٤٥ - الحرية في الإسلام هي : -
 أ - غير مقيدة .
 ب - حرية مقيدة .
 ج - جانب منها مطلق وجانب مقيد .
 د - تختلف عن الحرية في الغرب .

- ٤٦ - الإسلام يدعو إلى الاستفادة مما عند الآخرين ولكن بشروط منها : -
 أ - أن تكون الاستفادة محدودة .
 ب - أن تكون الاستفادة في مجال العلوم الاجتماعية .
 ج - أن تكون الاستفادة في مجال العلوم المادية .
 د - ألا تتعارض الاستفادة مع العقيدة أو الشريعة .

- ٤٧ - يسعى النظام الاقتصادي في الإسلام إلى : -
 أ - الموازنة بين الفقراء والأغنياء .
 ب - الموازنة بين الملكية العامة والملكية الخاصة .
 ج - أ + ب .
 د - الموازنة بين الاحتكار والتسعير .

- ٤٨ - من مظاهر العمل السياسي في الإسلام : -
 أ - نظام توريث الحكم .
 ب - نظام الشورى .
 ج - النظام الجمهوري .
 د - ليس شيئاً مما ذكر .

- ٤٩ - العمل في المجال السياسي بالنسبة للفرد المسلم هو عمل : -
 أ - مستحب .
 ب - واجب .
 ج - مكروه .
 د - مندوب .

- ٥٠ - ينص الدستور اليمني على أن الشريعة الإسلامية هي : -
 أ - المصدر الأول للتشريع .
 ب - مصدر من مصادر التشريع .
 ج - مصدر جميع القوانين والتشريعات .
 د - ليس شيئاً مما ذكر .

ملحق رقم (٥)
مفتاح الإجابة المنقّب للاختبار التحصيلي .

رقم السؤال	مكان الإجابة الصحيحة -	رقم السؤال	مكان الإجابة الصحيحة .
١	أ	٣٣	أ (ب) ج د
٢	أ (ب)	٣٤	أ (ب) ج د
٣	أ (ب)	٣٥	أ (ج) ب د
٤	أ (ب)	٣٦	أ (ب) ج د
٥	أ (ب)	٣٧	أ (ب) ج د
٦	أ (ب)	٣٨	أ (ب) ج د
٧	أ (ب)	٣٩	أ (ب) ج د
٨	أ (ب)	٤٠	أ (ب) ج د
٩	أ (ب)	٤١	أ (ب) ج د
١٠	أ (ب)	٤٢	أ (ب) ج د
١١	أ (ب)	٤٣	أ (ج) ب د
١٢	أ (ب)	٤٤	أ (ب) ج د
١٣	أ (ب)	٤٥	أ (ج) ب د
١٤	أ (ب)	٤٦	أ (ب) ج د
١٥	أ (ب)	٤٧	أ (ج) ب د
١٦	أ (ب)	٤٨	أ (ب) ج د
١٧	أ (ب)	٤٩	أ (ب) ج د
١٨	أ (ب)	٥٠	أ (ب) ج د
١٩	أ (ب)		
٢٠	أ (ب)		
٢١	أ (ب)		
٢٢	أ (ب)		
٢٣	أ (ب)		
٢٤	أ (ب)		
٢٥	أ (ب)		
٢٦	أ (ب)		
٢٧	أ (ب)		
٢٨	أ (ب)		
٢٩	أ (ب)		
٣٠	أ (ب)		
٣١	أ (ب)		
٣٢	أ (ب)		

ملحق رقم (٦)

ويتضمن دليل المعلم لتدريس الوحدة موضع التجريب مقدمة الدليل :-

يؤكد الكثير من الباحثين في المجال التربوي أن المعلم الذي يُعطي قدراً من الحرية في وضع الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والتقييم يكون قادراً على إحداث التعديلات الضرورية للمنهج أولاً بأول وكلما كانت الحاجة ضرورية لذلك . وحول هذا المعنى يقول أحد الباحثين « إذا ما أعطيت الحرية للمعلم الواعي لاختيار المحتوى المناسب ، وأيضاً إمكانات تعلم المحتوى من أساليب وطرق وأنشطة ووسائل وفق طبيعة المتعلم والموقف التعليمي فإنه قد يصل بالمنهج إلى مستوى عال من الفعالية والملائمة» (١)

والباحث وإن كان قد قام بوضع الأهداف وبناء المحتوى ووضع هذا الدليل، لكنه لا يعد ذلك نهاية المطاف، أو يلزم بها الأستاذ الجامعي، بشكل كامل لكنه وضع ما يعتقد أنه مناسب لطبيعة المرحلة التي يعيشها الطالب ، وما وضع هنا من أهداف ومحتوى تم الاستئناس في ذلك بأراء الطلبة أنفسهم من خلال الاستبيان الذي وزع عليهم لمعرفة ما يحتاجونه عند دراستهم لمنهج الثقافة الإسلامية . وعليه فقد ترك الباحث مساحة واسعة للمعلم الجامعي لكي يضيف أو يعدل أو يحذف ما يراه مناسباً وبحسب ما قد يعترضه في الميدان، خاصة وأن هذا الدليل وضع للوحدة الأولى وهي موضع التجريب في المنهج المقترح وعلى المعلم - وبالتعاون مع طلابه - اقتراح ما يرويه مناسباً من طرق تدريس وأنشطة مصاحبة وتقييم لبقية الوحدات، وعليهم الاستفادة مما وضع في هذا الدليل ، مع العلم أن الأهداف والمحتوى لكل الوحدات وبعض المراجع الخاصة بالثلاث الوحدات الباقية قد تم إعدادها وبشكل كامل وموجودة في ملاحق الدراسة .

وسوف يشتمل هذا الدليل على الآتي :-

- إرشادات عامة للمعلم الجامعي الذي يُدرّس هذه المادة .
- توصيف لمحتوى الوحدة موضع التجريب .
- الأهداف العامة والخاصة لمحتوى الوحدة موضع التجريب .
- جدول يبين تقسيم الوقت المخصص لكل موضوع .
- محتوى الوحدة (٢) .
- بعض طرائق التدريس والوسائل المناسبة لكل موضوع من موضوعات الوحدة .
- بعض الأنشطة المصاحبة والمناسبة لطبيعة الطالب الجامعي .
- التقويم البنائي أو الأثني وسيتم بعد نهاية كل موضوع من الموضوعات العشرة ، موضع الدراسة، والهدف من ذلك التعرف على أداء الطلبة وتفاعلهم مع كل موضوع من موضوعات هذه الوحدة .
- التقويم النهائي : ويتمثل في إعادة تطبيق الاختبار التحصيلي الذي تم إعداده وضبطه لقياس مدى تحقق أهداف المنهج المقترح .

(١) عبد المنعم محمد حسين ، بعض ملامح نظرية المنهج ، بحث منشور في مجلة كلية التربية بأسوان جامعة أسيوط ،

العدد الأول ، ديسمبر ١٩٨٧ ، ص ١٨٧ .

(٢) انظر الملحق رقم (٣) وفيه محتوى الوحدة بشكل كامل .

– مراجع الوحدة .

وبعد عزيزي المعلم : المطلوب منك محاولة التفاعل مع تعليمات هذه الوحدة من أجل إنجاحها ، ولا يعني هذا التقليل من قدرتك أو الانتقاص من مستواك العلمي ، وإنما الغرض من ذلك هو إنجاح هذه الدراسة وفق الأساليب العلمية المتبعة عند إعداد مثل هذه الدراسة .

إرشادات عامة للمعلم .

هناك الكثير من الإرشادات والتعليمات التي ينبغي أن يلتزم بها كل معلم بغض النظر عن المرحلة التي يُدرّسها ، وهناك تعليمات ينبغي أن يستفيد منها المعلم الجامعي بشكل عام ، ومعلم الثقافة الإسلامية بشكل خاص .

وفيما يلي عرض لذلك وبشكل موجز : -

– ينبغي أن يكون معلم هذه المادة قدوة حسنة لطلابه ، وأن يظهر ذلك في التعامل الجيد والسلوك القويم .

– أن يدرك المعلم أن هذه المادة تختلف عن بقية المواد، من حيث طبيعتها وخصائصها وأهميتها بالنسبة للطلاب الجامعي .

– أن يلم معلم هذه المادة بالعلوم المرتبطة بها ، إلى جانب إلمامه بقضايا العصر ومستجداته ، وأن يكون مطلعاً على كل جديد ، حتى يزيل اللبس الحاصل عند الكثيرين والمتمثل في أن معلم هذه المادة لا يدرك قضايا العصر والتطورات الحاصلة من حوله .

– أن يلم ببعض العلوم التربوية حتى يكون قادراً على صياغة الأهداف واختيار طرائق التدريس وأساليب التقويم المناسبة لكل موضوع من الموضوعات التي يُدرّسها .

– أن يتفاعل المعلم مع طلابه ، ويستجيب لكل التساؤلات والمناقشات المطروحة ويربط ذلك بواقع الطلبة والمجتمع ، باعتبار أن هذه المادة هي أحد المصادر الهامة والرئيسية التي ينبغي أن تشبع رغبات الطلبة وتجب عن الكثير من التساؤلات التي تشغلهم في حياتهم العامة والخاصة .

– محاولة وضع الأهداف قبل البدء بالدرس ، وهنا يمكن للمعلم أن يستفيد من الأهداف التي وضعها الباحث في هذه الدراسة ، عند رغبته في اشتقاق أهداف مماثلة .

– أن يراعي المعلم الخبرات السابقة لدى المتعلمين والتي اكتسبها في مراحل التعليم، مع العلم أن الطالب اليميني يدرس في الثقافة الإسلامية أكثر مما يدرس زميله في أغلب الدول العربية .

– أن يراعي المعلم قدرات المتعلمين واستعداداتهم للتعلم ، ومستوى نشاطهم المعرفي وسبل تلبية حاجاتهم واستشارة دوافعهم .

– السعي إلى تحقيق التوازن عند الطلبة،والذي يتمثل في الجمع بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى، وتصحيح بعض المفاهيم العالقة في أذهانهم في هذا المجال وبما يتفق مع التصور الإسلامي للحياة الدنيا والحياة الأخرى .

– أن يسعى معلم هذه المادة إلى تكوين الفكر الإسلامي الصحيح والسليم،والبعيد عن الخرافات

والخلاقات المذهبية التي قد تعلق في أذهان الطلبة من خلال بيئتهم ، وذلك في ضوء نظرة الإسلام ومفهومه للكون والإنسان والحياة .

- السعي إلى تحقيق الوحدة الفكرية القائمة على وحدة العقيدة، باعتبار أن الإسلام أقوى عوامل الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع .

- الالتزام بالأمانة العلمية ، ويشمل أمانة عرض المادة العلمية بطريقة تناسب طبيعة المادة وطبيعة الطالب ، وأمانة التقويم والمساواة في ذلك بين جميع الطلبة، وأمانة الاخلاص فلا يكتفم عنهم علماً أو فائدة (١) .

- أن يلتزم بضبط النفس وسعة الصدر فلا يضيق صدره من طلابه لأي سبب من الأسباب ، وعليه أن يوجه طلابه إلى كل خير (٢) .

عزيزي المعلم : - حرص الباحث على ألا يلزمك بطريقة محددة للتدريس ، وأنت تعلم أن هناك طرقاً كثيرة وما عليك إلا أن تختار الطريقة التي تراها مناسبة لكل موضوع ، وقد أورد لك الباحث بعض الطرق عند عرضه لطريقة تدريس كل موضوع من موضوعات الوحدة موضع التجريب .

توصيف لمحتوى الوحدة موضع التجريب :-

- مفهوم الثقافة الإسلامية :-

مناقشة هذا المفهوم على أساس أن الثقافة الإسلامية هي الأسلوب الكلي لحياة الأمة والذي يتسق مع تصور الإسلام للآلوهية والكون والإنسان والحياة ، ومناقشة الفوارق بين جانبيها المعياري والتطبيقي ، وعقد مقارنة بينها وبين الثقافات الأخرى ، وموقفها من العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الإسلامية مع إبراز التحديات والشبهات التي تواجه الثقافة الإسلامية .

- مفهوم الآلوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية :-

ويتناول هذا الموضوع مفهوم كل من الآلوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية ، ويتطلب هذا بيان مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الآلوهية ، والفوارق بينهما وكذلك بيان توحيد الذات والصفات ، ومقتضيات العبودية لله ، والعلاقة بين التوحيد والحرية الإنسانية .

- خصائص الإسلام العامة :-

يتناول هذا الموضوع مفاهيم : الربانية والشمولية والتوازن والعالمية والواقعية الإيجابية ، ومقتضيات كل مفهوم منها في الحياة الاجتماعية والثقافة الإسلامية .

- كتاب الله واحد :-

ويتناول هذا الموضوع قضية أن دين الله واحد هو الإسلام وأن كتاب الله واحد وتي اليهود نصيباً منه، وأوتي النصرى نصيباً منه ، ثم جاء القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة شاملاً لكتاب الله كله ومهيماً على الكتب السابقة كلها ، وأن الكتب السابقة قد تم تحريفها في حين أن القرآن قد تكفل الله بحفظه .

(١) إبراهيم محمد عطا، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠م، ط٢ ص ١٩

(٢) فتحي علي يونس وآخرون، أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر،

- مصادر الثقافة الإسلامية :-

ويشتمل هذا الموضوع على الحديث عن الجانبين المعياري والتطبيقي للثقافة الإسلامية، وأنها ربانية في مصدرها وغايتها ، وأن لها مصادر أساسية ومصادر فرعية ، كما أنها تتميز بالمرونة والسعة رغم الثبات في بعض مصادرها .

- مفهوم الإسلام للعبادة :-

يتناول هذا الموضوع مفهوم العبادة على أساس أنها عاطفة فطرية و شمول العبادة للنشاط الإنساني كله ، وأنها مظهر من مظاهر التجمع الإنساني ، وأنها تشمل كل جوانب الحياة المختلفة .

- الجوانب الثابتة والجوانب المتغيرة في الثقافة الإسلامية :-

ويشتمل هذا الموضوع على بيان التصور العقيدي والاجتماعي في الإسلام ، مع التأكيد على أن الجانب الأول لا يقبل التغيير ، أما الجانب الثاني فيمكن أن يقبل ذلك ، وأن الإسلام لا يمنع من الحركة والتغيير في ظل جوانب الحياة المختلفة ، مع إدراك أنه لا تعارض بين الحرية وجوانب الإسلام الثابتة ، وأنه دين يدعو إلى استغلال كل الطاقات البشرية .

- أهم التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية :-

ويتناول هذا الموضوع التطرق لبعض هذه التحديات، مع ذكر لعوامل السعة والمرونة في الثقافة الإسلامية ، وأنها صالحة لكل زمان ومكان ، وأنه لا بد من المحافظة عليها حتى نحافظ على بقاء الأمة وكيانها .

- طبيعة الحياة في الثقافة الإسلامية :

ويتناول هذا الموضوع الحياة الدنيا وانها حياة عمل وجد ، وأنه لا بد من المساهمة في عمارة الأرض ، مع بيان طبيعة الحياة الآخرة ، وأن الدنيا والآخرة ليسا بديلين ولا نقيضين وإنما متكاملين .

- الحياة ناشئة بإرادة الله :-

ويتناول هذا الموضوع طبيعة الحياة وانها ناشئة بإرادة الله ، وأن الأحياء جميعاً من أصل واحد هو الماء ، وأن هذه الحياة تقوم على قاعدة الزوجية بين كل الأحياء، وأنه لا بد من إدراك العلاقة بين حياة الإنسان وبين مفردات الحياة من حوله، مع وجوب التفاعل مع هذه الحياة والقيام على عمارتها وفق منهج الله .

ملاحظة : عزيزي المعلم : ستجد ضمن ملاحق هذه الدراسة ، تفصيلاً كاملاً لطبيعة المحتوى أرجو

منك أن ترجع لذلك في موضعه .

جدول يبين تقسيم الوقت المفصّل لاجل موضوع
من موضوعات الوحدة موضع التبريد .

م	رقم المحاضرة	اليوم والتاريخ	عنوان الموضوع	الزمن المخصص	ملاحظات
١	١		مفهوم الثقافة الإسلامية .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	هنا يلاحظ أننا خصصنا
٢	٢		مفهوم الألوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	محاضرة واحدة للموضوعين
٣	٣		خصائص الإسلام العامة .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	الخامس والسادس، وكذا السابع
٤	٤		كتاب الله واحد .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	والثامن، والسبب في ذلك هو قصر محتوى
٥	٥		مصادر الثقافة الإسلامية،	تخصص محاضرة واحدة للموضوعين	الموضوعين، السادس والسابع،
٦	٦		مفهوم الإسلام للعبادة .	ومدتها ٣ ساعات	لذا رأى الباحث
٧	٧		الجوانب الثابتة والجوانب المتغيرة .	تخصص محاضرة واحدة	دمجها اختصاراً للوقت .
٨	٨		أهم التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .	تخصص محاضرة واحدة للموضوعين ومدتها ٣ ساعات	
٩	٩		طبيعة الحياة في الثقافة الإسلامية .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	
١٠	١٠		الحياة ناشئة بإرادة الله .	محاضرة كاملة ومدتها ٣ ساعات	

أخي المعلم : لاحظ هنا أنك بحاجة إلى ثمانية أسابيع من أجل إنجاز تدريس هذه الوحدة
وعليك مراعاة تقسيم الوقت خاصة عند المحاضرتين الخامسة والسادسة .

الموضوع الأول وعنوانه : مفهوم الثقافة الإسلامية .

الهدف العام : - أن يدرك الطلبة مفهوم الثقافة الإسلامية، على أساس أنه الأسلوب الكلي لحياة الأمة ، والذي يتسق مع التصور الإسلامي للإلوهية والكون والإنسان والحياة .

الأهداف الخاصة :-

- أن يتعرف الطلبة على مفهوم الثقافة الإسلامية .
 - أن يستنتج الطلبة أن الثقافة الإسلامية أسلوب كلي للحياة، يتسق مع التصور العقائدي والتصور الاجتماعي .
 - أن يدرك الطلبة الفوارق بينها وبين الثقافات الأخرى .
 - أن يحدد الطلبة أهم مقومات الثقافة الإسلامية .
 - أن يدرك الطلبة موقف الثقافة الإسلامية من العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع المسلم .
- المحتوى :** - انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٢٧٥ إلى ص ٢٨٣
- طريقة التدريس :-**

- ١- يفضل أن يبدأ المعلم درسه بمقدمة عامة يبين فيها أهمية الثقافة الإسلامية بشكل عام، ودورها في حياة كل من الفرد والمجتمع ، وذلك لأن هذا هو أول موضوع يدرسه الطلبة في هذه المادة .
- ٢- يقوم بكتابة الهدف العام والأهداف الخاصة للدرس على سبورة إضافية .
- ٣- البدء بالأنشطة الاستهلالية المناسبة لهذا الموضوع ، والهدف من ذلك تهيئة أذهان الطلبة للدرس وجذبهم إليه ، وإثارة اهتمامهم نحو الموضوع ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال مناقشتهم في مفهوم الثقافة وأهميتها ، والهدف من ذلك هو التعرف على الخلفية التي لديهم في هذا الموضوع .
- ٤- ثم يبدأ المعلم درسه هنا مستخدماً طريقة المناقشة والحوار ، فيبدأ حديثه مع طلبته عن مفهوم الثقافة لغة واصطلاحاً ، ثم يطلب من بعضهم تعريفها بأسلوبهم الخاص ، ثم يتعرف منهم على مفاهيمهم نحو مصطلح «شمولية الثقافة الإسلامية لجوانب الحياة المختلفة.» وهنا ينبغي أن يصل معهم إلى أنها أسلوب شامل وكامل للحياة ، ثم يتعرف منهم على الفوارق التي بينها وبين الثقافات الأخرى ويطلب من بعضهم ذكر ذلك ويكتبه على السبورة ، ثم يتوصل معهم إلى ذكر بعض هذه الفوارق ، وعليه أن يستنتج من طلابه أهم مقومات تلك الثقافة ، على أن يربط كل ما سبق بموقفها من بعض العادات والتقاليد القائمة في المجتمع .

الوسائل التعليمية :-

- ١- السبورة .
- ٢- يكلف أحد الطلبة من أصحاب الخط الجيد بعمل جدول يقارن فيه بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى .

الأنشطة المصاحبة :

- يكلف الطلبة بالرجوع إلى بعض المصادر التي يراها المعلم مناسبة .
- حثهم وتشجيعهم على البحث عن بعض المقالات والكتابات في هذا المجال .
- الاستماع إلى إحدى المحاضرات حول هذا الموضوع ، وتلخيص أهم ما فيها .

التقويم :-

- ما أهمية الثقافة الإسلامية في حياتك؟
 - ما موقف الثقافة الإسلامية من عادة التبذير المنتشرة عند بعض أفراد مجتمعك؟
 - حدد بعض الفوارق الفاصلة بين الثقافة الإسلامية ، والثقافات الأخرى.؟
- الموضوع الثاني** وعنوانه : الألوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية .
- الهدف العام** :- أن يدرك الطلبة مفهوم الألوهية والعبودية في الثقافة الإسلامية، وبيان الفوارق بينهما .

الأهداف الخاصة :-

- أن يدرك الطلبة مفهوم توحيد الربوبية .
- أن يدرك الطلبة مفهوم توحيد الألوهية .
- أن يقارن الطلبة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .
- أن يفهم الطلبة مفهوم العبادة ومقتضيات العبودية لله .
- أن يدرك الطلبة العلاقة بين العبودية لله وحده والحرية الإنسانية .

المحتوى :- انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٢٨٣ الى ص ٢٨٩

طريقة التدريس :-

- كتابة أهداف الموضوع على السبورة .
- تهيئة الطلبة للدرس من خلال مقدمة يربطها المعلم بأهداف الدرس نفسه .
- البدء بالدرس من خلال تمهيد يُربط بموضوع الدرس نفسه، مع طرح بعض الأسئلة عن الدرس السابق وربطه بالدرس الحالي.

- الانتقال إلى موضوع الدرس الجديد، وهنا على المعلم أن يستفيد من خبرات الطلبة وخلفيتهم السابقة التي يحملونها، وعليه أن يسألهم عن مفهومهم لأنواع التوحيد وتقسيماته ، والفرق بين كل نوع، وعليه أن يدير هنا نقاشاً واسعاً ومفصلاً حول هذا الموضوع وكيف كان موقف الأمم من التوحيد ، وربط ذلك بالحرية وكيف تتحقق من خلال التوحيد، والإيمان بالله وعلى المعلم هنا أن يشير بعض الأسئلة ويطلب من طلابه الإجابة عنها، ويكون ذلك أثناء المناقشة نفسها، والهدف من ذلك هو جذب انتباههم والتأكد من فهمهم وتفاعلهم مع الموضوع .

الوسائل التعليمية :-

- ١- السبورة .
- ٢- لوحة تعمل من قبل أحد الطلبة يوضح فيها أقسام التوحيد .
- ٣- عرض محاضرة مسجلة لأحد العلماء المختصين في العقيدة .

الأنشطة التعليمية :-

- ١- عمل أبحاث مصغرة لا تزيد عن أربع صفحات من قبل كل طالب .
- ٢- ارشادهم إلى بعض المراجع للإطلاع والتوسع في الموضوع ويطلب من كل طالب تلخيص ما قرأه .
- ٣- عمل صحيفة حائطية عن أنواع التوحيد وتوضع في مكان بارز داخل الكلية .

التقويم :-

- ما هو التوحيد الذي انكره العرب-؟ ولماذا ؟ دلل على ما تقول .
- حدد طبيعة العلاقة بين التوحيد ومفهوم الحرية.؟

الموضوع الثالث وعنوانه :- خصائص الإسلام العامة .

الهدف العام :- أن يتعرف الطلبة على خصائص الإسلام العامة من حيث : الربانية والشمول والتوازن والعالمية ، والواقعية والإيجابية .

الأهداف الخاصة :-

- أن يوضح الطلبة مفهوم الربانية ومقتضياتها .
- أن يفسر الطلبة سر شمولية الإسلام ومقتضيات ذلك .
- أن يدرك الطلبة مفهوم التوازن في الإسلام ومقتضياته .
- أن يدرك الطلبة مفهوم العالمية في الإسلام ومقتضياتها .
- أن يدرك الطلبة مفهوم الواقعية الإيجابية ومقتضياتها .

المحتوى : انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٢٨٩ الى ص ٢٩٤

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة للدرس على السبورة .
- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة ومشوقة ترتبط بالدرس وطبيعته .
- مقدمة تؤدي إلى الدخول في موضوع الدرس .
- البدء بالموضوع : وهنا يفضل أن يبدأ المعلم هذا الموضوع بمحاضرة ، لا تقل عن خمسين دقيقة يتحدث فيها عن خصائص الإسلام بشكل عام، ثم يخصص بقية المحاضرة للمناقشة والحوار مع طلابه ، ويطلب منهم ذكر تلك الخصائص وبشكل موجز ثم يلخصها على السبورة ، ويطلب من طلابه إضافة ما يرونه مناسباً لكل خاصية من تلك الخصائص ، وإذا رأى منهم إضافة جديدة عليه كتابتها على السبورة ومناقشتها مناقشة وافية مع طلابه ، وبهذه الطريقة ينهي تدريس تلك الخصائص وبشكل متكامل يجمع بين طريقة المحاضرة وطريقة المناقشة .

الوسائل التعليمية :-

هنا يكتفي المعلم بالسبورة الأساسية ، إضافة إلى سبورة إضافية تعلق بجانب الأولى حتى يتمكن من كتابة كل ما يراه مهماً .

الأنشطة المصاحبة :-

١- يكلف مجموعة من الطلبة بعمل وسيلة تمثل شجرة كبيرة يكتب عليها الإسلام ، ثم تتفرع إلى عدة فروع ، وكل فرع يمثل خاصية من تلك الخصائص ، ويكون ذلك بشكل مجسم ويوضع في مكان بارز داخل الكلية .

٢- القراءة عن ذلك في بعض المصادر التي يراها المعلم مناسبة .

التقويم :-

- ماذا يقصد من قولنا شمولية الإسلام.؟
- ماذا يقصد بعالمية الإسلام ؟ مع بيان مقتضيات ذلك.؟

الموضوع الرابع وعنوانه : كتاب الله واحد .

المهدف العام : - أن يدرك الطلبة أن القرآن الكريم قد جاء مصداقاً لما في الكتب السماوية السابقة ، ومهيماً عليها مع حفظه من التحريف .

الأهداف الخاصة : -

- أن يفهم الطلبة معنى القرآن الكريم ، مع التفريق بينه وبين السنة النبوية .
 - أن يدرك الطلبة أن كتاب الله واحد أوتي اليهود نصيباً منه، وأوتي النصارى نصيباً منه .
 - أن يدرك الطلبة الوسائل والطرائق التي تم بها حفظ القرآن الكريم، حتى وصل إلينا سليماً من التحريف .

- أن يناقش الطلبة ما تعرضت له الكتب السماوية السابقة من تحريف وتضليل .
 - أن يدرك الطلبة أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي جاء بها محمد عليه السلام .
 المحتوى : - انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٢٥٠ إلى ص ٣٠٦ .

طريقة التدريس : -

- عرض الأهداف العامة والخاصة للدرس على السبورة .
 - البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة ومشوقة .
 - المقدمة وتكون بمجموعة أسئلة تمهيدية تتصل بالموضوع .
 - البدء بالدرس وهنا يقترح الباحث أن يقسم المعلم طلابه إلى خمس مجموعات وكل مجموعة تختار هدف من الأهداف الخمسة الخاصة بهذا الموضوع، ثم يطرح كل طالب على زملائه ما يراه مناسباً لتحقيق هذا الهدف وهكذا بقية زملائه ، ويكتبوا ما توصلوا إليه في ورقة ، ويخصص المعلم لذلك نصف ساعة، ثم يأخذ منهم الأوراق ويقرأها جميعاً على الطلبة، ويشني ويمتدح الأوراق الجيدة حتى يحفز البقية على الاطلاع ، ويدير بعد ذلك نقاشاً حول كل هدف ويضيف ما يراه مناسباً، ويتوصل معهم إلى تعريف القرآن الكريم والفرق بينه وبين السنة النبوية ، وأن كتاب الله واحد منذ بداية إرسال الرسل مع التعرف على أهم الطرق التي تم بها حفظ القرآن ، وبين لهم أن قرآنهم حُفظ من كل تحريف، وأنه معجزة نبيهم الكبرى تحدى الله به العرب ، ووقفوا أمامهم عاجزين رغم فصاحتهم وبلاغتهم .

الوسائل التعليمية :

١- السبورة .

٢- يختار المعلم شريط (فيديو) لأحد المختصين الذين تناولوا إعجاز القرآن الكريم في المجالات المختلفة، خاصة المجالات العلمية والطبية ، ويقوم بعرضه على طلابه .

الأنشطة المصاحبة :

١- يكلف المعلم طلابه بزيارة مكتبة الكلية والبحث عن المراجع التي تناولت هذا الموضوع ، ويكلف كل واحد منهم بكتابة تقرير موجز عن ذلك .
 ٢- زيارة أحد العلماء والاستماع منه إلى درس حول هذا الموضوع .

التقويم : -

- ما الفرق بين القرآن والسنة؟

- دلل على أن كتاب الله واحد؟

- لماذا حفظ الله القرآن من التحريف؟

الموضوع الخامس وعنوانه : - مصادر الثقافة الإسلامية .

ملاحظة : أخي المعلم لاحظ أن عليك تدريس هذا الموضوع ، والموضوع الذي يليه ، فعليك

بتقسيم الوقت والالتزام به.

الهدف العام : - أن يتعرف الطلبة على المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .

الأهداف الخاصة : -

- أن يقارن الطلبة بين الجانب المعياري والجانب التطبيقي للثقافة الإسلامية .

- أن يفهم الطلبة أن الثقافة الإسلامية ربانية في مصدرها وغاياتها .

- أن يفرق الطلبة بين المصادر الأساسية والمصادر الفرعية للثقافة الإسلامية .

- أن يبرر الطلبة لماذا تميزت الثقافة الإسلامية بالمرونة والسعة، رغم ثبات مصادرها .

- أن يقوم الطلبة بالطرق التي تم بها حفظ المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية .

المحتوى : انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٦٠٦ الى ص ٣١٢.

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة للدرس على السبورة .

- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة .

- مقدمة مباشرة تؤدي إلى الدخول في موضوع الدرس ، ومقدمة هذا الموضوع ينبغي أن تربط

مع الدرس السابق ، لأن هناك صلة قوية بين هذا الدرس والسابق، فالقرآن الكريم وهو موضوع درسنا

السابق هو المصدر الأول من مصادر الثقافة، والمعلم هنا حر في اختيار المقدمة التي يراها مناسبة .

- البدء بالموضوع : - وهنا يفضل أن يكلف المعلم طلابه من الدرس السابق بالقراءة حول هذا

الموضوع ويدلهم على بعض المراجع ، ويطلب من كل طالب أن يلخص أهم النقاط التي استفادها من

القراءة، ويكون ذلك في بطاقات أو أوراق خاصة، ثم يتم جمعها منهم في بداية المحاضرة ، ويقراها

أمام الجميع ، ويستخلص منها أهم النقاط والعناصر التي يراها مناسبة ، ثم يضيف إليها ما يراه

مناسباً، من خلال نقاشه مع جميع الطلبة، والغرض من ذلك هو حث الطلبة على المشاركة والتفاعل مع

المعلم، ومحاولة التخفيف من الاعتماد على طريقة المحاضرة والإلقاء .

الوسائل : -

١- السبورة .

٢- عمل لوحة يتم فيها تقسيم مصادر الثقافة الإسلامية إلى قسمين، وكل قسم يحتوي على

المصادر الخاصة به ، وتوضع اللوحة في مكان بارز داخل الكلية يستفيد منه أكبر قدر ممكن من الطلبة

وزوار الكلية .

الأنشطة : -

- ١- متابعة بعض البرامج الدينية التي تذاع أو تكتب في وسائل الإعلام المختلفة، ويطلب من كل طالب أن يلخص ما استفاده في هذا الجانب .
- ٢- يقوم مجموعة من الطلاب بزيارة أحد المختصين وتوجه له الدعوة لزيارة الكلية وإلقاء محاضرة عامة لجميع الطلبة ، ويكون ذلك بالتنسيق مع إدارة الكلية .

التقويم : -

- ماذا يقصد بالجانب المعياري والجانب التطبيقي في الثقافة الإسلامية؟
- فند التعارض الذي قد يتصوره البعض بين ثبات مصادر الثقافة الإسلامية، ومرونتها وسعتها؟

الموضوع السادس وعنوانه : - مفهوم الإسلام للعبادة .

الهدف العام : - أن يتعرف الطلبة على مفهوم العبادة في الإسلام .

الأهداف الخاصة : -

- أن يدرك الطلبة مفهوم العبادة في الإسلام .
 - أن يفهم الطلبة أن العبادة عاطفة فطرية مغروسة في النفس البشرية من بداية الخليقة .
 - أن يدرك الطلبة أن الإسهام والعمل في كل الأنشطة هو عبادة إذا قصد بذلك وجه الله .
 - أن يدرك الطلبة أن مفهوم العبادة يتسع في الإسلام ليشمل كل جوانب الحياة .
 - أن يعلل الطلبة لماذا كانت العبادة مظهراً من مظاهر التجمع الإنساني .
- المحتوى : - انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ١٢٠ إلى ص ٣١٤ .

طريقة التدريس : -

- عرض الأهداف العامة والخاصة على السبورة .
- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة ومشوقة ترتبط بطبيعة الإسلام وخصائصه .
- مقدمة تؤدي إلى الدخول في موضوع الدرس .
- البدء بالموضوع : ويلاحظ هنا أن محتوى هذا الموضوع قصير إذا ما قورن ببقية الموضوعات الأخرى وقد تعتمد الباحث ذلك من أجل أن يتيح الفرصة أمام كل من الطالب والمعلم لإضافة ما يروونه مناسباً ، وهنا يقترح الباحث أن يكلف المعلم طلابه بالقراءة حول هذا الموضوع ويكون ذلك بالتنبيه عليهم من المحاضرة السابقة، ويطلب منهم أن يلخصوا ما قرأوه ثم يجمع منهم ذلك ويقرأه أمامهم جميعاً، وفي أثناء القراءة ينبغي أن يدير حواراً ونقاشاً حول كل ما كتب ويضيف عليها ما يراه مناسباً ، ويحقق أهداف الموضوع والغرض من ذلك هو السعي إلى تفاعل الطلبة مع المادة ، وإشعارهم بأهمية الحوار والنقاش حتى يتعودوا على ذلك في حياتهم .

الوسائل : -

- ١- السبورة .
- ٢ - التطبيق العملي لبعض أنواع العبادة كتطبيق كيفية الحج أوصفة الصلاة الصحيحة، ويكون ذلك بتكليف بعض الطلبة، والغرض من ذلك هو التأكد من الاستفادة مما سبق وأن درسه الطلبة في

المراحل التعليمية السابقة ، وهذه الوسيلة ممكن أن تكون في بداية الموضوع حتى تلفت أذهانهم ، ثم يربط المعلم ذلك مع بقية الأنشطة المختلفة في جميع نواحي الحياة .

الأنشطة : - عمل تقارير وأبحاث مختصرة حول أهمية وطبيعة العبادة في الإسلام .

التقويم : -

- ما مفهومك لطبيعة العبادة في الإسلام.؟

- يفرق البعض بين جوانب العبادة المختلفة وبين أنشطة العمل المختلفة كيف ترد عليهم.؟

- لماذا كانت العبادة مظهراً من مظاهر التجمع الإنساني.؟

الموضوع المسابح وعنوانه : - الجوانب الثابتة والجوانب المتغيرة في الثقافة الإسلامية .

أخي المعلم : لاحظ أن عليك اليوم تدريس هذا الموضوع والموضوع الذي يليه فعليك الالتزام

بالوقت وتنظيمه .

الهدف العام : - أن يدرك الطلبة جوانب الإسلام الثابتة (الأصول) والجوانب المتغيرة الخاضعة

لحركة الإنسان في إطار الثوابت .

الأهداف الخاصة :-

- أن يدرك الطلبة لماذا كان التصور العقيدي في الإسلام غير قابل للتغيير .

- أن يدرك الطلبة لماذا كان التصور الاجتماعي في الإسلام قابل للتغيير .

- أن يفهم الطلبة أن الإسلام لا يمنع من الحركة والتغيير في جوانب الحياة المختلفة في إطار

الثوابت .

- أن يدرك الطلبة أنه لا تعارض بين الحرية وجوانب الإسلام الثابتة .

- أن يدرك الطلبة أن الإسلام دين يدعو إلى استغلال كل الطاقات البشرية للاستفادة منها في

إعمار الأرض .

المحتوى :- محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ١٤ الى ص ١٦.

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة للدرس على السبورة .

- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة .

- مقدمة تؤدي إلى الدخول في موضوع الدرس .

- البدء بالموضوع : وهنا يُفضّل أن يبدأ المعلم هذا الموضوع بمحاضرة قصيرة، يتحدث فيها عن

الجوانب القابلة للتغيير والجوانب الثابتة في الإسلام، ثم يخصص بقية الوقت للحوار والمناقشة مع

طلابه، وفي ختام المحاضرة يتوصل معهم إلى أن في الإسلام جوانب قابلة للتغيير وجوانب ثابتة، وأن

الجوانب الثابتة ليس الغرض منها الحد من حرية الإنسان، أو الحجر على اتجاهاته وآرائه، وإنما الغرض هو

تهذيب سلوكه ، وإيجاد مرجعية له تقيه الفتن والأهواء ، لأن الإنسان إذا ترك هكذا دوننا ضوابط

وقواعد من القيم والأخلاق ربما يؤدي به ذلك إلى الخروج عن الحق والصواب .

الوسائل :-

- ١- السبورة .
 - ٢- جهاز تسجيل يستمع منه الطلبة إلى جزء من محاضرة أو درس حول هذا الموضوع .
- الأنشطة :-

- عمل صحيفة تركز على هذا الموضوع .
- زيارة إحدى المكتبات العامة للاطلاع على ما فيها حول هذا الموضوع .

التقويم :-

- قارن بين الجوانب الثابتة والجوانب المتغيرة في الثقافة الإسلامية .
- هل هناك تعارض بين الإسلام والحرية . ؟

الموضوع الثامن وعنوانه :- أهم التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .

الهدف العام :- أن يتعرف الطلبة على أهم التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية، ويفندوا

الشبهات المثارة حولها ، مع بيان أنها صالحة لكل زمان ومكان .

الأهداف الخاصة :-

- أن يذكر الطلبة بعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .
- أن يدرك الطلبة عوامل السعة والمرونة في متغيرات الثقافة الإسلامية .
- أن يدرك الطلبة الأسباب التي تجعل الجوانب المعيارية للثقافة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

- أن يستنتج الطلبة الكيفية التي يتم من خلالها المحافظة على هوية الأمة وكيانها .

- أن يشارك الطلبة في إبراز المعاني السامية والإنسانية للثقافة الإسلامية .

المحتوى : محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٣١٦ الى ص ٣٢٢

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة علي السبورة .
- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة بسيطة وهادفة .
- مقدمة تؤدي إلى الدخول في موضوع الدرس .
- البدء بالموضوع : ويفضل هنا أن يتم تقسيم الطلبة إلى خمس مجموعات ، ثم يقوم المعلم بإعطاء كل مجموعة بطاقة تحتوي على هدف من الأهداف ، وعلى عرض موجز لأهم النقاط التي يجب أن يحتويها هذا الهدف، ويطلب منهم الاستفادة من تلك النقاط ، وإضافة نقاط أخرى على غطها ، ويرون أنها مناسبة لتحقيق الهدف الذي أمامهم . والغرض من ذلك هو إيجاد نوع من التفاعل والمشاركة بين المعلم وطلابه ، وفيه تحفيز للطلبة للتفكير وترتيب المعلومات وتنظيمها، سواء في أذهانهم أو ترجمتها في الأوراق .

الوسائل :

- ١ - السبورة .
- ٢ - شريط فيديو عن التنصير ومحاربة الإسلام في افريقيا ، ويتم الحصول عليه من إحدى الجمعيات أو المؤسسات المهتمة بذلك .

الأنشطة :-

- تتبع بعض البرامج والكتابات التي تذاع وتنتشر في وسائل الإعلام المختلفة، وتتناول بعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية .

- تتبع بعض المؤتمرات والندوات التي عالجت هذا الموضوع .

التقويم :-

- اذكر بعض الأمثلة التي تدل على مرونة الثقافة الإسلامية .؟
- اذكر بعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية ، وبشرط أن تكون غير مذكورة هنا ؟

الموضوع التاسع وعنوانه : - طبيعة الحياة في الثقافة الإسلامية .

الهدف العام : - أن يعرف الطلبة أن الحياة في التصور الإسلامي هي حياة عمل ، وأن الآخرة هي دار الجزاء ، وأن العلاقة بينهما قوية ، وأنهما ليسا نقيضين أو بديلين .

الأهداف الخاصة :-

- أن يدرك الطلبة أن الحياة في التصور الإسلامي هي حياة عمل وجد .
- أن يفهم الطلبة الأسباب التي تجعلهم يقبلون على الحياة الدنيا ، ويسهمون في عمارتها .
- أن يدرك الطلبة منازل الحياة الآخرة وعلاقتها بالدنيا .
- أن يكتشف الطلبة أن الدنيا والآخرة ليستا نقيضين .
- أن يكتشف الطلبة أن الدنيا والآخرة ليستا بديلين .

المحتوى : - انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٣٤٤ الى ص ٣٤٨ .

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة للدرس على السبورة .
- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة يبين فيها أهمية الحياة الدنيا ودور الإنسان فيها .
- مقدمة يختارها المعلم بحسب خبرته بشرط أن تؤدي إلى الدخول في الموضوع .
- البدء بالموضوع : وتعتمد خطة السير في هذا الدرس على مناقشة الطلبة ، عن أهمية الحياة الدنيا في التصور الإسلامي ، وأنها حياة عمل وجد ، وأنه ينبغي السعي في الأرض لعمارته، ثم على المعلم أن يحدد معهم الأسباب والدوافع التي تجعلهم يقبلون على الدنيا وعمارته، والسعي فيها، ثم يناقشهم في بعض المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالآخرة كالجنة والصراف والنار ، وعذاب القبر وغير ذلك ، وفي ختام الموضوع يتوصل معهم إلى أن الدنيا والآخرة ليستا نقيضين أو بديلين وإنما

الأولى مزرعة للثانية ومن أحسن فيها وعمل خيراً يلقاه بعد موته وهما مرتبطان معاً .

الوسائل :-

- ١- السبورة .
- ٢- الاستماع إلى جزء من محاضرة عن الحياة الآخرة ونعيمها .

الأنشطة :-

- يكلف الطلبة بزيارة إحدى المقابر القريبة وقراءة الدعاء المأثور على الموتى .
- عمل بعض المشاهد التمثيلية عن الموت باعتباره نهاية لكل حي .
- دعوة أحد العلماء لإلقاء محاضرة عن أهمية الحياة الدنيا والآخرة .

التقويم :-

- اذكر بعض الأسباب التي تجعلك تقبل على الحياة الدنيا؟
- انتقد بعض الذين يبالغون في الاهتمام بالدنيا على حساب الآخرة؟
- انتقد بعض الذين يبالغون في الاهتمام بالآخرة على حساب الدنيا؟

الموضوع العائش وعنوانه :- الحياة ناشئة بإرادة الله .

الهدف العام :- أن يدرك الطلبة أن الحياة ناشئة بإرادة الله وهي من أصل واحد هو الماء ،

وتقوم على قاعدة الزوجية ، التي تشمل الأحياء جميعاً .

الأهداف الخاصة :

- أن يدرك الطلبة أن الحياة ناشئة بإرادة الله .
- أن يفهم الطلبة أن الأحياء جميعاً من أصل واحد هو الماء .
- أن يدرك الطلبة أن الحياة تقوم على قاعدة الزوجية بين كل الأحياء .
- أن يدرك الطلبة العلاقة القائمة بينهم وبين مفردات الحياة من حولهم .
- أن يدرك الطلبة أن الحياة دار عمل يجب على الإنسان أن يقوم بعمارتها .

المحتوى :- انظر محتوى هذا الموضوع كاملاً في الملحق رقم (٣) من ص ٣٨٠ إلى ص ٣٣١

طريقة التدريس :-

- عرض الأهداف العامة والخاصة على السبورة .
- البدء بتهيئة الطلبة من خلال مقدمة مشوقة تجعلهم يتهيأون للدرس .
- مقدمة يتم فيها ربط الدرس السابق مع هذا الدرس .
- ملاحظة : أخي المعلم : لاحظ أن هناك ارتباط بين الدرس السابق وهذا الدرس وعليك أن تستغل ذلك في طرح المقدمة هنا .

- البدء بالموضوع : وهنا يرى الباحث أن يقسم المعلم درسه إلى ثلاثة محاور :

المحور الأول ويناقشه مع طلابه تحت عنوان « ما أصل الأحياء .»

المحور الثاني ويناقشه مع طلابه تحت عنوان « ما طبيعة العلاقة بين كل الأحياء .»

المحور الثالث ويناقشه مع طلابه تحت عنوان « ما طبيعة العلاقة بين الإنسان والحياة .»

وهنا ينبغي على المعلم أن يناقش ويحاور طلابه في كل محور مناقشة مستفيضة وجادة، حتى يتأكد من استيعابهم للمحور الأول، ثم ينتقل للثاني والثالث، وفي كل محور عليه أن يطرح الأسئلة التي يتبين من خلالها أن طلابه قد استوعبوا ما أراد تحقيقه .

الموسائل :-

١- السبورة .

٢- شريط (فيديو) يحتوي على مادة علمية يتبين من خلالها أهمية الماء في الكون وحجمه في الكرة الأرضية ، ودوره في حياة كل الأحياء .

الأنشطة :-

يُكَلِّفُ الطلبة بالرجوع إلى بعض المصادر التي تتحدث عن هذا الموضوع .

التقويم :-

- ما أهمية الماء في حياتك؟

- لماذا كانت الحياة دار للعمل؟

- تحدث عن طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان ومفردات الحياة المختلفة؟

التقويم النهائي أو الختامي للوحدة :

ويعرف بالتقويم النهائي الذي يتم بعد الانتهاء من الجانب التجريبي للوحدة موضع الدراسة، وذلك بعد الانتهاء من تدريسها ، وهو يعتمد على نتائج الاختبار التحصيلي الذي تم إعداده وضبطه، لقياس مدى تحقق أهداف المنهج المقترح من خلال تطبيق الوحدة التي تمثله .

والهدف من هذا التقويم الحكم على أداء الطلبة وتحصيلهم والكشف عن مدى فعالية تدريس الوحدة التي تعكس المنهج بكل مكوناته لتحقيق أهدافه المرجوة .

مراجع الوحدة : وتمثل في نوعين من المراجع هي :-

أولاً : مراجع في مجال الثقافة الإسلامية :-

- أبو جعفر أحمد الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية .

- يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام .

- أي تفسير من التفاسير المتوفرة لديك .

- سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته .

- نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية .

ثانياً : مراجع في مجال المناهج وطرق التدريس

والغرض من الرجوع لهذه المراجع هو تزويدك أخي المعلم ببعض المعلومات عن المناهج وطرق

التدريس التي يُعتقد أنها تساعدك في إنجاز مهمتك .

- علي أحمد مذكور ، نظريات المناهج التربوية .

- إبراهيم محمد الشافعي ، التربية الإسلامية وطرق تدريسها .

- الدمرداش سرحان ، المناهج المعاصرة .

ملحق رقم (٧)
ويتضمن الاستبيان الذي وزع على طلبة الجامعة لمعرفة ما
يرغبون في دراسته من قضايا وموضوعات في مقرر الثقافة الإسلامية
- كمتطلب جامعي -

إخواني طلبة جامعة صنعاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحية طيبة وبعد : -

يقوم الباحث بإعداد رسالة دكتوراه بعنوان « تطوير منهج الثقافة الإسلامية - كمتطلب جامعي -
لطلبة جامعة صنعاء .»

ولكونكم قد درست هذا المقرر ، أرجو منكم التكرم بإبداء ملاحظاتكم واقتراحاتكم حول مدى
صلاحيته ، وذلك عن طريق هذه الاستبانة وقد طرح عليكم نوعين من الاسئلة : -

النوع الأول : أسئلة مغلقة ، وتكونت من ٢٢ سؤالاً والمطلوب منكم وضع علامة (×) في
المكان الذي ترونه مناسباً من وجهة نظركم .

النوع الثاني : أسئلة مفتوحة المطلوب فيها وضع ما يناسب كل محور من المحاور الأربعة
المطلوب وضع المحتوى لها، وترك لكل محور فراغ ، والمطلوب منكم كتابة ما ترونه مناسباً لكل محور
من هذه المحاور الأربعة ، وتركت الصفحة الأخيرة لأضافة ما ترونه من ملاحظات وآراء، والغرض من
ذلك هو الاستفادة من آرائكم و ملاحظتكم بغرض تفادي القصور الحاصل في هذا المقرر ، وتعديله
وتطويره في ضوء ذلك، حتى يستفيد من ذلك زملائكم الذين سيدرسون هذا المقرر لاحقاً .

ختاماً لكم خالص الشكر والتقدير على تعاونكم

الباحث

م	العبارة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
١	المقرر الحالي يلبي حاجات الطالب وميوله .			
٢	المقرر الحالي موضوعاته جديدة وغير مكررة لما سبق دراسته في مراحل التعليم السابقة للجامعة.			
٣	المقرر الحالي يشجع الطالب لحضور المحاضرات .			
٤	المقرر الحالي يتناول أهم قضايا المجتمع اليمني .			
٥	المقرر الحالي ليهتم بمعالجة قضايا المجتمع اليمني .			
٦	المقرر الحالي تترابط مواضيعه ترابطاً قوياً .			
٧	الطرق المتبعة لتدريس المقرر كثيرة ومتنوعة .			
٨	مدرس المقرر متمكن من تدريس المقرر بشكل جيد .			
٩	مدرس المقرر يشرح المواضيع المقررة كما هي في الكتاب .			
١٠	أهداف المقرر واضحة بالنسبة للطالب .			
١١	مدرس المقرر يخرج كثيراً عن المواضيع المقررة في الكتاب .			
١٢	يتم الحكم على نجاح الطالب في المقرر من خلال امتحان آخر الفصل النهائي .			
١٣	الامتحانات النهائية تعتمد على الحفظ فقط .			
١٤	الامتحانات النهائية تنمي القدرات العقلية لدى الطالب .			
١٥	الامتحانات النهائية تجبر الطالب على الحضور ومتابعة شرح المدرس بدقة .			
١٦	موضوعات المقرر الحالي طويلة جداً .			
١٧	أفضل أن يكون لكل كلية مقرر خاص بها .			
١٨	أتمنى أن تزداد ساعات المقرر الدراسية حتى تعالج كل القضايا الهامة .			
١٩	كثرة العدد في القاعة الواحدة لا يتيح لنا المتابعة والمناقشة مع مدرس المادة .			
٢٠	المقرر الحالي عبارة عن مواضيع مأخوذة من عدة كتب ، وتعتمد على الإطالة دون فائدة .			
٢١	أفضل بقاء المقرر الحالي كما هو دون زيادة أو نقصان .			
٢٢	المقرر بشكله الحالي يضمن لي النجاح بسهولة ويسر .			

المحور الأول :- بعنوان « المدخل إلى الثقافة الإسلامية » وفيه يجب طرح القضايا التالية :-

- ١
- ٢
- ٣
- ٤
- ٥
- ٦
- ٧
- ٨
- ٩
- ١٠
- ١١
- ١٢

المحور الثاني بعنوان « الإسلام والكون » وفيه يجب طرح القضايا التالية :-

- ١
- ٢
- ٣
- ٤
- ٥
- ٦
- ٧
- ٨
- ٩
- ١٠
- ١١
- ١٢

المحور الثالث :- بعنوان « الإسلام والإنسان » وفيه يجب طرح القضايا التالية :-

- ١
- ٢
- ٣
- ٤
- ٥
- ٦
- ٧
- ٨
- ٩
- ١٠
- ١١
- ١٢

المحور الرابع : بعنوان « الإسلام وجوانب الحياة المختلفة » وفيه يجب طرح

القضايا التالية :-

- ١
- ٢
- ٣
- ٤
- ٥
- ٦
- ٧
- ٨
- ٩
- ١٠
- ١١
- ١٢

ملاحظات واقتراحات :-

ينبغي الأخذ بها عند إعداد هذه الدراسة :-

- ١
- ٢
- ٣
- ٤
- ٥
- ٦
- ٧
- ٨
- ٩
- ١٠
- ١١
- ١٢

ملحق رقم (١)

قائمة بأسماء السادة المحكمين

- (١) أ.د. إبراهيم محمد الشافعي ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بمعهد الدراسات والبحوث التربوية جامعة القاهرة
- (٢) أ.د. على أحمد مذكور ، أستاذ المناهج وطرق التدريس ، وعميد معهد الدراسات والبحوث التربوية جامعة القاهرة
- (٣) أ.د. محمود كامل الناقفة ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس .
- (٤) أ.د. فتحى على يونس ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس .
- (٥) أ.د. فتحى الديب ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بمعهد الدراسات والبحوث التربوية جامعة القاهرة .
- (٦) أ.د. على راشد ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بمعهد الدراسات والبحوث التربوية جامعة القاهرة .
- (٧) أ.د. حسن شحاته ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس .
- (٨) أ.د. إبراهيم محمد عطا ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية بالفيوم جامعة القاهرة .
- (٩) أ.د. عابد توفيق ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة صنعاء .
- (١٠) أ.د. عبد القادر العاني ، أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة صنعاء .
- (١١) أ.د. كاظم عبد الكريم ، أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة صنعاء .
- (١٢) أ.د. محمد عبد الله الصوفى ، أستاذ مناهج البحث بكلية التربية جامعة صنعاء ، ورئيس مركز البحوث والتطوير التربوى بوزارة التربية والتعليم .
- (١٣) أ.د. محمد حاتم المخلافي ، الأستاذ المشارك بقسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة صنعاء .
- (١٤) أ.د. سامى عبد الله ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة الأزهر .
- (١٥) أ.د. عبد الفتاح محمد عبد الكريم ، رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة الأزهر .
- (١٦) أ.د. شعبان أبو غزالة ، أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة الأزهر .
- (١٧) أ.د. طه غانم ، الأستاذ المشارك بقسم المناهج وطرق التدريس ، وعميد كلية التربية بجامعة صنعاء .
- (١٨) د. صادق شائف ، الأستاذ المساعد بكلية الشريعة جامعة صنعاء .
- (١٩) د. محمد سنان الجلال ، عميد كلية الشريعة جامعة صنعاء .
- (٢٠) د. سعيد الحميري ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة صنعاء .
- (٢١) د. محمد حسين خافو ، الأستاذ المساعد بقسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة صنعاء .
- (٢٢) د. عبد الله الكوري ، الأستاذ المساعد بقسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة صنعاء .
- (٢٣) د. محمد الغشم ، الأستاذ المساعد بكلية الشريعة جامعة صنعاء .
- (٢٤) د. أحمد قاسم الزمر ، الأستاذ المساعد بكلية اللغات جامعة صنعاء .
- (٢٥) د. سعيد أحمد حافظ ، المدرس بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة الأزهر .
- (٢٦) د. أحمد سالم الضريبي ، أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة عدن .
- (٢٧) أ. أحمد العوامى ، مدرس مساعد بكلية التربية بجامعة صنعاء .
- (٢٨) أ. جميل سليمان ، مدرس مساعد بكلية التربية بجامعة صنعاء .

ملحق رقم (٩)
ويتضمن صورة للتكليف الموجه للدكتور عابد توفيق
أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة صنعاء
من أجل القيام بالإشراف على الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث



سفارة الجمهورية اليمنية
المحلية الثقافية
القاهرة

رقم القيد :
التاريخ : ١٧/١٢/٢٢
المرفقات :

الأكرم

الاخ الاستاذ الدكتور/ عميد كلية التربية
جامعة صنعاء

تحية طيبة ومعسة ،

يهديك مكتب الجامعات اليمنية بالقاهرة أطيب التحيات ، ونود الافساده
بأن الطالب / محمد أحمد الجلال ، مبعوث جامعة نمار للدراسات العليا
لتحضير درجة الدكتوراه سيقوم باجراء الدراسة الميدانية بكليتكم الموقرة .

لذا يرجى التكرم بتسهيل مهمة الطالب .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،،

المستشار الثقافي المساعد
للمشرفين-الجامعات

موجز البحث باللغة العربية

إجراءات تنفيذ البحث :

من المعروف أن لكل بحث خطواته وإجراءاته ، ومن أجل تنفيذ هذا البحث والإجابة عن أسئلته فقد تم ذلك في إطارين هما : -

أولاً : الإطار النظري : - وفيه تمت الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة وذلك من خلال الاطلاع على : -

- أ - البحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث .
- ب - الاطلاع على بعض المراجع والمصادر التي تناولت طبيعة الثقافة الإسلامية .
- ج - الاطلاع على بعض المراجع والمصادر التي تناولت طبيعة الطالب في المرحلة الجامعية .
- د - الاطلاع على بعض المراجع والمصادر التي تناولت طبيعة المجتمع اليمني وخصائصه ومشكلاته .

ومن المراجع والمصادر السابقة تم اشتقاق المعايير والأهداف التي تم في ضوئها تحليل المحتوى القائم ، وبناء المنهج المقترح .

ثانياً : الإطار العملي : - وفيه تمت الإجابة عن الأسئلة الثاني والثالث والرابع ، وتم تنفيذه على النحو التالي :

- ١- من الاطار النظري السابق تم بناء قائمة بالمعايير، التي ينبغي أن تتوافر في منهج الثقافة الإسلامية المقترح تدريسه على طلبة جامعة صنعاء وهي خمسة وثلاثون معياراً رئيسياً .
- ٢ - تم تحليل المحتوى القائم في ضوء المعايير السابقة وذلك وفق أسلوب تحليل المحتوى .
- ٣ - تم تحليل البيانات والخروج بالنتائج التي وضحت جوانب القوة وجوانب الضعف في المقرر القائم .

٤ - تم بناء منهج متكامل للثقافة الإسلامية لطلبة جامعة صنعاء وهذا تطلب ما يلي :

- أ - تم تحديد الأهداف التي ينبغي أن يعمل منهج الثقافة الإسلامية على تحقيقها .
- ب - تم إعداد المحتوى المناسب والمحقق لتلك الأهداف .
- ج - تم اقتراح بعض طرائق التدريس وبعض الأنشطة المناسبة وبعض أساليب التقويم .
- ٥ - تم تدريس الوحدة الأولى من وحدات المنهج المقترح وهي بعنوان (المدخل إلى الثقافة الإسلامية) وذلك على عينة ممثلة من طلبة جامعة صنعاء .
- ٦- تطبيق الاختبار على المجموعتين الضابطة والتجريبية قبل وبعد الدراسة .

وفي جميع الخطوات السابقة تم استخدام الأسس والمعايير المناسبة لكل خطوة، ومن ذلك القيام بالتحكيم وإجراء عمليتي الصدق والثبات، وغير ذلك من الأمور العلمية المتعارف عليها عند إعداد مثل هذه الدراسة .

موجز البحث باللغة العربية

المقدمة :

واجهت وتواجه الثقافة الإسلامية الكثير من التحديات والافتراءات من قبل الكثير من الحاقدين والجاهلين بطبيعتها وخصائصها ، ومن ذلك أنها تقدم في مراحل التعليم المختلفة بطريقة لا تتناسب مع أهميتها ودورها في حياة الفرد والمجتمع ، فهي تقدم بطريقة جافة ومجردة لا يراعي فيها طبيعة الطالب ولا خصائصه ومشكلاته ، ولا طبيعة المجتمع وأهدافه وطموحاته ، ومن أجل هذه المشاكل وغيرها اقترح الباحث هذه الدراسة لعلها تزيل بعض الغموض الذي علق في أذهان الكثير ، وقد حرص الباحث أن تكون هذه الدراسة مشتملة على جميع الخطوات العلمية ، مع مراعاة الأسس التربوية والنفسية والعلمية التي تتناسب مع طبيعة طلبة المرحلة الجامعية ، وطبيعة الثقافة الإسلامية وخصائصها وقيم المجتمع وتوجهاته .

أسئلة البحث :

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ١- ما المعايير النفسية والاجتماعية والثقافية التي يمكن في ضوءها بناء منهج لتطوير الثقافة الإسلامية؟
- ٢- ما أوجه القوة وأوجه الضعف في المقرر الحالي في ضوء المعايير السابقة .؟
- ٣- ما التصور المقترح لبناء منهج الثقافة الإسلامية - كمتطلب جامعي - في ضوء المعايير السابقة ونتائج التحليل .؟
- ٤- ما مدى تحقيق المنهج المقترح للأهداف المرجوة منه؟

أهداف البحث :

- الهدف من هذا البحث هو تطوير منهج الثقافة الإسلامية - كمتطلب جامعي - لطلبة جامعة صنعاء ، ومن أجل تحقيق ذلك تم عمل الأتي :-
- وضع قائمة بالمعايير التي ينبغي أن تتوافر في منهج الثقافة الإسلامية لطلبة جامعة صنعاء .
 - تحليل محتوى المقرر القائم في ضوء المعايير السابقة .
 - تم إعداد قائمة بالأهداف العامة والخاصة، والتي تم في ضوءها إعداد المنهج المقترح .
 - تم بناء منهج مقترح للثقافة الإسلامية في ضوء الأهداف العامة والخاصة التي أعدت لذلك .
 - تم إعداد دليل للمعلم الجامعي يشتمل على بعض التعليمات والتوجيهات التي يمكن الاستفادة منها عند تدريس هذا المنهج .
 - تم إعداد اختبار تحصيلي ومن خلاله تم التعرف على مستوى أداء الطلبة في مادة الثقافة الإسلامية
 - تطبيق الوحدة الأولى من وحدات المنهج الأربع على عينة ممثلة من طلبة جامعة صنعاء ، وذلك للتأكد من تحقق الأهداف المنشودة .
 - تقديم بعض التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تفيد الباحثين والمختصين في هذا المجال .

نتائج البحث :-

- بعد تحليل النتائج تم التوصل للكثير من النتائج من أهمها ما يلي :
- اتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط الدرجات التي حصلت عليها المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي .
 - اتضح أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين متوسط الدرجات التي حصلت عليها المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي - البعدي ، وذلك لصالح أدائهم في الاختبار البعدي .
 - اتضح أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي ، وذلك لصالح أداء المجموعة التجريبية .
 - اتضح من خلال نتائج تحليل المحتوى أن المقرر القائم بحاجة إلى تطوير وتعديل وبما يتوافق مع الأسس والمعايير التربوية .
 - اتضح مناسبة الاختبار التحصيلي الذي تم إعداده لقياس مستوى الطلبة .
 - اتضح أن الأهداف التي تم وضعها للمنهج المقترح قد تحققت وبنسبة كبيرة .

التوصيات :

- من خلال النتائج التي تم التوصل إليها سابقاً ، أوصى الباحث ببعض التوصيات لعل من أهمها ما يلي :-
- ينبغي الاستفادة من نتائج هذا البحث ووضعها موضع التنفيذ .
 - ينبغي الاستفادة من المعايير والأهداف التي تم التوصل إليها في هذا البحث .
 - ينبغي محاولة تعميم المنهج المقترح على جميع طلبة الجامعات اليمنية .
 - ينبغي الاستفادة من الاختبار التحصيلي ودليل المعلم واللذان تم إعدادهما من أجل مساعدة المعلم على إنجاح المنهج المقترح .
 - ينبغي أن يُعهد بتدريس هذه المادة إلى معلم يجمع بين العلوم الشرعية وبعض العلوم التربوية التي تساعد على أداء مهمته .

موجز البحث باللغة الإنجليزية

Cairo University
Institute of Educational Studies of Research
Department of Curriculum and Methods of Teaching

Developing the Islamic Culture Curriculum
As a University Requirement for the Students
of Sana'a University

***A THESIS SUBMITTED FOR THE FULFILLMENT OF A PH.D.
DEGREE IN EDUCATION
" CURRICULUM OF METHODS OF TEACHING "***

Prepared by
Mohamad Ahmed El - galal
Assistant Lecturer Faculty of Education Dhamar University

Supervised by
Professor Dr. Ali Ahmed Madkour
Professor of Curriculum and Methods of Teaching Cairo University
And Dean College of Education & Islamic Science Sultan Qaboos University

1999

ملخص البحث باللغة الإنجليزية
Research Summarized in English

Introduction:

Islamic culture has faced a number of challenges from jealous and those who don't know its nature and features. Among those, that it is presented at various education levels in away that doesn't suit its significance and role in the like of individuals and the society at large.

Its presentation does neither take into account the nature, features and problems of the learner, nor the nature, aims and ambitions of the Yemeni society. As a result, the researcher proposes this study taking into account educational and psychological features of university students.

Research questions:

The research aims to answer the following questions:

1. What are the psychological, social & educational criteria that may help in developing the "Islamic culture" Curriculum?
2. What are the points of weakness and strength in the existing curriculum in the light of the aforementioned criteria?
3. What is the suggested proposal to build the curriculum of the "Islamic culture" – as a university requirement – in the light of the aforementioned criteria and result of the analysis?
4. To what extent will the suggested program achieve its objectives.

Research Aims

This research aims at developing the curriculum of Islamic-culture – as a university requirement for the students of Sana'a university, and therefore:

1. Establishing some criteria that should be considered when developing the curriculum of the Islamic culture.
2. Analyzing the content of the existing curriculum in the light of the, aforementioned criteria.
3. Proposing a new curriculum for the, Islamic culture in the light of the general and specific aims prepared for it.
4. Prepare the teacher's guide that will include instructions & guidelines for handling the proposed curriculum.

5. Prepare a pre/ posttest to evaluate the student's level in the curriculum of the Islamic culture.
6. Implementing the first unit of the proposed curriculum to a group of students at Sana'a University to verify the achievement of the objectives.
7. Presenting some recommendations & suggestions that researchers may benefit from.

Research Procedures:

Answering the research questions has been carried through the following:

- II. The theoretical background through which the first question was answered included the following:
 - a. Reviewing previous studies & researches related to the topic.
 - b. Reviewing sources and references related to the nature of University students.
 - c. Reviewing sources and references related to the Islamic culture.
 - d. Reviewing sources and references related to the nature, features and problems of the Yemeni society.

From the above mentioned sources and references, the criteria for analyzing and developing the Islamic culture curriculum were defined.
- II. The practical phase through which questions two, three and four were answered included the following:
 1. Analyzing the content of the existing Islamic culture curriculum in the light of the established criteria.,
 2. Pointing out points of weakness and other of strength in the existing Islamic culture curriculum.
 3. Developing an integrated curriculum for the "Islamic culture" for the students of Sana'a university , this included:
 - a. Specifying objectives for the curriculum.
 - b. Preparing the content that reflects the specified objectives.
 - c. Suggesting methods of teaching and means of testing.
 4. Teaching the first unit of the developed curriculum to a representative sample of the university students.
 5. Administering the pre/posttest to the experimental and control group.

Results:

1. There is significant differences between means of achieved scores by both groups in the pretest.
2. There are significant differences between means of achieved scores by the experimental group in both tests for the sake of their performance in the posttest.
3. There are significant differences between means of achieved scores by both groups in their performance of the posttest for the sake of the experimental group.

This means that the existing curriculum of the Islamic culture, need to be modified and developed in the light of the developed criteria

Recommendations:

In the light of the research results, the researcher recommends the following:

1. It should be benefited from the present study.
2. It should be benefited from the established criteria and the specified objectives.
3. It should be benefited from the developed test and the teacher's guide.
4. The curriculum of Islamic culture should be taught by specialized in Islamic Sharea' as well as education.